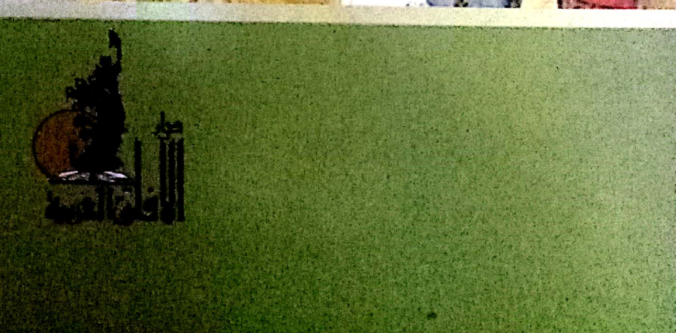


بابُرنامه وقائع (فرغانه - كابل - الهند)

تصنيف
ظهير الدين محمد بابُر

نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها
ماجدة مخلوف



تاريخ بابُر

بابُرنامَة

وقائع

فرغانة - كابُل - الهند

تصنيف

ظهير الدين محمد بابر التيموري

مؤسس دولة المغول في الهند

نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها

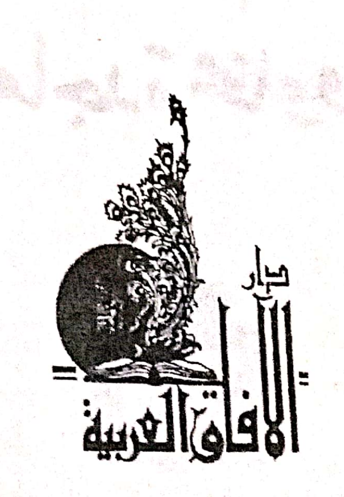
ماجدة مخلوف



التيموري ، ظهير الدين محمد بابر
تاريخ بابر :بابر نامة
وقائع فرغانة- كابل - الهند
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2014
711 ص ، 24 سم

1- الهند تاريخ
أ. مخلوف ، ماجدة (مترجم ، مقدم ، معلق)
954
ب. العنوان
تدمك: 6-299-344-977-978
رقم الإيداع :2014/8526
الطبعة الأولى
2014/1435 م

نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 -00202
تليفاكس : 22610164-00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[آل عمران: ٢٦]

القسم الأول

دِرَاسِةٌ حَوْلَ تَارِيخِ بَابُر ٣٧ - ٩٠

القسم الثاني ٩١ - ٦٦٦

تاريخ بابُر (الترجمة العربية)

فَرْغَانَه ٩٢ - ٢٨٤

كَابُل ٢٨٥- ٤٧٩

ثبت المصادر والمراجع ٦٧٢-٦٧٦

فهرس الأعلام ٦٧٧-٧١١

المُقدِّمَة

تزخرُ اللُّغاتُ الشَّرْقيةِ الإسْلامِيَّةِ بِتُراثٍ إنْسَاني ضَخْمٍ فِي مَجالاتِ الفِكْرِ والأدَبِ والتَّارِيخ. والتَّرْجمَةُ مِن هَذهِ اللُّغات إلى اللُّغة العَرَبيَّةِ، تُعْتَبَرُ بلا شك إثْراءٌ لِلثَّقافةِ الإسْلامِيَّةِ والإنْسَانيَّة.

ومِن الآثارِ الفَريدَةِ فِي اللُّغَةِ التركيَةِ بِلَهْجَتِها الجِغْتائيَّة، كِتَابُ بَابُر المعروف باسم (بَابُر نامه). وَقد أَجْمَعَ المُؤَرِّخُون مِن شَرقٍ وغَربٍ علَى أنَّ هَذا الكتابَ أثرٌ فريدٌ سواء مِن حيث المُحْتوى أو الأسلوب.

وكِتَابُ بَابُر، هو السِّيْرَةُ الذَّاتية لِظَهِير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة التَّيْمُورِية التي يعرفها الأوربيون باسم دولة المُغُول فِي «الهِنْد». وقد كَتَبَه بَابُر فِي النِّصْفِ الأولِ مِن القَرْنِ السَّادِسِ عشر الميلادي، العاشر الهجري، بِهَدَفِ تَسْجِيل جُهُودِهِ وَجِهَادِهِ فِي سَبِيلِ تَأسِيسِ دولته. وبذَلِكَ المحتوى صار الكتابُ مصدرًا أصيلًا لِتاريخِ «ما وراء النَّهْر» و«الهِنْد» فِي تلك الفترة.

وبِسَبَبِ تَفرُّدِ هَذا الأثرِ تَمَّت تَرْجَمَتُه أكثر مِن مَرةٍ إلى اللُّغاتِ الفَارِسيَّةِ والإنْجليزيَّةِ والفَرَنْسِيَّةِ والأُرْدِيَّةِ، وتُرْجِمَ أيْضًا إلَى الألْمَانِيَّةِ والرُّوسِيَّةِ والتُّرْكِيَّةِ الحَدِيثَةِ والأسْبَانِيَّةِ والأُزْبَكِيَّة.

وَتَارِيخُ بَابُر مَصْدَرٌ أسَاسٌ لِكُلِّ مَن يَتَصدَّى للكِتَابَةِ عَنِ الإسْلامِ بلاد ما وراء النَّهْر و«شِبْهِ القَارةِ الهِنْدية»، فَقَد أشَارَ الدكتور أحْمَد محمود الساداتي - فِي كِتَابِهِ الذي يحمل عنوان «تاريخ المسلمين فِي شبه القارة الهِنْدية»وحضارتهم - إلى أهميةِ نقل كتابِ بَابُر إلى اللغةِ العربيةِ بقوله: وقد نُقِلَتْ هَذهِ السِّيْرة إلى الفارسية، كما نُقِلَت إلى اللغاتِ الأوروبيةِ الحديثة، ونرجو أن يتهيأ لهذه السِّيْرة القَيِّمَة المُمْتِعَة مَنْ يَنْقلُها بِدَوْرِه إلى العربية.

وقد وَفَّقنا الله - سبحانه وتعالى - إلى نَقْلِ هَذا الكتاب إلى اللُّغَةِ العَرَبيَّة، وهِي المرةُ الأولى التي يُنْقَلُ فِيها هَذا الأَثَر الفَرِيد إلى اللُّغَةِ العَرَبيَّة.

وقَد مَهَّدْنا لِهَذِه التَّرْجَمَة بِدراسةٍ حَوْلَ بابُر، والدولةِ التَّيْمُورِيَّة، والأوضَاعِ السِّيَاسِيةِ فِي عَصْرِه، ثُمَّ مَنْهَجه فِي الكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّة، وخَصَائِص هَذا المنهج.

كَمَا عَرَّفْنا بالكِتابِ ومُحْتَواه، وأَهَمِّيَتهِ التَّارِيخِيَّة، وأَهَمَّ التَّرْجَماتِ التِي تَمَّت لَهُ إلى اللُّغَاتِ الفَارِسِيَّةِ والإِنْجِليزِيَّةِ والفَرَنْسِيَّةِ والتُّرْكِيَّةِ الحَدِيثَةِ والأُرْدِيَّة، ثُمَّ التعريف بتَرْجَمَتِنا هَذهِ، والمَنْهَجُ الذي اتبعناه فِي التَّرْجَمَةِ، التي آمل أن تملأ فَرَاغًا فِي المكْتَبَةِ العَرَبيَّة.والله مِن وراء القصد.

ماجدة مخلوف

كلمة وشُكر

لقد استغرقَ انجازُ هذا الكتاب أكثر من عِقدَيْن مِن الزمان، وهى مدةٌ لَيْسَت بالقصيرة، فقد بَدَأتُه وأنا فى أخرياتِ سنواتِ الشباب، وها أنا ذا قد بلغتُ الستين مِن عمرى.

كانت هذه الفترةُ الطويلةُ كافيةً لأن أُعِيد النظرَ في النصِ أكثر من مرة ، والحمد لله لم أشعر لحظة بالقلق، فقد أتى الوقتُ بِثَمَرَتِه. وكنتُ فى هذه السنواتِ أنْقَطِع عن العملِ فى هذا الكتابِ من حين إلى آخر حَتَّى أُجَدِّد طاقتى وأُجَدِّد رُؤيتى وفَهْمِى للنص، وجمعتُ خلالها كل ما استطيع الحصول عَلَيْهِ من ترجماتٍ لهذا الأثر القيِّم فى اللغاتِ التركيةِ والانجليزيةِ والفرنسيةِ والأرديةِ والفارسيةِ والأزبكية ، وإعْدَادِ النص الذى قام به البروفسور ايجى مانو، واجتهدتُ قَدْرَ ما يسَّرَ لنا الله فى الاستفادةِ مِنْها كلها.

ولا يفوتنى أنْ أتَقَدَّم بالشكرِ إلى كلِّ مَنْ قدَّمَ لنا رأْيًا أو مَشُورَة، وكلِّ مَنْ أهْدَى الينا كِتابا استَفَدْنا منه فى هذا الكتاب.

وفى النهاية

أهدى هذا الجهد إلى حبات قلبى ابنتىّ هبة وهالة و أحفادى رنا وليلى وحسن وندى وأحمد، ليتعلموا أن " من أراد استطاع " وذلك بعد مشيئة الله وإرادته.

والحمد لله رب العالمين

ماجدة مخلوف

مدينة الشروق

٢٠١٣/٩/٢٣

تنويـــــه

نود الإشارة هنا إلى الآتي:

(١) الكلماتُ الواردةِ فِي سِيَاقِ التَّرْجَمَةِ العَرَبِيَّةِ والمَوْضُوعَة بين مَعْكُوفَيْن [...] هي مِن وَضْعِنا، وذَلِكَ حسبما يقتضي سِيَاقُ الجملةِ العربية، لتوضيح بعض المعاني التي بَدَتْ غامضة فِي العبارةِ التركيةِ مِن النص.

(٢) التَزَمْنَا مَبْدَأ البِنَاءِ على حَرَكَةِ الحكاية فِي أَسْماءِ الأعْلام، أي: عَزْل اسم العَلَم عن سِيَاقِ الجُمْلَة وبناءه على الحَرَكَةِ والحَرْفِ الذي هو عَلَيْهِ.

مثال ذَلِكَ: قَالَ أبو سعيد، أو: رأيت أبو سعيد، أو: نظرت إلى أبو سعيد.

(٣) كل الهوامشِ والعناوينِ الجانبية للنص مِن وَضْعِ المُتَرْجِم.

(٤) تَحَرَّيْنَا فِي كِتَابَةِ الأسماءِ الشائعة ما تَعارَفَت عَلَيْهِ المصادر العربية، والتَزَمْنَا فيما هو غير شائع مِنْها الشكل الإملائي الوارد فِي النص الجغتائي.

(٥) إن لَقَبَ «البيجوم» يعنى الأميرة، ولَقَبِ «ميرزا» يعنى الأمير من الأسرة التيمورية.

(٦) إن لَقَبَ «خان» يعنى الحاكم أو السُلْطَان ، ولقب «خانم» يعنى الأميرة عِنْدَ المُغُول والأزبك.

(٧) إن لَقَبَ «سُلْطَان» بعد الاسم يعنى الأمير عِنْدَ المُغُول.

وقد آثرنا الاحتفاظ بهذه الألقاب على حالها للتفريق بين التيموريين والمُغُول والأزبك

***

القِسْمُ الأول

دِرَاسَةٌ حَوْلَ تـــاريخِ بَابُر

الدولةُ التَّيْمُورِيَّة

حَتَّى نهايةِ القرنِ الخامسِ عشر

أَسَّسَ الأميرُ تيمور الجُرجاني، المعروف باسم تيمورلنك (ت: ٨٠٨ هـ =١٤٠٥م) دولةً وَاسِعَة نُسِبَت إليه، وضَمَّت مَنَاطق مِن «الهِنْد»، وأفغانستان، الحالية، وكل بلاد ما وراء النَّهْر، و«خُراسان»، والعراقين، وجنوب القفقاس، وأجزاء مِن الشام وشرق الأناضول وغيرها، واتَّخَذ مدينة «سَمَرْقَنْد» عَاصِمَةً له.

تَعَرَّضَت هَذهِ الدولة التَّيْمُورِية للانقسام بَعْدَ وفَاةِ تيمورلنك، سواء بسبب التمرد على السُلْطَان، أو الرغبة فِي الانفصال والاستقلال التي سادت بين أبنائه وأحفاده[1].

تَرَكَ تيمور لنك أربعةَ أبناءٍ يُمَثِّلُون الأُسْرَةِ التَّيْمُورِيَّة هم:

١- غياث الدين جهانكير مِيرْزا : وقد تُوفِّي أثناءَ حياةِ تيمور لنك، فأصبحَ ابنه پير مُحَمَّد مِيرْزا وَلِيًا للعهدِ للأميرِ تيمور، وكان يحكُم فِي «كَابُل» و«غَزْنَة» و«الهِنْد»[2]. وانتهت أسرته فِي أواخرِ القرنِ الخامسِ عشر.

٢- معز الدين عُمَر شيخ مِيرْزا: وقد تُوفِّي أثناءَ حياةِ تيمور لنك أيضا، وحَكَمَ أبناؤُه پير مُحَمَّد رستم مِيرْزا ، وإسكندر مِيرْزا ، وبايقرا مِيرْزا ، فِي شيراز، وأصفهان، وهمدان وما حولها، واختَصَّ كل واحد منهم بمنطِقَةٍ مِنها. وانتهى نَسْلُهُ فِي منتصفِ القرنِ السادس عشر.

٣- جلال الدين ميرانشاه مِيرْزا : وقد حَكَمَ هو وابنُهُ عُمَر مِيرْزا فِي «خُراسان»، والعراقين، وآذربيجان، وديار بكر[3]. وانتهَت أسْرَتُه فِي مطلعِ القرنِ السابعِ عشر باستثناءِ ظهير الدين بَابُر الذي ظَلَّت أسْرَته تحكم فِي «الهِنْد» حَتَّى منتصفِ القرن التاسعِ عشر.

---

(1)Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu, Istanbul 1941,s.8

(٢) انظر، حَسَن بيرنيا، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض ساسانيان، از انتشارات كتبخانهء خيّام، بدون تاريخ طبع، ص٦٣٠.

(٣) انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، مخطوط، ٥٠٢٠ بايزيد، ورقه ٢٦٦أ.

٤- مُعين الدين شاهرخ مِيرْزا : وحَكَم في «هَرَاة»، و«طُوس» ، و «مَشْهَد»، ومرو، ونيسابور، وسبزوار [١] مِن «خُراسان»، وانتهت أسْرَتُه في مطلعِ القرنِ السادسِ عشر [٢].

والتّيمُوريون مثلُ السّلاجِقَة، لم يَسْعَ أي منهما إلى إقامةِ حكومةٍ مركزية، وساروا على نَهْج الأعرافِ التركية - حَتَّى ذَلِكَ الوقت - فِي جَعْلِ كل أميرٍ علَى رأس إمارة، وهذا ما أثَارَ بينهم الأطماع والنزاعات بِشَكْلٍ دائم [٣]. فلم يَكُنْ هُنَاكَ قانُون أو نِظَام يحكم انتقالَ الحُكْمِ مِن سُلْطَان إلى آخر، إنما اعتمد الأمر علَى قوةِ الأمير، وقُدْرَتِه فى التغلبِ على مُنَافِسيه وانْتِزَاعِ العرش. وهو ما جَعَلَ الدولة التّيمُورية عُرْضَةً للنزاعاتِ الداخلية، والصراعاتِ حَوْلَ السَّلْطَنَة عَقَبَ مَوْتِ كل سُلْطَان بَدْءً مِن تيمور لنك حَتَّى نهايةِ الدولةِ التّيمُورية فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان» على يَدِ الأُزْبَك فِي مطلعِ القرنِ السادسِ عشر الميلادي [٤].

بعد تيمور لنك، استطاع أَصْغَر أبنائِه مُعين الدين شاهرُخ مِيرْزا(ت: ٨٥١هـ = ١٤٤٧م) أن يَنْتَزِعَ العرشَ مِن يَدِ ابن أخيه مُحَمَّد بن جهانكيرميرْزا، ويَجْمَع كل أجزاء هَذِهِ الدولةِ الوَاسِعَة باستثناء سوريا والأناضول، ويحافظ عَلَيْهَا طوالَ تسعِ وأربعين سنة هِي مُدَّة حُكْمِه.

تَرَكَ شاهرُخ «سَمَرْقَنْد» عاصِمَة أبِيهِ، واتَّخَذَ مِن «هَرَاة» عاصمةً له، فأنْشَأَ فِيها الآثَار العظيمة. وكان شاهرُخ مِيرْزا أكبَرَ أمراءِ التّيمُورِيين الأحياء آنذاك، وأكفأ بني جِلْدَتِه وأقْدَرهم،

---

(١) سبزوار، مدينة تقع في في خُراسان فِي الغرب من نيشابور.

(2) Hikmet Bayur,Vekayi, tarihi özeti, Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahli indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946) 'de.s.28

وأيضا،حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٠.

(3) Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,Ötüken Yayınevi,Istanbul 1980,s.116.

(4) Hikmet Bayur, a.g.e ,s 56.

ورَاعِيا للفنونِ والعلوم، كَمَا كان بلاطهِ صورةً صادقةً لما بلَغَتْهُ الثقافةُ في عصرهِ وتَمَتَّعَ فِيه أهلُ «ما وراء النَّهْر» بالأمنِ والرفاهية ، فاعتبره المؤرخون العصرِ الذهبي لهذهِ المنطقة [١].

تَوَزَّعَت الدولـةُ التَّيمُوريـة عَقِبَ وفاةِ شاهرُخ بين الأُمَرَاء التَّيمُوريين [٢]، وكان أهمهم ابنه أولُغ بِك [٣] (حكم٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) وكان أميرًا في حياةِ والدهِ عَلَى «سَمَرْقَنْد» التي اتَّخذَها عاصمةً له، كما فَعَلَ جَدَّهُ تيمورلنك [٤].

وَجَّهَ أولُغ بِك اهتمامه الأول إلى العلوم، لَكِنَّهُ لم يهتم بالإدارةِ والحُكْمِ بنفسِ القدر الذي وجَّهَهُ إلى العلومِ، وصرف اهتمامه عن أحوالِ شَعْبِهِ ، ليشتغلَ بِعِلْمِ الفلك ورَصْدِ النجوم [٥].

نَجَمَ عن انشغـالِ أولُغ بِك عن إدارةِ وحُكْمِ بلادِه أن انْقَضَّ عَلَيْـهِ ابنه عبد اللطيف، وكان ذَلِكَ عام ٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م، لكن لم يُتَحْ لعبد اللطيف بن أولُغ بِك أن يَبْقَ طويلا في الحكم بعد قتله أبيه؛ إذْ قُتِلَ بِدَوْرِه بعدَ بِضْعَةِ شهورٍ مِن ذَلِكَ الحَدَث [٦].

تَوَلَّى عبد الله مِيرْزا الحُكْمَ في «سَمَرْقَنْد» بعدَ مَقْتَلِ أولُغ بِك وعبد اللطيف. وعبد الله هَذَا ابنُ ابراهيم مِيرْزا، وأحدُ أحفادِ شاهرُخ.

وفي الوَقْتِ الذي أَعْلَنَ فِيه عبد الله نَفْسَه سُلْطانا في«سَمَرْقَنْد»،أَعْلَنَ ابو سَعِيد مِيرْزا

---

(١) انظر، حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٤، وايضا، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بُخارا، ترجمة أحْمد محمود الساداتى، وزارة الثقافة والإرشاد القوى، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٦٣.

(٢) حول كيفية هَذَا التقسيم، انظر، Hikmet Bayur,a.g.e.,s. 57.

(٣) اسمه الأصلى محمد تورغاى، كان في العشرين من عمره عند اعتلائه عرش سَمَرْقَنْد والاضطلاع بحكومة ما وراء النَّهْر. انظر، ارمينيوس فامبرى، تاريخ بخارى، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٥.

(٤) حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص٦٣٥.

(٥) يصف منجم باشى أولُغ بِك بأنه كان ملكا عاقلا فاضلا له فضيلة باهرة في الحكميات سيما في الرياضة، وله مؤلفات جليلة مفيدة، ولم يجتمع في مجلس أحد من الملوك ما اجتمع في مجلسه من العلماء والحكماء، انظر، منجم باشى، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٥١أ.

(٦) انظر، ظهير الدين محمد بابُر، بابُر نامه، ورقة ٥٠أ.

بن مُحَمَّد مِيرْزا بن ميرانشاه بن تيمورلنك، نَفْسَهُ سُلْطانا فِي «بُخارا» [(١)].

تَقَدَّمَ ابو سَعِيد مِيرْزا هَذَا لِيُنَازِعَ الأمير الجديد عبد الله السَّلْطَنَة، لكنه هُزِمَ، فلَجَأَ إلى الأميرِ ابو الخير خان الأُزْبَك طَلَبًا لِمُسَاعَدَتِه، فَجَاءَ ابو الخير على رأسِ جيشٍ كبيرٍ مِن الأُزْبَك، لِمساعدةِ ابو سَعِيد مِيرْزا. وهَاجَمَ عبد الله، وانْتَزَعَ مِنْهُ تَاجَه وحَيَاته فِي معركةٍواحدة [(٢)].

بهذا النصر، استطاع ابو سَعِيد مِيرْزا- فِي أواخرِ عام ٨٥٥ هـ = ١٤٥٢م - أن يَجْمَعَ كُلا مِن «سَمَرْقَنْد»، و«بُخارا» مرة أخرى، وأن يُحَافِظ عَلَى ما تَبَقَّى مِن الدولةِ التَّيْمُورِية.

وبعد أن تَمَكَّنَ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا مِن الاستيلاءِ عَلَى «سَمَرْقَنْد» بمساعدةِ الأُزْبَك، أرادَ أنْ يبْعِدَهم عن عاصِمتِهِ «سَمَرْقَنْد» لأَسْبَاب استراتيجية [(٣)].

كان مَقْتَلُ زعيمِ الأُزْبَك الشَّيْخ حيدر بن ابو الخير خان (سنة ٨٣٧هـ = ١٤٦٨م) أثناءَ صِراعِهِ مع يونس خان جَدّ بَابُر وحاكم شعبِ المُغُول، يُشَكِّلُ ضَرْبَةً قَوِيَّةً أَضْعَفَتْ الأُزْبَك، وَشَتَّتَت أمرَهم لفترةٍ مِن الزمن، وبِذَلِكَ استطاع ابو سَعِيد مِيرْزا والتَّيْمُورِيون عامة أن يَتَخَلَّصوا مِن خطرِ الأُزْبَك مُؤَقَّتًا، وأن تكون لأبو سعيد اليَدِ العليا فِي المَنَاطِق التِي يَحْكُمُها [(٤)].

---

(١) انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة٢٥٢أ، وانظر أيضا Hikmet Bayur,a.g.e.,s61

(٢) انظر، فامبرى،نفس المرجع، ص ٢٧١ـ ٢٧٢. وانظرأيضا، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٥٢ب.

(٣) يقول فامبرى إن ابو سَعِيد مِيرْزا أراد أن يبعد الأُزبك فلجأ معهم إلى الحيلة تارة وإلى القوة تارة أخرى حتى ينجح فِي مسعاه. ولم يكن صنيع ابو سَعِيد مِيرْزا هَذَا ليتفق يقينا مع ما كان يجب عليه من العرفان بالجميل نحوهم، فأورث التَّيْمُوريين العداء الدائم بينهم وبين الأُزبك، انظرفامبرى، نفس المرجع، ص٢٧٢/١. ويقول منجم باشى فِي وصف معاملة ابو سَعِيد مِيرْزا لأبى الخير غير ما قاله فامبرى، فيقول إن ابو سعيد بعد مساعدة الأُزبك له شرع فِي ضيافة أبى الخير خان وأضافة ضيافة ملوكية وقدم إليه وإلى أمرائه هدايا جليلة من الجواهر الثمينة والملابس النفيسة والخيول الضامرة والسروج المذهبة وغير ذلك فرجع إلى بلادهانظر منجم باشى، ج٢، ورقة ٢٦٩أ.

(4) Hikmet Bayur, a.g.e.,s69.

استطاع مُحَمَّد شيباني[1] (المعروف باسم شَيْبَاق خان) حفيد ابو الخير خان والمولود سنة ٨٥٥هـ =١٤٥١م ، أن ينجُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِ جَدِّهِ وأبِيه، فَهَرَبَ بِبِضْعِ مئاتٍ مِن رِجَالِه، ودَخَلَ فِي خِدْمَةِ عبد العلي تَرْخان عَامِل السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا سُلْطَان «سَمَرْقَنْد» فِي «بُخَارا»، وبَلَغَ عنده مَكَانَة رَفِيعَة[2].

بعدَ مَقْتَلِ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا[3] على يَدِ أوزون حَسَن زعيمِ تركمان الشاة البيضاء سنة ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨م[4]، انْقَسَمَت الدولة التَّيْمُورِية فِي «ما وراء النَّهْر» بين أبنائه، وتَنَازَعُوا فِيما بينهم، ومَلَكَهُم الطمع، وتَسَبَّبَ هَذَا فِي خرابِ الديار؛ فقد حَكَمَ ابنه الأكبر السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا «سَمَرْقَنْد» وما حَوْلَ «بُخَارا»، وكان والِدُهُ قد تَنَازَلَ له عن السَّلْطَنَة أَثْنَاءَ حَيَاتِه([5]).

أما ابنه الثاني السُلْطَان محمود مِيرْزا فقد حَكَمَ ما حول «بَدَخْشان»، وتَضُمُّ المَنْطِقَة الواقِعَة بين « هندكوش » وجِبَال «حِصار»[6].

أما الإبن الثالث عُمَر شيخ مِيرْزا والِد بَابُر، فكان له حُكْم «بُخَارا» وما حَوْلَها. هؤلاء الأبناء الثلاثة وصاهروا يونس خان، حاكِم شعب المُغُول.

---

(١) محمد شَيْبَاق خان، هو خان الأُزبك الذى انتزع أملاك التَّيْمُورِيين وقضى على دولتهم فِي بلاد ما وراء النَّهْر وخُراسان وخاض حروبا طويلة فِي هَذَا السبيل ضد بَابُر وأبناء حسين بَايْقرا، حتى قتله الشاه إسماعيل الصفوي بعد ذلك سنة٩١٦ هـ = ١٥١٠م. انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة٢٦٥ب. وانظر أيضاعبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاى تفصيلى، انتشارات بنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧، ص١٢٤.

(2) Hikmet Bayur, a.g.e.,s69

(٣) يقول منجم باشي فِي وصف ابو سَعِيد مِيرْزا، إنه كان ملكا عادلا عاقلا، يحب العلماء والصلحاء والمشايخ، ويعتقد فيهم لا سيما النقشبندية، انظر، منجم باشى، ج٢، ورقة ٢٧٠ب.

(٤) حَسَن بيرنيا، المرجع السابق، ص ٦٣٨.

(٥) انظر، بَابُر، بَابُر نامه، ورقة ٥٠ب.

(٦) المنطقة الجبلية الواقعة فِي الجنوب الشرقى من سَمَرْقَنْد.

أما الإبن الرابع وهو أولُغ بِك مِيرْزا ، فكانت له «كَابُل» و«غَزْنَة» [(١)]، فِي ذَلِكَ الوقت كان السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا أحد أحفادِ عُمَر شيخ مِيرْزا، يَحْكُمُ فِي كل مِن «خُراسان» وما حَوْلَها، ويتخذ مِن «هَرَاة» عاصمة له.

والجَدِيرُ بالذِّكرِ، إنّه عِنْدَمَا تَوَلَّى بَابُر عَرْش «فَرْغَانه» سنة ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، كان السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا يَحْكُمُ مُنْذ خمس وعشرين سنة، ويعتبر آنذاك أقْوَى حُكَّام التَّيْمُورِيين، وأكْثَرَهُم سطوة[(٢)].

و كانت خانية المُغُول المُنْحَدِرة مِن نَسْلِ چَغَتاي خان مُنْقَسِمَةً آنذاك إلى ثلاثِ مناطق كبيرة. فَبَعْدَ مَوْتِ يونس خان، اقْتَسَمَ مُلْكَه أبناؤه الثلاثة علَى الوجهِ التَّالِي:

- محمود خان وتَوَلّى حُكْم «سَيْرَام»، و«تاشْكَنْد».
- وتَوَلّى أَحْمَد خان حُكْم كل المنطقة الواقعة شرق أوليا آطه فِي تُرفان[(٣)].
- أما ابو بكر فقد استقل بحكم كاشْغَر، ونهر تاريم[(٤)].

ومن الملاحظِ أن منطقة «سَيْرَام» و«تاشْكَنْد» التى حكمَها محمود خان، كانت قد آلت إلى يونس خان مِن السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا سُلْطَان سَمَرْقَنْد[(٥)].

(1) Hikmet Bayur, a.g.e.,s.68.
(2) Halis Bıyıktay, a.g.e. s8.

(٣) تقع تُرفان هَذهِ كما رأيتها فِي الأطلس العربى فِي شرق جبال تيان شان، فِي الشمال من تُركِسْتان الشرقية المعروفة لآن باسم مقاطعة سنكيانج الأويغورية ذات الحكم الذاتى في الصين. انظر، الأطلس العربى، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥، ص٥٤/ز/٢.

(٤) ويكتب أيضا تارم، وهو نهر كبير فِي تُركِستان الشرقية يتبع الصين الآن.، انظر، الاطلس العربى، ص٥٥/ز/٢.

(5) Halis Bıyıktay, a.g.e. s8.

ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر
(٨٨٨هـ- ٩٣٧ هـ = ١٤٨٢م - ١٥٣٠م)

يُعْتَبَر ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر[1]، التُّرْكِي عرقا والتَّيْمُورِي نسبا[2] ، مُؤَسِّس الدولةِ التَّيْمُوريةِ فِي «الهِنْد»، وأحد أظهر الشخصيات التركية فِي القرنِ العاشرِ الهجري (السادس عشر الميلادي)، سواء على المستوى السياسي، أو المستوى الأدبي، ولا يختلف فِي هَذَا عن معاصريه مِن السلاطينِ الأتراكِ الكبار، وهم السُّلْطَان بايزيد الثاني (ت:٨٠٤هـ = ١٤٠٢م)، والسُّلْطَان سليم الأول (ت: ٩٢٧هـ =١٥٢٠م)، والسُّلْطَان سُلَيْمان القانوني (ت ٩٧٤هـ = ١٥٦٦م)، والشاه اسماعيل الصفوي (ت:٩٣١هـ/١٥٢٤م)، والسُّلْطَان حُسَيْن بَايقَرا سُلْطَان «هَرَاة» التَّيْمُورِي (ت:٩١١هـ /١٥٠٤م).

إعْتَلَى بَابُر عَرْش «فَرْغَانَه» عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م وهو فِي الثانيةِ عشر مِن عمرِهِ خلفا لوالده عُمَر شيخ مِيرْزا. واضطر عقب اعتلائه العرشَ إلَى خَوْض حروبٍ طويلةٍ ضد أقاربه لاستردادِ كل ما فُقِدَ مِن مُلْكِ والده فِي «فَرْغَانَه» وما حولها، وأيضا ضد أعدائه مِن

(١) ولد بَابُر فِي فَرْغَانَه فِي ١٤ فبراير ١٤٨٢م (٨٨٨هـ) وقد أطلق عليه شيخ عربى يدعى نصر الدين عبيد الله اسم ظهير الدين محمد، بَيْنَما أطلق عليه أهله من الأتراك اسم بَابُر التزاما بالأعراف التركية، وبذلك أصبح اسمه ظهير الدين محمد بَابُر.انظر،

Bilâl Yücel,BâburDivâni, Atatürk kültür Merkezi Yayını,sayı:81,ankara 1995,s.9.

(٢) يعتبر المؤرخون تيمور لنك تركيا على اعتبار أنه نشأ فِي قبيلة مغولية متتركة هي قبيلة بارلاس، وكانت هَذِهِ القبيلة تحكم وقتذاك الأماكن الواقعة على نهر كشكة، ويحدثنا رشيد الدين بأن (قاراجار) وهو الأمير الجغتائي الذى اعتبر فيما بعد جدا لتيمور، كان منسوبا إلى قبيلة برلاس هَذِهِ. انظر، بارتولد، تاريخ الترك فِي آسيا الوسطى، ترجمة أحْمَد السعيد سُلَيْمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، ط٢، ص٢٣٦. كما أن المؤرخ التركى حكمت بايور يذكر بَابُر باعتباره تركى ويفرق بينه وبين المُغُول وبَابُر نفسه يذكر أنه تركى وليس مغولى، فِي تفصيل أن بَابُر تركى وليس مغولى، انظر،

Y. Hikmet Bayur, Hindistan Tarihi, c.2Ankara 1947,s.2-3

الأُزبَك، وذلك بأمل الحِفَاظ على مَا تَبَقَّى مِن الدولةِ التَّيْمُوريَّةِ فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان».

استغْرَقت هَذهِ الحروب الفترة الأولى مِن حكم بابر حَتَّى عام ٩١٠هـ = ١٥٠٤م، ولم يَظْفَر منها بشيء، بل خرجت «فَرْغَانَه» من يده، كما نَجَحَ الأُزبَك فِي طَرْدِ التَّيْمُوريين مِن «تُركِسْتَان» و«خُراسان». واتجه بَابُر جنوبًا، فَفَتَحَ «كَابُل» فِي العامِ نفسه، وأَخَذَ «غَزْنَة»، واستطاع خلال فترةٍ قصيرةٍ أن يستولي على قِسْمٍ كبيرٍ مِن أفغانستان، ويأخذ «تاشْكَنْد» و«بُخارا» و«سَمَرْقَنْد».

نجح الأُزْبَك فِي طردِ بَابُر مرة أخرى مِن المناطق التي أخذها مِن «ما وراء النَّهْر»، وبعدَ مَوْتِ السُّلْطَان حُسَيْن بايْقَرا استولى الأُزْبَك على «هَرَاة»، وانتهت الدولة التَّيْمُورية فِي «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان»،وكادت أن تُطوى صفحتها كما حَدَثَ مع السلاجقةِ مِن قبل.

تمكن بَابُر بعزيمته أن يؤسس دولة جديدة للتيموريين فِي «الهِنْد» ، كُتب لها الاستمرار لعدة قرون. ذَلِكَ أن «كَابُل» تقع على الطريق المؤدية إِلَى «الهِنْد»، مِمَّا شَجَّعَ بَابُر علَى الاتجاه جنوبًا ناحيةَ إقليمِ البنجاب مِن بلادِ «الهِنْد» [1] بِأَمَلِ استعادة ما كان للتيموريين مِن مُلْكٍ ودولة هُنَاكَ [2]، فالاتِّجَاهُ نَاحِيَةِ «الهِنْد»، كَانَ الطريق المتاح أَمَامَهُ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ الأُزْبَك طريق عَوْدَتِهِ إِلَى «ما وراء النَّهْر» باستيلائهم عَلَى «هَرَاة». فلما استنجد أمراء الأَفْغَان ببَابُر ليُخَلِّصهُم مِن وطْأَةِ حُكْمِ اللودهيين [3]، اجْتَمَعَتْ لدى بَابُر الأَسْبَاب الخارجيةِ والطموح الذاتي لِفَتْحِ «الهِنْد»، وخَاضَ حروبًا طويلةً حَتَّى استطاع أَنْ يَدْخُلَ «الهِنْد» مُظَفَّرًا بعد

(1) Michael Edwardes ,A History of India ,farrar,Straus and Cuddahy ,New York,p.131.

(2) Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, c2,s.150

(3)Anıl Çeçen, Türk Devletleri, Inkilap kitapevi,Istanbul 1986s.239.

انتِصَارِهِ عَلَى ابراهيم اللودهي[1] فِي «پَانِيپَت» سنة ٩٣٢ هـ = ١٥٢٦م، ويُؤَسِّس هُنَاكَ الدَّوْلَةَ التَّيْمُورِيَة التِي يَعْرِفُهَا الأوربيون باسم دولة المُغُول العِظَام[2].

اتَّخَذَ بَابُر مِن «دِهْلِي» عاصِمَةً لَه، واسْتَمرَّت أُسْرَتُه تحكم فِي «الهِنْد» أكثر مِن ثلاثةِ قرون، حَتَّى قَضَى الإنكليزُ عَلَى الدولةِ التَّيْمُوريةِ فِي «الهِنْد» سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٧م.

علاقة بَابُر بالعالم الإسلامي (التركي) في مطلع القرنِ السادس عشر

شَهِدَ مَطْلَعُ القَرْنِ السَّادِسِ عشر سيادةَ الأُسَرِ التُّرْكِيَّةِ الحَاكِمَةِ، فِي المنطقةِ المُمْتَدَّةِ مِنَ تُرْكِسْتَان حَتَّى نِهَايَةِ حدود الدولةِ العثمانيةِ فِي البَلْقَان ونِزَاعهم فيما بينهم لأَسْبَاب دينية، وأخرى سياسية.

هَذهِ الأُسَرِ التُّرْكِيَّةِ الحَاكِمَةِ هِي؛

---

(١) إبراهيم اللودهى، وتكتب أيضا اللودى، أخر حكام اللودهيين في دهلى. لم يحسن إبراهيم تدبير ملكه، فقامت الثورات ضده في كل مكان، كما ثارت النزاعات بينه وبين دولت خان اللودهى حاكم لاهور، فجأ هَذَا الأخير إلى بَابُر الذى كان يسيطر على كابُل وما حولها، فسار إليه بَابُر وقتله في باني بت، ودخل دهلى واستولى على عرشها. انظر،ظهير الدين محمد بَابُر بَابُر نامه، نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، لندن ١٩٠٥، ورقة٢٦١أ-ورقة٢٦٨ب.

(٢) يطلق المؤرخون الأوروبيون على الدولة التَّيْمُورية في الهِند اسم دولة المُغُول على اعتبار أن نسب بَابُر يمتد من ناحية أمه إلى جنكيزخان وأن نصف دمائه مغولية وأنه حظى بمساعدتهم أثناء فتوحاته،.انظر،

Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia,vol.3, Cambridge, 1928, P.193

لكن بَابُر نفسه يؤكد أنه تركى من التَّيْمُوريين ولا يبدى حبا أو تقديرا للمغول، انظر بَابُر نامه،ورقة ٦ب، وما جاء في هَذَا البحث عن رأى بَابُر في المُغُول.وقد جربىلاد الهِند إطلاق لفظ المُغُول على الغزاة القادمين من ناحية الشمال الغربى وذلك إبتداءً من عصر جنكيزخان ، ولا تنصرف هَذهِ التسمية على أى معنى دال على الجنس، إنما قصد بها الغازى القوى، ومن هنا كان إطلاقها على أسرة بَابُر، انظر،أحْمَد محمود الساداتى،ظهير الدين محمد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية في الهِندستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣_١٩٥٤، ص ٨٠، نقلا محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، ص٨٨_ ٩٢.

- التَّيْمُورِيُون فِي«ما وراء النَّهْر» و«خُراسان».
والصَّفَوِيُون فِي إيران والعراق.
والعُثْمَانِيُون فِي الأناضول والروملي والبَلْقان.
والمَمالِيك فِي الشام ومصر والحجاز.

وَرِثَ بَابُر نِزَاعَ التَّيْمُورِيين فِي «ما وراء النَّهْر» فيما بينهم مِن ناحية، ونِزَاعَهُم مع الشيبانيين مِن ناحيةأخرى. وفِي ذات الوقتِ ، كانت الدولةُ الصفويةُ الناهضةُ فِي الغربِ تَضَعُ أُسُسَ عَظَمَتِها المُقْبِلَة على حِسَابِ التَّيْمُورِيين، وفِي الجنوبِ كان السُلْطَان التَّيْمُورِي حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا يحكم قويًّا فى «هَرَاة»، ويَعْمَل على بَعْثِ أمجادِ «خُراسان»[1].

كَمَا تعاظَمَ أمرُ مُحَمَّد شيباق خان الأُزبكي، واستطاع أن يرسِي دَعَائِمِ دولةٍ قويةٍ ، هي دولةُ الأُزْبَك التى لَعِبَت دَوْرًا مهمًا فِي تاريخِ آسيا الوسطى و تاريخِ إيران لمدةِ قَرْنٍ بأكمله . وكانت «سَمَرْقَنْد» هي الهدفُ الطبيعي لشَيْبَاني خان.

وقَدْ شَهِدَت المنطقةُ حروبًا مُتَّصِلَةً بين التَّيْمُورِيين والأُزبك الشيبانيين فِي زَمَنِ شَيْبَاق خان، بِهَدَفِ السيادةِ علَى وَسَطِ آسيا. واستَطَاعَ شَيْبَاق خان أنْ يَنْتَزِعَ «هَرَاة» مِن السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَايْقَرا، وسعى لانتزاع «سَمَرْقَنْد» مِن يَدِ بَابُر.

كان التَّيْمُورِيون وعلى رأسِهِم بَابُر يَسْعُون لِطَلَبِ المساعدةِ مِن المُغُول، وهم فِي الوقت نفسه أخواله؛ لأَنَّه يَرَى أَنَّ الأُزبك يمثلون خطرًا على المُغُول والأتراكِ على حدًّ سواء[2]، لكن هَذهِ الحروب انتهت بهزيمةِ أَمَامَ شَيْبَاق خان فِي سَرْيُل سنة ٩٠٦هـ =١٥٠٠م، وضَيَاع «فَرْغَانَه» و«سَمَرْقَنْد» مِنْهُ ومِنَ البَيْتِ التَّيْمُورِي[3].

كانَت أَبْرَزُ هَذهِ الحروب التي أثَّرت علَى مَسَارِ الأحداثِ فِي «ما وراء النَّهْر»

---

(١) انظر، فامبرى، تاريخ بُخَارا، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٨ب وما بعدها.

(٣) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٨أ-ب.

و«خُراسان»، حَرْبُ السُلْطان سليم الأول العُثْمَاني ، مع الشاه اسماعيل الصَّفَوِي ، والتي انتصر فيها العثمانيون ومُني فيها الشاه اسماعيل بهزيمة قاسية فِي چالديران سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤م. بَيْنَما دارت فِي تُركِسْتَان حروب الأُزْبَك مع الصفويين مِن ناحية ومع التَّيْمُورِيين مِن ناحيةٍ أخرى، هَذهِ الحروب شَكَّلَت مَسَارَ التَّحَرُّكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ للصَفَوِيّين والتَّيمُورِيّين فِي وَقْتٍ وَاحِد.

أَرَادَ الشاه اسماعيل الصفوي أَنْ يُمَهِّدَ لِحَرْبِهِ مع السُلْطَان سليم بِتأْمِين جَبْهَتِه الشَّرْقِيَّةِ لِيَتَفَرَّغ لمواجَهَةِ العُثْمَانِيِّين ناحِيَة الغرب[١] ، فَتَحارَبَ مَعَ شَيْبَاق خان، حاكم الأُزْبَك سنة ٩١٦هـ =١٥١٠ م، وسعى فِي الوقت نفسه لكسب مودة بَابُر، فأرسل رسولا إلى بَابُر سنة ١٥١١م، ومعه البيجوم خانزاده شقيقة بَابُر التي وقعت فِي يدِ شَيْبَاق خان أثنا استيلائه على «سَمَرْقَنْد» سنة ٩٠٦هـ = ١٥٠٠م، وقد أعادها الشاه اسماعيل الصفوي إلى بَابُر ومعها كل متاعها وأموالها وخدمها في موكبٍ يليق بها، وكان لهذا التصرف أثره الطيب فِي نفسِ بَابُر. وخرج بَابُر لاستقبالها أثناء وجودِه فِي «قُنْدُز»، وسَعِد جدا بالمعاملة التي لقيتها عِنْدَ الشاه[٢] .

فِي الوَقْتِ نفسه، أدرك بَابُر عدم قدرته على التصدي بمفرده للأوزبك بعد أن استولوا علَى «هَرَاة»، وانْتَزَعُوها مِن يَدِ السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا أَقْوَى الحُكَّامِ التَّيْمُورِيّين فِي ذَلِكَ الوقت. لذا سَعَى بَابُر لإيجَادِ حَلِيفٍ قَوِيّ له ضِدَّ الأُزْبَك، فَوَجَدَه ممثلا فِي الشاه اسماعيل الصفوي. وعِنْدَمَا انتصر الشاه علَى شَيْبَاق خان فِي «مَرْو» سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠م، ودَخَلَ «هَرَاة»[٣] ، أَرْسَلَ بَابُر رسُولًا إِلَيه فِي «هَرَاة» مُحَمَّلًا بالهدايا القَيِّمَة، لِيهنئَهُ بالنصر، وَيعرب له

(1) Fernand Grenard,Bâbur,Orhan yüksek tercümesi, s. 106.

(٢) انظر ، بَابُرنامه، ورقة ٩أ.

(3) Fernand Grenard, a.g.e.,s.97.

عن رغبته فِي إقامة علاقات طيبة معه، ويَسْأله العَوْن والمساعدة[١]، والتحالف ضِد الأُزبَك عَدُوهُما المُشْتَرَك[٢].

وَقد أحْسَنَ الشاه استقبال هَذَا الرسول وَوَعَده بتقديمِ المُسَاعَدَة[٣]. وبِهَذَا التَّحَالُفِ اسْتَرَد بَابُر «بُخَارا»، و «سَمَرْقَنْد»، و «تاشْكَنْد»، و«فَرْغَانَه» وغيرها مِن الأقاليم مِن يَدِ الأُزبَك، وجَلَس على عرش التَّيْمُورِيين فِي «سَمَرْقَنْد» للمرة الثالثة سنة ٩١٧هـ = ١٥١١م، قبْل أنْ يَنْتَزِعُها الأُزبَك مِنْهُ نِهائيا[٤].

وجَدِيرٌ بالذِّكْرِ، أَنَّ تفاصيلَ علاقاتِ التعاونِ بين التَّيْمُورِيِّين والصفويِّين فِي هَذهِ المرحلة، تَقَعُ ضِمْنَ الأَجْزَاءِ المَفْقُودَةِ مِنْ كِتَابِ بَابُر، لكن ما تذكره المراجع التاريخية الفارسية تفيد أن بَابُر اتَّبَعَ سياسَةَ الوِفَاقِ مَعَ الشاه اسماعيل الصفوي للتحالفِ مَعَهُ ضِدَّ الأُزْبَك[٥]، فِي الوقت نفسه أراد الشاه اسماعيل أَنْ يستفيد مِنْ نُفُوذِ هَذَا الأميرِ التَّيْمُورِي بَابُر، بِأَمَلِ أنْ يَبْسط نُفُوذَهُ علَى منْطِقَةِ تُركِسْتان.

كان تَفَاوُضِ بَابُر مع الشاه اسماعيل الصفوي لمُسَانَدَتِهِ عَسْكَريا أمرًا صعبًا ؛ لأن بابر سُنِّيا. وكان قبول الشاه يتطلب أن يقوم بَابُر بسك عملة باسم الشاه الصفوي الشيعي[٦]، وأن

---

(١) انظر، محمد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد١٩٩٦، ص٢٠٧.

(2) Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,s.15

(٣) منوجهر بارسادوست، شاه إسماعيل اوّل بادشاهى با اثرهاى دير باى در ايران وايرانى، جاب اول ١٣٧٥، ص٣٣٠.

(٤) انظر، Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan Çeviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1987,s.

(٥) منوجهر بارسادوست، ص ٣٣١.

(٦) يضم المتحف البريطانى عملة تحمل إسم بَابُر بهادر تحيط به أسماء أئمة الشيعة الإثنى عشر، وعلى الوجه الأخر عبارة لاإله إلا الله على ولى الله. انظر، Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, s.2/15

تقام الصلاة أيضا باسم أئمة الشيعة. واضطر بَابُر إلى قبول هَذهِ الشروط؛ لأن «سَمَرْقَنْد» كانت تستحق [١]. وفي سبيلِ استردادهِا، اضطر إلى اعتناق المذهب الشيعي لفترة رغم خروجه في هَذا على مذهب أتراك تُركِسْتان، وهم مِن أهل السنة [٢].

أمَرَ بَابُر بقراءة الخُطبة باسم الشاه اسماعيل الصفوي حسب المراسم الشيعية. كما سَكَّ عُمْلَةً مِن الفِضَة تحمل على أحَدِ وَجْهَيْها عبارة «لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، علي وليُّ الله»، وعلى الوجه الآخر اسم السُلْطَان بَابُر بهادر، ولم يبين عَلَيْها تاريخ أو مكان السَّك. وله عُمْلَة أخرى تحمل على أحَدِ وَجْهَيْها أسماء الأئمة الاثنا عشر للشيعة، وليس عَلَيْها تاريخ أو مكان سكها.

والجدير بالملاحظة أن العملتين لا تحملان اسم الشاه اسماعيل الصفوي [٣]. كما اضطر إلى أن يجعل جنده يلبسون غطاء رأس القِزِلْباش [٤]، وذَلِكَ ليبرهن على مساندته وتبعيته أحيانا للشاه إسماعيل الصفوي [٥] رغم اعتقاد بَابُر أن عقيدة أهل الشيعة عقيدة فاسدة [٦]، بما يجعلنا نرجح أنه كان تكتيكا سياسيا مِن جانب بَابُر لَيَسْتفيد مِن مساندة الشاه اسماعيل له.

حَمَل بَابُر و القِزِلْباش، على « بُخَارا » و«سَمَرْقَنْد»، وأخذهما مِن ولاتهما الشيبانيين [عُبيد خان حاكم «بُخَارا»، وتيمور سُلْطَان حاكم «سَمَرْقَنْد» وأصبح بَابُر المتصرف فيهما [٧]. لكن هزيمة الشاه أمام السُلْطَان سليم الأول سنة ٩٢٠هـ = ١٥١٤م، بدَّدَتْ آمال بَابُر في تُركِسْتان،

---

(1) Le Livre De BABUR , Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT, paris1985. p.17-18.

(2) Anıl Çeçen, a.g.e.,s.238.

(3) Hikmet Bayur, Vekayi, tarihi Özeti,s.103

(4) M.F.Köprülü,a.g.e., c.2, s.181/1.

(5) Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2,7,s.15.

(٦) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٦٨ب.

(٧) منوجهر بارسادوست، ص ٣٣١.

خاصة بعد ضياع «هَرَاة» و«سَمَرْقَنْد» و«بُخَارا» وانتقالَهُم مرة أخرى إلى يد الأُزْبَك، فولّى بَابُر وجهَه شطرَ الجنوب ناحية «الهِنْد» وكان يتوق أن يفتحها[1]. ومع ذَلِكَ ظل على علاقة طيبة بالصفويين مِن أبناء الشاه اسماعيل؛ إذ كان يتبادل الرسل مع الأمير طهماسب ابن الشاه اسماعيل فِي فارس ويسعد لانتصاره على الأُزْبَك[2].

ولم تكن علاقة بَابُر بالعثمانيين بمثل ما كانت عَلَيْهِ مع الصفويين، والسبب فِي ذَلِكَ هو تعرض بَابُر لخطر شَيْبَاق خان الأُزبكي الذي قضى على دولة التَّيْمُوريين فِي «ما وراء النَّهْر»، وفِي الوقتِ نفسه كان العثمانيون يَعْمَلون على تدعيم الأُزْبَك فِي موقفِهم العدائي مِن الصفويين[3].

وقد عاصر بَابُر مِن العثمانيين سلاطين ثلاثة؛ أولُهُم: السُلْطَان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ = ١٤٨١-١٥١٢م)، وكان مشغولا بنزاعه مِن أخيه الأمير جَمْ وما يجري فِي الشمال الأفريقي والتحالف الأوربي الصليبي ضد الدولة العثمانية.

والثاني: هو السُلْطَان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ =١٥١٢- ١٥٢٠م)، وكان مشغولا بالحرب مع الصفويين لوقف الدعاية الشيعية فِي الأناضول[4]، والحرب مع الدولة

---

(١) انظر، Gülbeden,a.g.e.,s.123.

(٢) انظر، بَابُر نامه ورقة ٣٤٧أ.

(٣) ونرى أن السبب فِي هَذَا الدعم أن الأُزبك كالعثمانيين كانوا من أهل السنة وكانوا يمثلون القوة المؤهلة فِي ما وراء النَّهْر للتصدي للشاه إسماعيل الصفوي العدو المشترك لَهُما. وكان سليم الأول يتبادل الرسائل مع عبيد خان الأزبك أثناء صراع سليم مع الشاه اسماعيل الصفوي عدو العثمانيين والأزبك المشترك، فيصف سليم الأول عبيد خان الأزبك بأنه (باسط الأمن والأمان، ناشر العدل والإحسان) كما يصف عبيد خان الأزبك سليم الأول بأنه(المظفر، كهف الغزاة والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين قامع الفجرة والملحدين) أنظر، وانظر أيضا، عبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، ص١١٥-١٢٧. ولعل هَذَا التعاون بين الأزبك والعثمانيين هو الذى دفع بَابُر إلى التعاون مع الشاه اسماعيل الصفوي ليحمى دولته الناشئة من خطر الأزبك.

(٤) جدير بالذكر هنا أن سليم الأول كان حريصا على الاحتفاظ بعلاقة طيبة مع الأمراء التَّيْمُوريين باعتبارهم من الأتراك أهل السنة، و يقول منجم باشى إن بديع الزمان ميرزا، إبن حسين بَايْقَرا سلطان هراة، بعد ضياع هراة و قتل الأُزبك أكثر أخوته، هرب خوفا على حياته من الأزبك ولجأ إلى الشاه اسماعيل الصفوي،وكان موجودا لدى الشاه اسماعيل الصفوي أثناء موقعة جالديران التي دارت بين الشاه اسماعيل وسليم الأول سنة ١٥١٤م، وعندما انهزم الشاه اسماعيل حضر بديع الزمان ميرزا عند سليم، فبالغ فِي إكرامه وطيب قلبه بالمواعيد الجميلة، فحمله معه إلى الروم وظل هُناك حتى توفي ودفن بقرب إبى أيوب الأنصارى، انظر، منجم باشى، جامع الدول، ج٢، ورقة ٢٦٥ب، ٢٦٦أ، وانظر أيضا، عبد الحسين نوائى، المرجع السابق، ص ٣٦٧.

المملوكية فِي مصر مِن ناحية أخرى.

والثالث: هو السُلْطَان سُلَيْمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ = ١٥٢٠- ١٥٦٦م)، الذي ورث الدولة بجبهتين شيعية وأوروبية صليبية استنفذتا عصره الذهبي فِي قتال دائم، ورغم هَذَا، مدَّ يَد العونِ لبَابُر فِي تحركه لفتح «الهِنْد»، فأمده بفرقةٍ مِن المدفعين العثمانيين بقيادة مصطفى بك الرومي، مَكَّنت بَابُر مِن الانتصار عَلَى ابراهيم اللودهي فِي پاني پَت سنة ١٥٢٧[١]. كما كان بَابُر يرسلُ الهدايا والنذور إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة وهما فِي حوزة العثمانيين[٢].

بَابُر نامه

كتاب بَابُر المعروف باسم «بَابُرنامه» كتبه بَابُر فِي العقد الثالث مِن القرن السادس عشر الميلادي باللغة التركية فِي لهجتها الجِغَتائِيَّة. سجل بَابُر فِي كتابه هَذَا جهوده وجهاده فِي سبيل تأسيس دولته، والحروب التي خاضها ضد أقاربه والأُزبك فِي سبيل الحفاظ على ما تبقى مِن الدولة التَّيْمُورِية فِي بلاد «ما وراء النَّهْر» و«خُراسان» قبل أن ينتزعها الأُزْبَك، ثُمَّ انتصاره على اللودهيين، ونجاحه فِي الحفاظ على ما تبقى مِن سُلْطَان الدولة التَّيْمُورِية ليكتب لها عُمرًا جديدا فِي بلاد «الهِنْد».

تَخَلَّلَ هَذَا التسجيل، وصف تاريخي وحضاري وجغرافي للمدن الهامة التي رآها أثناء فتوحاته، وانطوت تحت لواء دولته؛ وهي «فَرْغَانَه»، و«كَابُل»، و«بُخَارا»، و«غَزْنَة»، و«سَمَرْقَنْد»، و«الهِنْد».

كَتَبَ بَابُر كتابه هَذَا فِي السنواتِ الأخيرةِ مِن عمره، بعد أن تجاوَز المِحَنَ التي خاضها

(١) انظر، بَابُر نامه ورقة ٣٢١ب عبد الحسين نوائى، المرجع السابق، ص ٣٨٠ وأيضا Yılmaz Öztuna, a.g.e,s.151.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٩٤أ.

طوال حياته. وفيه يظهر بَابُر شاعرا وسياسيا وفيلسوفا فذا ممتازًا بين فلاسفة العصر الوسيط[1].

ولهذا الكتاب أسماء عدة اشتهر بها؛ هي وقايع، وقايع نامه، واقعات بَابُرى، وقايع نامه بادشاهي، بَابُريه، وأطلق على ترجمتها الفارسية اسم توزك بَابُرى، لكن أشهرها جميعا هو اسم بَابُر نامه[2].

بدأ بَابُر تدوين تاريخه هَذَا وهو فِي الوقتِ ذاته سيرته الذاتية، بدون تقديمٍ أو تمهيدٍ بِذِكْرِ جلوسه على عرش «فَرْغَانَه» وهو فِي الثانيةِ عشر مِن عمره، واستمر فِي تسجيلِ الأحداث التي مرت به حَتَّى قبيل وفاته بعام واحد. أي: مِن عام ٨٩٩ هـ = ١٤٩٤م، إلى عام ٩٣٦هـ = ١٥٢٩م. باستثناء بعض السنوات التي لم تصل إلينا، وتشمل أربع فترات هي:

- مِن صَفَر ٩٠٩هـ = يوليو ١٥٠٣م إلى ذى الحجة ٩١٠هـ = مايو ١٥٠٤م.
- مِن صَفَر ٩١٥هـ = مايو ١٥٠٩م إلى ٥ محرم ٩٢٥هـ = ٢يناير١٥١٩م.
- مِن ٢٥ محرم ٩٢٧هـ = ١٣ديسمبر١٥٢٠م إلى ٦ صَفَر٩٣٢هـ= ١٧أكتوبر١٥٢٥م باستثناء عدة أَيَّام مِن عام ١٥٢١م.
- مِن محرم ٩٣٦هـ = سبتمبر ١٥٢٩م إلى٩٣٧هـ = ١٥٣٠م[3].

وقد دَوَّن بَابُر وقائع تاريخه هَذَا على شكل الحوليات، فذكَر الوقائع تبعا لسنوات جريانها، وهي الطريقة التقليدية المتبعة فِي تدوينِ الوقائع فِي الأدبِ الإسلامي فِي عصره. وإن كانت الأجزاء الأولى مِن كتابه هَذَا أكثر حيوية فِي التسجيل، وأكثر مَيْلًا إلى التفسير مِن الأجزاء الأخيرة مِنْهُ والتي جاءت أشبه باليوميات.

---

(١) فامبرى، نفس المرجع، ص ٢٨٦.

(2) Ömer Faruk Akün,.Babur nâme Maddesi,I.A.T.D.V.,c.4.,s.404/2.

(٣) انظر، بَابُر نامه ورقة ١١٩ب، ١٢٠أ، ٢١٦أ-ب، ٢٥١أ-ب، ٣٨٢أ، وأيضا Ömer Faruk Akün,s.40

القيمة التاريخية لبَابُر نامه

كَتَبَ بَابُرهذا التاريخ بعد فتح الهند ٩٣٣ هـ= ١٥٢٧م، وبعد أن تجاوز المحن التي خاضها طوال حياته، فتضمن الكتابُ خلاصةَ فِكرِه ورؤيتِه وتفسيرِه وتحليلِه لوقائعٍ وأحداثٍ عاشها وعاصرها، بعد أن صار بإمكانِه فهمها وتفسير مغزاها، والكتابُ يعبِّر عن ثقافةِ بَابُر وفكرِه وخُلقِه، ويحمل الكثيرَ مِن سماتِه الإنسانية.

ويعتبر كتاب بَابُر نامه مصدرا أساسا فِي معرفةِ التاريخِ السياسي والاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا فِي مطلع القرن السادس عشر، ذَلِكَ لأن بَابُر أحاط بكل ما يدور حوله، وَوَصَف كل ما يُحِيط به مِن عادات أهله، والنظم السياسية والإدارية والعَسْكَرية، والأوضاع والاجتماعية والأعراف والنظم السائدة فِي عَصْرِه.

هَذَا فضلا عن معلوماتِه عن الجغرافيا والمناخ والحيوان والنبات وخصائص كل مِنْها، رغم أننا لا نستطيع أن نحدد على وجهِ الدقة المصادر التي استقى مِنْها بَابُر الأوصاف الجغرافية الدقيقة التي تضمنتها وقائعه[1].

وقَد حدَّثَنَا بَابُر أكثر مِن مرة عـــن أعرافِ الأتراك والمُغُولفي دواوينِالحكمِ والمجالـــس، ومآدبهـــم، وعنـــد الخـــروجِ للقتال[2]، وأزيائهـم[3]،وأخلاقهـــم[4]،

---

(1) Le Livre De BABUR,.p.21.

(٢) مثال ذلك وصفه استعداد الجيش المُغُولى عند الخروج للقتال، انظر،بَابُرنامه، ورقة ١٠٠أ-ب.

(٣) فِي وصف ملابس المُغُول.انظر، بَابُر نامه ورقة١٠٣أ.

(٤) مِن هَذهِ الأخلاق التي شاعت بين الترك والمُغُول فِي ذلك الوقت وأشار إليها بَابُر أكثر من مرة، هي الثأر ممن اعتدى أو أساء إليهم ويقول بَابُر فِي ذلك:كانت بيشكينت أثناء ذلك فِي يد عبد المنان بن المولى حيدر. وكان للمولى ابن آخر أصغر مِن هَذَا اسمه مؤمن،عديم الاكتراث لا ترجى مِنْهُ فائدة، وقد زارنى أثناء وجودى فِي سَمَرْقَنْد وأبديت له رعاية فائقة. ولا أعرف إن كان نويان كوكَلْداش قد أساء معاملته فِي سَمَرْقَنْد أم لا، فملأته هَذهِ المعاملة غير اللائقة بغضا. وعندما علمنا بعودة مهاجمى الأزبك أرْسَلنا رجلا إلى الخان ثُمَّ غادرنا بيشكينت وأقمنا لمدة ثلاثة أو أربعة أَيَّام فِي قرى آهنكران.ودعا مؤمن ابن المولى حيدر، نويان كوكَلْداش وأحمد قاسم وآخرين إلى وليمة طعام بناء على تعارفهما السابق فِي سَمَرْقَنْد. وكانوا فِي بيشكينت عِنْدَمَا غادرتها. وأقام لَهُم مؤمِن هَذهِ المأدبة على حافة جرف هاو. ونزلنا نَحْنُ بإحدى قرى آهنكران اسمها سام سيرك. وفي الصباح علمنا بوفاة نويان كوكَلْداش على أثر سقوطه من شفا الجرف الهاو وهو ثمل. وذهب خاك نزارخال نويان وعدة أشخاص للبحث عن جثمانه حيث سقط. وعثروا على جثته ودفنوها فِي بيشكينت ورجعوا. وقد عثروا على جثته أسفل المكان الذى أقيمت فيه المأدبة، والذى يرتفع عن الأرض بمقدار رمية سهم. وجال بخاطر البعض أن مؤمن لم ينسَ ثأره مُنْذُ أَيَّام سَمَرْقَنْد، وأنه فعل هَذَا بنويان عمدا، ولا أحد يعرف حقيقة الأمر أنظر، بَابُر نامه ورقة ١٩٨أ-ب.

وكيف يتداوون[1]، وماذا يأكلون.

وعرفنا مِن عاداتِ الأتراك فِي تلك الفترة، أن أَلَذّ ما يأكلون هو الشِّواء مِن لحمِ الخيل، وألذ الفواكه البطيخ والعنب. كما عرض بَابُر للآدابِ المرعيةِ عِنْدَ اللقاءِ والتحيةِ والهدايا وأعلاها ما يتكون مِن تِسْعِ وِحْدات، فأعظم مراتب التحيَّة الانحناء تِسْع مرات، وأعظم الهدايا تسع هدايا.

كما وصف آدابَ الطَّعّام ومجالسِ اللهو، وأزياءِ عصره، وطريقةِ لف العمامةِ، وأنواعَ الرياضاتِ التي يمارسها النَّاس آنذاك وأهمها الصيد، والمصارعة، وسباق الخيل، ومبارزة السيف، والسباحة، وكلها رياضاتٌ وثيقةُ الصلةِ بطبيعة حياتهم القِتالية فِي هَذهِ البيئة الجغرافية الصعبة.

فقدَّم لنا بَابُر صورة لا مغالاة فيها للأحوال الاجتماعيةِ والأخلاقيةِ والحضاريةِ التي كانت تسود بلاد «ما وراء النَّهْر» فِي أخرياتِ عهد الدولة التَّيْمُورِية هُنَاكَ.

ونَتَبين مِن الكتابِ أن التَّيْمُوريين عرفوا تنظيمَ الجيوش، وكان تنظيمها عبارة عن صفوفِ اليمينِ والشمالِ والقلبِ والمُقَدِّمَة[2]، وعرفوا ما يسمى الآن بحربِ الاستِنْزاف[3]، وتكتيكِ

---

(١) يصف لنا بَابُر بعض أساليب العلاج المتبعة بين المُغُول فِي ذلك الوقت فيقول: أرسلَ لى الخان جرّاحه المُغُولى واسمه "اتكه بخش" للعناية بجرحى. والمُغُول يطلقون على الجراح الماهر اسم بخش. وكم كان جراحا حاذقا. فكان يداوى مخ الإنسان وإن خرج من موضعه. ويضع دواءً يشبه المرهم فوق بعض الجروح، كما يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل. وقد أمر بحرق المبضع للجرح الذى فِي ساق ولم يضع الفتيل. كما أطعمنى ذات مرة شيئا يشبه الجذر. وقد حكوا عنه إنه ذات مرة انكسرت عظمة دقيقة فِي ساق احدهم، وتمزق مكانها تماما بمقدار أربعة أصابع وصار مهترئا. فشق اللحم وأخرج العظام تماما، ووضع مكانها دواءً على هيئة التراب، فقام هَذَا الدواء مقام العظام. وقالوا أشياء كثيرة بهذه الغرابة وكلها تثير العجب. وقد عجز الجراحون فِي الولاية عن القيام بمثل هَذهِ العلاجات. أنظر، بَابُر نامه، ورقة ١٠٨ب- ١٠٩أ.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨٩أ.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٧١أ ـ ب.

القِتَال، والالتفافِ مِن خلفِ العدو، والكر والفر بِشَكْلٍ مفاجئ[١].

ويمكن الاستفادة أيضا مِن هَذَا الكتاب فِي فهمِ التاريخِ الاجتماعي وتقاليدِ الشعوبِ فِي زمنِ كتابتِه.

فمن العادات التي ذَكَرَها بَابُر فِي كتابِهِ أن المقاتلَ التركي عِنْدَمَا يرغب فِي الاستسلامِ علَّق السيفَ وكنانة السهام فِي رقبته[٢]، ويذهب إلى عدوِّه بهذا الشكل، أما عِنْدَ الأَفْغَان، فإن المقاتلَ عِنْدَمَا يعجز عن مقاومةِ خصمه يذهبُ إليه واضعا العشبَ بين أسنانِه ويقول لخصمه: أنا ثور لك، وهي مِن العاداتِ الغريبةِ التي شاهدها بَابُر فِي بلادِ الأَفْغَان[٣]. أما فِي «الهِنْد» فهندما يشعر الهِنْدي بضعفِ موقِفِه ووقوعِه فِي الأسرِ لا محالة، فإنهم يقتلون بعضهم بعضا وبأيديهم.

ولا يُوجَد في كلِّ كتبِ الأدبِ التركيةِ والفارسيةِ على السواء كتابٌ مثل بَابُر نامه يحوي مثل هَذهِ الأخبار الغزيرة[٤] التي تضمنها كتابه هَذَا فيما يتعلق بتاريخِ «الهِنْد» وبلاد «ما وراء النَّهْر» فِي نهايةِ حكمِ الدولةِ التَّيْمُورِية هُنَاكَ.

والكتابُ بهذه الكيفية يصلح لأن يكون ميدانا لعددٍ مِن الدراساتِ التاريخيةِ والحضاريةِ فيما يتعلق بالأتراكِ والمُغُولِ وشِبْهِ القارةِ الهِنْدية وبلادِ «ما وراء النَّهْر».

كما يعتبرُ تاريخ بَابُر أحدَ المصادرِ الأساسيةِ لسيرةِ شَيْبَاق خان الأُزبكي، وتسجيلِ سَعْيه لانتزاعِ بلاد «ما وراء النَّهْر» مِن يد التَّيْمُورِيين وفِي الوقتِ نفسه يضع أيدينا على الأَسْبَاب

---

(١) يقول بَابُر فِي وصف مثل هَذهِ الخطط القِتَالية كانت حركة الالتفاف مهارة كبيرة يمتاز بها الأزبك فِي معاركهم، فلا تكون الحرب عندهم أبدا بغير التفاف، ومن خطط الحرب أيضا عندهم أن يطلق كل الأمراء والجنود الذين فِي المُقَدَّمَةِ والمؤخرة السهام دفعة واحدة، ثُمَّ يرجعوا مدبرين بسرعة ثُمَّ يعودوا فينقضوا مرة أخرى دفعة واحدة. انظر، بَابُر نامه،ورقة ١٩٠أ.

(٢) انظر، بَابُرنامه ورقة٣١ب.

(٣) انظر، بَابُر نامه ورقة١٤٧أ.

(٤) انظر، فامبرى، نفس المرجع، ص٢٨٧.

التي أطاحت بمُلْكِ التَّيمُوريين هُنَاكَ، وما كان يدور بينهم مِن نزاعاتٍ وشتاتِ أمرهم بصورةٍ أعجزتهم عن المحافظةِ على دولةِ آبائِهِم التَّيمُوريين.

ومما يزيدُ مِن أهميةِ بَابُر نامه، هَذهِ التراجم التي كتبها بَابُر لعدد مِن الشخصيات التاريخية الهامة التي عرفها، مثل ترجمة والده الشَّيْخ عُمَر مِيرْزا، والسُّلْطَان محمود مِيرْزا، وابنه السُّلْطَان بايسُنْغُر مِيرزا، والسُّلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، والسُّلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا وعصره، ومير على شير نوائي.

فأحاط بنَسَبِ كل واحد منهم ومولده، وشكله وشمائله، وأخلاقه وأطواره، ومعاركه وولايته، وأولاده ونسائه، وجواريه وأمرائه.

وتَتَميَّزُ مِن بين هَذهِ التراجم ترجمته للسُّلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا وعصره قبل أن يستولى عَلَيْهَا الشيبانيون الأُزْبَك، فقد رَسَمَ لنا صورةً تنبَض بالحياءِ تعبر عن المكانةِ الرفيعةِ التي بلغَتْها «هَرَاة» فِي ذَلِكَ الوقت، وثرائها برِجَالات الأدب والعلم والفن.

كذَلِكَ حَرص بَابُر فِي تاريخِه هَذَا على وصفِ المدنِ الهامةِ التي رآها وعاش فيها أثناءَ فتوحاته، وحَرص على وصفِ موقعها، وجِبَالها ووديانِها ومناخِها، وما بها مِن أنهارٍ وأوديةٍ وقلاع، ومحاصيل وثمار ونبات، وحيوان وطير، وخصائص أهلها، وعاداتهم، وبعض المظاهر الحضارية التي شاهدها فِي تلك المناطق.

لهذا كله يُعتبر كتابُ بابُر بَابُر نامه أثرًا فريدًا فِي اللُّغَةِ التركيةِ الجَغَتائِيَّة فيما يتعلق بتاريخ «فارس» و«الهِنْد» [1]. كما يعتبر مصدرا أساسيا فِي معرفةِ التاريخ الاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا فِي مطلع القرنِ السادسِ عشر.

---

(1) Edward G. Browne,ibid, p.453,454

منهج بابُر في الكتابة

قد تَدْفع كتابةُ السَّيْرةِ الذاتية، صاحبَها أحيانا للمبالغةِ والزهو؛ لأنها ستكون حديثا عن النفسِ والزهوّ بها وإعلاء لقيمتها، ولكن إذا كان صاحبُها معتدلا، وكان الصدقُ دَيدَنه فستكون سيرته الذاتية أكثر انطباقا على حياته؛ لأنها - فِي هَذهِ الحالة - لن تكون مجالَ تخمينٍ أو افتراض، لكنها ستكون - بالضرورة - مجالَ تحقيقٍ وتثبت.

وهُنَاكَ بعضُ الشخصياتِ المؤثرة فِي التاريخ، تنهضُ لكتابة مذكراتها، فتميلُ أحيانا إلى عدمِ الالتزامِ الدقيقِ بالحقائقِ تبريرا لأخطائها أو دَرْءً للمسؤولية، أو تأكيدا لنجاحها، ومِن ثَمّ الإساءة إلى أعدائها أو غير ذَلِكَ مِن مظاهرِ عدمِ الالتزام بالحقائق. وفِي هَذهِ الحالة، تضعف الثقةُ فِي قيمتِها المرجعية، وأحيانا لافتقارها إلى الصدقِ والواقعية، وتكون بذَلِكَ أقرب إلى كونها رسالة للدفاعِ عن النفس.

أما كتاب بَابُر، فيتميز - كما يرى الكثير مِن المؤرخين المشتغلين ببَابُر وتاريخ آسيا الوسطى- بالصدقِ الكامل، والموضوعيةِ والحياد، وتصويرِ الوقائع حسبما جَرَت دون إغفالٍ لأوجهِ النقص، أو التقصير، أو الإهمال، أو غير ذَلِكَ مِن مظاهر الضعفِ الإنساني، مما جعل بَابُر يبدو فيها بطلا إنسانيا وليس بطلا أسطوريا[1].

وقد وَصَفَ بَابُر كتابه هَذَا فِي أكثرِ مِن مَوْضِع بأنه تاريخ، ووصفه أيضا بأنه وقائع، وذكر أن الهدف مِن هَذهِ الوقائع هو ذكر الحقائق.

وإذا قُورِنَت مذكرات بَابُر هَذهِ بما كتبه المؤرخون الذين عاشوا نفس الفترة، وشهدوا نفس الأحداث، نرى أن بَابُر قد أحْسَنَ عرض جهوده، كما أنه لم يتعمد إخفاء أي تصرف قد يسيء إليه، ولم يغيّر فِي الوقائعِ التي سجّلَها لكي يبالغ فِي نجاحِه[2]، فالموضوعية التي دون بها

---

(1) M.F.Köprülü,a.g.e.,s.184..

(٢) هَذَا ما يذهب إليه كاتب مقدمة المجمع التاريخى التركى فِي تقديمه لترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغة التركية الحديثة وإن كان لنا تحفظ طفيف فِي هَذَا الشأن سنذكره فِي حينه،انظر، Hikmet Bayur, Vekayi, Tarihi .zeti s.7ö

بَابُر وقائعه لها دلالة حضارية، وهذه الموضوعية هي ما تفتقده الكتابات التاريخية لتلك الفترة[1].

وسَبَبُ اهتمامِ بَابُر بكتابةِ هَذَا التاريخ ترجع بالدرجةِ الأولى إلى أنَّه كان جزءَ مِن الوقائع التي سجّلَها، كما كان وثيقَ الصلةِ بأطرافِ هَذهِ الوقائع، فضلا عن ثقافته الوَاسِعَة، والتي يمكن مِن خلالها أن يَضَعَ ما هو ضروري وهام مِن الأحداثِ فِي إطارِهِ الصحيح، وهذه الثقافة مكّنَتْهُ مِن إبداءِ الرأي، والتعليق على بعض ما جاء به.

وقد تناولَ بَابُر بصدقٍ وواقعيةٍ ملامحَ حياتِه الخاصة، وحياتِه السياسيةِ والعَسْكَريةِ والفكريةِ والأدبية، كما تناول بنفسِ الصدقِ والواقعيةِ حظ هَذهِ الحياة مِن النقصِ والكمالِ والإخفاقِ والنجاح، ولم يخجل مِن شرحِ أَسْبَاب هزائِمِه وأخطائِه ونقاطِ ضعفه. وقد شرح كل هَذَا بهدوءٍ وبِشَكْلٍ طبيعي، وتكلَّم عن ذاتِه باعتبارِهِ إنسانًا فِي المقامِ الأول وليس بطلا أو مؤسس دولة.

التزم بَابُر بالصدقِ والموضوعيةِ فيما كَتَب مِن وقائع[2]، وهما اثنتان مِن السماتِ التي يجب أن يَتَحَلَّى بها كلُّ مَن يَتَصَدَّى لكتابةِ التاريخ. وقد التزم بَابُر بهذا الجانب مِن منهجِه بسببِ إدراكِه للقيمة التاريخية لما يُسَجّله مِن وقائع وَصَفَها بأنها تاريخ[3]، فلم يُخْفِ شيئا يمكن أن يُؤخَذُ عَلَيْهِ، كما لم يَعْمَل على اختلاقِ بطولاتٍ وأعمالٍ لَيْسَت له مِن بابِ الزُّهو والفَخْر.

وإذا قُورِنَت مذكراته بما كتبه المؤرخون المعاصرون له، نجد أن بَابُر، لم يغيِّر فِي ذكرِ الوقائع بالتهويل أو التهوين، سواء بالنسبة لنفسه، أو لمن وَرَدَ ذكرهم مِن شخصياتٍ تاريخيةٍ عاصرَها وتعامل معها[4].

---

(1)Le Livre De BABUR,p.21

(٢) عبر بابر عن هَذَا بقوله: إن الهدف مما ذكرت - من وقائع - ليس قذف الآخرين بالحجارة، بل ذكر الواقع بحالته. كما لا أهدف من وراء هَذَا الإعلاء من شأني، وإنما ذكر الحقيقة. بَابُر نامه، ص ٨٩أ. ويقول أيضا:إنني ملتزم بذكر حقيقة كل كلمة وكل واقعة كما حدثت: بَابُر، بَابُر نامه ورقة ٢٠١أ.

(٣) انظر، بَابُر، بَابُر نامه، ورقة١٢٧أ، ورقة ٥٠ب.

(4) Hikmet Bayur, Vekayi, Tarihi Özeti ،s,7.

وتبدو هَذِهِ الموضوعية أيضا فِي تعريفِهِ بعددٍ كبيرٍ مِن الشخصيات التي وَرَدَ ذِكرها فِي كتابِه، ولا تحول رابطة دمٍ أو رحمٍ بينه وبين الحقيقة، سواء كانت هَذِهِ الحقيقة مزية أو نقيصة[1].

ورغم هَذَا الصدقِ والواقعيةِ التي اتصف بها بَابُر، إلا أن للنفسِ الإنسانيةِ ضعفها، فنرى أن بَابُر قد حَجَبَ جانبا مِن بعضِ الوقائعِ التي تتعلق بشَيْبَاق خان والتي وَرَدَت فِي مصادرِ تاريخيةٍ أخرى معاصرة له بشيء مِن التفصيل.

كما تَمَيَّزَ منهجُ بَابُر بالحرصِ على ربطِ النتائجِ بالأَسْبَاب، فهو لا يُدَوِّن الوقائع فحسب، إنما يُعَبِّر عن فِكْرِهِ الخاص تجاهها[2]. ومرجع هَذَا أن بَابُر كان جزءً أساسيا فِي هَذِهِ الوقائع وليس مجردِ راوٍ أو مسجلٍ لها. وكان بَابُر بهذه الرؤية -كما نرى- متميزا بهذا المنهج الموضوعى.

وهذه الرؤية التي استخدمها بَابُر تتدخل فيها عوامل إيمانية وعَقَائِديه تُمثِّل لديه إطارا لتفسيرِ الأحداث. وهذه العوامل الإيمانية تعبر عن جانب بارز فِي شخصيةِ بَابُر، وهذا ما يشير إليه دائما فِي مواضعِ النصر، فنراه يفسر الانتصارات فِي مواقف كَثِيرَة بأن مرجعها توفيق الله وقدرته، أو حسْن طالِعِه. أما فِي مواضعِ الإخفاقِ فيرجعها دائما إلى أَسْبَاب موضوعية، مثل الإهمالِ الناتجِ عن عدم التجربة[3]، أو قطعِ الرأي على عجلٍ وبدون إمعانِ فِكر، خاصة فِي وقتِ

---

(١) انظر بَابُر نامه ورقة ٢٠١أ و أيضا ما ذكره بَابُر عن بعض أقاربه مثل محمود ميرزا، ولم يمنعه عداؤه لشَيْبَاق خان عن إبداء إعجابه بمهارته القِتَالية وتحركاته العسكرية.

(٢) مثال ذلك ما كتبه بَابُر عن اختلافه عن ين محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى اللذين سبقاه لفتح الهِنْد فيتناول أوجه الاختلاف بينه وبينهما قائلا:إن ما قمت به يختلف عما قام به هذين ين، ذلك لأنه عِنْدَمَا استولى محمود الغزنوى على بلاد الهِنْد، كان عرشه فِي خُراسان، وسلاطين خوارزم خاضعون له، كما بسط جناحه أيضا على سلطان سَمَرْقَنْد. وكان جنده يزيدون على المائة ألف.كما يشير أيضا إلى انقسام الهِنْد لعدد من الإمارات كل منها يخضع لأمير مستقل، ثُمَّ أن شهاب الدين الغورى، جاء إلى الهِنْد بمائة وعشرين ألف فارس كذلك كانت الهِنْد لا تخضع لسلطان واحد وكان خُراسان فِي يد أخيه الأكبر غياث الدين الغورى. أنظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٦٩أ- ب.

(٣) بَابُر نامه، ورقة ١١١أ.

الحرب، أو عدم توخي الدقة والتروي في اتخاذ القرارات[١].

وتكشف بَابُر نامه عن تنوعِ ثقافةِ بَابُر وثرائها؛ فقد كان مُلِما إلماما جيدا بتاريخِ المنطقةِ التي يتحرك فيها وتاريخ آبائه وأجداده التَّيْمُورِيين وتاريخ الفاتحين السابقين له الذين تحركوا في الرقعةِ التي تحرك فيها، مثل: السُلْطَان محمود الغزنوي[٢] والسُلْطَان شهاب الدين الغوري[٣]، وهما مِن بين الأُمَرَاء الأتراك الذين سبقوه لفتح «الهِنْد».

كذَلِكَ كما أنه امتلك ثقافة إسلامية وفقهية وَاسِعَة لعبت دورا كبيرا في تحديدِ أولوياتِ اهتماماتِه عِنْدَ فتحِه البلدان وإدارتها، وبالتَّالِي يَسْتَطِيع - في إطارِ هَذهِ الثقافة - أن يضع لها تَصَوُّرا عمليا ناجحًا[٤].

وتتمثل السمةُ الثالثةِ لمنهجِ بَابُر في الاهتمامِ بدقائقِ وتفاصيلِ ما يُحِيط به مِن أحداثٍ ومظاهرِ حضارية، ولكل مِن هَذهِ العناصر صلة قوية بفهمِ وتفسيرِ أحداث التاريخ، وهذا الاهتمام الدقيق مِن جانب بَابُر، بكل ما يدور حوله ويشاهده مرجعه بمعرفته الجيدة بالتاريخ، هَذهِ المعرفة التي تتجلى واضحة في كتابةِ بَابُر نامه، فضلا عن فهمه العميق للأحداث التي عرض لها[٥].

---

(١) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٦٤أ.

(٢) محمود الغزنوى، هو محمود بن سبكتكين والملقب بيمين الدولة وأمين الملة، واحد من أكبر رِجَالات الإسلام، وجه غزواته نحو الهِنْد فهبط على وديانها خمس عشرة أو سبع عشرة مره في الفترة بين٣٩١-٤١٧هـ (١٠٠١-١٠٢٦م).وعرف باسم فاتح الهِنْد. لأنه أول من استطاع أن يقيم فيها حكما إسلاميا.وتوفي سنة ٤٢١هـ= ١٠٣٠م.انظر، أَحْمَد السعيد سُلَيْمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

(٣) شهاب الدين الغورى، مؤسس دولة الغوريين في الهِنْد. فقداستطاع أن يدخل الهِنْد ويستولى على لاهور من يد الغزنويين سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م، ولم يطل حكم الغوريين هُناك أذ سرعان ما انتهى حكمهم بعد ما يناهز عقدين من الزمان. انظر، عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهِنْد، ط ٣،القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٨وما بعدها.

(٤) في هَذَا انظررسالة بَابُر إلى عامله على كَابُل، بَابُر نامه،ورقة ٣٥٩أ وما بعدها.

(٥) تأكيدا لهذا الاهتمام، انظر ما كتبه بَابُر عن سيرة جده يونس خان، انظر، بَابُر نامه ورقة٩أ وما بعدها، وما كتبه عند من تاريخ سَمَرْقَنْد، انظر، بَابُر نامه ورقة٤٤ب وما بعدها.

وهذا الوَلَعُ بالتفاصيلِ دَفَعَه إلى العنايةِ بوصفِ ما يراه وصفا دقيقا. فيذكر مثلا ترتيب الجَيْش عِنْدَ الخروجِ إلى القِتال، ثُمَّ يذكر أسماءَ القادةِ فِي كل جناحٍ مِن أجنحتِه[1]، ولا يفوته أن يَذْكُر أبْرَزَ ما قام به أي واحد منهم مِن أعمالٍ أثناءَ القِتَال[2]،وكيف قُتل أحدهم أثناءَ المَعْرَكَة[3].

والأمرُ المثيرُ للدهشة، أن بَابُر بدأ فِي تسجيلِ وقائِعِه هَذهِ بعد عام ١٥٢٧م، وكانت بدايةُ كتابتِه للأحداث تبدأ مِن عامِ توليه عرشَ «فَرْغَانَه» أي عام ١٤٩٤م، ومعنى هَذَا أنه سجَّلَها بعدَ حدوثِها بأكثرِ مِن ثلاثين عام، ومع هَذَا ذَكَر تفاصيل دقيقة - قَلَّت أمْ كَثُرَت أهميتها- وكأنها حَدَثَت توًّا.

كما التزم أيضا بتقديمِ وصفٍ تفصيلي لجغرافيةِ المنطقةِ التي تحرك فيها، وما فيها مِن جِبَال وأنهارٍ وسهولٍ ووديان، ولهذه العناصر صلة قوية بِفَهْمِ وتفسيرِ تحركات بَابُر، فالجغرافيا هي ساحةُ التاريخ[4].

والتزم بَابُر بتدوينِ كل ما يراه أو يتناهى إلى سمعه[5]، وهذا ما جَعَلَ كتابه غنيًّا بشتى أنواع المعلومات الشخصية والعامة، وفِي موضوعاتٍ متفرقه.

وهذه الرغبةُ فِي تدوينِ كل ما يراه أو يسمعه، كانت تَدْفَعُه أحيانا إلى تركِ الموضوعِ الأساسي الذي يسجله، ليذكر موضوعات فرعية، وقد ينتقل مِن هَذهِ الفرعياتِ إلى موضوعاتٍ

---

(١) مثال ذلك، انظر بَابُر نامه،ورقة ٢٠٩ب وما بعدها.

(٢) مثال ذلك أن بَابُر لا يفوته وهو يصف معركته مع تَنْبَل حول أنديجان أن يذكر أسماء من أجادوا فِي استخدام السيف، بَابُر نامه ص٧٠أ، وأن آخرين أبلوا بلاء حسنا، أو صمدوا فِي مواجهة العدو، أنظر بَابُر نامه ورقة٩٣أ-ب.

(٣) أنظر ما قاله حول موت أحد رِجَاله، بَابُر نامه ورقة ٦٥ب.

(٤) مثال ذلك، انظر وصف بَابُر لجغرافية فَرْغَانَه، بَابُر نامه،ورقة ١ب وا بعدها.

(٥) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٢٩٣أ.

أخرى تتفرعُ عنها، ثُمّ يستأنف الحديث فى الموضوع الأساسي[1]. ويحرص على أن يسجل فورا كل ما يتذكره أو يعرفه[2].

ولا تفسير لهذا - فِي تصورنا - سوى حرص بَابُر على وصف كل ما تقع عَلَيْهِ عيناه وما يعرفه أو يجول بخاطره.

وقد استخدم بَابُر فِي كتابةِ وقائع كتابه أسلوبا، يعتمد على سردِ الوقائع بتفاصيلها، ووصفِ ما يستحق الوصف مِن مشاهدات أو معاركٍ وَصْفا دقيقا دون محسناتٍ لفظيةٍ أو بلاغيةٍ قد تَطْغَى على المعنى، أو تستأثر باهتمامِ القارئ، وهو بهذه البساطة الأسلوبية يبدو متميزا على كُتّابِ التاريخ والوقائعِ فِي عصرِه؛ فإذا قارنا ما كتبَهُ بَابُر فِي وصفِهِ لفتح «الهِند»، بما كتبه المؤرخ العثماني خوجه سعد الدين[3] فِي القرنِ السابع عشر، وهو يصفُ فتح استانبول فِي عهدِ السُّلطان مُحَمّد الفاتح، لأَدْرَكْنَا الفارقَ الكبير بين الأسلوبين، وما تميز

(١) مثال ذلك، عِنْدَمَا كان بَابُر يتحدث عن قراره الذهاب إلى خاله محمود خان فِي تاشكند، بعد أن تمكن من الخروج من سَمَرْقَنْد بِصُعُوبَةٍ وتركها لشَيْبَاق خان، يذكر أنه أثناء سيره نزل بولاية مسيخا. وهنا يقطع الحديث عن الموضوع الأساس ليصف هَذِهِ الولاية وأهلها وما بها من أغنام وخيل، ثُمّ يحدثنا عن كبير هَذِهِ القرية ثُمّ يحدثنا عن أم هَذَا الرجل التي تجاوزت الواحد والعشرين بعد المائة وأحفادها ويسترسل فِي التفاصيل فيقول أن أحد أحفاد أحفاد هَذِهِ المرأة العجوز، كان ذو لحية حالكة السواد. ثُمّ يعود مرة أخرى لِيَستأنف الموضوع الأساسى الذى كان يتحدث عنه. وهذا الاسترسال فِي التفاصيل إنما يدلل على رغبة بَابُر فِي تدوين كل ما تقع عليه عيناه أو يرد بخاطره مهما قل شأنه أو قلت أهميته، انظر، بَابُر نامه، ورقة ٩٧أ.

(٢) كثيرا ما قطع بَابُرتسجيله لأحد المواقف الصعبة التي اعترضته ليصف لنا نوع من البطيخ، ثُمّ يستأنف ما انقطع من تسجيل مثال ذلك يحدثنا بَابُر عن ضرورة إصرار المرء على بلوغ الهدف ثُمّ توجهه إلى خاله الخان لصلب العون، وتحركه لاقتحام قلعة نسوخ إحدى قلاع خوجند، وفجأة يقول: وفِي المساء وضعنا السلالم (على جدران القلعة) وشرعنا فِي الهجوم. وكان الوقت أوان البطيخ. وينمو فِي نسوخ نوع من البطيخ اسمه بطيخ إسماعيل شيخى. قشرته صفراء، وقليل البذر. وهو نوع ممتاز. وبذره يشبه بذر التفاح. وله قشرة سميكة بمقدار أربعة أصابع. وطعمه لذيذ جدا. ولا يوجد بطيخ مثله فِي تلك الأنحاء ثُمّ يستأنف حديثه بنفس الاهتمام ويقول وفِي صباح اليوم التالى أثار أمراء المُغول مسألة قلة عدد رجالنا، بما لا يكفي لتحقيق الاستيلاء على القلعة.انظر بَابُر نامه ورقة ٥٦أ وهنا نلاحظ النقلة فِي حديثه عن الشروع فِي الهجوم، ويتلوه فورا الحديث عن البطيخ.

(٣) خوجه سعد الدين، هو المؤرخ العثمانى سعد الدين صاحب المصنف المعروف باسم تاج التواريخ، وهذا الكتاب المشار إليه يتضمن تاريخ الدولة العثمانية مُنْذُ نشأتها إلى وفاة سليم. انظر، خوجه سعد الدين، تارج التواريخ، استانبول ١٢٧٩هـ. ومما هو جدير بالذكر أن خوجه سعد الدين من كبار المؤرخين العثمانيين ومن أشهرهم، وجاء بعد بَابُر بحوالى قرن من الزمان، ومع ذلك يبدو أسلوب بَابُر أكثر بساطة ووضوحا وعبارته أكثر جمالا.

به بَابُر نامه مِن حيث بساطةِ التعبيرِ، وجمالِ العبارة[1].

واختص مَنْهَج بَابُر بمزيةٍ تجعله مختلفا عن معظمِ كتابِ التاريخ المعاصرين له، وهي تناوله موضوع كتابه بِشَكْلٍ مباشر دون تمهيد، فبدأ كتابهُ بالحديثِ عن توليه عرش«فَرْغَانَه»، دون كتابة أيةِ مقدمات[2]. وهو بهذا يختلف عن كثيرٍ مِن المؤرخين المسلمين الذين دَرَجُوا على التمهيدِ لِكُتبِهم بِذِكْر تاريخ البشرية مُنْذُ آدم - عَلَيْهِ السلام- مرورا بتواريخ الأنبياءِ والرسلِ حَتَّى يصل إلى الفترةِ التي يود الكتابة عنها، مثلما فعل جنابي فِي تاريخِهِ المعروف باسم العَيْلَمِ الزاخر فِي أخبارِ الأوائلِ والأواخر، وغياث الدين خواندمير فِي كتابهِ حبيب السِّيْرِ فِي أخبارِ أفرادِ البَشَر[3].

كما يختلف بَابُر فِي منهجِهِ الزمنى عن بعض المؤرخين المسلمين الذين أرخوا لدولة واحدة، مثلما فعل سعد الدين فِي كتابهِ تاج التواريخ؛ فقد أَرَّخَ مُنْذُ قيامِ الدولةِ العثمانية حَتَّى زمن السُلْطَان سُلَيْمان القانوني، أو كما فعل المؤرخ المصري ابن أبى السرور البكري الذي كان يبدأ تواريخه دائمًا مِن بدايةِ الخليقة كالمؤرخين التقليديين[4].

ولم يستغرق بَابُر فِي ذِكْرِ وقائِعِه، أو تدوين سيرتِهِ كما هي فقط، إنما عَرَضَ لنا عرضا

---

(١) يصف الدكتور حسين مجيب المصرى أسلوب سعد الدين بقوله:وهذا المؤرخ يحبس عنايته على تزويق العبارة، ويستعرض تمكنه من ناصية اللُّغة، وتفقهه فِي أساليبها. انظر، حسين مجيب المصرى،تاريخ الأدب التركى، ط١، دار الفكرة، القاهرة ١٩٥٠، ص٢٨٦.

(٢) بدأ بَابُر تسجيل وقائعه بقوله: اعتليت عرش السَّلْطَنة فِي ولاية «فَرْغَانَه» فِي يَومِ الثلاثاء الخامس من رمضان من عام ثمانمائة وتسع وتسعين وأنا فِي الثانية عشر من عمرى،. انظر، بَابُر نامه، ص ١ب.

(٣) انظر، حربى أمين سُلَيْمان،المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فِي كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٥٠، ٥٦.

(٤) ابن إبى السرور البكرى مؤرخ مصر ى عاش فِي النصف الأول من القرن السابع عشر(١٥٩٦-١٦٥٠م)، صاحب المصنف المعروف باسم الكواكب السائرة فِي أخبار مصر القاهرة. انظر، ليلى عبد اللطيف أحْمَد، دراسات فِي تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، القاهرة ١٩٧٩، ص١٣١.

شاملا لمجريات الأحداث فِي منطقتِه، خاصة تلك التي تتعلق بالبيت التَّيْمُورِي.

وهذه الأحداث كتبها بَابُر ولم يغفل إبداء رأيه فيها بما يعبر عن فلسفةِ التاريخ عنده ورؤيته التاريخية. فقد عاصر بَابُر انحسارَ سلطةِ التَّيْمُورِيين عن بلاد «ما وراء النَّهر» و«خُراسان» وضياع ملكهم هُنَاكَ وانتقاله إلى يدِ الأُزْبَك، لهذا حرص أن يُفَسر هَذِهِ الوقائع بذكرِ أَسْبَابِها، وربط بينها وبين انهيارِ الدولة التَّيْمُورِية.

مِن هَذِهِ الأَسْبَاب:

١) انهيارُ الجانبِ الأخلاقي لدى الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين فِي أواخرِ عهدهم[١].

٢) شتات أمر التَّيْمُورِين وعدم توحدهم أمام الأُزْبَك[٢].

٣) تفشي المظالم فِي بلاطِ بعض الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين مما عَجَّل بانهيارٍ فِي بعضِ الولايات[٣].

---

(١) ويقول بَابُر فِي وصفة للحياة الأخلاقية عند الأمراء التَّيْمُورِيين فِي أخريات أَيَّام الدولة التَّيْمُورِية: أطلق هؤلاء الأمراء العنان لشهواتهم ومتعتهم، فلم يردعهم اقتراب سلطان عاقل ومجرب مثل والدهم، إلى مَسَافَة نصف يوم منهم، أو دخول شهر عزيز مبارك كشهر رمضان، من الانغماس فِي الخمر والمتعة واللهو بغير حياء من والدهم أو خوف من الله. وبلا شك فإن رِجَال هَذَا دأبهم لابد وأن تحل بهم هزيمة كهذه، وأن تنزل بكل من على شاكلتهم انظر بَابُر نامه، ورقة ٤١ب.

(٢) يصف بَابُر تخلى الأمراء التَّيْمُورِيين عن مساعدته أثناء محاصرة الأزبك له فِي سَمَرْقَنْد عاصمة التَّيْمُورِيين العريقة بقوله: أرسَلْنا السفراء والرِجَال مرارا إلى الأطراف والجوار دون جدوى، فلم نتلق من أحدهم مساعدة أو عونا. فأولئك الذين امتنعوا عن مساعدتنا فِي أوقات الرخاء والقوة، كيف لَهُم أن يساعدوننا فِي هَذَا الوقت العصيب ... ونحن ننتظر العون والمساعدة من الأطراف والجوار، بَيْنَما كل واحد منهم فِي وادٍ،أما حسين ميرزا (بَايْقرا) وهو سلطان مجرب، فلم يأت أحد من عنده قط، رغم أنه خير من يعرف أفعال وأطوار شَيْبَاق خان،... بل لم يرسل لنا سفيرا ليشد من أزرنا وهى مساعدة معنوية، كذلك لم يأت أحد من عند بديع الزمان ميرزا انظر بَابُرنامه، ورقة ٨٨أ،٩٤أ.

(٣) يقول بَابُر فِي هَذَا : أن حكم محمود ميرزا فِي سَمَرْقَنْد لم يستمر طويلا من جرَّاء ظلمه وفساده. فاختل ميزان العدالة مما عجل بزوال حكمه. انظر بَابُر نامه، ورقة٢٣ب -٢٤أ.

٤) تنازع الأُمَرَاءُ التَّيْمُورِيين فيما بينهم [(١)].

٥) عدم معرفة السلاطين التَّيْمُورِيين، أو خانات المُغُول بما يقوم به بعض أمرائهم مِن أفعالٍ تُذهب بهيبة واحترام السلاطين والخانات [(٢)].

٦) إرجاع كل الأمور إلى الله بعد ذكره الأَسْبَاب [(٣)].

ترجمة بَابُر نامه
إلى اللغات الشرقية والأوروبية

تُرجِمَت بَابُر نامه إلى الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والفارسية، والأوردية، وإلى التركيةِ الحديثة عن التركيةِ الجِغتائِيَّة، وإلى الروسية، والألمانية، والأسبانية. وأقدمُ هَذهِ الترجمات هي الترجمةُ الفارسية.

أولا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الفَارِسِيَّة:

١) أقدمُ الترجمات إلى الفارسية هي الترجمة الموجودة فِي المكتبةِ الوطنية فِي طهران تحت

---

(١) يعبر بَابُر عن رؤيته أن بعض صغائر الأمور قد تثير الخلافات بين أمراء الأسرة الحاكمة الواحدة إلى الحد الذي يصرفهم من التصدي للخطر الحقيقي الذي يتربص بهم الذي يتمثل في الأعداء الغرباء، كما حدث بينه وبين أبناء حسين بَايْقَرا. ويقول فِي هَذَا الصدد بقوله: إن النزاع يذهب بالأسر العريقة انظر، بَابُر نامه، ورقة، ٢٠٨أ.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٨١أ.

(٣) اهتمام بَابُر بالنظر فِي الأسباب لا يحول دون تعبيره عن يقينه بأن الأمر كله، وزوال المُلك والقوة بيد الله. ويفسر ما أَلَمّ ببعض رِجَال التَّيْمُورِيين الأشداء وانكسارهم أمامه وهو فِي الموقف الضعيف، تفسيرا إيمانيا ويردد الآيةالقرآنية ﴿قل اللَّهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾(سورة آل عمران الآية رقم ٢٦). يقول بَابُر: إن الله لقوى قدير. فهذا الرجل (خُسْرو شاه) كان له من الأتباع حوالى عشرين أو ثلاثين ألفا وكانت له السيادة الكاملة على ولايات محمود ميرزا، وكانت فظاظة رِجَاله تدفعنا للارتحال مِن مكان إلى مكان، وها هو ذا فِي يوم ونصف اليوم، يصبح فِي موقف ذليل وحقير وعاجز أمام مائتى أو مائتى وخمسين رجلا فقراء مهزومين مثلنا انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٢٤أ-ب.

رقم (٦٧١) ضمن كليات بَابُر، ومدون عَلَيْها ما يفيد أن ترجمتها تَمّت أثناء حياةِ بَابُر. وهذه الترجمةُ تكرر طبعها الآن باللُّغَة الفَارِسِيَّة، وهي الأساس للترجمات التي تمت إلى اللغات الأوروبية[(1)].

٢) الترجمةُ الفارسية التي قام بها پَايَنْدَه حَسَن الغزنوي، ومُحَمَّد قولي مغول الحصاري بأمر مِن بهروز خان وبدأت ترجمتها سنة ١٥٨٦م.

٣) الترجمةُ الفارسية التي قام بها عبد الرحيم خان بن بايرام خان سنة ١٥٩٠م بأمر أكبر شاه حفيد بَابُر والتي يُعتقد أنها ترجمةٌ طبق الأصلِ لنسخةِ حيدر آباد التي نشرتها السَيّدة بفريدج بعد ذَلِكَ[(٢)]. وهذه الترجمةُ مُزوَّدَة بِمُنَمْنَمات فِي بعض أجزائها وطُبعت فِي بمباي سنة١٨٩٠ م = ١٣٠٨هـ باسم بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُري. وهي الترجمة التي اعتمد عَلَيْها وليم ارسكين وجوهان ليدن فِي ترجمتهما للنص إلى اللُّغَة الإنجليزية سنة ١٨٢٦م[(٣)].

وهذه الترجمة الفارسية الأخيرة التي تمت فِي عهدِ أكبر خان[(4)]، وهي الترجمة التي اطلعْتُ عَلَيْها وحسبما تبين لي بَعْدَ النظر فيها أنها لَيْسَت مطابقة تماما للنص الجغتائي الأصلي فِي بعضِ أجزائها. مثال ذَلِكَ: قول بَابُر عِنْدَمَا حاصر السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا «قُنْدُز»[(٥)]، فقد جاءَتْ فِي

---

(1) Reşit RahmetiArat,(Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur, türk Tarih Kurumu Basımevi,ankara 1943-1946.)'de,s.141.

(٢) انظر، Fernand Grenard ,s.205

(3) Ömer Faruk Akün, s.407.

(٤) انظر، بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُرى، وهي نسخة عن الترجمة التي تمت في عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملكها ميرزا محمد شيرازى، المكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ١٢٢٥٠.

(٥) بَابُر نامه ورقة ١٢٩أ.

الترجمةِ الفارسية: وعندما أمعن السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا القتل فِي قندز[1]. كما أغْفَلَت الترجمةُ الفارسية أيضا ترجمة الأوراق مِن (١١٨/ب) إلى مطلعِ الورقة (١٢٠/أ) مِن النصِّ الأصلي، وهي الأوراقُ التي تتضمن أداء بَابُر للصلاة، ورؤيته للشيخ عبيد الله فِي المنامِ يبشره بالنصر، وقراره الذهاب إلى «خُراسان»[2].

ثانيا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الأوردية:

تُرجمت بَابُر نامه إلى الأوردية ثلاث ترجمات:

الترجمة الأولى: وقام بها مِيرْزا ناصِر الدين وصدرت فِي دلهي سنة ١٩٢٤م.

الترجمة الثانية: قام بها رشيد أخطر الندوى وصدرت فِي «لاهور» عام ١٩٦٩م باسم توزك بَابُري[3].

الترجمة الثالثة، وقام بها أحد أحفاد بَابُر ويدعى حَسَن بِك بن ميرزا محمود سنة ٢٠٠٠م صدرت فِي طبعةٍ أنيقةٍ مِن القطع الكبير مزودة بالصورِ الملونة .

ثالثا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الإنجليزية:

تُرجِمَتْ بَابُر نامه إلى اللُّغَة الإنجليزية ترجمتان:

الترجمةُ الأولى: هي الترجمة التي قام بها كل مِن: و. ارسكين وجوهان ليدن، وصدرت في لندن عام ١٨٢٨م، وهي ترجمة عن الترجمة الفارسية التي قام بها عبد الرحيم خان سنة ١٥٩٠م. وأعادت اكسفورد نشر هَذهِ الترجمة مع تعليقات سنة١٩٢١م، قام بها سير لوكاس كنج. كما صدر مختصر لهذه الترجمة قام بإعداده كالدكوت وصدر فِي لندن عام ١٨٤٤م.

---

(١) انظر، بَابُر نامه، موسوم به توزك بَابُرى، ص ١٩.
(٢) انظر، بَابُر نامه، موسوم به توزك بَابُرى، ص ٤٥.
(3) Ömer Faruk Akün,a.g.e.,s.407, 408.

الترجمةُ الثانية: كانت الترجمة الثانية لبابُر نامه إلى اللُّغَةِ الإنجليزية، عن النص الجغتائي المعروف باسم نسخة حيدر آباد[1] وليس عن الفارسية كالترجمة الأولى، وقامت بها أ. س بفريدج، وصدرت فِي لندن فِي ثلاثةِ أجزاء؛ الأول مِنْها والخاص بوقائع «فَرْغَانَه»، صدر عام ١٩١٢م، والثاني الخاص بوقائع «كَابُل» صدر سنة ١٩١٤م، ثُمَّ الجزء الثالث الخاص بوقائع «الهِنْد» وصدر عام ١٩١٧م. وصدَرَت الترجمة كلها فِي جزءين فِي لندن سنة ١٩٢١م.

وقد مهدَت السَيِّدة بفريدج لهذه الترجمة بمُقَدِّمَة، وأضافَت إليها عناوين جانبية لتوضيح النص. كما حاولَت سد الفراغ الناتج عن فقد بعض أجزائها مِن مصادر أخرى للربط بين الأحداث.

وتَذْكُر السَيِّدة بفريدج أن هَذهِ الترجمة تمت عن النسخة الجَغَتائِيَّة المعروفة باسم نسخة حيدر آباد، والتي سبق لها أن نشرتها نشرًا مصورا سنة ١٩٠٥م بمناسبة ذكرى المستشرق جب، وهذا النشر يتضمن فِي نهايتِهِ فهرسًا لأسماء الأعلام، وآخر لأسماء الأماكن.

ورغم هَذَا النشر ومعرفتها بالمخطوط، لم تلتزم السَيِّدة بفريدج بترجمة كل ما جاء فِي هَذهِ النسخة، حيث أغفلت فِي الجزء الخاص بوقائع «فَرْغَانَه» حوالي أربع صفحات كاملة هي

---

(١) من المعرف أن هُناك نسختان لبَابُر نامه واحدة تعرف باسم نسخة قازان، والأخرى وهى الأكمل وتعرف باسم نسخة حيدر آباد. انظر ما كتبة رشيد رحمتى ارات فِي هَذَا الصدد فِي تقديمه لنص بَابُر نامه الذى قام بنقله من الجغتائية إلى اللُّغَة التركية الحديثة،

Reşit Rahmeti Arat,a.g.e.,s.140

ويقول ستانلى لين بول إن إحدى نسخ بَابُر نامه كانت فِي حوزة حيدر دوغلات إبن عم بَابُر وهذه النسخة ربما يكون قد حصل عليها أثناء زيارته للهند فِي السنوات العشر التَّالِية لوفاة بَابُر، ونسخة أخرى تعتبر بمثابة النسخة الأصلية للنص، وربما تكون منسوخة عن النسخة الأصليةالتي كتبها بَابُر بنفسه، وهذه النسخة كتبها ابنه همايون فِي عام ١٥٥٣. وهى المعروفة باسم نسخة حيدر اباد، انظر،

Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899,p.14.

الصفحات مِن (١١٨/ب) إلى الفقرة الأولى مِن(١٢٠/أ) [١]. وهو نفس ما حدث فِي الترجمة الفارسية التي تمت فِي عهدِ أكبر خان عن نسخة حيدر آباد. ولعلها اعتمَدَت على الترجمة عن الفارسية اعتمادا كبيرا، وليس على النص التركي مباشرة، حيث إن الترجمة الفارسية تتفق معها فِي هَذَا الحذف. ورغم هَذَا، فترجمتُها الإنجليزية تحتوي على تعليقاتٍ مهمة .

رابعا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللُّغَة الفرنسية:

تُرجمت بَابُر نامه إلى الفرنسية ترجمتان:

الترجمةُ الأولى: وقام بها باوه دوكورتي وهي ترجمة للنص الذي اكتشفه إيلمنسكي مِن بابر نامه، ونشرَه سنة١٨٥٧م والمعروف باسم نسخة قازان [٢]. وهذه الترجمة الفرنسية، هي أولُ ترجمةٍ لبَابُر نامه عن الجَغَتائِيّة إلى اللغاتِ الأوروبية. وصدَرت فِي باريس سنة ١٨٧١م فِي مجلدين [٣].

والترجمةُ الثانية: صدَرت فِي باريس سنة ١٩٨٥م عن النص الجغتائي لبَابُر نامه المعروف باسم نسخة حيدر آباد، وقام بها جان لويس باكي جرامون. وهذه الترجمة مِن إصداراتِ المجموعةِ الشرقية فِي المطبعةِ الوطنيةِ فِي باريس [٤].

وقد جاءت هَذِهِ الترجمة فِي مجلدٍ واحدٍ فِي طبعة فاخرة على ورق مصقول مِن القطع

---

(1) Annetta Susannah Beveridge, Babur Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.
وهى ترجمة السيدة بفريدج لبَابُر نامه إلى الأنجليزية، انظر الترجمة الإنجليزية ص ١٨٢، مقارنة بالنص الجغتائي ورقة ١١٨ب.

(2) Stanley Lane - poole,Rulers of India,p.15.

(3) Ömer Faruk Akün, c.4, s.407/3.

(4) Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes,presente et traduit du turc tchagatay par Jean Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

الكبير وغلاف أنيق، كما ازدانت بمجموعة كبيرة مِن الصور الملونة المعروفة بالمنمنات، تعبر عن مواقف مختلفة مِن حياة بابُر. وصور أخرى فوتوغرافية للمنطقة التي تدور فيها وقائع الكتاب.

ولهذه الترجمة تقديمٌ فِي صفحةٍ واحدةٍ كتبها الناشر، ثُمَّ مُقَدِّمَة للمترجم فِي عشرِ صفحات.

وقد وضَّح المترجم الفرنسي في المُقَدِّمَة أن هَذهِ الترجمة اعتمدت على ثلاث مخطوطات:

المخطوطة الأولى: عبارة عن نسخةٍ لبابُر نامه تم نسخها فِي القرنِ الثامنِ عشر وموجودة فِي مكتبةِ حيدر آباد، وتقع فِي ٣٨٢ ورقة وتحتوي النص بأكمله.

المخطوطة الثانية: وهي نسخة مخطوطة مِن بابر نامه، تُعرف باسم نسخة الفنستون. والفنستون هَذا هو حاكم بومباي سنة ١٨٠٨م. وهذه النسخةُ موجودة فِي المكتبةِ الوطنيةِ فِي ادنبره باسكوتلانده، وتقع فِي ٢٧٢ ورقة تحت رقم (١٨- ٣- ١٨)، وبها تعليقات فِي الهوامشِ يرجح أنها لَهُمايون بن بابُر.

المخطوطة الثالثة: وهي مخطوطة لبابُر نامه تُعرف باسم مخطوطة طهران مودعة فِي المكتبةِ الوطنيةِ بطهران. وهذه المخطوطة بها تعليقات ويتصور – المترجم الفرنسى- أنها منقولة عن النص الأصلي لبابُرنامه، أي: قبل نسخة حيدر آباد[١].

وقد ذَيَّل المترجم الفرنسي هَذهِ الترجمة بجداولٍ تبين نَسَبَ التَّيْمُوريين، وملحق بنموذج للخط البابُري الذي ابتكره بابُر، ثُمَّ فهارس للأشخاص والأماكن[٢].

أما عن منهجِ المترجم - حسب قوله- إنه اهتم بترجمة الأسلوب بدقة أكثر مِن اهتمامِهِ بترجمةِ اللفظ[٣]، وقد قام بوضْعِ عناوين جانبية للنص تُعِين على تتبعه، كما وضَع تعليقاتا للتعريف بالأشخاص والأماكن. واستعان بكتاباتٍ معاصرة كتبها مؤرخون معاصرون لبابُر، ليسد بها

---

(1) Jean Louis BACQEU GRAMMONTp. 23

(٢) قمنا بوصف هَذهِ الطبعة الفاخرة للترجمة الفرنسية لبابُر نامه من واقع إطلاعنا عليها.

(3) Jean Louis BACQEU GRAMMONT p.18.

الفراغ الذي نتج عن السنواتِ المفقودةِ مِن الكتاب، بغرضِ إعطاءِ فكرة متكاملة عن الأحداث[1].

خامسا: ترجمة بَابُر نامه إلى اللغات الأوروبية الأخرى:

تُرجمت بَابُر نامه إلى اللُّغَةِ الألمانيـة، وصَدَرَت في ليبزج عام ١٨٢٨ م، وهـذه الترجمةُ جاءت عن النص الإنجليـزي الذي قـام بها ليدن، وهـذا النص مُترَجم عن الفارسية. كما تُرجمت إلى الروسية، وصدرت الترجمة فِي«تاشْكَنْد» سنة ١٩٥٨م[2]، وتُرجمت إلى الأسبانية وصدرت عن جامعة برشلونة عام ٢٠٠٤م.

سادسا: نقل بَابُر نامه إلى اللُّغَة التركية الحديثة:

واقع الأمر، أنها لَيْسَت ترجمة بالمعنى الدقيق، لكنها نقل لنَص بَابُر نامه مِن اللُّغَةِ التركيةِ الشرقية فِي اللهجةِ الجِغَتائِيَّة بحروفها العربية إلى اللُّغَةِ التركيةِ الحديثة بحروفها اللاتينية التي يستخدمها أتراك تركيا اليوم، لكننا تجاوزًا سنستخدم لفظَ الترجمة. والترجمةُ التركيةِ للنص هي الترجمةُ الوحيدةُ له فِي اللُّغَةِ التركيةِ الحديثة. قام بها عن الجِغَتائِيَّة البروفيسور رشيد رحمتي ارات عن النسخة الجِغَتائِيَّة المعروفة باسم نسخة حيدر آباد التي نَشَرَتْها السَّيِّدة بفريدج نشرًا مصورا سنة ١٩٠٥م، وقد صَدَرَت هَذهِ الترجمة عن المجمع التاريخي التركي فِي عامي ١٩٤٣، ١٩٤٦م فِي مجلدين برقم (٥/ أ ـ ب) مِن السلسلةِ الثانية[3].

اختص الجزءُ الأولُ مِن الترجمةِ بوقائعِ «فَرْغَانَه»، تسبِقُها مُقَدِّمَة للمجمعِ التاريخي التركي، تبين أهمية ترجمة هَذَا العمل، ثُمَّ مُقَدِّمَة تاريخية عن التَّيْمُورِيين كتبها المؤرخ التركي المعروف حكمت بايور. أما الجزء الثاني مِن الكتاب فيتضمن وقائع «كَابُل»، و«الهِنْد»، ثُمَّ فهرسًا للأسماء

---

(1) Jean Louis BACQEU GRAMMONT p.15.
(2) Ömer Faruk Akün, s.407, 408.
(3) Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1943-1946.

والأماكن الواردة فِي النص، مع تعريف بها مأخوذ مِن النص نفسه، ثُمَّ تعريف بالكلمات الاصطلاحية الواردة فِي النص ومفهومها مِن خلال النص، ثُمَّ فهرسًا آخر لأبيات الشعر الواردة فِي النص، سواء التي نظمها بَابُر، أو التي استخدمها لشعراء آخرين.

أما منهج المترجم التركي، فقد التزم تماما بالنص الجغتائي، وإن لجأ أحيانا إلى تقطيع الجملة حسب الفهم التركي لسياقها. ولم يضف أية تعليقات أو حواشي على النص، بل نشره كما هو، كذَلِكَ لم يقم بوضع أية عناوين جانبية له ليخرج النص كما كتبه بَابُر دون أية محاولة للتدخل فِي سياقه أو تقريبه لفهم القارئ مِن خلال العناوين الجانبية التي توضح له انتقال بَابُر مِن نقطة إلى أخرى، أو العودة للحديث عما انصرف عنه قبل صفحات. كما لم يَعْمَل على سد الفراغ الناتج عن فقدانِ بعض أجزائها على غرارِ ما حدث فِي الترجمتين الفرنسية والإنجليزية، ولم يعقد أي نوع مِن المقارنة بين هَذهِ الترجمة وغيرها مِن الترجماتِ السابقةِ لترجمتِه فِي اللغاتِ الشرقيةِ أو الغربية.

سابعا: ترجمتنا بَابُر نامه إلى اللُّغَة العربية:

يَسَّر الله لنا القيام بترجمةِ بَابُر نامه إلى اللُّغَةِ العربية. وهو اجتهادٌ نأمل أن ينال أجر الاجتهاد. وقد اعتمدنا فِي هَذهِ الترجمة بصفةٍ أساسية على الترجمةِ التركيةِ التي أعدّها رشيد رحمتي آرات، وعلى النص الجغتائي المعروف بنسخة حيدر آباد الذي اعتمَدَتْ عَلَيْها الترجمة التركية، واطلعنا على الترجمةِ الإنجليزيةِ التي قامت بها السَيّدة بفريدج، وأيضا على الترجمةِ الفارسيةِ التي تمت فِي عهدِ أكبر خان، وقام بها عبد الرحيم مِيرْزا ابن بيرام خان عام ١٩٥٠م.

والْتَزَمْنَا فِي ترجمتنا هَذهِ بمنهج أساس يعتمد على ترجمةِ العبارةِ التركية، ومقارنتها بما يقابلها فِي الجَغَتائيَّة والإنجليزية مع الرجوع إلى الفارسيةِ فِي مواضِعِ الاختلافِ للتأكد مِن دقةِ الترجمة. وأوضحنا ما بدا لنا مِن اختلافاتٍ فِي الحاشية، والتزمنا فِي كتابةِ الأسماءِ المشهورةِ والمعروفةِ مِنْها بالشكلِ المتعارفِ عَلَيْهِ فِي الكتاباتِ التاريخيةِ العربية، وغير المعروف كتبناه بالشكلِ الإملائي الذي وَرَدَت به فِي النصِّ الأصلي للكتابِ فِي لغتِهِ الجَغَتائيَّة.

ولأنَّ النص الأصلي لبَابُر نامه نصٌ سردي، ينتقل فيه بَابُر مِن نقطةٍ إلى أخرى دُون تمهيد، وقد ينتقلُ مِن الموضوعِ الأصلي للحديثِ عن نقاطٍ أخرى فرعية أو تفصيلية لما ذكَره إجمالا، لهذا فإن تتبُّع الموضوعاتِ كما ذكَرها بَابُر تحتاجُ إلى تركيزٍ وإعمالِ ذهنٍ كبيرين، لهذا رأينا أنه مِن الأيسرِ للقارئ، أن نَضَع عناوينَ جانبية للنص يُسْتَرْشَدُ بها فِي فَهْمِه ، وتُبيِّنُ انتقال المؤلِف مِن نقطةٍ إلى أخرى، وهذا المنهج نفسه هو ما التزَمَتْ به الترجمةُ الإنجليزية والفرنسية للنص، لكننا لم نَلْتزِم بذات العناوين الجانبية التي جاءت فِي الترجمتين، وإن تصادف أن جاء بعضها متشابها نتيجة وحدة النص.

كما أن جميع الحواشي والتعليقات على الترجمة هي مِن جهدنا؛ حيث إن النص الأصلي جاء خَلْوًا مِنْها، وقد اعتمدنا فِي هَذهِ التعليقات على عدد مِن المراجع المتخصصة نشير إليها فِي قائمة المراجع.

وقد تحرَّيْنَا فِي هَذهِ الترجمة المحافظة على دقةِ العبارةِ لفظا ومعنى فِي آن واحد، ولم نحاول التدخل كثيرًا فِي سياقِ العبارةِ لشرحِ المبهمِ مِن ضمائِرها، وأشرنا إلى المقصودِ مِنْها فِي الحاشيةِ باستثناء مواضع قليلة أضفنا فيها أسماء مقصودة - ضمنًا - مِن سياقِ الحديث، ووضعناها بين قوسين، وستتضمن الترجمة فِي نهايتها - بإذن الله - فهرسًا للأشخاص والأماكن حَتَّى تتم الفائدة مِن الكتاب.

ويمكن تقسيم وقائع بَابُر نامه تبعا لأماكنِ جريانها إلى ثلاثةِ أقسامٍ هي:

١) وقائع «فَرْغَانَه» (٨٩٩: ٩٠٨هـ = ١٤٩٤: ١٥٠٣م).

٢) وقائع «كَابُل» (٩١٠: ٩٢٦هـ = ١٥٠٤: ١٥٢٠م).

٣) وقائع «الهِنْد» (٩٣٢:٩٣٥هـ = ١٥٢٥: ١٥٢٩م).

مختصر وقائع تاريخ بَابُر

وقائع فَرْغَانَه:

تشغل وقائع «فَرْغَانَه» تسعة أعوام مِن تاريخ بَابُر، وتبدأ باعتلاء بَابُر عرش «فَرْغَانَه» عام ٨٩٩هـ = ١٤٩٤م، وتنتهي بخروجه مِن بلاد «ما وراء النَّهْر» قاصدًا «خُراسان» فِي نهاية وقائع عام ٩٠٨هـ = ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.

تتضمن وقائع هَذَا الجزء مِن بَابُر نامه، الأحداث التي مرّ بها بَابُر فِي «فَرْغَانَه» عقب اعتلائه العرش، مع ذكر تراجم وافية لوالده عُمَر شيخ مِيرْزا ، وعمّه السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، وعمِّه السُلْطَان محمود مِيرْزا، وأعمالهما، ونزاعه مع بايْسُنْغُر مِيرزا. ثُمّ حملاته على «سَمَرْقَنْد»، وصراعه مع شَيْبَاق خان الشيباني وهزيمته أمامه.

ويتضمِن هَذَا العرض التاريخي وصفا لمدن «فَرْغَانَه»، و«سَمَرْقَنْد» و«بُخَارا» جغرافيًّا وتاريخيًّا وحضاريًّا. كما يتناول تصوير النزاعات التي كانت دائرة بين أمراء البيت التَّيْمُورِي، فهذا السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا سُلْطَان «هَرَاة» يتنازع مه ابنه بديع الزمان مِيرْزا بسبب استر آباد، وهؤلاء أبناء السُلْطَان وأمرائه يتقاتلون حول «سَمَرْقَنْد»، وهذا بَابُر يتنازع مع أمرائه حول «أَنْدِجان». بَيْنَما يتربص به - بل وبالبيت التَّيْمُورِي كله - عدوهم شَيْبَاق خان الأُزبكي.

وَجَدَ بَابُر نفسه وهو يرث ملك أبيه مضطرًّا إلى خوض الحرب ضد عمه السُلْطَان أَحْمَد مِيرزا وخاله المُغُولي السُلْطَان محمود خان والتي كانا يعدان لها لوقف أطماع عُمَر شيخ مِيرْزا.

فقد كان عُمَر شيخ مِيرْزا والد بَابُر، له مطامع سياسية لتوسيع مملكته ويتحين الفرص للإغارة على أخيه الأكبر السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا فِي «سَمَرْقَنْد»، وعلى صهره محمود خان. وكان يطمع فِي «سَمَرْقَنْد» على وجه الخصوص.

فضاق أقاربُه بأطماعِه ذرعا، واتَّحَدُوا ضده لوضعِ حدِّ لاعتداءاتِه. واتفق السُلْطَانان أَحْمَد مِيرْزا ومحمود خان (خال بَابُر وخان المُغُول) على التحركِ معا ضده، فِي هَذَا الوقت بالضبط

توفي عُمَر شيخ مِيرْزا فِي ٨٩٩هـ/ ٤ يونيه ١٤٩٤م، ليتولى بعده بَابُر[١].

تهيأ بَابُر بجُنُوده للدفاع عن «أَنْدِجان»، ولصعوباتٍ اعترضت السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزافِي الطريق، قَرَّرَ وقْف تقدمه إليها، وعَقَدَ صُلْحا مع بَابُر، وانسحب راجعا عن «أَنْدِجان»[٢]. كذَلِكَ تراجع عنه خاله المُغُولي، فزال الخطر الذي يتهدده[٣].

بدأ بَابُر حُكْمَه بتنظيمِ الجُنْد وضبطِ الولاية، وتوزيع المناصبِ والرتبِ على أمراءِ والده الشَّيْخ عُمَر مِيرْزا ورِجَالِهِ؛ كلّ حسب رتبته ومكانته[٤]. وذَلِكَ وِفْقَ النظام السائد بين الأتراك آنذاك، والذي يقضي باقتسام مَن شاركوا فِي الغزو، الغنائم والبلدان.

هَذَا النظام لَعِبَ دورا كبيرا فِي توجيه تحركات بَابُر العَسْكَرية. فالتَّيْمُورِيون لم يَكُنْ لَهُم حَتَّى ذَلِكَ الوقت جيش نظامي كذَلِكَ الذي كان عِنْدَ العثمانيين مثلا، وهذا ما جعلَهُم دائما فِي حاجةٍ إلى مساندةِ الأُمَرَاء الأتراك أو المُغُول عِنْدَ كل تحرك عَسْكَرى أو خروج لقتال، وبدون هَذهِ المساندة يصبح التحرك العَسْكَري أمرا صعبا للغاية.

بعد وفاة السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، اعتلى السُلْطَان محمود مِيرْزا عرش «سَمَرْقَنْد» خَلَفًا لأخيه الذي لم يعقب أبناء، واعتلى عرش «سَمَرْقَنْد» بلا منازع. وحاول أن يتآمر مع رِجَال بَابُر ليخلعوه، لكن هَذهِ المحاولة باءت بالفشل. ولم يستمر حكم السُلْطَان محمود مِيرْزا لسَمَرْقَنْد أكثر مِن خمسة شهور مات بعدها، بعد أن أَوْسَعَ أَهْل «سَمَرْقَنْد» ظلما وفسادا، وضاقوا ذرعا بسوء خلقه وظلمه، بل إن يوم موته كان عيدا كبيرا لأهل «سَمَرْقَنْد» على حَدِّ قَوْلِ بَابُر[٥].

وبموت عَمَّيه أَحْمَد مِيرْزا ومحمود مِيرْزا، انْقَشَعَ عن بَابُر أَكْبَرَ خَطَرٍ كان يتهدده، فاسترد

---

(1) Halis Bıyıktay, a.g.e. s.9.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٦ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ١٧ب.

(٤) انظر، بَابُر نامه، ورقة ١٨أ.

(٥) انظر، بَابُرنامه، ورقة٢٣ب - ٣٠أ.

جانبا كبيرا مِن أملاك أبيه الضائعة ، واستفاد مِن المنازعات التي قامت بين أبناء عَمّه السُلْطان محمود مِيرْزا ليأخذ «سَمَرْقَنْد» أيضا. فقد ثار الخلاف بين أبناء السُلْطان محمود مِيرْزا الثلاثة (مسعود، وبايسنغر، وعلي) حول «سَمَرْقَنْد»، وتحالف علي مِيرْزا مع بَابُر، بَيْنَما تحالف مسعود مِيرْزا مع خُسْرو شاه أحد الأُمَرَاء الكبار لدى السُلْطان محمود مِيرْزا ، وذَلِكَ لانتزاع «سَمَرْقَنْد» مِن بايسُنْغُر مِيرزا. وحاصروها مِن ثلاث جهات، لكن لم يسفر الحصار عن شيء. وأعاد بَابُر الحصار مرة ثانية فِي العام التَّالِي ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، وفَتَحَ كل القِلاعِ والجِبَالِ والوديانِ المحيطة بسمَرقَنْد[1]، واستطاع أن يَفْتَحَها للمرةِ الأولى ويَدْخُلَها بعد هُروبِ بايسُنْغُر مِيرزا مِنْها ولجوئِه إلى شَيْبَاني خان يَسْتَعْدِيه على بَابُر لاسترداد «سَمَرْقَنْد»[2].

عَقَبَ فَتحِ بَابُر لسَمَرقَنْد فِي المرةِ الأولى سنة ٩٠٣هـ= ١٤٩٧م، انفض عنه عددٌ كبيرٌ مِن رِجَاله (فقد كانت «سَمَرْقَنْد» مخربة تمامًا وتحتاج لوقت طويل حَتَّى تعمُر، فقاسى الجُنْد الضِّيق وشَظَفَ العيش، فضلا عن شعورهم بالحنين إلى أهلِهِم)[3].

كما انفض عنه كبار أمرائه، مثل: أَحْمَد تَنْبَل الذي انضم برِجَاله إلى أوزون حَسَن أحَدِ الأُمَرَاء فِي جيش بَابُر، وكان مغوليًّا مِن قبيلة والدة جهانكير مِيرْزا، شقيق بَابُر، وكان يأمل أن يكون الحكم لجِهانكير مِيرْزا، لهذا انفصل عن بَابُر ومعه كل الجُنْد الذين انفضوا عنه، وتحالف معه السُلْطان أَحْمَد تَنْبَل أيضًا، رافعا راية العصيان وبدءوا فِي محاصرةِ «أَنْدِجان» مستفيدين مِن الحالِ التي وصَلَ إليها بَابُر بعد فتح «سَمَرْقَنْد» وتفرق جنده مِن حوله.

ولما طالت فترةُ الحصار، وفي الوقتِ نفسه مَرِضَ السُلْطان بَابُر فِي «سَمَرْقَنْد» ولم يستطع مَد يَدِ المساعدةِ لعلي دوست طاغائي وإلى «أَنْدِجان»، فِي الوقتِ المناسب، الذى سَلَّم

---

(١) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٤٠أ ـ ب.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٤٣ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٥١أ.

بدورِه «أَنْدِجان» إلى أوزون حَسَن[1]. فضاعت مِن بابر «أَنْدِجان» فِي خِضَم انشغالِهِ بسَمَرقَنْد، كما ضاعت مِنْهُ «سَمَرْقَنْد» بعد أن اعتلى عرشَها لمدةِ مائة يوم[2].

بعد ذَلِكَ، تخلى السُلْطَان علي مِيرْزا عن «سَمَرْقَنْد» ليدخلها شَيْبَاق خان ويستولى عَلَيْها، وكما يقول بَابُر: إن زهرة بيكى أُم السُلْطَان علي مِيرْزا لَعِبَت دورا فِي ضياع «سَمَرْقَنْد» وانتقالها إلى يدِ الأُزْبَك، ذَلِكَ لأنها أوزبكية مثل شَيْبَاق خان، أي أن الأُزْبَك هم أهْلُها وعشيرتُها، ودفعتها الرغبة فِي الزواج مِن خان الشيبانيين إلى الاتصال به ومساومته لتسليم مدينة «سَمَرْقَنْد» له مقابل الزواج مِنْها، ولم يُسْفِر هَذَا سوى عن ضياعِ «سَمَرْقَنْد» مِن يد التَّيْمُورِيين[3].

تكررت محاولات بَابُر لاسترداد «سَمَرْقَنْد» مِن يَدِ شَيْبَاق خان؛ فقد كان هدفه الأكبر هو أن يَحُول دون سقوطها فِي يد ذَلِكَ العدو الأُزبكي الغريب بعد أن ظلت فِي حوزةِ التَّيْمُورِيين مائة وأربعين عاما[4]. واستطاع بَابُر أن يستردها مرة أخرى عام ٩٠٦هـ =١٥٠٠م رغم تخلي السلاطين والأمراء التَّيْمُورِيين والمُغُول عن تقديم المساعدة والمساندة القوية له. فسار إليه شَيْبَاق وهَزَمَه فِي سَرْيُل فِي العام نفسه.

ويبدو الأُزْبَك فِي هَذهِ الحرب متفوقون على بَابُر فِي تكتيك القِتَال واقتحام القِلَاع، وهو ما يتضح مما ذِكْره بَابُر عن التحركاتِ الحربية لشَيْبَاق أثناء هَذهِ المعركه وأثناء محاصرة «سَمَرْقَنْد» بعد ذَلِكَ[5].

شدد شَيْبَاق خان الحصار حول «سَمَرْقَنْد» لفترة طويلة (عانى النَّاس خلالها معاناة شديدة، وبلغ الأمر حد أن الفقراء والمساكين أكلوا لحم الكلاب والحمير، كما نفد علف الجياد

---

(١) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٥١ب ـ ٥٣ب.

(٢) انظر، بَابُر نامه، ورقة ٥٤أ ـ ب.

(٣) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٨٠أ ـ ب.

(٤) انظر، بَابُرنامه، ورقة ٨٥أ.

(٥) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٠ وما بعدها.

فكانوا يقدمون لها ورق الشجر لتأكله)[١]، (وبدأ النَّاس والجند فِي مغادرة القَلْعَة والهَرَب مِنْها بعد أن استبد بهم اليأس)[٢]، واضطر بَابُر إلى قبول الصُّلح مع شَيْبَاق بعد أن قطع الأمل في وصول أي مدد أو معونة له، وغادر «سَمَرْقَنْد» تاركا إياها لشَيْبَاق خان الأزبكي[٣].

استمر شَيْبَاق خان فِي تتبع بَابُر وهاجم شاهرُخية، ثُمَّ اتجه إلى «أوراتيبا». وعندئذ قرر بَابُر اللجوء إلى السُلْطَان محمود خان في «تاشكَنْد»، وهُنَاكَ عانى بَابُر كثيرا مِن الفقر والجور أثناء وجوده فِي «تاشكَنْد»، فلا ولاية لديه، ولا أمل فِي الحصول على ولاية، كما انفض عنه أغلبُ رِجَالِه وأعجز العوز مِن ظلوا بجانبه[٤].

بعد ذهاب بَابُر إلى «تاشكَنْد»، خرج خان المُغُول للتصدي للسُلْطَان أَحْمَد تَنْبَل عِنْدَ «أوراتيبا» ولم تسفر الحرب عن نتيجة. ثُمَّ انضم إليهما خاله الآخر السُلْطَان أَحْمَد خان، وخرجوا ثانية لمحاربة تَنْبَل عِنْدَ «أَنْدِجان» فأخذوا أوش و«أُوزْكَنْد» و«مَرْغينان» وأنديجان، وصارت كل المنطقة حول «أَنْدِجان» والقلاع والولايات تابعة لَهُم، لكن تَنْبَل أعاد عَلَيْهِم الكَرَّة ليلا، فانفض عن بَابُر رِجَاله وتفرقوا[٥].

رجع بَابُر إلى أوش، وقرر الخانان المُغُوليان أن يحتفظ السُلْطَان أَحْمَد خان لنفسه بالولايات التي فِي الطرف الجنوبي مِن نهر خجند، وعلى رأسها «أَنْدِجان» لتكون مستقرا له، ووعدا بَابُر بإعطائه الولايات التي فِي الطرف الشمالي مِن خجند، وعلى رأسها «أَخْسي». لكنهما بعد ذَلِكَ أخذا «سَمَرْقَنْد» أيضا ومعها كل الولايات التي وعداه بها، وكادت «فَرْغَانَه» كلها أن تكون للسُلْطَان أَحْمَد خان[٦].

(١) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٣ب.
(٢) انظر، بَابُرنامه ورقة ٩٤ب.
(٣) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠ب-١١أ.
(٤) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠١أ-ب.
(٥) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠٤أ-ب.
(٦) انظر، بَابُرنامه ورقة ١٠٧-١٠٨أ.

فِي ذَلِكَ الوقت، سعى أَحْمَد تَنْبَل للتحالفِ مع شَيْبَاق خان، وما أن علم الخانان بمجيئه حَتَّى لاذَ بالفرار ليجد بَابُر نفسه وحيدا يطارده رِجَال تَنْبَل ويسعون للقبض عَلَيْهِ. وعندئذ قرر بَابُر الخروج مِن «فَرْغَانَه» قاصدا «خُرَاسان»[1].

مختصر وقائع كَابُل:

تبدأ وقائعُ «كَابُل» فِي شهرِ المحرمِ مِن عام ٩١٠هـ / ١٥٠٢م، عِنْدَمَا غادر بَابُر ولاية «فَرْغَانَه» عاقدا العزمَ علَى الذهاب إلى «خُرَاسان». كان بَابُر يعاني فِي ذَلِكَ الوقت مِن الحاجة إلى المال والرِجَال، ويقاسي مِن شتات الحال، فكان عددُ مَن معه مِن الرِجَال كبيرهم وصغيرهم، يتراوح بين المائتين والثلاثمائة، تَحْدوهم الآمال الكبار. كان أكثرُهم مِن المشاة ؛ العصي فِي أيديهم، والنعال فِي أرجلَهُم، ولا يسْتُر أجسادهم سوى الوَبَر. وبلغ بهم العُسْرُ حَدَّه، فلم يَكُنْ بحوزتهم سوى خيمتين فقط.

اتجه بَابُر فِي البدايةِ إلى ولاية «حِصار» بتشجيع مِن أهلها، ورغبةَ المُغول فِي الانضمام إليه، مما جدد الأمل فِي نفسِه أن تصبح له ولاية. وهذا الموقف مِن المُغول شجع بَابُر إلى اتخاذ طريقه قاصدا «كَابُل»، وتمكن مِن أخذها بدون حرب أو قتال، فأخذ «كَابُل»، و«غَزْنَة» فِي أواخر شهر ربيع الأول سنة ٩١٠هـ./ ١٥٠٢م.

كان لدخول بَابُر «كَابُل» أثره فِي تدفقِ العَشَائِر التركية مِن «سَمَرْقَنْد»، و«قندز»، و«حِصار»- وهي المناطق التي سيطر عَلَيْهَا الأُزْبَك - إلى «كَابُل» حيث التَّيْمُورِيين، ونظرًا لضعف موارد ولاية «كَابُل» عن استيعاب الأعداد الكبيرة مِن الترك المهاجرين إليها، قرر بَابُر الخروج بجنده مِن الولاية، واستئناف حملاته، وبعد مشورة رِجَاله والعارفين بالطرقِ والدروب، استقر الرأيُ على التوجه ناحية «الهِنْد». بناء عَلَيْهِ غادر بَابُر «كَابُل» فِي شهرِ شعبان مِن العام نفسه قاصدا «الهِنْد». وهي أولى حملاته على «الهِنْد».

وسَلَكَ بَابُر دَرْب « بادام چَشْمَه » ، فوصلَ بعد مسيرةِ ستةِ منازِلٍ فِي اتجاهِ الشرقِ

---

(١) انظر، بَابُرنامه ورقة ١١٥أ-١٢٠أ.

مِن «كَابُل» إلى «آدينه پور»، مركز مقاطعة «نيكنهار» أكبر مُقاطَعات «لَمْغَان». عبر طريق وَعْرٍ وغير آمنٍ بسببِ قُطَّاع الطرق الأَفْغَان[1]. وهي أول المَناطِق التي قصدها. وكان فَتْحُ «الهِنْد» يعنى القضاء على سلطنة «دِهْلي» أكبر سلطنة فِي شمال «الهِنْد»، وكان هَذَا يتطلب إخضاع كل المناطق التي يسكنها الأَفْغَان فِي اقليم البنجاب على الطريق مِن «كَابُل» إلى «دِهْلي». وهُنَاكَ تعرَّضَ بَابُر لهجماتِ الأَفْغَان، وقد عانَى بَابُر معاناة شديدة عِنْدَ اجتيازِ جِبَال «بنكش»، وتعدَّدَت هجماتُ الأَفْغَان الذين تحصنوا بالجِبَال فِي تلك المناطق، فأعمل بَابُر فيهم القتل، وأقام المنائر برءوس القتلى. وعند سفح جِبَال جوباره اتجه صوب الغرب إلى دَشْت، ومنها إلى نهر كومل، ثُمَّ إلى الجنوب حَتَّى بيله مِن أعمال «مُلْتَان». ثُمَّ تقدم بمحازاة نهر السِّنْد نزولا إلى أسفل، ثُمَّ سيرا بمحازاة جبل مهتر سُلَيْمان، فوصل ولاية «دُكى». لَكِنَّهُ عِنْدَمَا انفصل عن نهر السِّنْد انقطع العشب والعلف، وبدأت أعداد الخيل التي معهم فِي التناقصِ مما أثر على قواته، واستمرت معاناته حَتَّى رجع إلى «غَزْنَة»، وواصل سيرة مِن «غَزْنَة» فوصل «كَابُل» فِي شهرِ ذى الحجة مِن السنة نفسها.

وعقب وفاة والدته السَيِّدة قُتْلُق نِكار خانم، قرَّرَ بَابُر التوجهِ فِي حملةٍ إلى «قَنْدَهار» الواقعة على طريق «خُراسان» «الهِنْد»، لكنّ زِلْزَالًا قَوِيًّا ضَرَبَ «كَابُل»، فتهدَّمت أسوارُها فِي مطلعِ عام ٩١١هـ، ١٥٠٣م، ولقيَ عددٌ مِن رِجَال بَابُر حتْفَهم تحت الأنقاض، فتَأَجَّلَت حملتُه على «قَنْدَهار» بسببِ الزلزالِ ومرضٍ أَلَمَّ به فِي تلك الأثناء.

قرر بَابُر بعد ذَلِكَ السَّيْر أولا إلى قلعة «قَلَات» فِي شرقِ «قَنْدَهار»، وأخذها مِن ذو النون أرغون أحد أمراء السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا، ثُمَّ اتجه جنوبا وأغار على الأَفْغَان قاطنى الجِبَال هُنَاكَ، ثُمَّ رجع إلى «كَابُل».

فِي هَذِهِ الأثناء، كان شَيْبَاق خان الأُزبكي يواصل هجماته على ولايات التَّيْمُورِيين فِي «ما وراء النَّهْر»، واستولى على خوارزم، فاستعان السُلْطَان حُسَيْن بَايْقرا بجميع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين

(١) بابر نامة ١٣٢أ.

للعمل معا على دفع هَذَا العدو الأزبكي. وكان شَيْبَاق خان قد تمكن مِن الاستيلاء على «أنْدِجان»، واتخذ طريقه للاستيلاء على قندز و«حِصار».

وقرر السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا التحرك ضد شَيْبَاق خان. لكنه توفى قُرْبَ «هَرَاة» فِي آواخرِ ذِى الحجة سنة ٩١١هـ /١٥٠٣م، وهو فِي الطريقِ لمحاربةِ شَيْبَاق خان، فتولى الحكم بعدَه ابناه بديع الزمان مِيرْزا، ومُظَفَّر مِيرْزا بالمشاركة فيما بينهما. ويقول بابُر "إن هذا أمرٌ غريب فلم نسمع مِن قبل قط عن شراكةٍ فِي المُلْك" (١).

ويُصَوِّرُ لنا بَابُر محاولاتِ الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين لدفع الأُزْبَك، فقد حاصر شَيْبَاق خان«بَلْخ» سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٤م، كما اتجه بعضُ رِجَاله لمهاجمةِ «بَدَخْشان»، وقد نجح ناصِر مِيرْزا فِي دَفْعِ الأُزْبَك آنذاك.

لم تُثْنِ وفاة السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا بَابُر عن مواصلةِ السَّيْر مع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين إلى «خُراسان» لمحاربةِ الأُزْبَك؛ لأنهم حَظُوا بشرفِ الانتسابِ إلى هَذهِ الأسرةِ التَّيْمُورِية، لذا قَرَّرُوا الاستمرار فِي السَّيْر إلى «خُراسان» (٢).

واجتمع الأُمَرَاء التَّيْمُورِيون علَى قلبِ رجلٍ واحدٍ للتصدي لشَيْبَاق خان، وقد استغرق تَجَمُّعِهم مِن مختلفِ الولاياتِ حوالي أربعة أشهر، كان حاكم قلعة«بَلْخ» أثناءها قد استَسْلَمَ لشَيْبَاق خان بعد طولِ الحصار، وسَلَّمَهُ القَلْعَة (٣).

اقترح الأُمَرَاء التَّيْمُورِيون أن يمضِي بَابُر الشتاء معهم فِي «هَرَاة» انتظارا للتحرك فِي الربيعِ ضد شَيْبَاق خان، لكنهم لم يعدُّوا له ما يرضيه مِن إقامة، فقرَّرَ العودة إلَى «كَابُل» فِي ديسمبر مِن عام ٩١٤هـ/١٥٠٦م فِي قوةِ الشتاء. ويصور لنا بَابُر معاناته ورِجَاله مِن قسوة البرد والشتاء فِي الطريقِ مِن «هَرَاة» إلى «كَابُل» بسبب تساقط الثلوج، ووعورة الطريق، فيقول:

---

(١) انظر بابر نامه ورقة ١٨٣أ.

(٢) بابر نامة ١٨٤ب.

(٣) بابر نامه ١٨٧ب.

وقد عانينا مشقة واضطرابا لا نظير له، وقلَّما عانينا مثل هَذهِ المشقة مِن قبل.... وحفرتُ فِي الثلج حفرة تكفيني بعمقٍ يصل إلى صدري. وصارت هَذهِ الحفرة ملجأ يأويني مِن الريح..... وآويتُ إلى الحفرةِ التي هيأتُها لنفسي فِي هَذهِ العاصفة الثلجية، واستمرت العاصفة إلى المغرب وأنا منكمش على نفسي والثلج يتراكم فوقَ ظهري ورأسي وأذني حَتَّى بلغَ أربعة أصابع. وفِي هَذهِ العاصفةِ الثلجية، تجمَّدتْ وتساقطَتْ أطرافُ الرِجَال. فمنهم مَن فقد ذراعة ومنهم مَن فقد ساقة أو أذنه[1].

تجَاوَزَ بَابُر هَذَا الطريق الوعر، وقبلَ أن يصل «كَابُل»، عَلِمَ أن المُغُول الذين فِي «كَابُل» حاصروها، وأعلنوا مِيرْزا خان سُلْطَانا على كَابُل، وأشاعوا أن بَابُر محبوسا فِي «هَرَاة» عِنْدَ بديع الزمان مِيرْزا ومظفر مِيرْزا ابني السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا[2].

لكن رِجَال بَابُر المخلصين له حصنوا القَلْعَة وحافظوا عَلَيْهَا، وتمكن بَابُر مِن استرداد «كَابُل» بعد أن هَرَبَ مِنْهَا أَرْبَاب هَذهِ الفتنة، ويسجِّلُ بَابُر فِي كتابةِ إحساسَهُ بالأسى مِن غدرِ ذوي القُرْبَى، فيقول: كم مِن مرةٍ عاندني زماني، وفَقَدْتُ مُلْكِي وعرشِي، وتجَرَّدتُ مِن جندِي ورِجَالي، ولجأتُ إليهم. كما ذهبتْ إليهم أمي أيضا. لكن لم نَرَ منهم أبدا أية رعايةٍ أو شفقة، ثُمَّ يَعْرِضُ ما أبداه مِن حَسَنِ المعاملةِ تجاه كل مَن لجأ له مِن الأسرة التَّيْمُورِية مِن منطلق تسجيل الحقائق ليس إلا[3].

ثُمَّ يُسَجِّلُ بَابُر الأَيَّامَ الأخيرة مِن عُمَرِ الدولةِ التَّيْمُورِية فِي «ما وراء النَّهْر»؛ إذ استطاع شَيْبَاق خان فِي عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٥مـ أن يستولي على «هَرَاة» بعد أن عَجَزَ أبناء السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا عن تحصينها والدفاع عنها، فاستولى عَلَيْهَا شَيْبَاق خان، ووقعت نساءُ الأسرةِ التَّيْمُورِية وذراريهم فِي قبضةِ شَيْبَاقخان، وقد أساءَ معاملتهم ومعاملة كل أهلِ هَرَاة، ونكاية فِي

---

(١) بابر نامه ١٩٤أ.
(٢) بابر نامة ١٩٧أ.
(٣) بابر نامه ٢٠٠ب.

الأسرةِ التَّيْمُورِية تزوَّجَ مِن البيجوم خانزادة زوجة مظفر مِيرْزا قبل أن تُكْمِلَ عِدَّتَها[١].

وواصَلَ الأُزْبَكْ تقدمهم، فاستولوا على «مَشْهَد»، وقتلوا أبناءَ السُّلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا، واستنجد مَن بَقيَ منهم ببَابُر، لكنهم رغم ذَلِكَ لم يُحْسِنُوا التعاون معه، ولم يتحركوا لملاقاتِه والتنسيقِ معه عما ينبغى عمله، وكان ردهم جافا خشنا، منكرين ما كتبوه مِن رسائل واستدعائهم لنا. فَذَهَبَت ريحهم، وخُسْروا أوطانهم وما حققوه مِن مكاسب فِي ثلاثين أو أربعين سنة[٢].

اتجه بَابُر بعد ذَلِكَ إلى محاربةِ شاه شجاع، وتحرَّكَ نحوه فِي تنظيمٍ دقيقٍ يدل على عقليتِهِ العَسْكَرية، واستطاع أن يهزمه عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٦م، وواصلَ طريقه إلى «قَنْدَهار» فَدَخَلَها وغَنِمَ مِنْها غنائم كَثِيرَة وأموالا تفوق الحصر، حَتَّى إنه قسم الأموال بالميزان، وأعطى كل واحد مِن الأُمَرَاء حِمْلًا مِن النقود الفضية، وكل واحد من الخدم ملء وعاء مِنْها، فحملوها على ركائبهم.

ورجع إلى «كَابُل» بغنيمـةٍ وفيرةٍ وشرفٍ رفيع[٣]، وسرعان ما توَجَّه شَيْبَاق خان لمحاصرة «قَنْدَهار» بعد مغادرة بَابُر لها وفِيها ناصِر مِيرْزا ، الذي عَجَزَ عن الدفاع عنها فتركها، وفِي الوقتِ نفسه تَرَكَ عبد الرزاق مِيرْزا «قَلَات»، وعندئذٍ قرّرَ بَابُر التوجه مرة أخرى إلى «الهِنْد»، فِي جمادى الأول ٩١٣هـ = سبتمبر ١٥٠٧م. وفِي هَذهِ الفترة اتخذ بَابُر لنفسه لقب بادشاه، أي: السُلْطَان بدلا مِن لقب مِيرْزا الذي كان يُلَقَّب به الحكام التَّيْمُورِيين حَتَّى ذَلِكَ الوقت[٤].

ثُمَّ تنقطع الأحداث بعد عام ٩١٤هـ حَتَّى عام ٩٢٥هـ، فيذكر حروبة المستمرة مع الأَفْغَان إخضاعهم بالقوة تارة، ولجوء بعضهم إليه طواعية تارة أخرى، وبدأ بَابُر فِي فتح مناطق الأَفْغَان شرق «الهِنْد» منطقة تلو أخر.

وقد استعرض بَابُر جانبا مِن تاريخ «الهِنْد» العام، وحكم التَّيْمُورِيون لها، وكانت لديه

(١) بابر نامه ٢٠٦ب.

(٢) بابر نامه ٢٠٨أ.

(٣) بابر نامه ٢١١ب.

(٤) بابر نامه ٢١٥أ.

الرغبة فِي استردادِ جميع الولايات التي كانت للأتراك فِي «الهِنْد». ففتح «بَجُور» و«سواد»، و«بهرة»، وأنعم على الأَفْغَان فِي المَنَاطِق التي فتحها بالعطايا الكَثِيرَة مِن الذهب والفضة. ثُمَّ اتجه إلى «الهِنْد» للمرة الثالثة، وسلك دَرْب «خَيْبَر» مِن جِبَال هندكوش، وهو المدخل الطبيعي لشمال «الهِنْد». وتنتهي وقائع «كَابُل» فِي عام ٩٢٦هـ-١٥٢٠م.

ويتخلل هَذِهِ الوقائع وصفٌ دقيقٌ لثلاثِ مدنٍ مِن أكبرِ مدنِ «خُراسان»، وهي «كَابُل»، و«غَزْنَة»، و«هَرَاة»، وصفا جغرافيا وطبيعيا وحضاريا، خاصة مدينة «هَرَاة» التي بَلَغَت أوْجَها فِي زمنِ السُلْطَان حُسَيْن بَايْقَرا، وكانت تعج بالأدباء والفنانين، كما تناول جانبا مِن تقاليد التَّيْمُورِيين وعاداتهم ومجالسهم، ويتضح فِي هَذَا الجزء أيضا جانبا مِن نظرة بَابُر إلى أصحاب العقائد الأخرى، واحترامه لعقائد أهل «الهِنْد»، لا يفوته أن يدلي برأيه فِي شخصياتٍ لها مكانتها وأهميتها، مثل: السُلْطَان حُسَيْنبَايْقَرا، ومير عَلِيشِير نوائي أشهر أدباء الأدب الجغتائي فِي القرنِ السادسِ عشر، ويفسر أَسْبَاب زوال الأسرة التَّيْمُورِية، وأهمها النزاعات التي دارت بين الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين فِي الوقتِ الذي يَتَرَبَّص بهم عدوٌ مشترك وهو شَيْبَاق خان الأُزبكي.

مُخْتَصَرُ وَقَائِع الهِنْد:

وتبدأ وَقَائِعُ «الهِنْد» عام ٩٣٢هـ - ١٥٢٥،١٥٢٦م بعد انقطاع الأحداث ست سنوات، وهي المرة الخامسة التي اتجه فيها بَابُر لفتح «الهِنْد»، مُنْذُ أخذ ولاية «كَابُل» فِي سنة ٩١٠هـ ومنذ ذَلِكَ الزمان كان يتمنى الاستحواذ على مملكة «الهِنْد» حسبما يراها بَابُر وكانت مِن «بهْرَه» إلى «بهَار» تحت تصرف الأَفْغَان، وسُلْطَانها هو السُلْطَان ابراهيم (اللودي)، لكن لم يتيسر له هَذَا... وفي النهاية، زالت كل الموانع. ومنذ ذَلِكَ التاريخ وحَتَّى سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م، أرسلَ الجُنْد إلى «الهِنْد» أربع مرات، كان فِي كلِّ مرةٍ يفتح بعض مناطقها حَتَّى أمكنهُ فِي المرةِ الخامسةِ بعد أن استَنْجَدَ به فريقٌ مِن أمرائها ليُخلِّصَهُم مِن استبداد ابراهيم اللودي حاكم دلهي، فانتهز الفرصة لتحقيقِ آماله العريضةِ فِي إقامةِ دولةٍ كبيرةٍ له فِي «الهِنْد»، خاصة بعد أن ثَبَّتَ الأُزبَك أقدامهم ببلادِ «ما وراء النَّهْر» مِن جديد، واستولى الصفويون على

«خُراسان» كلها، ولم تَعُد له من فُرصة سوى أن يقيم دولةً فِي «الهِنْد» .

التزم بَابُر فِي مسارِهِ نهر السِّنْد، وقد بدأ بالهجومِ على «بَجُور» والسيطرةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ التوجهِ إلى «بهْرَه».

فِي ذَلِكَ الوقت، كان النِزاعُ دائرا بين أمراء «الهِنْد»، وتحالفوا مع بعضهم ضد ابراهيم اللودي سُلْطَان «دِهْلي»، فجاء إسماعيل الجلواني(١) وبعض الأُمَرَاء الآخرين، وانضموا إلى عالِم خان اللودي، وتحركوا قاصدين «دِهْلي». وعندما وصلوا اندري(٢)، انضم سُلَيْمان شيخزاده أيضًا وبلغ عددهم ثلاثون أو أربعون ألفا وحاصروا «دِهْلي»(٣).

لم ينجح هؤلاء الأُمَرَاء فِي دخولِ «دِهْلي»، وهَرَبَوا مِن أمام السُلْطَان ابراهيم اللودي، ولجأ عالمخان اللودي، ودولتخان اللودي، وعدد مِن أمراء «الهِنْد» إلى بَابُر.

تحرك بَابُر بعد ذَلِكَ إلى ملوت حيث ولاية غازي خان اللودي، حاصر قلعتها، ودخلها يوم السبت ٢٢ ربيع الأول سنة ٩٣٢هـ، ودخل مكتبة غازيخان، وأرسل مَن يبحث عنه بعد فراره، ثُمَّ استأنف طريقه لمحاربة السُلْطَان ابراهيم اللودي. وقباله «سهرند»، جاءهم سفير مِن السُلْطَان ابراهيم اللودي، وطلب إرسال سفير أو اثنين مِن ناحية بَابُر للتفاهم معهم، لَكِنَّهُ غدر بهما وأمر بسجنهما، فتيقن بَابُر مِن غدره وواصل تقدمه ناحية «دِهْلي». وعند ضَفَّة« نهر بنور وسنور» علم بَابُر بتحرك السُلْطَان ابراهيم وتقدمه مِن «دِهْلي»، وأن "حميد خان خاصة خيل" صاحب «قلعة فيروزة» ،خرج مع جُنُود القَلْعَة وصار على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا مِنْها.

تَقَدَّمَ بَابُر حَتَّى وصلَ إلى «انبالة» فِي شمالِ « پَانِيپَت»، حيث ستدور المَعْرَكَة الفاصلة بينه وبين السُلْطَان ابراهيم اللودهي. وواصل بَابُر تقدمه بجيشه فوصل إلى« پَانِيپَت» فِي يومِ

---

(١) أحد أمراء الهِنْد.

(٢) قرية بناحية كرنال فِي البنجاب.

(٣) بابر نامه ٢٥٦ب.

الخميس وهو اليوم الأخير مِن شهر جمادى الآخر سنة ٩٣٢هـ.

كان جيش بَابُر يتحركُ وفق تنظيم دقيق مكون مِن مَيْمَنَة ومَيْسَرَة وقلبٍ ومُقَدِّمَة ومؤخرة، ومزوّد بأسلحة حديثة مِن البنادق والمدافع والمدافع المحمولة على عربات، فِي حين اعتمد ابراهيم اللودي على كثرةِ رِجَالِهِ وقوة أفيالِهِ.

كان جملة مَن مع بَابُر مِن الخدم والتجار والعبيد ما يناهز اثنى عشر ألفا. أما السُلْطَان ابراهيم اللودي، فكان معه مِن الجُنْد مائه ألف. ويقال: إنه كان يحوز وأمراؤه ألف فيل[(١)].

أقام بَابُر فِي «پَانِيپَت» سبعة أَيَّام أو ثمانية قبل أن تدور المَعْرَكَة الحاسمة، ودارت معركة هائلة انتهت بانتصار بَابُر، وقُتل فيها مِن اللوديين حوالي أربعين ألفا أو خمسون ألفا، كما قُتل فيها أيضا السُلْطَان ابراهيم اللودي عقب ذَلِكَ، قُرأت الخطبة فِي «دِهْلي» باسم بَابُر. ثُمَّ توجه بَابُر بعد ذَلِكَ مباشرة قاصدا «أَكْرا» وكان ابنه همايون قد سبقه إليها، فدخلها. وعقب هَذَا الفتح قدم أهل الراجابكرماجيت حاكم «كواليار» ، عددا مِن الجواهر والأحجار الكريمة هدية إلى هُمايون. ومن بينها الماسة المشهورة [كوهِ نور]. وكانت مشهورة جدًّا وقدر أحد الخبراء قيمتها: أنها تساوي نفقات العالم كله لمدة يومين ونصف. والأغلب أنها تزن ثمانية مثاقيل. وقد أهداها هُمايون إلى بَابُر عِنْدَ مجيئيه إلى أَكْرا. فوهبها له بدوره[(٢)].

وقد أنعم بَابُر على أم السُلْطَان ابراهيم وقدامى موظفيه، فأعطاها مقاطعة ريعها سبعمائة ألف، وأخرجها إلى حيث تقيم على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «أَكْرا»، كما أعطي لِكُلِّ واحد مِن الأُمَرَاء الآخرين مقاطعة.

ودخل بَابُر «أَكْرا» فِي وقت العصر مِن يوم الخميس الثامن والعشرين مِن شهر رجب سنة ٩٣٢هـ- ١٥٢٦م، ونزل بقصر السُلْطَان ابراهيم[(٣)].

---

(١) بابر نامه ٢٥٧أ.
(٢) بابر نامه ٢٦٨ب.
(٣) بابر نامه ٢٦٩أ.

بعد فتح «دِهْلي» و«أَكْرا» استأنف بَابُر فتح بعض المناطق الأخرى العاصية مِن شمال «الهِنْد». وبعد ذَلِكَ شرع ورِجَاله فِي تنظيم الحدائق، وحفر الآبار للمياه، وغرس أنواع الزهور والنباتات والأشجار فِي حدائق «الهِنْد»، وزرع فيها مِن الفواكه والأشجار ما لم تعرفه «الهِنْد» مِن قبل.

وفِي الوقت الذي انشغل بَابُر بتنظيم أموره، تحالَفَ الأُمَرَاءُ الأَفْغَان مع الأُمَرَاءِ الهِنْدوس، وعلى رأسهم راناسَنْكَا أكبر أمراء الهنادكة سَيِّد الراجيوتانا، لطرد بَابُر وقواته، واقتضى الأمر تحركًا سريعًا لضرب هَذَا التحالف قبل استفحاله، وما كاد بَابُر يستعد لذَلِكَ حَتَّى فوجئ بسريان روح التذمر بين جُنُوده، وتسرب الملل إلى نفوسهم، وبدءوا يطالبون بالعودة إلى بلادهم، وشعر بَابُر أن آماله ستتبدد، وأن طموحه العظيم سيصبح سرابًا إن وافقهم؛ فبذل معهم محاولات جادة ليُثنيهم عن عزمهم، وبث فيهم روح الجهاد والآمال العظيمة حَتَّى أفلح فِي استمالتهم ثانية.

وما كاد يتم له ذَلِكَ حَتَّى أرسلَ ابنه همايون إلى المَنَاطِق الشرقيةِ فِي أربعين ألفا مِن الجُنْد، فاستولوا على «قَنوج»، واتجهوا إلى«أكرا» فاستولوا عَلَيْهَا، وتوغلوا حَتَّى شارفوا على حدود البنغال، وبينما قوات هُمايون تحقق تلك الانتصارات، كان خطر الأُمَرَاء الهنادكة لا يزال قائمًا، فأرسل بَابُر إلى ابنه يستدعيه على عَجَل لمواجهة التحالف الذي قام بين الهنادكة وأمراء الأَفْغَان تحت زعامة راناسَنْكَا، وتجمع فِي هَذَا التحالف نحو مائة وعشرين ألفًا مِن الجُنْد ومئات الأفيال . والتقى الفريقان فِي معركةٍ هائلةٍ استعملَ بَابُر البنادق والمدفعية، فانفرطَ عقد الهِنْدوس وَوَلُّوا الأدبار، ولم يكتفِ بَابُر بهذا النصر، فخرج بقواته لمطاردة متمردي الأَفْغَان حَتَّى حدود البنغال، وبذَلِكَ خضعت له «الهِنْد»، وأقام دولته فيها.

وقد عُرِف ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر وأبناؤه مِن بعده بالتسامح مع أصحاب العقائد الأخرى بالهِنْد، فمارس الهِنْدوس طقوسهم الدينية فِي حرية ودون تضييق، وكان سمحًا مع رِجَاله الذين تخلوا عنه، فعفا عنهم حين وفدوا عَلَيْهِ فِي «الهِنْد».

ويصف بَابُر «الهِنْد» وصفا دقيقا يشمل حدودها وجغرافيتها، وما تختص به مِن طيور وحيوانات ونباتات وطبائع أهلها، والمناخ والأنهار وما تختص به «الهِنْد» مِن مزايا.

وللهند حضارتها العريقة، وثرواتها الهائلة، وتمثل هَذَا فيما تعامل به أهل الهِنْد مِن طريقة حساب الوقت والموازين والأعداد.

فالهنـودُ يقسمون الليل والنهار إلى ستين [جزء]، يسمون الواحد مِنْها كري، ويساوى اثنين وعشرين دقيقة، ويقسمون الليل إلى أربعِ فترات، والنهار إلى أربعِ فترات أخرى، يسمون الواحدة مِنْها «بَهْرَه»، وتساوي ثلاث ساعات.

وقد قسموا كل جزء إلى ستين جزيئ. وسموا كل واحد مِنْهُ بل. فالليلة واليوم ثلاثة آلاف وستمائة جزيئ.

كما ثبت الهنود الموازين، فقالوا إن: الماشة تساوي ثمانية رتي، والأربع ماشة تساوي تانك، أي: اثنين وثلاثين رتي.

والخمس ماشة تساوي مثقال، أي أربعين رتي.

واثنتا عشرة ماشة تساوي توله، أي: ست وتسعين رتي.

وأربع عشرة توله تساوي سير.

وسير تساوي باتمان[1].

واثنتا عشرباتمان تساوي ماني.

ومائه ماني تساوي منياسه.

ويزنون الجواهر واللؤلؤ بالتانك.

كما أن الهنود ثبتوا الأعداد على النحو التَّالِي:

المائة ألف [أسمها] لك=١٠٠,٠٠٠= مائة ألف

والمائة لك كرور=١٠,٠٠٠,٠٠٠=عشرة ملايين

---

(١) تساوي مناً، وهو وحدة موازين قديمة تختلف مِن مكان إلى لآخر.

المائة كرور ارب =١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مليار

والمائة ارب كرب =١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مائة مليار

والمائة كرب نيل=١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= عشرة آلاف مليار

والمائة نيل پدم =١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مليون مليار

والمائة پدم سانك =١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠= مائة مليون مليار

وهذه الأعداد الهائلة هي دليل على عِظَم أموال «الهِنْد» وثرواتها.

قام بَابُر بعد فتح «الهِنْد» بتوزيع والعطايا والهبات والنذور مِن خزائنها، ونتبين مِن ضخامة الأرقام والأموال التي قدمها مدى ما كانت تتمتع به «الهِنْد» مِن ثروات هائلة، فبعد أن أجزل العطاء لابنه همايون قالَ: (وأعطينا بعض الأُمَرَاء عشر مائة ألف، وللبعض الآخر ثمانمائة ألف أو سبعمائة ألفَ أو ستمائة ألف، كما أنعمنا على كل المَوْجُودِينَ فِي الجَيْش؛ مِن الأَفْغَان، والهزاره، والعرب، والبلوج، وعلى كل جماعة بقدر مِن الأموال يتناسب مع حالها. وقد حصل كل تاجر وكل طالب عِلمٍ، بل وكل امرئ رافق الجَيْش بالحظ الوافر والنصيب الكامل مِن الإنعام والعطايا، كما أرْسَلْنَا إلى غير المشتركين فِي الجَيْش، وإلى كل الأقارب الشيء الكثير مِن الذهب والفضة والقماش والجواهر والعبيد. وأرْسَلْنا هدايا كَثِيرَة إلى أمراء تلك النواحي وإلى الفُرْسَان، وأرْسَلْنا هدايا إلى الأقارب فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، و«كاشْغَر»، والعراق. كما أرْسَلْنا النذور إلى المشايخ فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، والنذور إلى مكة، والمدينة المنورة.

***

الهِنْد[1]

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة واثنتين وثلاثين[2]

فِي يَومِ الجمعةِ غرة شهر صفر سنة ٩٣٢هـ، وقد دَخلَت الشمس برج القَوْس، تحركتُ قاصدا «الهِنْد». فاجتزنا ربوة «يك لنكه»، ثُمَّ نزلنا بالوادي فِي الجانِبِ الغربي مِن «نهر دِه يعقوب»[3]. وهُنَاكَ جاء عبد الملوك القورچي الذي ذهب قبل سبعة شهور أو ثمانية سفيرًا إلى السُلْطَان سعيد خان [فِي كاشْغَر]، ومعه أحد رِجَال الخان ويدعي يانكي بِك، ورسائل وهدايا مِن الخان وزوجاته.

وتوقفنا يومين فِي هَذَا المنزل للاستعدادات العَسْكَرية، ثُمَّ تَحَرَّكْنا. وبعد منزلٍ واحد، نزلنا بادام چَشْمه، وتوقفنا ليلة واحدة. وقد أكلنا المعجون فِي هَذَا المنزل.

وفِي يَومِ الأربعاء، نزلنا «باريك آب»، وهُنَاكَ جاء أحد إخوة نور بِك الصغار مِن «الهِنْد» ومعه ما يعادل عشرين ألف شاهرُخي مِن الذهب والأشرفي والتَنْكَة[4]، أرسلها الخوجه حُسَيْن مِن أملاكنا الخاصة فِي «لاهور»، فأرْسَلْنا أكثرها إلى المُلَّا أَحْمَد أحد أعيان «بَلْخ» لإنجاز مصالحها.(٢٥٢أ).

وفِي يَومِ الجمعةِ الثامنِ مِن الشهر نفسه، نزلنا «كندمك»، وهُنَاكَ أصابتني نزلةُ بردٍ شديدة. والحمد لله فقد مَرَّت بسلام.

---

(١) التزمت الترجمتان التركية والانكليزية بلفظ الهِنْدستان ذلك لأن لفظ الهِنْدستان كان يطلق على الشمال والشمال الغربي من شبه القارة الهِنْدية وهى المنطقة التي فتحها بابر وأقام فيها دولته، وهي نفس التسمية التي التزم بها بابر، واستخدمها الدكتور أَحْمَد الساداتي فِي رسالته للدكتوراه المشار إليها سلفا. وكان العرب يستخدمون لفظ الهِنْد كلها، وكانت حدودها آنذاك تشمل الهِنْد وباكستان وبنجالاديش. وقد فضلنا استخدام لفظ الهِنْد لأنها الأقرب للقارئ العربي.

(٢) يقابل الفترة من أكتوبر ١٥٢٥ إلى أكتوبر ١٥٢٦م.

(٣) فرع من نهر لوهركر الذى يصب فِي نهر باران، فِي جنوب شرق كابُل.

(٤) عملة صغيرة من الفضة.

وفِي يَومِ السبت، نزلنا « باغِ وفا». وتوقفنا بها بضعة أيَّام بسبب [انتظار] هُمايون مِيرْزا وجُنُود هَذِهِ الناحية. وقد تكرر فِي هَذَا التاريخ ذِكر «باغِ وفا» وحدودها وصفائها وطيب [هوائها]. فهي حَدِيقَة رائعة الجمال. وكل مَن يمعن النظر إليها ويتأملها يدرك جمالها. وفِي تلك الأَيَّام المعدودة التي قطعناها هُنَاكَ، أفرطنا فِي الشراب، فإن لم نشرب يوما أَقَمْنَا مجلسالتعاطي المعجون. ومن هُنَاكَ، أرسلتُ رسائل قاسية وشديدة اللهجة إلى هُمايون بسببتأخره عن الموعد.

وفِي يَومِ الأحد السابع عشر مِن شهر صفر، تناولنا الصبوحي [للإفاقة] وجاء هُمايون. وقد عنفته لطول غيابه. كما جاء فِي اليومِ ذاته الخوجه كلان مِن «غَزْنَة».

وفِي مساءِ الاثنين، تَحَرَّكْنَا فوصلنا « يانكي باغ » ومكانها بين «سُلْطَانپور» [1]، و«خوجه رستم» [2]، وغادرناها يوم الأربعاء، فركبْنا الطَوْف [3]، و شربنا حَتَّى وصلنا «قوش كنبد»، فبَرِحنا الطَوْف وتوجهنا إلى مقر الجَيْش.

وفِي اليَومِ التَّالِي، أَصْدَرْنَا الأمر للجيش بالتحرك، بَيْنَمَا ركبنا نَحْنُ الطَوْف وأكلنا المعجون. وأينما نرسوا [نجد أننا مازلنا] فِي «قِيريق أريق» [4]. فلما وصلنا ظاهر «قيريق أريق» لم نعثر على أثر لجيش (٢٥٢ب) أو لخيلٍ. ولأننا على مقربة من «كرم چَشْمه» [5]، فكرتُ أن الجَيْش [ربما يكون قد] حطَّ هُنَاكَ، فواصلنا الإبحار إليها.

وبلغنا «كرم چَشْمه» فِي وقتٍ متأخر، ولهذا السبب فضلا عن إرهاقنا، فقد رسونا بالطَوْف وغفونا قليلا. ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مع الفجر إلى يده پير. وبدأ الجَيْش فِي الوصولِ مع الصباح الباكر. وكان جيش [العدو] قد نزل فِي نواحي «قيريق أريق». لكننا لم نلحظه.

---

(١) مدينة على الطريق بين دهلى ولاهور.

(٢) مكان على مَسَافَة ثلاثة أميال غرب جلال آباد.

(٣) الطَوْف: خشب يشدُّ ويركب عليه فِي البحر، والجمع أَطْوَاف، لسان العرب، حرف الطاء.

(٤) فِي كَابُل وتقع بين جوى شاهى وكرم چَشْمَه.

(٥) رسمها فِي الأصل كرم چشمه وهو اسم موضع فِي كَابُل بين دَرْب خيبر وقوش كنبد.

كان على ظهر الطَوْف كثير مِن أَرْبَاب الشعر مثل الشَّيْخ ابو الوجد، والشَّيْخ زين، والمُلَّا على خان، وتردي بِك خاكسار وغيرهم، وأثناء الصُحْبَة ذكرتُ هَذَا البيت لمُحَمَّد صالح:

ماذا يفعل الإنسان لمحبوبه ذى الدلال،

فأينما يجده، لا حاجة به لسواه.

وقلتُ هيا انظموا على منواله. وبدأ الشعراء منهم فِي النظم. وحدثت مداعبات كَثِيرَة مع المُلَّا على خان إذ سرعان ما جادت قريحَتَّى بالبديهة بهذا البيت مِن قبيل الهزل:

ماذا يفعل الإنسان فِي مجنون مثلك مخمور

وماذا يفعل ومولود أنثي الحمار، ثور

وكنتُ حَتَّى ذَلِكَ الحين، ومِن باب المداعبة، أنظم بعض ما يرد على خاطري حسنا كان أو غثا، جَدا كان أو هزلا، وأُردده حَتَّى وإن كان فِي بعضِ الأحيان فجا، ولا ذوق فيه. وكنت فشي ذَلِكَ الوقت أُحَول [كتاب] المبين[1] إلى نظم. أتذكر هَذَا بفتور.(٢٥٣أ) فيملأ الحزن قلبي، وأشعر بالأسف أن جَرَت مثل هَذِهِ الألفاظ القبيحة على لساني، وجادت قريحَتَى بها، وآسى على القلب الذي استحضر مثل هَذِهِ المعاني وقبيح الألفاظ. ومنذ ذَلِكَ الحين، امتنعتُ عن نظم الشعر فِي الهجاءِ والهزل. وأعلنتُ التوبة عنه. ولهذا، لا أتذكر مطلقًا متى قلتُ هَذَا البيت، ولم تخطر مثل هَذِهِ المعاني على خاطري بعد ذَلِكَ أبدا.

مرض بَابُر:

بَعْدَ يَومْ أو اثنين، نزلنا «بكرام»[2]، وهُنَاكَ أصابتني نزلة وحمى، ثُمَّ تحولت النزلة إلى كحة. فكنتُ أبصق دمًا مع كل كحة، ولم تذهب عنى الحمى أبدًا. وفهمتُ سببها وسبب هَذَا الاضطراب.

---

(١) كتاب فى الفقه.

(٢) مكان فِي بيشاور.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [1].

أيها اللسان ماذا أفعل بِك

جوفِي يدمي بسببك.

ومها جُدت بشِعر هزل

فإما فحش وإما كذب.

ولو رمت ألا تحترق بهذا الذنب

فالوى عنانك عن هَذَا الدَرْب.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [2].

فصرفتُ قلبي مرة أخرى عن مثل هَذهِ الأفكار الباطلة، وهذا الهذر غير اللائق، مستغفرا ومنيبا، وكسرتُ قلمي. إن مثل هَذَا التنبيه [الإلهي] للعصاة مِن عباده لهو الظَّفر، وهو السعادة لِكُلِّ ذي بصيرة.

تحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ [3]، ونزلنا عَلِي مَسْجِد [4]. وبسبب ضيق هَذَا المنزل (٢٥٣ب) كنتُ أنزل دوما فوق ربوة مُشرِفة على الوادي الذي ينزل به الجُنْد. وكان المنظر [مِنْ فَوْقِ الربوة] يبدو فِي المساءِ بديعًا مِن أثر النيران التي يوقدها الجُنْد. ولهذا كنا نشربُ بالضرورة كلما نزلنا بهذا المكان، وهو ما فعلتُه هَذهِ المرة أيضًا، فقد شربتُ الخمر. وقبيل الصباح، أكلتُ المعجون ثُمَّ تحَرَّكْنا، فوصلنا ظاهر «بكرام». وفي ذَلِكَ اليوم نويتُ الصيام.

---

(١) الآية ١٠ الفتح.

(٢) الآية ٢٣ الأعراف.

(٣) يقصد من بكرام.

(٤) اسم موضع على طريق خيبر.

فِي اليومِ التَّالِي، لبثنا فِي ذَلِكَ المنزل، واصطدنا الكَرْكَدَنْ[1]. ثُمَّ جاوزنا نهر سياه آب قُبَالَة «بكرام»، وأقمنا حلقة مُشْرِفة على أسفل النَّهْر.

وبعد مدة، جاء رجل وأبلغنا أن أدغال «الهِنْد» الصغيرة التي يدخلها الكَرْكَدَنْ قريبة مِن «بكرام»، ويمكن محاصرتها. فأسرعنا مِن فورنا إلى هُنَاكَ، وضربنا على الدغل حلقة. وأحدثنا جلبة، فخرج الكَرْكَدَنْ مِن الدغل، وهَرَبَ فِي اتجاهِ السهل. ولم يَكُنْ هُمايون ولا أحد ممن جاءوا معه مِن تلك الناحية، قد رأى الكَرْكَدَنْ مِن قبل، فاحتشدوا للفرجة. وتعقبنا قطيعا مِن الكَرْكَدَنْ بوابل مِن السهام، فانفضت كلها بدون أن تؤذي خيلا أو رجلا. فالكَرْكَدَنْ لا يهاجم الإنسان أو الخيل قط.كما اصطدنا اثنين مِنْهُ. ودائما يجول بخاطري تساؤل ماذا لو تقابل فيل وكَرْكَدَنْ ؟!. هَذهِ المرة، كان أصحاب الفيلة يأتون بها فيخرج الكَرْكَدَنْ (٢٥٤أ) أمامهم، وما أن يتقدموا بالأفيال حَتَّى يفر الكَرْكَدَنْ إلى الناحية الأخرى.

أثناء وجودنا فِي «بكرام»، قسَّمنا بعض السادة والخَوَاص والكُتَّاب والموظفين إلى ست فِرق أو سبع، ليسجلوا أسماء كل الجُنْد واحدًا واحدًا، ويحصوا عددهم على السفن عِنْدَ عبور [نهر] «نيلاب».

أصابتني النزلة فِي المساء، وعادوتني الحُمَّى. وانقلبَت النزلةُ إلى كُحَّة. وكنتُ مع كلِّ كُحَّة أبصق دمًا، وكانت وعكة قاسية. بَرِءتُ مِنْها بعد يومين أو ثلاثة.

غادرنا «بكرام» والمطر لا ينقطع، ثُمَّ نزلنا بضَّفَّة نهر «كَابُل». و[هُنَاكَ] جاء خبر مِن «الهِنْد» أن دولت خان [أمير البنجاب] و[ابنه] غازي خان جمعا عشرين أو ثلاثين ألف جندي، وأخذوا«كَلانور»[2]، وإنهم فِي طريقهم إلى «لاهور». فأرْسَلْنا مؤمن علي التواچي

(١) وحيد القرن أو الخرتيت. وعبارة واصطدنا الكركدن غير موجودة فِي الترجمة الإنكليزية بهذا الشكل وعلقت بان كلمة كرك اوى الجغتائية هى اسم مكان فِي مقاطعة ديالپور.

(٢) موضع بين بيلس وراو فِي البنجاب.

ليذهب على وجه السرعة ويبلغ المَوْجُودِينَ هُنَاكَ[1]: إننا فِي الطريقِ إليكم، فلا تقاتلوهم حَتَّى ندرككم.

فِي الطريق إلى لاهور[2]:

بعد منزلين نزلنا بضّفَّة السِّنْد يوم الخميس الثامن والعشرين مِن الشهر[3]. وفِي يَومِ السبتِ غُرَّةِ شهرِ ربيع الأول، جاوزنا «نهر السِّنْد»، فبلغنا ضّفَّة نهر «كچه كوت». و[هُنَاكَ] عرض الأُمَرَاء والموظفون عدد الجُنْد الذين على ظهر السفن واشتركوا فِي الحملة، وسجلوا أسماءكبيرهم وصغيرهم، والصالح منهم والطالح، والعامل منهم والعاطل، (٢٥٤ب) فبلغوا اثنتى عشر ألف رجل.

وكانت الأمطارُ المَوْسِمِيَّة هَذهِ السنة شحيحة فِي هَذَا المكان، أما فِي الولاياتِ الواقعةِ عِنْدَ سفحِ الجبل، فكانت الأمطار جيدة. فتحركنا مِن سفح الجبل عن طريق «سيال كوت»[4] لتأمين الميرة. فلما وصلنا قُبَالَة ولايات هاتي ككر، كانت مياه غزيرة قد تجمعت مِن أماكن متفرقة [فكونت] جدولا صغيرا تجمد ماؤه. ولم يَكُنْ الثلج سميكا جدا. ومثل هَذَا الثلج غريب فِي «الهِنْد»، ولم نشاهده سوي فِي هَذَا المكان. وخلال سنواتنا فِي «الهِنْد»، لم نر أي أثر أو علامة للثلج والبرد.

سرنا خمسة منازلٍ مِن السِّنْد، وفِي المنزل السادس، وصلنا مجري النَّهْر حيث موطن البكيال[5] عِنْدَ «جبلِ بال نات جوكي» المجاور لجبل جود[6].

---

(١) يقصد الموجودين فِي لاهور.

(٢) تقع فِي شرقِ اقليمِ البنجاب وكانت من الهِنْد آنذاك، وهى الآن ضمن باكستان على حدود الهِنْد الحالية.

(٣) شهر صفر سنة ٩٣٢.

(٤) فِي البنجاب.

(٥) أحد بطون قبيلة ككر.

(٦) جبل فِي شمال بهره.

وفِي اليومِ التَّالِي، لبثنا فِي مكانِنا هَذَا للتزود بالأقوات. وفِي ذَلِكَ اليوم شربتُ العرقي[١] وأفاض المُلَّا مُحَمَّد برغري فِي حكاياته، ولم يحدث [مِن قبل] أن أفاض فِي الكلام. أما المُلَّا شمس فكان معروفا مِن قديم بدعاباته، فإذا بدأ لا ينتهي مِنْها حَتَّى المساء.

خرج الجُنْد والخدم وسائرُ الرِجَال بِقَدِّهِم وقَدِيدِهم لجلبِ الميرة، والبحث عن المزيد مِنْها، فانتشروا [هنا وهُنَاكَ] وتوغلوا بغير اكتراثٍ فِي الأحراشِ والجِبَال والمَنَاطِق الوعرة والمسالكِ غير الممهدة، ففقدنا عددًا كبيرًا منهم، كما توفي هُنَاكَ أيضًا كيچكينه تونقطار.

غادرنا مكاننا هَذَا، وعبرنا «نهر بهَت»[٢] مِن مَخَاضَة قريبة مِن جنوب«جيلَم»[٣] ونزلنا. وهُنَاكَ جاء ولي قيزل الذي كانت له مقاطعتي «بهروكرى، واكرياده»[٤]، وكان معاونا لسيال كوت، فقابلناه وعاتبناه لعدم محافظته على «سيال كوت».(٢٥٥أ)، فعرض [ماحدث] قائلًا:

"لقد ذهبتُ إلى مقاطعتى. فلما خرج خُسْرو كُوكَلْداش مِن «سيال كوت»، لم يخبرني بخروجه". وبعد أن استمعتُ إلى عذره قلتُ له: أما وإنك لم تستطع المحافظة على سيال كوت، فكان يلزم أن تذهب إلى أمراء «لاهور»، وتلحق بهم، فألزمتُه الصمت، ثُمَّ تجاوزتُ عما اقترفه لأننا بصدد أمر حان وقته.

ومِن مكاننا هَذَا، أرسلتُ سَيِّد طوفان وسَيِّد لاچين على وجه السرعة بخيول إضافية إلى الذين فِي جِبَالِ «لاهور» ، ليبلغهم ألا يحاربوا؛ وليأتوا إلى «سيال كوت» أو «بُرسرور » وانضموا إلينا. وكان الجميع عِنْدَ هَذَا الرأي.

---

(١) شراب مسكر يصنع من البلح.

(٢) نهر ينبع من جبال هندكوش فِي البنجاب ويتصل بنهر السِّند بجوار ملتان.

(٣) فِي البنجاب على ضَفَّة نهر يحمل نفس الاسم.

(٤) من مُقاطَعات البنجاب.

النزاع بين اللوديين:

جمع غازي خان ثلاثين أو أربعين ألف رجل، وتَمَنْطَق دولت خان رغم شيخوخته، بسيفين حول خصره استعدادا لحرب ضروس، وهُنَاكَ ضرب مِن المثل يقول: "عشرة أصدقاء أَفْضَل مِن تسعة" وحَتَّى لا تَضِيع أي مِن وسائلنا، فكرنا فِي أهمية أن ينضم إلينا مَن فِي «لاهور» ، ثُمَّ نقاتل.

أرْسَلْنا رجلًا [بهذا] إلى الأُمَرَاء. وبعد منزلٍ واحد، نزلنا بحافةِ «نهرِ جناب». ثُمَّ ابتعدنا عن الطريق، وتفرجنا على «بهلول پور»[1] وهي خالصةٌ لنا، ومكان قلعتها فوق صخرة عالية على حافة «نهر جناب»، وقد راقت لي، وفكرتُ فِي نقل سيال كوت إلى هَذَا المكان. وعندما تحين الفرصة سننقلها إلى هنا فورا بإذن الله.

وجئنا بالسفينة مِن «بهلول پور» إلى معَسْكَر الجَيْش. (٢٥٥ب) وأقمنا مجلسا للصهباء، فشرب البعض العرقى والبعض الآخر شرب البوزة[2] ، وأكل الآخرون المعجون. وبعد صلاة العشاء بفسحة مِن الوقت، غادرنا السفينة، وشربتُ بعض الخمر داخل الخيمة أيضًا، وأمضينا يوما على ضّفَّة هَذَا النَّهْر لراحة الخيل.

فِي يَومِ الجمعة الرابع عشر مِن شهر ربيع الأول، نزلنا«سيال كوت». وفي كل حملة قمنا بها على «الهِنْد»، كان يهبط مِن الجِبَال إلى السهول مالا يعد ولا يحصي مِن الجت[3] ، والكجور[4] لسرقة الثيران والجاموس. وكانوا كلّهُم مِن السفلة والدهماء. ولأن هَذهِ الولايات كانت مِن قبل عدو [لنا]، لم يَكُنْ الضبط والربط فيها كما ينبغى. ورغم أن [سيال كوت] تابعة لنا هَذهِ المرة، فإنهم سلكوا ذات النهج. وفجأة تشاجر دهماء «سيال كوت» وفقراؤها ومساكينها الذين جاءوا إلى

---

(١) فِي البنجاب فِي شمال شرق كُجَرات.

(٢) شراب مسكر يصنع من الخمير.

(٣) سكان القرى المسلمة فِي البنجاب وضَفَّة السِّنْد وسيستان.

(٤) واحدة من القبائل التي تقطن القرى المجاورة لجبال كشمير بين بهره ونيلاب.

معَسْكَر الجَيْش، وتسارعوا فِي النهب، فأمرتُهم أن يأتوا بمن تسببوا فِي هَذِهِ الفوضي، وأمرتُ باثنين أو ثلاثة منهم فمزقوهم إربا [ليكونوا عبرة لغيرهم].ومن «سيال كوت» أرْسَلْنا شاهم نور بِك إلى أمراءِ «لاهور» للتحقق مِن أحدِ العارفين عن مَوْضِع العدو ثُمَّ يبلغنا بالأمر[1].

هزيمة عالم خان أمام السُلْطَان ابراهيم اللودى:

وأثناء مقامنا فِي [سيال كوت]، جاء أحد التجار. وأبلغنا بهزيمة عالِم خان [اللودى] أمام [ابن أخيه] السُلْطَان ابراهيم خان[2]، وتفصيل ذَلِكَ أن:

عِنْدَمَا [علمنا] أن خانات الأُزْبَك (٢٥٦أ) وسلاطينهم، قد جاءوا وحاصروا «بَلْخ»، أذنا لعالِم خان بالسَّيْر إلى «الهِنْد»، وتحركنا نَحْنُ إلى «بَلْخ». فقطع مرحلتين[3] مِن الطريق دفعة واحدة، وجاء إلى «لاهور» فِي هَذَا الهواء الحار، بغير اكتراث برفاقه. فلما بلغ «لاهور» ، ألح على أمراء «الهِنْد» بقوله: إن السُلْطَان يأمركم بمساعدتي، والخروج معي. وينضم إلينا غازي خان[4]، ثُمَّ نسير إلى «دِهْلي» و«أَكْرا». فقالوا له: كيف نثق فيك وأنت تنضم إلى غازي خان ؟! فقد أمرنا السُلْطَان أن ننضم إليه غازي خان إذا أرسلَ أخاه الأَصْغَر حاجي خان مع ابنه إلى القصر، أو أرسلَهُما إلى «لاهور» وتركهما رهينة، وإلا فلا. كما إنكم تحاربتم معه توا بالأمس، وانهزمتم. فكيف نصدقك وأنت تتحالف معه الآن. لاسيما أن تحالفكم معه ليس مِن المصلحة. ولم يستمعوا لقوله، ورفضوا أن يستجيبوا له رغم إلحاحه. فأرسل ابنه شير خان، ليتفاوض مع دولت خان وغازي خان. واصطحب دلاور خان وكان محبوسًا مُنْذُ مدة، ثُمَّ هَرَبَ وجاء «لاهور» مُنْذُ شهرين أو ثلاثة. واصطحب معه أيضا محمود خان وكانت قد أُعْطِيَت له مقاطعة

(١) الترجمة الانجليزية بها تصرف فِي هَذِهِ العبارة، فقد وردت بها على النحو التالى: ومن سيال كوت أرْسَلْنا شاهم بِك أخو نور بِك إلى أمراء لاهور ليبلغهم أن يتأكدوا مِن مكان العدو ويسألوا أحد العارفين أين ينبغى ملاقاته، ثُمَّ يبلغنا.

(٢) يقصد إبراهيم اللودي ابن بهلول اللودي، وسلطان "أكرا" ودهلى.

(٣) المرحلة هى المسافة بين منزلين.

(٤) غازى خان اللودى، ابن دولت خان اللودى.

فِي «لاهور». وعلى هَذَا قرروا أن يأخذ دولت خان وغازي خان كل الأُمَرَاء الذين تركناهم فِي «الهِنْد»، وكل المناطق المجاورة، وينضم دلاور خان وحاجي خان إلى عالِم خان، وهؤلاء[1] (٢٥٦ب) لَهُم نواحي «دِهْلي» و«أَكْرا».وجاء إسماعيل الجلواني[2] وبعض الأُمَرَاء الآخرين وانضموا إلى عالِم خان، وتحركوا مِن منزلٍ إلى آخر بدون توقف قاصدين «دِهْلي». وعندما وصلوا «اندري»[3]، انضم إليهم أيضا سُلَيْمان شيخزاده. وبلغ عددهم ثلاثون أو أربعون ألفا وحاصروا «دِهْلي»، بدون أن يَسْتطِيعوا أن يشنوا حربا، أو يضيقوا على مَن بالقَلْعَة.

وعندما عَلِمَ السُلْطَان ابراهيم بتجمعهم، ساق الجَيْش إليهم، فلما اقترب [مِن دهلي]، عَلِمَ هؤلاء[4] بالأمر، فانفضوا عن القَلْعَة، وقرروا السَّيْر لمواجهته قائلين: إذا دارت الحرب فِي وضح النهار، فان الأَفْغَان يثبتون للقتال خجلا مِن بعضهم البعض. فإذا حل المساء، فلا يري الرجل منهم الآخر فِي عتمة الليل، ويفكر كل واحد منهم فِي نفسه. وتحركوا مرتين وقت الظهيرة، فكانوا يأتون مِن مكان على مَسَافَة ستة فَرَاسِخ لشن الهجوم ليلا، فكانوا ويظلون على ظهور الخيل لمدة فترتين أو ثلاث[5] مِن غير أن يقرروا إن كانوا سيرجعون أم سيتقدمون. وفي المرةِ الثالثة، جاءوا للهجوم وقد بقيَ مِن الليلِ فترة واحدة. فهجموا وأضرموا النيران فِي الخيامِ والأوتاقات[6] وأحرقوها عن آخرها، فأحدثوا هياجا. وجاء جلال خان جكهت وبعض الأُمَرَاء ورأوا عالِم خان.

وظل السُلْطَان ابراهيم [اللودى] فِي قصره ومعه عدد مِن خاصة فرسانه. ومع طلوع النهار، انشغل كل رِجَال عالِم خان بالنهب، وجمع الغنائم (٢٥٧أ). فلما رأي جند السُلْطَان

---

(١) يقصد عالِم خان ومن معه.

(٢) أحد أمراء الهِنْد.

(٣) قرية بناحية كرنال فِي البنجاب.

(٤) يقصد عالِم خان ومن معه.

(٥) يقسم الهنود اليوم والليلة إلى ثمان فترات، الفترة ثلاث ساعات.

(٦) الخيام الكبيرة الخاصة بالسلاطين ومن فِي حكمهم.

ابراهيم قلة عدد أولئك الرِجَال، تقدم نحوهم عدد مِن الجُنْد ومعهم فيل واحد. وما أن تقدم الفيل، حَتَّى تبددت مقاومة [عالِم خان] ولاذ [ورِجَاله] بالفرار.

توجه عالِم خان بعد هروبه بهذه الطريقة، إلى «ميان دو آب» [1]، ثُمَّ إلى أنحية باني بت، ثُمَّ إلى پَانِيپَت مرة أخري. فلما صار فِي مَوْضِع قريبٍ مِن «اندري» تعلل بأمر ما، وأخذ مِن ميان سُلَيْمان ثلاثمائة ألف أو أربعمائة ألف [مِن النقود] غصبا. وانفصل عنه بِبَن، وإسماعيل الجلواني، و[وابنه] جلال خان وذهبوا إلى ميان دوآب. وقبيل الحرب، هَرَبَ ؛ سيف خان بن دريا خان، ومحمود خان بن خان جهان، والشَّيْخ جمال الفَرمُلي وآخرون مِن رِجَال عالِم خان، ولجأوا إلى [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي] [2].

لجوء دلاور خان إلى بَابُر:

وأثناءَ مرورِ عالِم خان، ودلاور خان، وحاجي خان مِن «سِهْرِنْد»، علموا بمجيئنا إلى مِلْوَت وأخذِنا إياها. ولأن دلاور خان مازال مخلصا لنا وكان قد حبس بسبِبَنا لثلاثة أو أربعة شهور، فقد تركهم وجاء الى «سُلْطَانپور»، ثُمَّ لحق بنا بنواحي مِلْوَت بعد أن أخذناها بثلاثة أو أربعة أَيَّام، والتزم.

لجوء عالم خان إلى بَابُر:

عَبَرَ عالِم خان وحاجي خان نهر شتلُت، واعتصما « بقلعة كُنَكوته » فِي الجبلِ الواقعِ بين دون ودَشْت، وهي قلعة منيعة. وهُنَاكَ جاء مهاجمونا مِن الأَفْغَان والهزارة وحاصروهما (٢٥٧ب). وكادت هَذهِ القَلْعَة المنيعة أن تقع فِي أيدينا مع دخول الليل. وحال تجمع الخيل بباب القَلْعَة دون خروج كل مِن أرادوا الخروج مِنْها. وكانت معهم أفيالَهُم فوضعوها فِي مقدمتهم، فسحقت أكْثر الخيل وقتلته، وخرج عالم خان تحت جُنح الظلام سيرا على قدميه لأنه لم يستطع الخروج بجواده، وبشق الأنفس لحق بغازي خان الذي فر إلى الجبل بدون أن يدخل

(١) مكان بين نهرى كُنَك وجون.

(٢) أغفلت الإنجليزية عبارة ولجأوا إلى إبراهيم.

مِلْوَت. ولم يحسن غازي خان بدوره استقباله. وفي النهاية، جاء عالِم خان مجبرا إلى أنحية «بِهْلور» في سفح الوادي، والتزم.

وفي سيال كوت، جاء رسولٌ مِن «لاهور»، وأبلَغنا أن أولئك الذين في «لاهور» سيأتون جميعا إلينا في اليوم التَّالِي.

وتحركنا في اليومِ التَّالِي، فوصلنا برسرور. وهُنَاكَ جاء مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، والخوجه حُسَيْن وبعض الفتية، والتزموا.

كان العدو في طرف نهر راوي جهة «لاهور»، فأرْسَلْنا رِجَالا [إلى هُنَاكَ] بقيادة بوجكه لاستطلاع الموقف. وعند الفترة الثالثة مِن الليل، أبلغونا أن العدو لما علم بأمرنا، تملكه الخوف، ولاذ [رِجَاله] بالفرار بدون أن يلتفت أحدهم للآخر.

وتحركنا في اليومِ التَّالِي تاركين الأحمال والأثقال عِنْدَ شاه مير حُسَيْن، وخان بِك. وحثثنا في سيرنا فنزلنا كلانور بين الصلاتين. وهُنَاكَ جاء مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان وبعض الأُمَرَاء الآخرين، والتزموا.

التحرك صوب قلعة مِلْوَت في أعقاب غازي خان:

(٢٥٨أ) وفي الصباحِ الباكر، تَحَرَّكْنا مِن «كلانور»، وفي الطريق علمنا بأمر غازي خان وأولئك الهاربين. فأرْسَلْنا في أعقابهم القادة؛ مُحَمَّدي، وأحمدي، و قُتْلُقْقَدَم، و"ولي خازن"، وأكثر الأُمَرَاء الخَوَاص الذين أُجبروا هَذهِ المرة على الخضوع لأمارة «كابُل». وتقرر أنهم إذا أدركوهم فبها ونعمت، وإلا فليُحْكِموا محاصرة «قلعة مِلْوَت»، للحيلولة دون خروج مَن في الحِصْن وهروبهم. وكان غازي خان هو الهدف مِن هَذهِ الإجراءات.

وعقب ذَلِكَ، جاوزنا «نهر بياه» قُبَالَة «كانوهين» حيث نزلنا. ثُمَّ تَحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ، وبعد مرحلتين نزلنا بمدخل الوادي حيث تقوم «قلعة مِلْوَت».

وأعطينا الأوامر إلى أمراء «الهِنْد» والأمراء الذين جاءوا مِن قبل، بتشديد الحصار حول القَلْعَة. وهُنَاكَ انضم إلينا إسماعيل خان حفيد دولت خان مِن ابنه الأكبر علي خان. فأرْسَلْناه إلى القَلْعَة بالوعد والوعيد والاستمالة والتهديد.

وفِي يَومِ الجمعة، أمرنا الجَيْش بالتقدم ناحية القَلْعَة، ونزلنا على مَسَافَة نصف فَرْسَخ مِنْها. وذهبتُ بنفسي، وعاينتُ الحِصْن، وحددتُ أماكن المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

استسلام دولت خان اللودى حاكم لاهور:

وأرسل دولت خان رسولا عرض [عَلَيْنَا] أن غازي خان هَرَبَ واعتصم بالجبل. وإننا إن تجاوزنا عن فعلته، فسيأتِ إلينا مذعنا طائعا، ويسلم القَلْعَة[1]. فأرْسَلْنا إليه الخوجه مير ميران ليبدد مخاوفه ويأتي به. فجاء به وبابنه على خان. وأمرتُ بأن يعلقوا فِي رقبتِهِ السيفين اللذين ربطهما حول خصره لمحاربتنا. وكم كان رجلا ساذجا أحمقا، فبعد أن وصل إلى هَذهِ الدرجة، أخذ يسوق الذرائع والحجج. وأتوا به أمامي، فأمرتُ بنزع السيوف مِن رقبته.

وعندما تلاقينا تأخر فِي الانحناءِ تعظيما لي، فسحبوا قدمه وأجبروه على الانحناء بتعظيم. وأجلستُه أمامي، وأمرتُ برجل يعرف لسان [أهل] «الهِنْد» لينقل له هَذهِ الكلمات كلمة كلمة:

كنتُ أدعوك الوالد، وعاملتُك بتعظيم واحترام أكثر مما يصبو إليه قلبك. وأنقذتُك أنت وابنك مِن متشردي البَلوج[2]، وخلصتُ أهلك وذراريك وحريمك مِن أَسْر ابراهيم [اللودي]، وأحسنتُ عليك بولاية تتارخان ذات الثلاث مائة مائة ألف[3]. فهل أسأتُ إليك حَتَّى تدفع هَذَا الشقى إلى أن يتمنطق بسيفيه، ويسوق العَسْكَر إلى ولايتنا، وتُحدِث هَذهِ الفتنة وهذا الفساد. وتمتم الشَّيْخ الأحمق بكلمة أو كلمتين (٢٥٩أ) وعجز عن مواجهتى ولزم الصمت. فماذا يمكن يجيب على قولى هَذَا، وأخلينا سبيل أهله وحريمه، وأمرنا بتجريده مِن كل ما يملك، وعهدنا به إلى الخوجه مير ميران.

---

(١) يقصد قلعة ملوت.

(٢) قبيلة البلوج تسكن المنطقة من بهاكر إلى الملتان.

(٣) وردت فِي النص بلفظ ثلاث كرورات والكرور مائة مائة ألف أى عشرة ملايين.

وفِي يَومِ السبتِ الثاني والعشرين مِن شهرِ ربيع الأول، ذهبتُ بنفسي لإخراج عائلاتهم وحريمهم سالمين. فنزلتُ بالربوة الواقعة أمام باب «قلعة مِلْوَت». وخرج على خان، وقدم مقدارا مِن [النقود] الأشرفي[1] هدية. واستمروا فِي إخراجِ عائلاتهم وحريمهم [مِنَ القَلْعَة] حَتَّى صلاة العصر.

البحث عن غازي خان:

وكان هُنَاكَ مَن يقول: لعل غازي خان خرج مِنَ القَلْعَة ومضي، ومن يقول إنه رآه، ومن يقول إنه مازال داخل القَلْعَة. لهذا وضعنا بالباب بعض الخَوَاص والجندِ للبحث عن الرِجَال المشتبه فيهم، أما الغرض الأساس فهو منع غازي خان مِن الخروجِ حِيلةً، فضلا عن القبضِ عَلَيْهِ إذا أراد إخراج بعض الجواهرِ والأحجارِ الكريمة خِلسةً. وأمرتُ بإقامة خيمة فِي مَوْضِع مرتفعٍ على التل المواجه للباب، وأمضيتُ الليل هُنَاكَ. وفِي الصباح، أصدرتُ الأمر إلى مُحَمَّدي، وأحمدي، وسُلْطَان جُنَيْد، وعبد العزيز، و مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، وقُتْلُقْقَدَم، وبعض الخَوَاص بدخول القَلْعَة، وضبط خزائن [غازي خان] وكل أملاكه. واحتشد جمع مِن النَّاس عِنْدَ باب القَلْعَة. فأطلقتُ عددا مِن السهام بِشَكْلٍ عشوائي لترهيبهم (٢٥٩ب) فأصاب السهم راوي هُمايون فصرعه على الفور.

دخول بَابُر قلعة مِلْوَت ومكتبة غازي خان:

أقمتُ ليلتين فوق هَذهِ الربوة. وفِي يَومِ السبت دخلتُ القَلْعَة وتفرجتُ عَلَيْها، ثُمَّ توجهتُ إلى مكتبة غازي خان وأخرجتُ عددا مِن الكتب القيمة، فأعطيتُ هُمايون بعضا مِنْها، وأرسلتُ عددا آخر إلى كامران. وكانت الكتب الدينية كَثِيرَة جدًا لكن تبينت أن ليس مِن بينها كتبا قيمة كما ظننت للوهلة الأولي. وأمضيتُ الليل فِي القَلْعَة. وفِي الصباح، ذهبتُ إلى المعَسْكَر. وكنا نظن أن غازي خان مازال داخل الحِصْن، لكن هَذَا الرجل عديم الحمية والرجولة، هَرَبَ إلى الجبل مع بعض الرِجَال تاركًا أباه وأخوته وأخواته فِي «مِلْوَت».

---

(١) الأشرفي،عملة فضية كانت تستخدم فِي زمن الأق قويونلو.

لا تلتفت إلى فاقد الحمية فلن يرى أبدًا وجه السعد

إذ يلتمس الراحة لنفسه، تاركا زوجه وابيه في كبد

وتحركنا مِن مكاننا هَذَا يوم الأربعاء[1]، واتجهنا صوب الجبل الذي اعتصم به غازي خان. فسلكنا طريقا عِنْدَ مدخل «مِلْوَت» على مَسَافَة فَرْسَخ مِن المَعَسْكَر، ونزلنا الوادي. وهُنَاكَ، جاء دلاور خان، والتزم.

وأَوْثَقْنَا قَيْدَ دولت خان، وعلي خان، وإسماعيل خان وعدد مِن الكبار، وسَلَّمْنَاهُم إلى كته [بِك] للتحفظ عَلَيْهِم ونقلَهُم إلى «قلعة مِلْوَت» فِي «بَهْرَه» (٢٦٠أ) وبالإتفاق مع دلاور خان، تم تحديد الفدية لبعض الأفراد الذين ظهر مِن يكفُلَهُم، فأطلقنا سراح بعضهم بالكفالة، والبعض الآخر ظل يرسف فِي قيده. وأخذ كته [بِك] الأسرى، وقد مات دولت خان قريبا مِن سُلْطَان پور.

وتَرَكْنَا قلعة مِلْوَت فِي عهدةِ مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك. فترك بها أخاه الأكبر ارغون نيابة عنه، وعددا مِن الفتيان، وعين مائتي رجل مِن الهزاره والأَفْغَان لحراستها. وحمَّل عددا مِن الإبل بما طلبه الخوجه [كلان] مِن خمر «غَزْنَة». وكان مَعَسْكَر الخوجه كلان فوق ربوة مشرفة على القَلْعَة والجَيْش، فأقام [مجلس] صهباء هُنَاكَ. فشرب بعضهم الخمر، وشرب بعضهم العرقي، وكان مجلسا جميلا.

وَتَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، فَتَجَاوَزْنَا تِلال مِلْوَت ذات المسالك الكَثِيْرَة وجئنا إلى دون. ويسمون الوادي فِي اللُّغَة الهِنْدية باسم «دون». و هَذَا الوادي فِي «الهِنْد» عبارة عن نهرٍ جارٍ، تحفُّه قرى كَثِيرَة. وهذا المكان هو «مقاطعة جِوال»[2] وحاكمهم هو دلاور خان.

وصف وادي دون:

دون وادٍ جميل. ويحف النَّهْر مَرَج يزرعون بعض أطرافه أُرزا. ويتدفق وسطه نهر يكفي

(١) يقابل ١٠ يناير ١٥٢٦م.

(٢) إحدى مُقاطَعات ملوت فِي البنجاب.

لتشغيل ثلاث سواقي أو أربع. واتساع الوادي فَرْسَخ أو أثنين وفي بعض مواضعه ثلاثة فَرَاسِخ (٢٦٠ب) وجِبَاله تشبه التلال الصغيرة. وتقوم قُراه في سفوح هَذهِ الجِبَال. والأماكن التي تخلو مِن القرى، يكثر فيها الطاووس والميمون، ونوع مِن الدجاج يشبه دجاج المنزل. وهو مثل الدجاج تمامًا. لكن أكثره بلون واحد.

وبسببِ عدمِ معرفةِ خَبَرٍ مؤكدٍ عن مكانِ غازي خان، فقد كلفنا ترديكه، وبريم ديو بالذهابِ إلى كل مكان يحتمل وجود غازي خان فيه، ويأتوا به بأي طريقة.

الاستيلاء على قلعة كوتله:

وفي التِّلالِ الواقعةِ بأطرافِ هَذَا الوادي كثيرٌ مِن القِلاعِ المنيعة. وفي جِهةِ الشمالِ الشرقي مِنْهُ قلعةٌ تسمى قلعة كوتله. تحفها صخور بارتفاع سبعين أو ثمانين ذراعا، ويصل ارتفاعها في جهةِ بابها الكبير إلى سبعة أذرع أو ثمانية، وقد أقاموا جسرا باثنين مِن جزوع الأشجار الطويلة يتكئ على مَوْضِع باتساع عشرة أو اثني عشر ذراعا، وتمر فوقه الخيول والحيوانات. وهذه واحدة مِن القِلاع التي أقامها غازي خان في هَذهِ المنطقة الجبلية. وبها يقيم رِجَاله. فَهَاجَمَتْهَا طلائعنا. ومع حلول المساء، وبينما نَحْنُ على وشك أخذ القَلْعَة، إذا بمن داخل هَذهِ القَلْعَة المنيعه يتخلون عنها ويلوذون بالفرار.

التحرك لقتال ابراهيم اللودي:

وفي أحْوَازِ هَذَا الوادي قلعةٌ أخرى هي«قلعةُ كُنكوته»، وهذه أيضا قلعةٌ منيعةٌ تقوم على حافةِ هاوية. لكنها لَيْسَت بالغة المنعة. وكان عالِم خان قد لجأ إلى قلعة كُنكوته هَذهِ ودخلها كما ذكرتُ سلفًا. (٢٦١أ) وبعد مهاجمة غازي خان، وطِئنا ركاب الهِمَة، وأمسكنا عنان التوكّل، وتَحَرَّكْنَا صوب السُلْطَان ابراهيم بن السُلْطَان سكندر بن السُلْطَان بهلول اللودي الأَفْغَاني وعاصمته «دِهْلي» والمتصرف في ممالِكِ «الهِنْد» آنذاك. وكانوا يقولون إن عنده مائة ألف مِن الجُنْد، ومعه ومع أمرائه زُهاء ألف فيل.

وبَعْدَ مَنْزِلٍ واحِدٍ، أعطينا «ديبالپور» إلى باقي شيغاول إنْعَامًا منا، وأرْسَلْنَاه إلى «بلْخ»

للمساعدة، وأرسلتُ الهدايا إلى الأقارب والأبناء فِي «كابُل» مِن ريع «بَلْخ»، ومن المتاع الذي حَصَّلْنَاه مِن فتح «مِلْوَت».

انضمام عالِم خان إلى بَابُر:

وبَعْدَ مَنْزِلٍ أو اثنين أسفل الوادي، جاء شاه عماد الشيرازي ومعه رسائل مِن ارايش خان والمُلّا مُحَمَّد مذهب، أظهرا فيها الوِدّ، وأبْدَيَا تحمسا واهتماما بهذه الحملة. ونحن بدورنا، أرْسَلْنا مراسيم العناية لَهُما مع أحد المشاة، ثُمَّ تقدمنا فِي سيرنا. أما الجُنُود المهاجمون الذين انطلقوا مِن مِلْوَت، فقد جاءوا وانضموا إلينا بعد أن حازوا كل القِلاع الجبلية فِي هرور وكهلور، وتلك النواحي التي لم يستطع أحد أن يذهب إليها مُنْذُ زمن طويل بسبب أهلها وقوة تحصينهم، ونهبوها. كما جاء عالِم خان مشيا على قدميه عاريًا ومشتت الحال. فأرْسَلْنا بعض الأُمَرَاء والخَوَاص بالخيول لمقابلته، فجاء ونحن فِي تلك الأنحية والتزم. (٢٦١ب)

وذَهَبَ المغيرون إلى وِدْيَان هَذهِ الناحيةِ وجِبَالها، ثُمَّ عادوا بعد يوم أو يومين بدون شيء يعتد به. والتمس شاه مير حُسَيْن، وجان بِك وبعض الفتية الآخرين الرخصة بالذهاب للغارة.

وبَيْنَمَا نَحْنُ فِي وادِي [دون]، وَرَدَت إلينا عرائض مِن إسماعيل الجلواني، و"بِبَن" مرتين أو ثلاث مرات. وأرسَلْتُ بدوري المراسيم استجابة لرغبتهما. ثُمَّ غادرنا الوادي وجئنا إلى «اروبر». ونحن هُنَاكَ، انهمر المطرُ غزيرا، وكان الجو باردًا بصفةٍ عامة. وهلك أغلب الهنود الجوعي العراة.

غَادَرْنَا اروبر، وبَلَغْنَا «كرمال» قُبَالَة «سِهْرِنْد». وجاء هنديٌّ يقول: إنه سفير السُلْطَان ابراهيم. وطلب أن نرسل مِن عندنا رسولا، رغم أنه جاء بلا خط أو كتاب. فأرْسَلْنا فِي المقابلِ واحدًا أو اثنين مِن الحرس [مِن أهل] «سواد». وعندما ذهب هذان الضعيفان، أمر ابراهيم [اللودى] بسجنهما. وقد هَرَبَا مِن «سواد»، وجاءا يوم انتصارنا على ابراهيم.

وبَعْدَ مسيرةِ مَنْزِلٍ واحِدٍ، نَزَلْنَا ضَفَّة «نهر بنور وسنور»، وهذا واحدٌ مِن الانهارِ الجاريةِ فِي «الهِنْد» فضلا عن الأنهار الكبيرة، ويُسَمُّونه «نهر ككّر». وتقع «چُتُر» على حافته.

فذهبنا للتفرج على الطرف العلوي للنهر. وهذا النَّهْر ينبع مِن جدول يعلو «چُتْر» بثلاثة فَرَاسِخ أو أربعة، ومن الوادي الواسع فِي الجانِبِ العلوي للجدول الذي ذهبنا للتفرج عَلَيْهِ، ينبع نهر آخر يمكن أن يدير أربع سواقي أو خمس (٢٦٢أ). وتعلوه قليلًا أماكن مناسبة ولطيفة وطيبة الهواء. فأمرتُ بإنشاء چارباغ عِنْدَ مخرج هَذَا النَّهْر مِن الوادي الواسع. وينثال هَذَا النَّهْر إلى استواء، ثُمَّ يجري مَسَافَة فَرْسَخ أو اثنين ويصب فِي الجدول. وينبع مِنْهُ «نهر ككر». وعندما تزيد مياه هَذَا الجدول فِي فصل المطر أسفل مصب هَذَا النَّهْر بثلاثة فَرَاسِخ أو أربعة، يلتقى مع «نهر ككر»، ثُمَّ يذهب إلى «سامان وسنام».

فِي هَذَا المنزل، علمنا بتحرك السُلْطَان ابراهيم وتقدمه مِن هَذهِ الناحية مِن «دِهْلي»، وأن "حميد خان خاصة خيل"صاحب «قلعة فيروزة»، خرج مع جُنُود القَلْعَة وجُنُود تلك النواحي وصار على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا مِنَ القَلْعَة. فأرْسَلْنا كَتَه بِك إلى معَسْكَر ابراهيم لتقصي الأمر، ومؤمن اتكه لتقصي خبر جُنُود قلعة فيروزة.

وفِي يَومِ الأحدِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الأول، تَحَرَّكْنَا مِن «انباله»[1]، ونزلنا بحافة بحيرة، وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء مؤمن اتكه، و كَتَه بِك.

انتصار هُمايون على حميد خان:

وجَّهنا هُمايون ومعه كل رِجَال المَيْمَنَة، وهم الخوجه كلان، والسُلْطَان مُحَمَّد دولداي، وولي خازن، ومن الأُمَرَاء الذين ظلوا فِي «الهِنْد»، خُسْرو، وهندو بِك، وعبد العزيز، و مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، وفِي المركز شاه منصور برلاس، وكَتَه بِك، ومحب على [القورچي] وهم مِن الخَوَاص والفتيان ومعهم عدد مِن الرِجَال [٢٦٢ب] للتحرك ضد حميد خان.

كما جاء "بِبَن" ونحن فِي هَذَا المنزل والتزم. وهؤلاء الأَفْغَان فِي غاية السذاجة والحماقة. فلم يجلس دلاور خان [فِي حضوري] رغم أنه أعلى مِن "بِبَن" درجة، وأكثر اعتبارا، كذَلِكَ أبناء

(١) تقع شمال بانى بت.

عالِم خان لم يجلسوا مع أنهم أبناء السلاطين، أما "بِيَن" هَذَا، فقد رغب فِي الجلوس. فمن ذا الذي يصغي لما يهذي به.

وفِي صَبَاحِ يَومِ الاثنينِ الرابعِ عشر مِن الشهرِ، توجه هُمايون صوب حميد خان. وكان هُمايون يتحرك بسرعة، وقد أرسلَ مائه أو مائه وخمسين مِن خيرة الفتية ليكونوا مُقَدِّمَة له. فاقتربوا والتحموا [مع حميد خان] فِي قتال، وبعد أن اشتبكوا معهم بالأيدي لمرة أو مرتين، رأى غبار هُمايون وراءه فولى هاربا مِن فوره. فأمسك [هُمايون] بمائةٍ أو مائتين مِن رِجَالَهُم، وضرب أعناق نصفهم، وجاء بالنصف الآخر وسبعة أو ثمانية أفيال. وقد جاء ميرك مُغُول بِك بخبر هذا الفتح [الذي أنجزه] هُمايون فِي يَومِ الجمعة الثامن عشر مِن الشهر أثناء مقامنا فِي معَسْكَرنا هَذَا، فأنعمنا عَلَيْهِ فِي الحال بطاقم ملابس خاص، وجواد مِن الجياد الخاصة مع وعد أيضا بمكافأة.

وفِي يَومِ الأحدِ الحادِي والعشرين مِن الشهر، ونحن فِي هَذَا المنزل، جاء هُمايون ومعه زُهاء مائة أسيرٍ وسبعةِ أفيالٍ أو ثمانية، والتزم. وصَدَرَ الأمر إلى الأستاذ عليقُلي ورُماة البنادق [٢٦٣أ] بقتل بعض الأسرى رميا بالرصاص سياسةً، وكانت هَذهِ هي أول حملة يقوم بها هُمايون وأول عمل ينجزه، فكان مدعاة لسرورٍ كبير. أما مِن ذهبوا لتعقُّب الهاربين فقد طاردوهم إلى «قلعة فيروزة»، وحازوها مِن فورهم ثُمَّ رجعوا. وكافأنا هُمايون بقلعة فيروزة التي كانت وتوابعها ومُلْحَقَاتِها [عبارة عن] ولاية ريعها مائة مائة ألف، فضلا عن مائة مائة ألف أخرى مكافأة له.

وتَحَرَّكْنا مِن منزِلِنا هَذَا، وذَهَبْنَا إلى «شاه آباد». ثُمَّ أرْسَلْنا رجلا إلى معَسْكَرِ السُلْطَان ابراهيم لتقصِّي الأخبار. وتَوَقَّفْنَا فِي هَذَا المنزل عدة أَيَّام، وأرْسَلْنا رحمت پيادة إلى «كابُل» برسائل الفتح.

وفِي يَومِ الإثنَين الثامنِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول، دَخَلَت الشمسُ برج الحمل ونحن فِي هَذَا المنزل، وبَدَأَت الأخبارُ تتواتر عن جيشِ ابراهيم، فمن يقول: إنه تحرك مَسَافَة فَرْسَخ أو فَرْسَخَيْن، وإنه يتوقف فِي كل منزل يومين أو ثلاثة أَيَّام.

وتَحَرَّكْنا بدورنا، وبعد منزلين مِن شاه آباد، نَزَلْنا قُبَالَة «سرساوه» على شاطئ «نهر جون»، وأرْسَلْنا حيدر قُلي خادم الخوجه كلان لتقصي الأخبار. واجتزتُ مَخَاضَة «نهرجون» وتفرجتُ على «سرساوه». كما أكلنا المعجون فِي ذاك اليوم. وفِي «سرساوه» عين ماء يتدفق ماؤها نَذِرا يسيرا. وقد وصفه تردي بِك خاكسار بأنه مكان طيب.[٢٦٣ب] فقلتُ له: "هي لك"وأعطيته « سرساوه ».

أمرتُ بعمل مجلس فِي السفينة، وكنتُ أتنزه بها أحيانا، وأذهبُ بها فِي بعض الحملات. وتَحَرَّكْنا مِن هَذَا المنزل بمحاذاة شاطئ النَّهْر إلى أسفل مَسَافَة فَرْسَخَيْن. وجاء حيدر قُلي وهو مِن الذين ذهبوا لتقصي الأخبار بخبر أن داود خان، وهيتم خان ومعهما خمسة أو ستة آلاف رجل، تقدموا إلى ناحية «ميان دوآب» على مَسَافَة ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ مِن معَسْكَر ابراهيم، وضربوا دائرة واستقروا هُنَاكَ.

الاستعداد للحرب مع السُلْطَان ابراهيم اللودي:

وفِي يَومِ الأحدِ الثامنِ والعشرين مِن شهر جمادى الآخر[١]، تَحَرَّكْنا ضد هَذَا الفوج، ووضعنا فِي الهجومِ چين تيمورسُلْطَان، والخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، وفِي المَيْسَرَة السُلْطَان جُنَيْد وشاه مير حُسَيْن و قُتْلُقْقَدَم. وفِي القلبِ الأُمَرَاء يونس على، وعبد الله، وأحمدي، وكَتَه بِك.

وجاوزوا النَّهْر مِن هَذَا المكان عِنْدَ صلاةِ الظهر، وشرعوا فِي التَحَرُّكِ بين صلاتَيْ العصرِ والعشاء، وعَبَر بِيَن النَّهْر متعللا بهذه الغارة، وَوَلَّى هاربا. وأدركوا العدو فِي وقت العصر، وكان [العدو] بدوره قد نَظَّم صفوفه بعض الشيء، وبدوا وكأنهم يتصدون لنا، لكنهم لاذوا بالفرار أمام هجوم رِجَالنا. فتعقَّبَهم رِجَالنا بالضربات حَتَّى ظاهِر معَسْكَر ابراهيم. ووقع هيتم خان الأخ الأكبر لداود خان وأحد أَلْقُواد فِي أيديهم، وجاءوا بستين أو سبعين أسيرًا، وستة أو سبعة

---

(١) يقابل أول أبريل سنة ١٥٢٦م.

أفيال. (٢٦٤أ) فأعملتُ السيف في أكثر الأسرى سياسةً[١].

وتحرَّكْنا مِن هُنَاكَ، وعاينتُ تنظيم جناحي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب. وقدرنا عدد الجُنْد، فلم يكُنْ كما قدرناه تخمينا، فأصدرتُ الأمر بأن يقوم جميع الجُنْد بإحضار العَرَبَات كلٌّ حسب موقعه، فكانت سبعمائة عربة. وصدر الأمر إلى الأستاذ عليقُلي بأن يَجْدِل حبالا ضخمة مِن جلد الثيران بدلا مِن سلاسلِ الحديد بين العَرَبَات وفقَ الأصولِ الرومية[٢]، وربط العَرَبَات ببعضها البعض. وسيكون بين كل عربتين ستة أو سبعة متاريس. ويقف وراءها رُماة البنادق.

وتوقفنا خمسة أيّام أو ستة لهذا الترتيب، وبعد إتمام الأسْبَاب والآلات، عقدنا مجلسا عاما دعونا إليه كل الأُمَرَاء والفتية النابهين، وأبلغناهم القرار التَّالي: «پَانِيپَت» مدينة، أحياؤها وبيوتها كَثِيرَة ومنتشرة فِي كل نواحيها. فيلزم أن نحوطها كلها بالعَرَبَات والمتاريس، ويصطف رُماة البنادق والسهام خلف العَرَبَات والمتاريس. وتحرَّكْنا على هَذَا.

الإعداد لمعركة پانيپَت:

لبثنا هنا ليلة واحدة، وفِي يَومِ الخميس وهو اليوم الأخير مِن شهر جمادى الآخر[٣]. جِئْنَا إلى «پَانِيپَت». وكانت المدينة والأحياء عن يميننا، والمتاريس المجهزة أمامنا، والخنادق وموانع الأشجار فِي بعض الأماكن عن يسارنا (٢٦٤ب). وفِي كل مَسَافَة رمية سهم، تركنا أماكن يمكن أن ينسحب إليها مائه أو مائه وخمسين مِن الفُرْسَان.

وكان بعض الجُنْد لديهم شيء مِن التردد والوجل. لكن لم يعد هُنَاكَ مجال لمثل هَذَا. فلن يَكُنْ سوي ما قدره الله لنا. وليس هُنَاكَ مجال للوهم، فهم أيضًا على حق، فقد قطعوا مِن

(١) جاءت فِي التركية للعبرة وفي الانجليزية للعقاب وكلاهما غير دقيق فِي الدلالة على لفظ سياسة الذى يعني العقاب التعزيري، وهو اصطلاح فقهى يعني انزال عقوبات غير الحدود الشرعية. وقد يقتل المرء تعذيرا أي سياسة.

(٢) يقصد الأصول العثمانية.

(٣) يقابل ١٢ أبريل سنة ١٥٢٦م.

وطنهم طريقا مسيرته شهرين أو ثلاثة، وكان عملَهُم مع قوم غرباء نجهل لغتهم، ويجهلون لغتنا.

جَمْع شتى وجمعهم شتات،

وقوم يُعاني وقوم عُجاب

وكانوا يُقَدِّرُون عدد جُنُود العدو [ابراهيم] بمائه ألف، ويقولون: إن معه هو وأمرائه ما يناهز ألف فيل. وأن معه أموال الخزينة التي بقيت عن والديه.

وفِي «الهِنْد» تقليد، إنه فِي مثل هَذهِ المهام، يجمعون الجُنُود لفترة محددة نظير مال، ويسمونهم "بَد هندي". فإذا ظهرت الحاجة إلى مائه ألف أومائتي ألف رجل يمكن جمعهم. وقد شاء الله العظيم، فما أرضي جنده، ولا قسَّم خزينته. وكيف يرضى عنه جنده وقد كان غضا بلا تجربه، يتملكه حب المال، ويغلب البخل على طبعه. فكان مجيئه بلا غاية، (٢٦٥أ) وتوقفه بلا اهتمام، وكذَلِكَ قتاله.

وعندما أحكمنا حولَهُم الجُنُود والعَرَبَات وموانع الأشجار والخنادق، عرض درويش مُحَمَّد ساربان قائلًا:عِنْدَمَا يرون ما اتخذناه مِن أَسْبَاب، [سَيّدركون] أن مجيئهم إلينا غير ممكن. فقلت: أتقارن هؤلاء بخان الأُزْبَك وسلاطينهم. لقد خرجنا فِي ذَلِكَ العام مِن «سَمَرْقَنْد»، فلما وصلنا إلى «حِصار»، اجتمع كل خانات الأُزْبَك وسلاطينهم، واتفقوا على السَّيْر إلينا، وجاوزوا در بَنْد وكلَهُم عزيمة. فأدخلنا كل فرسان المُغُول وعائلاتهم وأموالَهُم إلى الأحياء، وأحكمنا تحصينها. ولأن هؤلاء الخانات والسلاطين يعرفون حساب الكرِّ والفرِّ وأصوله، فإنهم عِنْدَمَا عاينوا ما أحكمناه حول «حِصار» ولم يجدوا مِن سبيل لمهاجمتها، انسحبوا مِن نوانداك، وتراجعوا إلى نواحي «چَغَانْيَان». فلا تُشَبِّه هؤلاء بأولئك، فأولئك يحسنون تقدير الأمر ويتقنون أصول القِتَال. وشاء الله أن يجري الأمر حسبما قلت.

معركة پانيپَت[1]:

أَقَمْنَا فِي«پَانِيپَت»سبعة أَيَّام أو ثمانية، وذهب رِجَالنا فِي مجموعاتٍ صغيرةٍ حَتَّى ظاهر

---

(١) تقع فِي الشمال من دهلى

معَسْكَر [السُلْطَان ابراهيم اللودي]. وأطلقوا السهامَ على رِجَاله الكُثْر، وقطعوا رؤوسهم وأتوا بها، فأعجزوهم عن التحرك. وفي النهاية، تحَرَّكْنَا وفقَ مشورةِ أمراءِ «الهِنْد» وكان بعضهم مخلصًا ومحبًا لنا، وأرْسَلْنا أربعة أو خمسة آلاف رجلٍ للغارة ليلا [على العدو] وعلى رأسهم الخوجه مهدي، و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، وخُسْرو، وشاه مير حُسَيْن، سُلْطَان جُنَيْد برلاس، عبد العزيز الميراخور، مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، و قُتْلُقْقَدَم، وولي خازن، ومحب على [القورچي]، وخليفة، ومُحَمَّد بخش، وجان بِك، وقراقوزي. ولم يتحركوا سويا بسبب عدم تمكنهم مِن تأمين التواصل بينهم تحت جنح الليل، ولم يتمكنوا مِن إنجاز الأمر معا. ومع بزوغ الفجر، صاروا على مقربه مِن معَسْكَر العدو. فقرع العدو طبوله، وعلى الفور انتظمت أفياله وخرجوا لَهُم. والواقع أن [رِجَالنا] تصادموا مع هَذهِ الجحافل لكن لم يلحق بأحد منهم أذى، وخرجوا سالمين معافين، وقد أُصيب مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك بسَهْمٍ فِي قدمه، ورغم أنها إصابة لَيْسَت خطيرة، لَكِنَّهُ يوم الحرب لم يُجْدِ نفعا بسببها.

وعندما تلقيتُ هَذَا الخَبَر، أرسلتُ هُمايون وجنده مَسَافَة فَرْسَخ أو فَرْسَخ ونصف لمواجهتهم، أما أنا فقد خَرَجْتُ مع الجُنْد الباقية فِي شكل منظم. وجاء مَن ذهبوا للغارة الليلية وانضموا إلى هُمايون، فلم يستطع العدو أن يتقدم أكثر، ثُمَّ رجعنا إلى مكاننا. وفِي تلك الليلة حدث فِي الجَيْش هرْج ومرْج عن طريق الخطأ. واستمرت صَيْحَات الحرب وجلبتها لجزء مِن الوقت. واعتري التردد والوجل الجُنُود الذين رأوا هَذهِ الجلبة، وبعد فترة، (٢٦٦أ) سكنت الزيطة.

وفِي وقتِ صلاةِ العصرِ مِن يومالجمعةِ الثامنِ مِن شهرِ رجب، جاءنا خبر مِن [جند] المُقَدِّمَة أن العدو قادم نحونا. فلبسنا الدروع وتسلحنا وامتطينا الجياد. وكان هُمايون، والخوجه كلان، وسُلْطَان مُحَمَّد دولدي، وهندو بِك، وولي خازن، وبيرقلي السيستاني فِي المَيْمَنَة،و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، والخوجه مهدي، وعادل سُلْطَان، وشاه مير حُسَيْن، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، وقُتْلُقْقَدَم، وجان بِك، ومُحَمَّد بخشي، وشاه حُسَيْن ياركي، ومغول غانچي فِي المَيْسَرَة.

وچين تيمور سُلْطَان ، وسُلَيْمان مِيرْزا، ومُحَمَّدي كُوكَلْداش، وشاه منصور برلاس، ويونس على، ودرويش مُحَمَّد ساربان، وعبد الله الكتابدار فِي مَيْمَنَة القلب. وخليفة، والخوجه ميرميران، وأحمدي البروانچي، وتردي بِك، وقوچ بِك، ومحب على خليفه، ومِيرْزا بِك تَرْخان فِي مَيْسَرَة القلب. و خُسْرو كُوكَلْداش، و مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك في المُقَدِّمَة. وجعلنا عبد العزيز الميراخور فِي القسم الاحتياطي.

وفِي مُقَدِّمَة المَيْمَنَة ولي قيزيل ومعه ملك قاسم بابا قشقه، وفِي مُقَدِّمَة المَيْسَرَة قرا قوزي، وابو المُحَمَّد نيزه باز، وشيخ على، وشيخ جمال بارين، وهندي، وتينري[1] قُلي پشغي المُغُولي، وكانت مهمة هاتين المجموعتين، أن يلتفا حول العدو عِنْدَمَا يلوح غباره، ويحيطا به عن اليمين وعن الشمال.

وعندما بدا لنا غبار العدو، تبينا أنه متجه ناحية المَيْمَنَة بِشَكْلٍ أكبر. ولذَلِكَ أرْسَلْنا عبد العزيز [وقوات] الاحتياط لمساعدة المَيْمَنَة.

وصف معركة پانيپَت:

(٢٦٦ب) وبدا غبارُ السُلْطَان ابراهيم مِن بعيدٍ قادما بسرعة بغيرِ توقف. وعندما دنا منا، بدا له أيضًا غبارنا. ولاحظ هَذَا الترتيب وهذا التشكيل، بدا وكأن [لسان حاله] يقول: أينبغي أن نتوقف أم لا؟ أينبغي أن نذهب أم لا ؟. فما استطاع أن يتوقف، وما استطاع السَّيْر إلينا كما كان يفعل مِن قبل. فأصدرنا الأمر بأن يلتف رِجَال الكمين خلف العدو مِن اليمين والشمال، ويتراشقوا معه بالسهام، بَيْنَما تتقدم فرق المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وتهاجمه.

وفِي أول الأمر، هاجم الخوجه مهدي مِن فرق المَيْسَرَة، فخرج له فوج منهم ومعهم فيل، فأطلق [رِجَاله] عَلَيْهِم وابلا مِن السهام، فهزموهم وأجبروهم على التراجع. وأرْسَلْنا أحمدي البروانچي، وتردي بِك، وقوچ بِك، ومحب على خليفة مِن المَيْسَرَة ليدعموا القلب. وكانت المَيْسَرَة مستمرة فِي القِتَال. وأصدرنا الأمر إلى مُحَمَّدي كُوكَلْداش، وشاه منصور برلاس،

---

(١) تنطق تينرى..

ويونس على، وعبد الله بالتحرك مِن المركز، والتقدم لمواجهة العدو. ومن مُقَدِّمَة القلب أطلق الأستاذ على قُلي عدة قذائف جيدة [بالمدفع] بالأفرنكى، كما أحسن مصطفي الطوبجي مِن مَيْسَرَة القلب إطلاق القذائف بالمدافع المحمولة على العَرَبَات. والتي تستخدم عِنْدَ القِلاع. (٢٦٧أ)

وأحاطت فرقُ المَيْمَنَة والمَيْسَرَة التي فِي المركزِ والكمين بأطرافِ العدو. وشنوا هجماتا خاطفة لمرة أو مرتين. وأطلق رِجَالنا السهام، ودفعوا بهم إلى مراكزهم مرة ثانية تحت وابل مِن السهام. وتجمعت فرق مَيْمَنَة ومَيْسَرَة العدو كلها فِي مَوْضِع واحد، فحوصروا مِن كل جانبٍ ولم يجدوا سبيلا للتقدمِ أو الهَرَب.

وعند بدءِ المَعْرَكَة، كانت الشمسُ بارتفاعِ مزراق. واستمرت المَعْرَكَة حاميةُ الوطيس حَتَّى الظهيرة، وعندها صار العدو مغلوبا ومقهورًا، والأحياء مبتهجين مسرورين. فبفضل الله وكرمه، يَسَّرَ لنا أمرا صعبا كهذا، وصار جيشا جرارا [كجيش السُلْطَان ابراهيم اللودي مطروحاٍ] فوق الثري فِي نصفِ يوم،. وقتل خمسة أو ستة آلاف رجل فِي مَوْضِع قريب جدًا مِن [السُلْطَان] ابراهيم. وكنا نظن أن عَدَدَ مَن قتلوا فِي هَذهِ المَعْرَكَة فِي كل الجهات حوالي خمسة عشر أو ستة عشر ألف رجل. فلما جِئْنَا «أَكْرا» بعد ذَلِكَ، تبين مما قاله أهل «الهِنْد» أنه قتل فِي ساحة هَذهِ المَعْرَكَة أربعون أو خمسون ألف رجل.

هزمنا العدو، وتعقبناه بالضرب. وبدأ [رِجَالنا] فِي إحضار أمراء [العدو] وجُنُوده الأسرى. وجاء أصحاب الفيلة بأفيالَهُم قطعانا. وقدموها هدية.

وتعقبنا العدو، (٢٦٧ب) ولاعتقادنا أن ابراهيم خرج [حيا مِن المَعْرَكَة] فقد كلفنا متعقبين مِن الفرقة الخَاصة بقيادة قسمتاي مِيرْزا، وبابا چهره، وبوجكه، بالتعجيل بالسَّيْر لإدراكه، وأسره قبل أن يَبْلُغ «أَكْرا».

مقتل السُلْطَان ابراهيم اللودي:

وخضنا داخل معَسْكَر ابراهيم، وشاهدنا خيامهم وبيوتهم، ونزلنا إلى حافةِ نهرِ قراسو.

وقبيل العصر، تعرف طاهر تبري الأخ الأَصْغَر لزوجة خليفة عَلَى جُثَّةِ السُلْطَان ابراهيم بَيْنَ رُكَامِ الموتى، فجزَّ رأسَه وجاء بها. وفي ذَلِكَ اليوم، كَلَّفْنَا هُمايون مِيرْزا، والخوجه كلان، ومُحَمَّدي، وشاه منصور برلاس، ويونس علي، وعبد الله ولي بالسَّيْر فورًا وبسرعةٍ بدون أَثْقال، والاستحواذ على «أَكْرا» والسيطرة على خزائنها. كما كلفنا الخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وعادل سُلْطَان، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، وقُتْلُقْقَدَم، بالتحرك على وجهِ السرعة وبدون أَثْقال لدخول قلعة «دِهْلي»، والتحفظ على خزائنها.

تَحَرَّكْنا في اليومِ التَّالِي، وبعد مسيرة فَرْسَخ نزلنا بضّفَّة «جون» لراحةِ الخيل. وتقدمنا منزلين. وفي يَومِ الثلاثاء، طُفْنا بمزارِ الشَّيْخ نظام أوليا، ونزلنا بضّفَّة «جون» قُبَالَة «دِهْلي».

بَابُر في دِهْلي:

وفي مساءِ يَومِ الأربعاء، تفرجنا على حصن «دِهْلي»، وأمضينا الليل هُنَاكَ.

وفي اليَومِ التَّالِي وهو يومُ الخميس، طوَّفْنا بمزارِ الخوجه قطب الدين. وتفرَّجْنا على المقابرِ والعماراتِ والمناراتِ وحوضِ الشمسِ والحوضِ الخاص بالسُلْطَان غياث الدين بَلْبَن والسُلْطَان علاء الدين الخلجي (٢٦٨أ) ومقابر وحدائق السُلْطَان بهلول والسُلْطَان سكندر [اللودي]، ثُمَّ جِئْنَا إلى المعَسْكَر، وركبنا السفينة، وشربنا العرق.

وجعلنا ولي قيزيل عاملنا على «دِهْلي» إنْعَامًا مِنَّا، وجعلنا دوست علِي علَى ديوانها، وختمنا على الخزائن، وجعلناها في عهدته.

قراءة الخطبة في دِهْلي باسم بَابُر:

وفي يَومِ الخميس، نهضنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا بضّفَّة «جون» أمام طغلق اباد. وتوقفنا هُنَاكَ يوم الجمعة، وذهب مولانا مُحَمَّد مع الشَّيْخ زين، وأقاما صلاة الجمعة في «دِهْلي»، وقرءا الخطبة باسمي، ووزعا قدرا مِن المال على الفقراء والمساكين. ثُمَّ جاءا إلى الجَيْش.

السَّيْر إلى أَكْرا:

تَحَرَّكْنَا مِن هَذَا المنزل يوم السبت، وتَقَدَّمْنَا مِن منزِلٍ إلى آخر قاصدين «أَكْرا»،

وذهبتُ، لأتفرج على «طغلق اباد»، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

وفِي يَومِ الجمعة الثاني والعشرين مِن شهر رجب، نزلنا بمنزل سُلَيْمان فَرمُلي فِي ضواحي «أكْرا». ولأن هَذَا المكان بعيد جدا عن القَلْعَة، فقد غادرناه فِي اليوم التَّالِي، ونزلنا بقصر جلال خان جكهت. وكان هُمايون قد سبقنا فِي المجيء، وأبدى مَن فِي القَلْعَة الأعذار والحيل، فلاحظ همايون ما يسعون إليه مِن فوضى، وأدرك أنهم يريدون الاستيلاء على الخزينة، فظل يرقب مخارج الطرق لحين حضورنا.

وكان آباء بكر ماجيت هندو ملك «كواليار». قد أقاموا سلطنتهم فِي ولاية «كواليار» قبل أكثر مِن مائه سنة (٢٦٨ب). وقد أقام سكندر[اللودى] بضع سنوات فِي «أَكْرا» وعَيْنُه على «كواليار». وفيما بعد، شن أعظم هُمايون السرواني عدة حروب ضروس [لذات العناية] فِي زمن ابراهيم [اللودى]. وفِي النهاية أخذها مِنْهُ صُلْحا، وأعطاه شمس آباد عوضا عنها. وقد ذهب بكر ماجيت إلى الجحيم.

إهداء الماسة كوهِ نور إلى هُمايون[١]:

وعندما هزمنا السُلْطَان ابراهيم،كان أهل بيته وذراريه فِي «أكْرا». فلما جاء هُمايون إلى «أَكْرا» كان أهل بيت بكر ماجيت عازمين على الهَرَب. لكن مواقع رِجَالنا حالت دون هَذَا، فقد كانوا تحت المراقبة، كما أن هُمايون ما كان ليسمح لَهُم بذَلِكَ. فَقَدَّمُوا برغبتهم عددا مِن الجواهر والأحجار الكريمة هدية إلى هُمايون. ومن بينها الماسة المشهورة [كوهِ نور] التي حازها السُلْطَان علاء الدين. وكانت مشهورة جدا حَتَّى أن أحد الخبراء قدَّر قيمتها بأنها تساوي نفقات العالم كله لمدة يومين ونصف. والأغلب أنها تزن ثمانية مثاقيل[٢]. وقد أهداني هُمايون إياها عِنْدَ

(١) هَذِهِ الماسة معروفة باسم كوهِ نور أى جبل النور، وتزن ١٨٦ قيراطا، وقد أخذتها بريطانيا أثناء احتلالها للهند. وهذه الماسة تزين الآن التاج البريطانى.

(٢) المثقال وحدة وزن تساوي درهم وثلاثة أسباع الدرهم. والدرهم يساوى اثنى عشر جزء من الأوقية، والأوقية جزء من اثنى عشر جزء من الرطل.

مجيئي [إلىأَكْرا]. فوهبتها إلى هُمايون.

ومن الفُرْسَان والرِجَال المعروفين الذين كانوا داخل القَلْعَة؛ ملك دادكراني، وملي سوردك، وفيروز خان الميواتي، وظهرت منهم بعض الحيل، فعاقبناهم سياسةً. والتمس البعض استثناء ملك دادكراني مِن العقاب، وظلوا لمدة أربعة أيَّام أو خمسة يترددون عَلَيْنَا جيئة وذهابا لحين الاستقرار على قرار. فأظهرتُ لَهُم العناية والشفقة استجابة لَهُم، وأعطيناهم كل أملاكه.

دخول بَابُر أَكْرا:

وأعطينا أم ابراهيم [اللودى] وقدامى موظفيه مقاطعة ريعها سبعمائة ألف. (٢٦٩أ) كما أعطينا لِكُلِّ واحد مِن الأُمَرَاء الآخرين مقاطعة على حدة. وأخرجناها إلى حيث تقيم على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «أَكْرا».

وفِي يَومِ الخميس الثامن والعشرين مِن شهر رجب، دخلنا «أَكْرا» فِي وقت العصر، ونزلنا بقصر السُلْطَان ابراهيم.

حملات بَابُر على الهِنْد:

لقد أخذنا ولاية «كَابُل» فِي سنة تسعمائة وعشر، ومن وقتها ونحن نتمني الاستحواذ على «الهِنْد» كلها. لكن لم يتيسر لنا القيام بحملة على «الهِنْد»، وتسخير ممالكها، تارة بسبب تراخي الأُمَرَاء، وتارة بسبب عدم مؤازرة إخوتي، وفِي النهاية، زالت كل الموانع. وأصبح كل الأُمَرَاء الكبار والصغار جميعهم معى على كلمة واحدة.

وفِي سنة تسعمائة وخمس وعشرين، سقنا العَسْكَر، وهاجمنا «بَجُور»، وأخذناها بالقوة فِي جزئين أو ثلاثة أجزاء [مِن اليوم] [1]. وبعد أن أعملنا السيف فِي أهلها جِئْنَا إلى «بَهْرَه»، فأمنَّا [أهلها] على أموالَهُم، ووضعنا عَلَيْهِم فدية، مقدارها أربعمائة ألف شاهرُخي نقدًا أو عينًا. ووزعنا الجُنْد حسب عدد أهلها، ثُمَّ رجعنا إلى «كَابُل».

ومنذ ذَلِكَ التاريخ وحَتَّى سنة تسعمائة وثلاثين واثنتين، أرْسَلْنا الجُنْدَ إلى «الهِنْد» [أربع

(١) الجزء من الوقت يساوى اثنتين وعشرين دقيقة.

مرات] حَتَّى أمكنَنَا فِي المرةِ الخامسةِ بفضل الله وكرمه، أن نَجْعَل عدوا مثل السُلْطَان ابراهيم مقهورا أبترا، وتيسرلنا تسخير ممالك «الهِنْد».

تاريخ الهِنْد:

مُنْذُ عصرِ النبوةِ إلى يومنا هَذَا، حكم «الهِنْد» ثلاثة سلاطين، أقاموا سُلْطَانهم فيها. أولَهُم، السُلْطَان محمود الغازي(1)، وقد اعتلى أولاده كرسي الحكم فِي «الهِنْد» زمنا طويلا.

والثاني، هو السُلْطَان شهاب الدين الغوري(2) (٢٦٩ب)، وقد استمرت سلطنة مماليكه وأتباعه فِي هَذهِ الممالك لسنوات طويلة.

والثالثة، هي سلطنتا نَحْنُ. لكن ما قمتُ به لا يقارن بما قام به هذان السُلْطَانان. فعندما سخَّر السُلْطَان محمود «الهِنْد»، كانت «خُراسان»فِي قبضته، وسلاطين خوارزم، و دار المرز(3) طوع أمره، وخاضعين له، وسُلْطَان «سَمَرْقَنْد»تحت يده. وكان جنده يزيد عن مائه ألف ودون المائتين، وأعداؤه هم سلاطين «الهِنْد» مِن الراجاوات [أي الأُمَرَاء]، ولم تكن «الهِنْد» كلها فِي قبضة سُلْطَان واحد. فكل أمير هندى هو صاحب السَّلْطَنَة فِي ولايته.

ورغم أن سلطنة «خُراسان» لم تكن للسُلْطَان شهاب الدين الغورى، فإنها كانت لأخيه الكبير غياث الدين الغورى. وكما جاء فِي [كتاب] طبقات ناصري، أنه ساق إلى «الهِنْد» فِي مرة واحدة مائة وعشرين ألف فارس مدرع، وكان خصومه أيضًا من الراي والراجه [سلاطين وحكام الهِنْد]. ولم تكن «الهِنْد» كلها لرجل واحد.

وعند مجيئنا إلى «بَهْرَه» هَذهِ المرة، كان معي ما يناهز ألف وخمسمائة إلى ألفي رجل. أما فِي المرة الخامسة، فقد جئتُ وتغلبتُ على السُلْطَان ابراهيم، وفتحت ممالك «الهِنْد». ولم يأت إلى «الهِنْد» فِي أي زمن قط مثل هَذَا العدد مِن الجُنْد الذي جئتُ به، إذ كان جُملة مَن كان

---

(1) محمود الغزنوى (ت ٩٩٧هـ=١٠٣٠م) فاتح الهِنْد و مؤسس الحكم الإسلامى فِي الهِنْد.
(2) مؤسس الدولة الغورية فِي الهِنْد سنة ٥٨٢هـ= ١١٨٦م.
(3) جاءت فِي الانجليزية بمعنى التخوم.

معي مِن الخدم والتجار والعبيد يناهز إثنى عشر ألفا. وكانت الولايات التي تتبعنا هي (٢٧٠أ) «بَدَخْشان»، و«قُنْدُز»، و «كَابُل» و«قَنْدَهار». لكن ليس مِن هَذهِ الولايات نفع يعتد به. بل ربما احتاج بعضها إلى مَدَدٍ كبيرٍ بسببِ وقوعها قريبة مِن العدو. وكانت كل ولايات «ما وراء النَّهْر» تحت تصرف خانات وسلاطين الأُزْبَك. ولَهُم مِن الجُنْد ما يناهز المائه ألف، وهم أعداء لنا مُنْذُ القدم. أما مملكة «الهِنْد»، فكانت مِن «بَهْرَه» إلى «بَهار» تحت تصرف الأَفْغَان.وسُلْطَانها هو السُلْطَان ابراهيم [اللودي]. وبحساب الولاية، يجب أن تحوز مِن الجُنْد خمسمائة ألف. وبسبب أمرائها المخالفين[1] آنذاك، فالمتوقع أن يكون عدد الجُنْد بها مائه ألف. ويقال إنه كان يحوز وأمراؤه ألف فيل.

توكلنا على الله بهذا الحال وهذه القوة، وقد خلينا وراءنا عدوا قديما ذا قوة قوامها مائه ألف وهم الأُزْبَك. فوجدنا أنفسنا فِي مواجهة سُلْطَان كثير الجُنْد، واسع المُلك هو السُلْطَان ابراهيم [اللودى]. وبحُسْن توكلنا هَذَا، لم يضيّع الله سبحانه وتعالى تعبنا وما كابدناه هباءً، فظهرنا على عدو قوي كهذا، وفتحت لنا بلاد وَاسِعَة كالهِنْد. ونعرف أن هَذَا الفَلاح ليس بجهدنا وقوتنا، لَكِنَّهُ محض لطف مِن الله ورحمة، وهذه السعادة أيضًا لَيْسَت مِن سعينا وهمتنا، لكنها مِن الله عين الكرم والعناية.

حدود الهِنْد:

وممالك «الهِنْد» وَاسِعَة وأهلها كُثُر، وريعها كبير. (٢٧٠ب) تنتهي مِن الشرق والجنوب والغرب إلى البحر المحيط[2]. وشمالها جبل متصل بجِبَال «هندوكش» و«كافرستان» و«كشِمير» وفِي الشمال الغربي مِنْها «كَابُل»، و«غَزْنَه»، و«قَنْدَهار».

سلاطين الهِنْد قبل بَابُر:

كانت «دِهْلي» عاصمة جميع ولاية «الهِنْد». وبعد السُلْطَان شهاب الدين الغوري،،

(١) جاءت فِي الانجليزية الشرقيين
(٢) أي ما يعرف اليوم باسم المحيط الهِندى.

أصبح أكثر «الهِنْد» تحت إدارة سلاطين «دِهْلي» حَتَّى آخر عهد السُلْطَان فيروز شاه. وفِي هَذَا التاريخ، فتحتُ «الهِنْد»، وكان خمسة سلاطين مِن المسلمين واثنان مِن الكُفَّار قد أقاموا سلطنتهم فِي «الهِنْد»، وكثير مِن الإمارات الصغيرة والكبيرة فِي الجبل والأدغال [يحكمها ولاة وأمراء يلقبون] الراى والراجه، لكنهم كانوا معتبرين ومستقلين.

السَلْطَنَة الأولى، سلطنة الأَفْغَان، وعاصمتهم «دِهْلي». وفِي قبضتهم الأماكن مِن «بَهْرَه» إلى «بَهَار». وقبل الأَفْغَان كانت «جونپور» فِي قبضة السُلْطَان حُسَيْن شرقي، اويُطْلِقُون عَلَيْهِم اسم پُورَبِي. وكان آباؤهم سقاة السُلْطَان فيروز شاه وأولئك السلاطين. وبعد فيروز شاه تسلطوا على مملكة جونپور. وكانت «دِهْلي» فِي يد السُلْطَان علاء الدين وهو مِن طبقة السادة، وكان تيمور بِك قد أعطى أباءهم حكومة «دِهْلي» عِنْدَمَا أخذها.

وقبض السُلْطَان بهلول اللودي الأَفْغَاني وابنه السُلْطَان سكندر على العاصمتين «دِهْلي» وجونپور، وصار كل منهما سُلْطَانا فِي عاصمة.

و[السَّلْطَنَة] الثانية، للسُلْطَان مُظَفَّر فِي كُجَرات. وقد توفي قبيل فتح السُلْطَان ابراهيم [كُجَرات] بأَيَّامٍ.(٢٧١أ) وكان سُلْطَانا عارفا متمكنا بالشريعة، وطالبا للعلم. يقرأ الحديث، ودائم الانشغال بنسخ المصحف. ويُطْلِقُون على طبقتهم [أسرتهم] اسم تانك. وآباؤه أيضًا كانوا سقاة السُلْطَان فيروز وأولئك السلاطين، وبعد فيروز شاه، صارت ولاية كُجَرات فِي قبضتهم.

و[السَّلْطَنَة] الثالثة، هم البهمنيون فِي الدكن. لكن فِي هَذَا الحين، كان سلاطين الدكن لا حول لَهُم ولا قوة. واستولى الأُمَرَاء الكبار على كل ولاياتهم. فإذا احتاج [سُلْطَان الدكن] لشيء، طلبه منهم.

والسلطنة الرابعة، للسُلْطَان محمود فِي ولاية «مالوه» التي يسمونها منداو. ويسمون هَذِهِ الطبقة الخلجيين. وقد هاجمهم الكَافِر راناسَنْكَا وحاز أكثر الولاية. فذهبت قوتهم. وآباء الخلجيين أيضا ممن رباهم فيروز شاه، ومن بعده صارت ولاية «مالوه» فِي قبضتهم. والخامسة، لنصرت شاه فِي ولاية بنكاله.

ولاية بنكاله:

كان والد نصرت شاه سُلْطَانا فِي «بنكاله». وكان سَيِّدا. وتلقب باسم السُلْطَان علاء الدين. وقد انْتَقَلَت له السَّلْطَنَة بالإرث. وفِي بنكاله تقليد غريب، فقلما يقع توارث السَّلْطَنَة. فالسُلْطَان له [العاصمة] مقر العرش، وكل واحد مِن الأُمَرَاء والوزراء وأصحاب المناصب له مكان محدد. وهذه الأماكن هي المعتبرة لدى شعب بنكاله. ولكل واحد منهم جنده وخدمه المحددين المنقادين له. ولو أراد السُلْطَان نَصْب شخص ما أو عَزْله (٢٧١ب) أو تعيين أي شخص مكانه، فكل الجُنْد والخدم المطيعة والتابعة لذَلِكَ المكان تصير لذَلِكَ الشخص، والأمر نفسه فِي تولي عرش السَّلْطَنَة. فإذا قام أحد بقتل السُلْطَان ووجد الفرصة لاعتلاء العرش يصير هو السُلْطَان. ويطيعه كل الأُمَرَاء والوزراء والفُرْسَان والرعية وينقادون له. ويسلمون به سُلْطَانا مثل السلاطين القدامي ويطيعون أوامره.ومقولة أهل بنكاله هي: نَحْنُ مخلصون للعرش نطيع مَن يعتليه ونخضع له. ولاسيما أنه قبل السُلْطَان علاء الدين ابو نصرت شاه، حدث أن حبشيا[1] قتل السُلْطَان واعتلي العرش، وتولى السَّلْطَنَة لفترة. وكذَلِكَ السُلْطَان علاء الدين اعتلى العرش بعد قتله لذَلِكَ الحبشي، والآن صار ابن السُلْطَان علاء الدين[2] سُلْطَانا بالإرث.

وتقليد آخر فِي. فمن العار على مَن يصبح سُلْطَانا، أن يصرف مِن خزائن السُلْطَان السابق، ويجب على كل مَن يعتلي عرش السُلْطَان أن يجمع الخزينة مِن جديد. وجمع الخزينة، مدعاة فخر ومباهاة أمام الأهالي.

ومن تقاليدهم أيضًا، أن خزانة السلاطين المعينة والمقررة مِن قديم ومرابط الخيل، وجميع منشآتهم ومقاطعاتهم، لا يُنفق مِن ريعها مطلقا، على أي مكان آخر سواها.

هؤلاء هم السلاطين المسلمون، ذوي الاعتبار أصحاب الجُنُود الغفيرة،والولايات الكَثِيرَة.

ومن الكُفَّار الذين حكموا فِي «الهِنْد» الملك بيجانَكَر، وهو أحدُ الكبارِ مِن حيث الجُنُود

(١) ذكرت الترجمة الانجليزية أن هَذَا الحبشى اسمه مُظَفَّر شاه.

(٢) اسمه نصرت [الترجمة الانجليزية].

الغفيرة والولايات الكَثِيرَة. (٢٧٢أ) وآخر هو راناسَنْگا، الذي ارتفع نجمه مؤخرا بجرأته وسيفه. اصل ولايته چيتور، وعندما انهارت سلطنة منداو، أخذ الولايات التابعة لها مثل «رَنْتَبور»، و«سارنكپور»، و«بَه لَسَان»، و «چنديري».

وفِي سنة ٩٣٤[هـ] [1]، حاربنا بعون الله فِي «چَنْدِيرِي» لعدة سنوات، وكانْ بها رجلا معتبرا مِن رِجَال راناسَنْگا اسمه ميدني راو، ومعه أربعة أو خمسة آلاف كافر. فشددتُ عَلَيْهِ الهجوم مرة أو مرتين، فأخذتُها وأبَدْتُ الكُفَّار، وأقمتُ دار الإسلام. وهو ما سيأتي ذكره بالتفصيل فيما بعد. وكان فِي أنحاء «الهِنْد» وأطرافها كثير مِن [الأُمَرَاء الهنود ممن يلقبون بألقاب] الراي والراجه. خضع بعضهم لسلاطين الإسلام، بَيْنَمَا لم يخضع بعضهم الآخر بسبب بُعد مناطقهم، أو منعة أماكنهم.

جغرافية الهِنْد:

و«الهِنْد» مِن الإقليم الأول والثاني والثالث. ودون الرابع. وهي ولاية غريبة، إنها عالم آخر[مختلف] عن ولاياتنا.

جِبَالها وماؤها، أدغالها وسهولها، أرضها وولاياتها، حيواناتها ونباتها، أهلها ولغتها، مطرها ورياحها، كلها شيء مختلف تمامًا. فكَابُل ومُلْحَقَاتها مِن الإقليم الحار، ولو أن بعضها يشبه «الهِنْد» فِي بعض أحوالها، فإن بعضها الآخر لا يشبهها. وبمجرد تجاوز نهر السِّنْد [2]، فإن كل شيء يكون على طريقة «الهِنْد»؛ الأرض والنَّهْر، والشجر والحجر، والقَبَائِل والعَشَائِر، والعادات والأعراف.

(١) يقابل عام ١٥٢٨م.

(٢) نهر السِّنْد هو أطول أنهار الهِنْد يبلغ طوله ألف ميل، وله خمسة روافد هى بهت، وجاناب، وراوي، وبياه، وسُتْلُج، وقد عرف الإقليم الذى تجرى فيه هَذهِ الروافد باسم البنجاب بمعنى الأنهار الخمسة ـ أما الرافد السادس فهو نهر كَابُل الذى ينبع من جبال الهِنْدكوش ويلتقى بالسِّنْد فِي ناحية الغرب كما ان فِي البنجاب بوابة الهِنْدستان وهى دَرْب خيبر ومنـــه نفذ أغلب الغزاة والفاتحين للهـند .. أنظــر، الساداتى، تاريخ المسلمين، ج١، ص٦.

وكما ذكرنا، تقوم الجِبَال فِي الجهة الشمالية، وولايات هَذهِ الجِبَال الكائنة فِي ذَلِكَ الجانب مِن «نهر السِّنْد»، خاضعة كلها لكشمير.

ورغم أن أكثر ولاياتٍ فِي هَذهِ الجِبَال مثل «بكلي» و«شهمنك» كانت خاضعةً لكشمير مِن قبل، لكنها الآن غير خاضعة لها. وبعد تجاوز كشمير، نجد فِي هَذهِ الجِبَال مالا يعد ولا يحصي مِن القَبَائِل والعَشَائِر والمقاطعات والولايات. وتسكن هَذَا الجبل [الممتد] مِن بنكاله إلى ساحل المحيط جماعات كَثِيرَة. ولم نعرف مِن أهل «الهِنْد» خبرا مؤكدا عن هَذهِ الجماعات رغم البحث والتدقيق. وقالوا أنهم يدعون أهل باسم "كَسْ"، وجال بخاطري أن أهل «الهِنْد» ينطقون حرف الشين، سينًا، ولأن «كشمير» هي أكبر المدن فِي هَذَا الجبل، ولعلَهُم لا يعرفون مدينة أخرى سواها، ولهذا ينطقونها «كشمير».

وتجارة أهل هَذَا الجبل هي المسك، وثور البحر، والزعفران، والرصاص، والنحاس، وأهل «الهِنْد» يُطْلِقُون على هَذَا الجبل اسم «سوا لك پربت». وسوا فِي لغة «الهِنْد» تعني ربع، و لك تعني مائه ألف، وپربت تعني جبل. ومعناها جبل رُبع المائة ألف جبل، أي المائتين وخمسين ألف جبل. وهذه الجِبَال لا ينقطع عنها الثلج أبدًا. ويظهر الثلج فِي بعض ولايات «الهِنْد» مثل «لاهور» ،و«سِهْرِنْد»، و«سُنْبُل». وهذا الجبل معروف فِي «كَابُل» باسم «هندكوش». ويمتد مِن «كَابُل» جهة الشرق ويميل جزءٌ مِنْهُ ناحيةَ الجنوب، والطرف الجَنُوبِيّ هو «الهِنْد» تماما. وشمال هَذَا الجبل وهذه القَبَائِل غير المعلومة التي يسمونها كَسْ (٢٧٣أ) [تقع] «ولاية التبت ».

أنهار الهِنْد:

وتخرج مِن هَذَا الجبلِ[١] أنهارٌ كَثِيرَة تجري داخل «الهِنْد»، فمن «سِهْرِنْد» فِي اتجاه الشمال تجري ستة أنهارٍ هي؛ «السِّنْد»، و«بهت»، و«جاناب»، و«راوي»، و«بياه»، و«سُتْلُج»، وكلها تخرج مِن هَذَا الجبل وتتحد بنواحي «مُلْتَان»، ويُطْلِقُون على المكان الذي

(١)يقصد جبال هندوكوش.

تجتمع وتتحد فيه اسم السِّنْد. ويجري هَذَا النَّهْر جهة الغرب، فيمر مِن داخل «ولاية تته»، ثُمَّ تصب فِي المحيط. وغير هَذهِ الأنهار الستة، يُوجَد كثير مِن الأنهار الأخرى مثل «جون»، و«كُنك»، و«ربت»، و«كومتي»، و«ككر»، و«سرو»، و«كندك». وكلها تتحد مع «نهركُنک»، وتصب جهة الشرق باسم «نهركُنک»، ثُمَّ تمر مِن داخل «ولاية البنكاله»، وتصب فِي المحيط. ومنبعها كلها «سوا لك پربت». وبعض الأنهار، تخرج مِن جِبَال «الهِنْد» مثل «جنبل»، و«بناس»، و«بيتوي»، و«سون»، ولا يُوجَد ثلج مطلقًا فِي هَذهِ الجِبَال. وهذه الأنهار أيضًا، تتحد مع «نهر كُنک».

جِبَال الهِنْد:

وبالهِنْد جِبَال عِدَّة، واحد مِنْها يمتد مِن الشمال إلى الجنوب، ويبدأ مِن العمارة المسماه فيروز شاه جهان نُما فِي ولاية «دِهْلي»، وتقوم فوق جبل حجري صغير، وبعد تجاوزها تظهر جِبَال صخرية صغيرة ومتفرقة هنا وهُنَاكَ قريبا مِن «دِهْلي»، وعند ولاية «ميوات»، تبدو هَذهِ الجِبَال أكبر قليلًا، وبعد أن تجتاز «ميوات» (٢٧٣ب) تمتد إلى ولاية «بيَانه».

كذَلِكَ جِبَال «سيكري»، و «باري»، و«دُولپُور» فإنها مِن سلسلة هَذَا الجبلِ بالرغم مِن أنها غير متصلة به.

كذَلِكَ جِبَال «كواليار» التي يُطْلِقُون عَلَيْها اسم «كاليور»، فإنها مِن سلسلة هَذَا الجبل[1]. ومن سلسلة هَذَا الجبل أيضا جِبَال «ونتنپور»، و«جيتور»، و«منداو»، و«چنديري». وفي بعضِ الأماكِنِ تنقطع الجِبَال لمسافةِ سبعةٍ أو ثمانية فَرَاسِخ. وهي عبارة عن جِبَال منخفضة، وعرة ذات أحجار وأدغال، ولا يسقط عَلَيْها الثلج بتاتا على هَذهِ الجِبَال، وتنبع مِنْها بعض أنهار «الهِنْد».

طريقة الريّ فِي الهِنْد:

وأكثرُ ولاياتِ «الهِنْد» تقومُ فِي أماكنِ منبسطة. وتخلو المدنُ والولاياتُ مِن أي ماء جار.

---

(١) أضافت الانجليزية هنا رغم أنها غير متصلة به.

والماء الجاري هو الأنهار. ويُوجَد فِي بعضِ الأماكن بركُ ماء. ورغم أن بعضَ المدن، يمكن الحفر فيها واستخراج الماء، إلا أنهم لايفعلون ذَلِكَ. ولهذا أَسْبَاب مِنْها، أنه لا حاجة مطلقًا للماءِ فِي الزراعةِ أو الحدائق.كما أن محصولَ الخريف ينمو بالأمطارِ المَوْسِمِيَّة. والغريب أن محصولَ الربيعِ ينمو وإن لم تكن تسقط أمطار. فهم يَرْوون شتلاتَ الأشجارِ لمدةِ عامٍ أو اثنين بالدلاءِ أوالسواقِي، وبعد ذَلِكَ لا تصبح هُنَاكَ ضرورة لريها أصلا. ويروون فقط بعض أنواع الخُضَر.

وفِي «لاهور»، و«ديپالپور»، و «سِهْرِنْد» وتلك النواحي، يروون [الزراعات] بالساقية. فيربطون حبلين طويلين على هيئةِ حلقةٍ بعمقِ البئر، ويربطون بين هذين الحبلين قطعا مِن الخشب، ويربطون فيها الدلاء. ويضعون الحبلَ الذي يربط هَذهِ الدلاء (٢٧٤أ) على عجلةٍ فوقَ البئر. وأمام هَذهِ العجلة عجلة أخرى فِي عمودٍ مائل، وعندما يدير الثور العجلة، تتداخل أسنان العجلة الأولى فِي أسنانِ العجلةِ الثانية، فتدور العجلةُ ذات الدلاء وتحملُ الماء، وتصُبّه فِي الميزابِ الذي وضعوه، فينتقل الماءُ مِن الميزابِ إلى كل مكان.

وفِي «أَكْرا»، و«چندوار»، و «بيانه» وهذه النواحي، ينقلون الماء بالدلاء. وهي طريقةٌ شاقةٌ وغير نظيفة.

وقد غرسوا شجرة ذات غصون على حافةِ البئر، ووضعوا بَكَرَة بين غصونها، وربطوا الدَّلْو بحبلٍ طويلٍ يضعوه فوق هَذهِ البَكَرَة. ويربطوا طرفَ الحَبْلِ بثورٍ يسوقه رجل، ويقوم آخر بتفريغ الماء مِن الدَّلْوِ. ويسحب هَذَا الثور الحَبْلَ. وعندما يعود ثانية، فإن هَذَا الحَبْل فِي كلِّ مرة ينسحب فوق الطريق الملوث بروث هَذَا الثور، ويسقط ثانية فِي البئر. وإذا كانت المياه لازمة لبعض الزراعات، فإن الرجَال والنساءَ يحملون الماء لِرَيّها.

مدنُ الهِنْد وولاياتُها:

ومدنُ «الهِنْد» وولاياتُها تخلو مِن البهجة، فكل المدنِ والأراضي متشابهة، لا تميز أي مِنْها عن الأخرى. وحدائقُها بلا سياج. وأغلبُ الأماكنِ منبسطة. وسواحلُ بعض الأنهارِ والجداولِ مغمورة بالماء مِن جراء الأمطار المَوْسِمِيَّة. (٢٧٤ب) فتحول دون تجاوزها مِن أي

مَوْضِع. وفِي بعضِ الأماكنِ أدغال مِن الشوك، يختبئ بها أهلُ المقاطعاتِ تمردا أو هَرَبًا مِن دفعِ المكوس.

ويندر وجود الماء الجاري فِي «الهِنْد» عدا الأنهار. ونادرا ما نصادف تجمعات للمياه فِي بعضِ الأماكن. وأكثرُ المدنِ والولاياتِ تعيش على مياهِ الآبارِ أو مياهِ الأمطارِ المَوْسِمِيَّة التي تتجمع فِي الأحواض.

وفِي «الهِنْد» يمكن أن يزول أي مكان، بل وتمحى قرى ومدن بأكملها فِي لحظةٍ واحدة، ويمكن فِي ذاتِ اللحظة أن تقام قرى ومدن أخرى. فالمدن الكبيرة العامرة، إذا قرّرَ أهلُها الفرار مِنها، فإنهم يهجرونها فِي يَومٍ واحدٍ بل وفِي نصفِ يومٍ، فلا يَبْقَ مِنْها أثرٌ أو علامة، وإذا أرادوا أن ينشِئوا مكانا، فلا حاجة بهم لحفرِ قناةٍ أو عملِ خزانٍ للمياة، لأنهم يروون زراعاتهم كلها بماءِ المطر. فيتجمعون كلّهُم وهم كثْرة تفوق الحَصْر، وينشئون حوضا أو يحفرون بئرا، كما أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى إقامةِ بيتٍ أو رفعِ سقف، فالخيزران عندهم كثير، والشجر لا يحصى، فيقيمون الأكواخ، فتتكون قريةٌ أو مدينةٌ فِي الحال.

حيوانات الهِنْد

الفيلُ:

وهو مِن الوحوش، ويسميه الهنود هاتي. ويُوجَد على حدودِ ولايةِ «كَالْپِي». فإذا اتجهنا إلى أعلى وإلى الشرق، نجد الأفيالَ الصحراوية. وهم يصطادون الفيلة ويحضرونها مِن هَذهِ النواحي. وثلاثين أو أربعين مَوْضِع فِي كرهومانك پور يَعْمَل أهلُها بصيدِ الفيلة. (٢٧٥أ) ويدفعون ضرائبهم أفيالًا.

والفيلُ حيوانٌ عظيمُ الجُثة، ذكي يفهم ما يُقالُ له، ويَفعل ما يُؤْمرُ به. فَيُقَدَّرُ ثمنه تبعا لحجمِه أو يزيد. ويُرْوَى أنه فِي بعضِ الجزرِ توجد فيله بارتفاعِ عشرة أذرع، أما هنا، لم نر مِنْها ما يزيد ارتفاعه عن أربعةِ أذرعٍ أو خمسة. ويتناول الفيل طعامه وشرابه بخرطومه، فلا يمكن أن يعيش بدونه. وفِي الشفة العليا على جانبي الخرطوم، يُوجَد نابان كبيران. فيضغط بهما على الحائطِ فيكسرها، أو الأشجار فيقتلعها، ويَسْتَخْدِم هَذهِ الأنياب فِي العراكِ أو فِي أيِّ مِن الأعمالِ

الشاقة. ويسمون هَذهِ الأنياب "عاج". وهي لدى أهالي «الهِنْد» ثمينة للغاية. والفيل أجردٌ. ولابد أن يُوجَد مع كل فوجٍ مِن الجَيْش عدد مِن الفيلة. وللفيلِ بعض المزايا الحسنة. فهو ضخم الجُثة ويخوض المياه الوَاسِعَة العميقة، ويحمل أثقالا، وتستطيع ثلاثة أو أربعة أفيال أن تجر بِيُسْرٍ عربةَ المدفعِ التي يجرها أربعمائة رجلٍ أو خمسمائة. كما أن حَلْقَة أيضًا عظيم الانساع، فما يأكله فيلٌ واحدٌ يكفي قافلتين مِن الإبل.

الكَرْكَدَنْ:

واسمه الكُرْك: وهذا أيضًا حيوان كبير.(٢٧٥ب) وبعضه بحجم ثلاث مِن الجاموس. وهُنَاكَ قولٌ مشهورٌ فِي هَذهِ الولايات، إن الكُرْك يرفعُ الفيل بِقَرْنِه. وهو قولٌ خطأ فِي الغالب. ويعلو منْخَرَيْهِ قرنٌ يجاوزُ طوله الشبر، ولم يُري مِنْهُ أبدا ما يبلغ الشبرين. ويصنع مِن القرنِ الطويلِ قدح وصندوق للنرد، وربما يزاد على ذَلِكَ ثلاثة أو أربعة أزرار. وجِلدُه فائقُ الثخانة، ويقولون لو أن [رجلا] جذب قوسا قويا بأقصى ذراعه، ثُمَّ أحسن إطلاقه، فإنه ينغرس [فِي جلده] بعمق أربعة أصابع، ويمكن أن يخترقه فِي بعضِ مواضِعِه بِشَكْلٍ أَفْضَل. ويتدلي جلدٌ كثيفٌ مِن كتفيه وعَجُزه. ويظهر مِن بعيد وكأنه مغطي بغطاء. وهو أكثر الحيوانات شبهًا بالحصان. فبطنه لَيْسَت كبيرة مثل بطن الحصان. وللكَرْكَدَنْ عظمٌ فِي حافرِهِ يُشبه ذَلِكَ الذي فِي حافرِ الحصان. كما أن عظامَ حافريْهِ الأماميين تشبه تلك التي فِي الحافرين الأماميين للحصان. وهذا الحيوان أكثر وَحْشِية مِن الفيل، وغير مطيع ولا منقاد مثله. ويكثر فِي أدغال «پَرْشاوَر» و«هَشْنَغَر». وفِي الأدغالِ التي بين ولاية «بَهَرَه» و«نهرِ السِّنْد». كما يكثر على ضِفَّة «نهر سَرْو» فِي «الهِنْد».

وفِي أغلبِ حملاتنا على «الهِنْد»، (٢٧٦أ) كنا نصيد الكَرْكَدَنْ فِي أدغال پَرْشاوَر، و«هَشْنَغَر». فكان يضرب بقرنه. وفِي رحلاتِ الصيدِ هَذهِ، ضَرَبَ بِقَرْنِه الكثيرَ مِن الرجَال والجياد، وفِي أحدِ المرات، ألقى بقرنه حصان غلام اسمه مقصود، ولهذا نعتوه بالكرك.

الجاموس البري:

وهو حيوانٌ أكبر قليلًا مِن الجاموس. وقرْنُه مثل قرن الجاموس، وظهْرُه ليس كبير، وهو حيوانٌ مؤذٍ وفتَّاك.

الثور الأزرق:

ارتفاعُه كالحصانِ وأدق مِنْهُ قليلًا. الذَّكَرُ مِنْهُ أزرق اللون. ويبدو أنهم سموه الثور الأزرق لهذا السبب. وله قرنان صغيران، وأسفل حَلْقِه شعرٌ يزيد قليلًا على الشبر، ويشبه ثور البحر، وظِلْفَاه مشقوقان مثل ظلفي الثور، وأنثاه بلَوْنِ الكستناء، ولا يُوجَد شعرٌ عِنْدَ حلْقِها، وليس لها قرون، وهي مثل الحصان الأصيل مقارنة بالذكر[1].

الكوته باي:

حجمُه مثل الغَزَال الأبيض، وساقاه الأماميتانِ والخلفيتانِ قصيرةٌ بعض الشيء، ولذا، يسمونه كوته باي، وقرونُه مثل قرون الغَزَال ذات فروعٍ صغيرة لكنها أَصْغَر مِنْها قليلًا،وهذا أيضًا مثل الغَزَال يُغَيِّرُ قرونه كل سنة، وهو ضعيفٌ بعض الشيء فِي الجري، ولذا لا يخرج مِن الأدغال.

الغَزَال الأسود:

وهو نوعٌ مِن الغَزَال، الذَّكَرُ مِنْهُ يشبه الهون، أسودُ الظهرِ، وأبيضُ البطن، وقرونُه أطولُ مِن قرونِ الهون الأبيض (٢٧٦ب) وأكثر تشابكا مِنْها. ويسميه أهل «الهِنْد» كلهره. واسمه فِي الأصل كالا هرن يعني الغَزَال الأسود. ويخفف ويكتبونها كلهره. وأُنْثَاهُ بيضاء. ويصطادون به الغَزَال. فيعلقون بقرونه حَلَقَة الشَرَك، ويربطون بحافره حجرًا أكبر قليلًا مِن قذيفة المدفع، ليمنع الغَزَال البري مِن الانطلاق بعيدًا بعد الإيقاع به. وصيدُ هَذَا الغَزَال أمرٌ ممتعٌ للغاية، فعندما يظهر الغَزَال البرى، يُطْلِقُون الغَزَال الأسود أمامه، وعلى الفورِ يتناطحان

(١) الجملة الأخيرة لَيْسَت فِي الانجليزية.

ويتضاربان بقرونهما، وعندما يبدآن فِي الكَرِّ والفَر، فإن قرونَ هَذَا الغَزَال الأسودِ تشتبك بقرون الغَزَال الآخر وتتعلق بحلقة الشرك. وعندئذ لايتمكن الغَزَال مِن الفرار. وعلى كل حال، فإن الحجرَ المربوط بحافرِ الغَزَال الأسود يمنع الغَزَال [الآخر] مِن الفرار.

ويصطادون كثيرا مِن الغزلانِ بهذه الطريقة. وبعد صَيْدِه يقومون باستِئْنَاسِه، ويستخدمونه مرةً أخرى فِي صيدِ الغزلان، ويضعون هَذهِ الغزلان المستأنسة فِي المنزل، وهي تجيدُ التناطح.

وعلى سفوحِ جبلِ «الهِنْد»، يُوجَد أيضًا نوعٌ مِن الغَزَال الصغير، حجمُه صغيرٌ يشبه حجم صغير خروف ارقارغلچه البالغ عمره سنة واحدة.

الكيني اوي:

وهو ثورٌ صغيرٌ فِي حجمِ القوچقارى الصغير عندنا. ولحُمه ناعمٌ جدًا ولذيذ.

المَيْمُون:

ويسميه أهلُ «الهِنْد» باندر. وأنواعُه كَثِيرَةٌ ومتنوعة، مِنْها النوع الذي نراه فِي مناطِقنا. ويُعَلِّمُه المُهَرِّجون أداءَ الحركاتِ بجسمه، ويُوجَد فِي جِبَالِ « دره‌ء نور» والسفوحِ المجاورةِ لجبلِ «سفيد خَيْبَر» وفِي كلِّ مكان فِي «الهِنْد» أسفل [هَذهِ الجِبَال] ولا نَجِده فِي المنـاطق التي تعلوها. وهو أصفرُ الزّغب،أبيضُ الوجه، وذيلُه أقرب إلى الطول. ونوعٌ آخر مِن الميمونِ لا نراه فِي «بَجُور» و«سواد» وما حولها. وهو أكبرُ كثيرا مِن الميمونِ الذي نراه فِي ناحيَتِنا. وذيلُه طويلٌ جدًا. وشَعْرُهُ أبيضُ نَذِر، أما الوجه فشديدُ السواد. وهذا النوعُ مِن القردةِ نراه فِي جِبَالِ «الهِنْد» وأدغالها. ولا نراه فِي مناطِقِنا.

ونوعٌ آخر مِن القردة، وجهُهُ وزغبُهُ وكلُّ جِسمِه شديدةُ السواد.

النول:

أَصْغَر مِن السنجاب، ويتسلقُ الأشجار، وبعضُهم يُطلَق عَلَيْهِ اسم «موشي خورما» ويَتَبَرَّكون به.

الكلاهرى:

نوعٌ مِن الفئران، ويعيش دائمًا فِي الأشجارِ، ويجري مِنْ فَوْقِ الأشجارِ إلى أسفلٍ بِخِفَّةٍ كبيرة.

طيور الهِنْد:

الطاووس:

طائرٌ غنيٌ بالألوانِ، ومبرقش، لكن جسمه غير ملون أو مبرقش، وفِي حجمِ الكُرْكِي. لَكِنَّهُ ليس طويلا مثله. ويعلو رأسَ الذَّكَرِ والأنثى مِنْهُ ما بين عشرين أو ثلاثين شَعْرة، طولُها بين إصبعينِ أو ثلاثة. وأنثاه غير ملونة ولا يزينها سوى هَذهِ الشعيرات. وتعلو رأس الذَّكَرِ حَلَقةٌ زرقاءٌ مبرقشة. ورقبتُه لونها أزرق لامع. (٢٧٧ب) وأسفل رقبتِهِ وظَهْرِهِ مبرقش بالأصفرِ والأخضرِ والأزرقِ والبنفسجي. وتُزَيِّن ظَهره بقعٌ صغيرة، وأسفلُ ظهرِهِ بقعٌ مبرقشة بنفس الألوان حَتَّى طرف ذيله، وذيلُ بعض الطاووس بطولِ ذراعين. وأسفلُ هَذَا الريش الملون ذيل آخر أقصر مِنْهُ كذيلِ بقيةِ الطيور. هَذَا الذيل والأجنحة لونها أحمر. ويُوجَد الطاووس فِي «بَجُور»، وسواد وفِي الجنوب مِنْها. ولا يُوجَد مطلقًا فِي [المناطق الواقعة] شمالها فِي«كُنَر»، و«لَمْغَانات» ويعجز عن الطيرانِ كالديك البرى بل أكثر. ولا يمكنه التحليق إذ لا يمكنه أن يخفق بجناحية[للطيران] سوى مرة أو مرتين على الأكثر، لذا فإنه يعيش فِي الجِبَال أو الأدغال. والغريب، أن ابن آوي يكثر فِي الأدغالِ التي يعيش فيها الطاووس. فكيف يمكنه أن يمشى بذيله الطويل وينتقل مِن دغلٍ إلى آخر بدون أن يؤذه ابن آوي. ويسميه الهنود مور. وأَكْلُ لحمِهِ حلالٌ فِي مذهب أبو حنيفة. ولا يخلو مِن المذاق، ويشبه لحم الدُرَّاج. لَكِن أَكْلَه غير محببٍ كأكل لحم الإبل.

الببغاء:

ويُوجَد فِي «بَجُور» والولاياتِ التي فِي جنوبِها، ويأتي إلى « نيكنهار»، و «لَمْغَانات» فِي الربيعِ عِنْدَمَا ينمو شجرُ التوت. ولا نراه فِي غيره.

والببغاواتُ أنواعٌ مختلفة. مِنْها النوع الذي نراه فِي مناطقنا، ويعلِّمُونَه الكلام، ونوعٌ أخر

أَصْغَر قليلًا مِن هَذَا الببغاء (٢٧٨أ) وهذا أيضًا يعلمونه الكلام. ويسمونه جنكلى، وهذا النوع يكثر فِي «بَجُور»، و «سواد» وتلك النواحي، ويطير فِي أسرابٍ مِن خمسةٍ إلى ستة آلاف طائر. وهذان النوعان يختلفان عن بعضها فِي الجسم. أما مِن حيث اللون فلَهُما نفس اللون. ويُوجَد نوع مِن الببغاءِ أَصْغَر قليلًا مِن ببغاءِ الأدغال. رأسُه وظهرُ جناحيْهِ أحمر. وفِي طرفِ ذيلِه جزء أبيض اللون بطولِ إصبعين. والبعضُ مِن هَذَا النوعِ رأسُه أزرق. وهذا النوعُ لا يمكن أن يتَعَلَّم الكلام. ويُسَمونَه ببغاء كشمير.

وهُنَاكَ نوعٌ آخر صغير مِن الببغاء يشبه ببغاء «جنكلى»، منقارُه أسود، وعلى جسمِهِ بُقَعه كبيرة سوداء. وباطن جناحيه أحمر. ويتعلم الكلام جيدًا. وكنا نظن أن كل مِن الببغاء، والشارك يردِّدُ كل ما يتعلمه، لَكِنَّهُ لا يَسْتطِيع التفكير فِي شيء وترديده مِن تلقاء نفسه. وعندئذ قَالَ ابو القاسم جلاير وهو مِن المُلازمين المقربين لي شيئًا غريبًا: إنهم عِنْدَمَا وضعوا غطاءً على قفصِ ببغاء مِن هَذَا النوع قَالَ البيغاء: ارفعوا الغطاء، أُوشِك أن اختنق. وفِي مرة أخري، عِنْدَمَا جلس مَن يحملونه التماسا للراحة، جاءهم ضيوف ثُمَّ ذهبوا، فقال الببغاء لقد انصرف الرِجَال، ألن تذهبوا؟ والعهدة على الراوي. والإنسان لا يَسْتطِيع أن يُصَدِّق ما لم يسمعه بنفسه.

وهُنَاكَ نوعٌ مِن الببغاء، لونه أحمر براق. وآخر بعض ألوانه (٢٧٨ب) لم أُعُد أتذكرها جيدًا، لذا لن يمكننى وصفها بالتفصيل. وهو ببغاءٌ أحمر رائع الشكل. كانوا يعلمونه الكلام. وعيبه أن صوتَه سيء وحاد مثل الصوت الذي يصدر عِنْدَ حك الصيني المكسور بصحن مِن النحاس.

الشارك:

ويكثرُ فِي «لَمْغَانات» وفِي كل [مناطق] «الهِنْد» التي تقع جنوبها. والشارك أيضًا أنواعٌ مختلفة، والنوع الموجود بوفرة فِي «لَمْغَانات» أسود الرأس، أرقط الجناحين، وجسمه أكبر (كثيرا) مِن الزرزور وأشد مِنْهُ، ويعلمونه الكلام.

ويُطْلِقُون على نوعٍ مِن الشارك اسم بَنْداولى. ويحضرونه مِن البنكاله، وهو أسودٌ،

وجسمه أكبر قليلًا مِن هَذَا الشارك. ورِجْلاه أَصْغَر، وتتدلى حُليمتان مِن أذنيه، ومنظره سيء، ويتعلم الكلام. ويتكلم جيدًا.

ونوعٌ آخر مِن الشارك أدق قليلًا مِن النوع الذي ذكرناه أولًا. أطرافُ عينه حمراء. وهذا النوعُ لا يتعلم الكلام. ويسمونه ون شارك.

أَقَمْنَا قنطرة واجتزنا «نهر كُنَك»، لمطاردة الأعداء. ورأينا نوعا مِن الشارك فِي «لكنو» وأود ونواحيها، صدرُه أبيض، أسود الرأس والظهر. ولم نَرَهُ مطلقًا مُنْذُ ذَلِكَ اليوم. وهذا النوعُ فِي الغالبِ لا يتعلم الكلام.

اللوجه:

ويُطْلِقُون على هَذَا الطائرِ اسم ابو قلمون، ويُوجَد بين رأسِهِ وذيلِهِ خمسة أو ستة ألوان مختلفة، وجسمُه براق كجسم الحمام. وحجمه (٢٧٩أ) بحجم الكبك درى[١]، وهذا هو الديك البري الخاص ببلاد «الهِنْد». ويعيش فِي قمم الجِبَال مثل الديك البري، ويُوجَد فِي «نجراو» مِن ولايات «كَابُل» وفِي الجِبَال الواقعة فِي الجنوب مِنْها. ولا يُوجَد فِي شمالها. والنَّاس هُنَاكَ يقولون شيئًا غريبًا: إنه عِنْدَمَا يأتي الشتاء، ينزلونه إلى سفوح الجِبَال، وإذا أطلقوه داخل كرمة عنب، يعجز عن التحليق مِن طرف إلى آخر وسرعان ما يمسكون به. ولحمه يؤكل، وهو طيب المذاق وشهي جدًا.

الدُرَّاج[٢]:

وهو طائرٌ لا تختص به «الهِنْد»، ويُوجَد فِي ولاياتِ المنطقةِ الحارة. لكن بعض أنواعه تختص به «الهِنْد»، ولهذا رأيتُ مِن المناسب ذكرها. والدُرَّاج طائر فِي حجم الحجل[٣]. وظهر الذكر مِنْهُ بلون أنثى الديك البرى [ويسمونه السولون]. وجسمُه وصدرُه سوداوان. وله زَغَبٌ

(١) نوع من الدراج الجبلى.
(٢) نوع من الطيور يدرج فِي مشيه.
(٣) طائر فِي حجم الحمام، أحمر المنقار والرجلين، طيب اللحم (المعجم الوجيز١/١٣٧.

ناصعُ البياض. وعلى طرفِ عينه خط أحمر. وصوتُه جميل، وعندما يصيحُ يُسْمَعُ وكأنه يقول: عندى حليب وقليل مِن السكر. ودُرَّاج «استرا باد »يصيحُ بسرعةٍ وكأنه يقول لقد أمسكونى. ودُرَّاج «جزيرة العرب» وما يجاورها، يصيح [وكأنه يقول]" بالشكر تدوم النعم". وأنثاه ملوَّنة مثل السولون. وهذا الطائرُ يُوجَد فِي الجنوبِ مِن «نجراو».

الكنجل:

هو طائرٌ مِن جنسِ الدُرَّاج ويمثل حجمه. وصوتُه يشبه صوت الحَجَل. لكن صوته (٢٧٩ب) حاد جدًا، والفرق بسيط بين الذَّكَرِ والأنثي. ويُوجَد فِي «پَرْشَاوَر»، و«هَشْنَغَر»، والولايات الجَنُوبِيّة مِنْها، ولا يُوجَد فِي المَنَاطِق الواقعةِ شمالها.

البُل بكّار:

وبعضُه بحجمِ الدُرَّاج البري؛ جسمُه ولونُه يشبه جسم الدجاج ولونه. والجزء بين منقارِه وصدرِه أحمر لامع. ويُوجَد فِي جِبَالِ «الهِنْد».

الدجاج الصحراوي:

والفرقُ بينه وبين دجاجِ المنزل أنه يطير مثل الديك البرى. كما أنه يشبه الدجاج فِي أن جسمَهُ ليس بلون واحد. وهذا الدجاج يُوجَد فِي جِبَالِ «بَجُور»، والجِبَال الواقعة فِي الجنوب مِنْها، ولا نجده فِي شمالها.

الجلسى:

جسمُهُ مثل البُل بَكّار، لكن لون البُل بَكّار أجمل. ويُوجَد فِي جِبَالِ «بَجُور».

الشام:

فِي حجمِ دجاجة المنزل، ومُتَعَدِّد الألوان، ويَعِيشُ فِي جِبَالِ «بَجُور».

طائر السلوى:

ويسمونه البودنه، والواقع أنه طائرٌ لا تَخْتَص بهِ «الهِنْد». لكن مِنْهُ أربعة أو خَمْسَة أنواعٍ تختص بها «الهِنْد» مِنْها طائر السلوي الذي يأتي إلى ولاياتنا. وهو أَكبرُ مِن طائرِ السلوي،

وأُكثرُ مِنْهُ انتشارا فِي «الهِنْد». ونوعٌ آخر أقصر مِن طائرِ السلوي يأتي إلى مناطقنا، ولون الجناح والذيل أكثر حُمرة. وهذا النوع يشبه الچر، ويطير فِي أسراب. ونوعٌ آخر أكثر صفرة مِن طائر السلوي الذاهب إلى مناطقنا. والمنطقة مِن منقارِه إلى صدرِه أشد سوادًا (٢٨٠أ) ونوعٌ آخر مِن طائر السلوي يذهب إلى «كَابُل» فِي أعداد قليلة، وهو صغيرٌ جدا ولعله أكبر قَلِيلا مِن القارچه[1]. ويسمونه فِي «كَابُل» قوراتو.

الحُبَارى:

ويسمونه الخرجل، وهو بحجمِ التوغداق. وعلى كل حال، فإنه يعتبر حُبَارى «الهِنْد». لحمه لذيذ جدًا. ولحم الأطراف الخلفية لبعض الطيور يكون طيبا. وبعضها يطيب لحم صدره. أما الخرجل، فكل أجزائه لذيذة.

الچرز:

جسمُه أَصْغَر قليلا مِن التوغدرى. وظَهْرُ الذَّكَرِ مِنْهُ مثل التوغدرى. وصَدْرُه أسود، أما أُنْثَاه فذات لونٍ واحد. ولحُمه أيضًا طيب جدًا، كما أن الحبارى، والتوغداق متشابهان، كذَلِكَ الچرز يشبه التوغدرى.

ديك الخلنج:

ويسمونه باغرى قرا، وديكُ الخلنج الهِنْدي أَصْغَر قليلًا مِن ديك الخلنج [المعروف] وأدق مِنْهُ، وسواد الخلنج أقل، كما أن صوته أكثر حدّة.

وهُنَاكَ أيضًا طيور عِنْدَ الأنهارِ وشواطئها.

الدينك[2]:

وهو طائرٌ ضخمٌ. جناحه بطولِ القامة، أجرد الرأسِ والجسم. أسفل منقاره شيئا يشبه الكيس، وهو طائرٌ أسود الظهر، وأبيض الصدر. يذهب أحيانًا إلى «كَابُل». وذات عام

(١) ابو فصادة الأصفر.

(٢) لعله البجعة.

أمسكوا بِواحِدٍ مِنْهُ وأحضروه، واسْتَأْنَسُوه بِشَكْلٍ جيد، وكلما أَلْقُوا إليه لحمًا، التقطه بمنقاره بدونأن يخطئ أبدا. وذات مرة، إبتلع حذاءً ذا ستة مسامير. ومرة أخرى، إبتلع دجاجةً كاملةً بجناحيها وريشها.

السارس:

ويُطلِقُ عَلَيْهِ الأتراك في «الهِنْد» اسم الكركي الناقة، وحجمُه أَصْغَر قليلا مِن الدينك وجسمُه أعلى مِنْهُ قليلًا. ورأسُه أحمر قانٍ. وإذا رُبيَّ فِي البيتِ فإنه يستأنس جيدا.

المينك:

هو بحجمِ السارس، لكن جسمه أَصْغَر قليلًا، وأكبر قليلًا مِن اللقلق ويشبهه. ومنقاره أسود وأطول قليلًا مِن منقار اللقلق، ورأسه أزرق. وجسمه أبيض، وجناحاه أرقطان، وطرفا جناحيه وأسفلَهُما أبيض، ووسطهما أسود.

اللقلق:

أبيضُ الجسم، أسودُ الرأس والأطراف. واللقلق المعروف عندنا أَصْغَر قليلًا مِن اللقلق الذي يذهب إلى تلك المناطق. ويطلق الهنود على هَذَا اللقلق اسم يك دينك.

ونوعٌ آخر مِن اللقلق، لونُه وشكلُه هو نفس اللقلق الذي يذهب إلى مناطقنا لكن منقاره أدق وأكثر سوادًا.

ويُوجَد طائر يشبه اللقلق والبلشون. منقارُه أكبر وأطول قليلًا مِن منقار البلشون، وجسمُه أَصْغَر مِن جسمِ اللقلق.

الكروان الأسود:

[ويسمونه] أولوق بزك، فِي حجمِ الصقر، وباطنُ جناحيه أبيض، وعالى الصوت.

ابو قردان:

ويسمونه آق بزك، رأسه ومنقاره سوداوان. وهو أكبر قليلًا مِن ابو ملعقة[1] الذي نعرفة فِي بلادنا، وأَصْغَر قليلًا مما فِي «الهِنْد».(٢٨١أ)

---

(١) ويسمونه البارور بزرك.

الغرمباي:

وهو نوعٌ مِن البط. وأكبر مِن البط البري. والذَّكَر والأنثي مِنْهُ بذاتِ اللون. ويُوجَد دائمًا فِي «هَشْنَغَر». وأحيانًا يذهب إلى «لَمْغَانات» ولحمُه طيبٌ جدا.

الشَهمُرْغ:

نوعٌ مِن البط، أَصْغَر مِن الإوَز. يعلو منقاره نتوء. صدرُه أبيض، وظهرُه أسود، ولحمُه شهي.

الزُمّج: جِمُه مثل الصقرِ الشاهين، ولونُه أسود.

الزرزور: ظهرُه وذيلُه أحمر اللون(١).

غراب الهِنْد الأرقط:

وهو أَصْغَر قليلًا وأدق مِن الغرابِ الأرقطِ الموجود لدينا.

طائر الدغل:

ويُسمونه فِي «لَمْغَانات» مرغ جنكل، وهو طائرٌ يشبه الغراب. رأسُه وصدرُه سوداوان، وجناحاه وذيلُه يميلان إلى الحمرة، وعيناهُ بلونٍ أحمر قاني. ولأنه لا يَسْتطِيع الطيران، فإنه لا يخرج مِن الدغل، ولهذا يسمونه طائر الدغل.

الشبره:

ويُسمونه چمكدر، وهو نوعٌ كبيرٌ مِن الخفاش، حجمُه مثل البومه، ورأسُه يشبه رأس الجرو، وعندما يقيم فوق الشجرة، يتدلى مِن فرعها ورأسه إلى أسفل. وهو غريبٌ جدًا.

العقعق الهِنْدي(٢):

ويُسمونه متايله، وهو أَصْغَر مِن طائر العقعق. فالعقعق لونُه أبيض أرقط، أما المتايله فأرقط.

---

(١) أغفلت الانجليزية هَذهِ الجملة.

(٢) طائر من الفصيلة الغرابية وهو صخاب، له ذنب طويل ومنقار طويل، والعرب تتشاءم به. المعجم الوجيز ٢/٤٢٨.

ويُوجَد طائرٌ آخر صغير فِي حجمِ أبو فصادة (٢٨١ب) ولونُه أحمر لامع. يشوبُ جناحه بعضَ السواد.

الكرجه:

ويُشبه طائر الخطاف[1] وأكبر مِنْهُ بعض الشيء، ولونُه أسودٌ قاتم.

الكويل:

بعضُه بحجمِ الغرابِ الصغير، وبعضُه أصْغَر قليلًا. وتغريدُه جميل. وهو بلبل «الهِنْد». وله عِنْدَ أهلِ «الهِنْد» نفس قيمة البلبل. وتراه فِي الحدائقِ كَثِيرَة الأشجار.

ويُوجَد نـوعٌ آخر مِن الطيور يسير مثل الشقراق، وهو يلتصق بالأشجار، وحجمُه كالشقراق، ولونُه أخضر كالببغاء.

حيوانات الماء:

أسد النَّهْر:

يُوجَد فِي المياهِ الكبيرة، ويشبه التمساح. ويقولون إنه يخطف الإنسان بل والجاموس أيضًا.

السيسار:

وهذا أيضًا له شكلُ التمساح، ويُوجَد فِي كل أنهار «الهِنْد». وذات مرة، أمسكوه وجاءوا به. وطولُه حوالي أربعة أذرع أو خمسة، ووزنُه مثل الغنم. وبعضُه أكبر مِن هَذَا. وفَمُه أطول مِن نصفِ ذراع، وفِي فكيه صَفَّانِ مِن الأسنانِ الدقيقة. ويخرج مِن النَّهْرِ ويرقد على ضفته.

خنزير الماء:

[ويسمونه] " خوك آبى" يُوجَد فِي كل أنهار «الهِنْد»، ويطل برأسه مِن الماء فجأة ثُمَّ يغطس، ليظهر ذيله فقط. وفَمُه (٢٨٢أ) طويلٌ مثل السيسار، وله أسنانٌ صغيرةٌ متراصة. مؤخرة رأسه وجسمُه يشبه السمك. وعندما يلعب فِي النَّهْر يبدو مثل القِرْبة. وعندما يلعب

(١) طائر السنونو.

خنزير البحر يخرج السرو مِن الماء. وهو مثل السمك لا يغادر الماء مطلقا.

الكريال:

حجمُه كبير. وقد رآه كثيرٌ مِن الجُنْد في «نهر سَرْو» ويمكنه أن يخطف شخصا. وعندما كنا بضَفَّة «سرو» خطف خادم أو اثنين، وفيما بين «غازيپور» ، و«بنارس» خطف من الجيش ثلاثة رِجَال أو أربعة. وفِي هَذِهِ المنطقة، رأيتُ قليلا مِن الكريال، لكني لم أستطع أن أري تفاصيله جيدًا.

سمك الككه:

وتبرز عَظْمَتان أمامَ أذنيه، وطولُه ثلاثة أصابع. وعند الإمساك به تتحرك هاتان العظمتان ويخرج مِنْها صوتٌ غريب. وعلى أيةِ حال، فإنهم يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم ككه بسبب هَذَا الصوت.

ولحمُ سمكِ «الهِنْد» لذيذُ الطعم. يخلو مِن الشوك، وهي أسماك خفيفةُ الحركة جدًا. وذات مرة، أَلْقَى رِجَالنا بشبكةٍ مِن جهتي النَّهْر، وكانت أطرافُ الشبكة فوق الماءِ بأكثر مِن نصفِ ذراع. فقفز أغلبُ السمك مِنْ فَوْقِ الشبكة بارتفاع ذراع.

وفِي بعضِ أنهارِ «الهِنْد» أسماك صغيرة عِنْدَمَا يَحْدث صوتٌ قويٌ أو صيحة، (٢٨٢ب) تقفز فجأة، وترتفع فوق الماء مَسَافَة ذراعٍ أو ذراعٍ ونصف.

ضفادع الهِنْد:

مع أنها مثل الضفادع التي نعرفها لكنها تجري فوقَ الماءِ مَسَافَة سبعة أو ثمانية أذرع.

نباتات الهِنْد:

المانجو:

[ويسمونها] انبه. وأهل «الهِنْد» ينطقون حرف النون ساكنا، ولأن هَذَا النطق يكون سيئًا، فإن بعضهم يسمونها نغزك ولاسيما أن الخوجه خُسْرو قالَ:

ثمار نغزك، يا زينة حدائقنا

بين فواكه الهِنْد أنت الأجمل

والجيدُ مِنْهُ لذيذ لَكِنَّهُ قليل، وأغلبُه يصلح للأكل، وأكثرُه يجمع نيئًا ويتم نضجه فِي البيت.

والنيئ مِنْهُ يكون مادة طيبة للطهي، ومنه تعمل مربى جميلة. والواقع، إنه أحسن فواكه «الهِنْد»، وشجرته مرتفعة جدًا، وقد قام البعض بوصفه قائلًا: إنها شيء آخر غير الشمام، وأَفْضَل مِن جميع الفواكه. لكنها لَيْسَت كما يصفونها وإن كانت تشبه الشمام. وتنضج المانجو فِي موسم المطر، ومنها نوعان مختلفان، الأول لين ويعصر. فيثقبون الثمرة مِن جانب، ويضغطون عَلَيْهَا ويشربون ماءها. والثاني، يقشر ويؤكل مثل الخوخ. وأوراقه، تشبهه. وشجرتها ذات جزع غير جميل بل عديم الشكل، وتجود زراعتها فِي «البنكاله»، و«كُجَرات».

الكيله:

ويُسَميه العرب الموز. وشجرتُه ليس مرتفعة إلى حد ما. (٢٨٣أ) بل لا يمكن تسميتها شجرة، فهي شيء بين الشجرِ والعشب. أوراقُها تشبه أوراق موز البنكاله غير أن طولَ أوراقِ الموز يصل إلى ذراعين. أما عرضها فحوالي ذراع. ومن وسطها، يخرج برعم مثل القلب. وثمرها فِي هَذَا البرعم. وبرعمها الكبير له شكلُ قلبِ الغنم، وعندما تفتح كل ورقة فيه، يخرج مِن قلب الورقة ست أو سبع زهرات مصفوفة. هَذه الصفوف تصبح موزًا. وهذا البرعم الكبير الذي يشبه القلب، تتفتح أوراقه كلما ابتعد عن الغصن، وتظهر زهورُ الموزِ فِي شكلِ صفوف، وكل شجرة موز تثمر مرة واحدة فقط. وللموز مزيتان، فقشرته سهلة النزع، وليس له بذر. وهو أطول مِن الباذنجان وأدق مِنْهُ، ومذاقه غير طيب. أما موز البنكاله فهو لذيذٌ جدًا. وشجرتُها تبدو أجمل، وأوراقُها العريضة البراقة جميلةٌ جدًا.

التمر الهِنْدي:

[ويُسَمونه] انبه لي: وشجرتُه ذات أوراقٍ صغيرةٍ بعض الشيء. وتشبه أوراق جوز «الهِنْد». لكنها أَصْغَر مِنْهُ قليلًا. وتبدو شجرته جميلة وعالية جدًا. وظِلُّها وفير. والصحراوي مِنْهُ كثيرٌ جدًا.

المهوه:

ويُسَمونه أيضًا كُل چكان وشجرتُه ضخمة. وعمائرُ أهلِ «الهِنْد» (٢٨٣ب) أكثرها مِن شجر المهوه، ويعصرون ثمرته، ويجففونها، وهي فِي مجملها تشبه الزبيب، ويأكلونها. ويصنعون مِنْها

أيضًا العرق، ومنه ما يكون سيء المذاق، وزهورُه مقبولة الطعم ويمكن أكلها. ومنه ما هو صحراوي، وثمرته كبيرة بعض الشيء لا طعم لها، وقشرته رقيقة، ومن لُبِّه يعصرون الزيت.

الست المستحية:

[ويُسَمونه] الكرني شجرتُه متراميه وارفة، لَيْسَت صغيرة. وثمرتُه صفراء وأدق قليلًا مِن العنَّاب. ومذاقه بِشَكْلٍ عام يشبه العنب. ومع أن نهاية الثمرة بها جزء عديم الطعم، إلا أنه ليس سيئا. وهو وفيرٌ جدًا. وقشرتُه رقيقة.

الجامن:

أوراقُه بصفةٍ عامة تشبه أوراق الصفصاف وأكثر مِنْها استدارةً واخضرارا، وشجرتُه مقبولة المنظر. وثمرتُه تشبه العنب الأسود، وطعمُه فيه لذوعة، وطيب إلى حد ما.

الكمرك:

وثمرتُه ذات خمسةِ فصوصٍ وفي حجمِ الخوخ، وطولها أربعة أصابع، وعندما تنضج يصير لونها أصفر، وتخلو مِن البذر، وما يقطف نيئا مِنْها يكون زائد الحموضة، ومذاقه لطيف.

الكدهل:

فاكهةٌ غريبةُ الشكلِ والطعم، تشبه كرش الغنم تمامًا، (٢٨٤أ) وداخلها حبَّات مثل البندق. وهي في الجُملةِ تشبه البلح. بذورُها مستديرة ولَيْسَت طويلة، وأكثر ليونة مِن البلح، ويأكلونها. ولأنها ماده دبقة، فإن البعض يدهن يَدَهُ وفَمَهُ بالزيتِ ثُمَّ يأكلها. [وهذه المادة الدبقة] في غصونِ الشجرةِ وجذعِها وفي جذورِها أيضًا، وتبدو [ثماره فوق أغضان] الشجرة وكأنها الضولة[1].

بدهل:

وبعضُه بحجمِ التفاح. ورائحتُه لَيْسَت سيئة، والنيئُ مِنْهُ لاذعا جدًا لا طعم له، والناضجُ مِنْهُ مقبول. وثمرتُه لينه. ويمكن قطفها باليد مِن شجرتها وأكلها. ومذاقها يشبه السفرجل الأملس. ولاذع بعض الشيء ومقبول.

---

(١) الضولة هي ما يتم حشوه من أعلى من الخضر مثل الباذنجان.

بير:

ويُسَمونه بالفارسية كنار، ومنه أنواع مختلفة، وهو أكبرُ قليلا مِن البرقوق. وله شكلُ العنبِ الحسيني وإن اختلف عنه. وأغلبه ليس طيبا. وقد رأيناه في باندير جميلا جدًا. تُسقط شجرة البير أوراقها مع دخول الشمس برجي الثور والجوزاء. وتورق مِن جديد عِنْدَمَا تدخل برجي السرطان والأسد، أي في فصل المطر، وتكسوها الخضرة. وتنضج ثمارها [عِنْدَمَا تدخل الشمس] برجي الدلو والحوت.

كَروندہ:

وهي طبقاتٌ متراكمةٌ مثل الجكه فِي ولاياتنا. (٢٨٤ب) وتنمو الجكه في الجِبَال، أما هَذهِ فتنمو فِي السهول. وطعمها يشبه الراوند وألذ مِنْهُ وأقل ماءً.

بنياله[1]:

أكبرُ قليلًا مِن البرقوق. ويشبه التفاح الأحمر النيئ، وله طعمٌ حمضي، وشجرتُه أكبر قليلًا مِن شجرةِ الرمان. كما أن أوراقَه تشبه أوراق اللوز.

الجميز:

ويُسَمونه الكُلر، وهي فاكهةٌ تشبه التين ولا طعم لها، وتنبت مِن جذع شجرة الفاكهة.

أمْلج أو:

وهذه أيضًا [فاكهة] صلبة وعديمة الطعم، والمربى مِنْها لَيْسَت سيئة. وهي فاكهةٌ مفيدةٌ جدًا. وشجرتُها جميلةُ المنظر. وأوراقُها صغيرةٌ جدًا.

چرونجي:

وشجرتُه تزرع فِي الجِبَال. وقد عَلِمْتُ فيما بعد، أن فِي حديقتِنا ثلاث أو أربع شجرات مِنْها. وهي قريبةُ الشبه مِن المهوه. ولبها ليس سيء. ويشبه لب اللوز والجوز، ومستدير وأصْغَر قليلًا مِن لب الفستق. ويوضع فِي البلوظه والحلوى.

(١) لعله الخوخ.

نخيل البلح:

ويُسَمونه الخُرما، ورغم أن نخيلَ البلحِ ليس خاصا ب«الهِنْد»، لكننا نَذْكُره بمناسبةِ عدمِ وجودِه فِي تلك الولايات. وكما يُوجَد نخيلُ البلحِ فِي «لَمْغَان». وأغصانه تغطي قمته، وأوراقُه تنبت على جانبي الأغصان مِن أولها إلى آخرها. وجذعُه متجعد وقبيح، وثمرهُ يشبه عنقود العنب (٢٨٥أ) لَكِنَّهُ أكبر مِنْهُ. ويقولون: إن نخيل البلح بين النبات يشبه الحيوان فِي صفتين، الأولي: أن الحيوانَ تنتهي حياته عِنْدَمَا تقطع رأسه،كذَلِكَ نخلة البلح تذوي عِنْدَمَا تقطع رأسها [أي طرفها العلوى]. والأخرى: إن الحيوان لا يتكاثر بغير ذَكَر، كذَلِكَ نخيل البلح لا تطيب ثماره بغير أن تلقح بفرع مِن نخلة ذَكَر. ولا نعلم مدى صحة هَذَا القول. ورأسُ نخلة البلح الذي أشرنا إليه عبارة عن شيء يشبه الجبن. ويسمى جبن البلح، وتنبت الأغصان والأوراق مِن هَذَا الشيء الأبيض الذي يشبه الجبن. وكلما كَبرت الغصون والأوراق زاد خضارها، ويُطْلِقُون على هَذَا الشيء الأبيض اسم جبن البلح. وهو طيبٌ وغير سيء. ويشبه تماما لب الجوز. ويقومون بثقب مَوْضِع فِي هَذَا الجبن ويضعوون فيه ورق البلح، وكل ماء يخرج مِن هَذَا الثقب ينسال فوقَ أوراقِ النخيل. ويدخلون الورق إلى فوهةِ إبريق، ويربطون الإبريق إلى الشجرة، ويتجمع الماء الخارج مِن الثقبِ فِي الإبريق. وهذا الماءُ يكون لذيذا إذا شُرِب فور انسياله، أما إذا شرب بعد ثلاثة أَيَّام أو أربعة فيكون مُسْكِرًا بِشَكْلٍ عام. وذات مرة عِنْدَمَا ذهبنا للتفرج على (٢٨٥ب) القرى الواقعة على شاطئ بحر «چَنْبَل». وأثناء الطريق، رأينا فِي أحدِ السهول مجموعةً ممن يقومون بجمعِ هَذَا النوع مِن ماءِ البلح. وشربتُ بعضًا مِنْهُ، لَكِنَّهُ لم يؤثر، إذ يجب شرب كميات كبيرة مِنْهُ لكي يَعْمَل أثره.

الجوز الهِنْدي:

ويُسَمية العرب المعربة نارجيل، أما الهنود فيُسَمونه نالير. وغالبا أنه خطأ شائع. وفاكهة النارجيل هي الجوز الهِنْدي. ويصنعون مِنْهُ الصحاف. ويصنعون مِن الكبير ثمره جسم الربابة، وشجرته مثل شجرة البلح تمامًا. غير أن أغصان شجرة الجوز الهِنْدي أكثر أوراقًا، وأورقها أكثر

بريقًا. وللجوز الهِنْدي قشرة خضراء كقشرة الجوز، لكن قشرة الجوز الهِنْدي ذات شقوق. ويصنعون كل لوازم المُلاَّحة وحبال السفن مِن قشرة الجوز الهِنْدي، كما يربطون ألواح السفن بهذه الحبال. وعند تنظيف قشرة الجوز الهِنْدي يظهر فِي أحد طرفيها ثلاثة مواضع على شكل مثلث. إثنان منها صلبان، والثالث لين. هَذَا المَوْضِع اللين يثقب بالضغط عَلَيْهِ ضغطا خفيفا، ويقال: إنه قبل تمام تشكلها يكون بداخلها ماء يشربونه بثقب هَذَا المَوْضِع. وطعمه غير سيء ويشبه جبن البلح المذاب فِي الماء.

تار:

وأغصانُها أيضًا فِي طرفِها العلوى (٢٨٦أ). والتار مثل النخيل، إذ يتلقون ماءه فِي وعاءٍ معلق به،ثُمَّ يشربونه. ويسمون هَذَا الماء تار، وتأثيره [المُسكر] أقوي مِن تأثيرِ ماء النخيل. وأغصانها عارية مِن الأوراقِ ويصل طولها إلى ذراع أو ذراع ونصف، وليس بها أوراق. ثُمَّ يخرج فِي طرف الغصن الواحد ثلاثون أو أربعون ورقة. ويبلغ طول هَذهِ الأوراق حوالي ذراع، وعندما لا يجد الهنود حلقات ليعلقونها فِي آذانهم ذات الثقوب الوَاسِعَة، يصنعون حلقة مِن أوراق التار هَذَا ويعلقونها. ويبيعون فِي الأسواق الحلقات المصنوعة مِن أوراق التار لتوضع فِي ثقب الأذن. وجذعها أجمل وأكثر انتظامًا مِن جذع نخيل البلح.

النارنج وما يشبهه مِن الفواكه:

ويكثر النارنج ويجودُ فِي«لَمْغَانات» و«بَجُور» و« سَوَاد ». ونارنج «لَمْغَانات» أصْغَر قليلًا وله صُرَّة. وهو لطيفٌ ورقيقٌ وغنيٌ بالماء. ولا يشبه نَارنْج «خُراسان» وتلك الأنحية. ومن رقته تَلِف بعضه أثناء نقله مَسَافَة ثلاثة عشر أو أربعة عشرفَرْسَخا مِن «لَمْغَانات» إلى «كَابُل». أما نَارِنْج «اسْتَرَآبَاد» فيحملونه إلى «سَمَرْقَنْد» على مَسَافَة مائتى وسبعين أو مائتى وثمانين فَرْسَخا. ولا يتلف نتيجة غلظ قشرته وقلة مائه (٢٨٦ب). ونارنج «بَجُور» بحجم السفرجل، وماؤه أكثر مِن ماءِ أنواع النارنج الأخرى. وقال الخوجه كلان: إنه أحصى سبعة آلاف ثمرة نَارِنْج مِن هَذَا النوع جمَعَها مِن شجرةٍ واحدة. وكُنتُ أفكر دائمًا إن كلمة نَارِنْج مِن

أصْلٍ عربيّ، فكل أهل «بَجُور»، وسواد كلَّهُم ينطقون النارنج نارنك.

الليمون:

[ويُسَمونه] ليمو، وهو متوفرٌ جدًا،حجمُه وشكلُه مثل البيضة. وشُرْب المغْلِى مِنْهُ يدفع ضرر السم عن المسموم.

الترنج:

فاكهةٌ تشبه النارنج. ويُسَميه أهل «بَجُور»، و«سواد» البالنك. ولهذا يسمون مربى قشرة الترنج،مربى البالنك. وفِي «الهِنْد» يُطْلِقُون على الترنج اسم بجوري. والترنجُ نوعان، واحدٌ حلو لَكِنَّهُ بلا طعم، ولا يصلح للأكل، بل يصلح قشره للمربى، وطعمُ لبه يشبه ترنج «لَمْغَانات» والآخر هو ترنج «الهِنْد»، وطعمُه حامضٌ لكن حموضته محبَّبة. وشرابُه طيب المذاق، والترنج بحجمِ الشمامِ الخُسْروي، وقشرتُه مجعدة. وطرفُه رقيقٌ ذو نتوء، ولونُه أقل صفرة مِن النارنج، وشجرتُه لا جذع لها وأقرب إلى الصغر، كَثِيرَةُ الغصون، وأوراقُها أكبر قليلًا مِن شجرةِ النارنج.

سنكتاره:

فاكهةٌ تشبه النارنج، وهى مثلُ الترنج في لونها وشكلِها، غير أن قشرتها ملساء، وثمرتها أَصْغَر قليلًا مِن الترنج. وشجرتُها كبيرة فِي حجمِ شجرةِ المشمش. وأوراقُها تشبه أوراق النارنج. ولها طعمٌ لاذعٌ جميل. وشرابُها غايةٌ فِي اللذة، وهو مُقَوي للمعدةِ كالليمون، وغير مضعف مثل النارنج.

الليمون الكبير:

[ويُسَمونه] اولوق ليمو: فاكهةٌ تشبه النارنج. ويُسَمونها فِي «الهِنْد» كلكل ليمو. شكلُها يشبه بيضةَ الإوَز. ولكنها تختلف عنه، فطرفُها غير مُدَبَّب، وقشرتُها أيضًا مستَوِيَة مثل قشرة السنكتاره، وشرابُها عجيب.

چنبيري:

فاكهةٌ شكلها يشبه النارنج، لكن لونها أكثر صفرة، ورائحتها تشبه رائحة الترنج، كما أن طعمها لاذع ولذيذ.

سدافل:

فاكهةٌ تشبه النارنج، لها شكلُ الكمثري، ولونُها مثل السفرجل، لذيذةٌ ولكنها لَيْسَت بحلاوةِ النارنج.

امرديل:

فاكهةٌ تشبه النارنج.

كرنه:

تشبه النارنج، وحجمها مثل الليمون الكبير، ومذاقها حمضي.

املبيد:

فاكهةٌ تشبه النارنج. رأيتُها لأولِ مرةٍ مُنْذُ ثلاثِ سنوات، ويقولون: إنه لو غُرِسَت بداخلها إبرة،(٢٨٧ب) فإن الإبرة تذوب مِن حموضتها أو مِن خواصها. ولها حموضةُ النارنج والليمون.

زهور الهِنْد:

فِي «الهِنْد» زهورٌ جميلة مِنْها:

جاسون:

وبعضُ الهنودِ يُسَمونه كَدْهَل. وهذا ليس بعشب، إذ أن له ساق مثل الوردة الحمراء. وأغصانها أعلى قليلا مِن أغصانِ الورد. ولونها الأخضر أفتح مِن زهرةِ الرمان. وبحجمِ الوردةِ الحمراء. لكن الوردة الحمراء تكون برعمًا ثُمَّ تتفتح، أما الجاسون فبعد أن يتفتح يخرج البرعم رقيقا مِن وسط أوراقها المتفتحة، وينمو بطول إصبع واحد، ثُمَّ تتفتح أوراق الجاسون مرة أخرى. وفِي النهاية تتكون زهور كثيفة لها شكل القلب. وهو أمرٌ لا يَخْلُ مِن الغرابة. فيبدو فوق

الشجرةِ جميل اللون، وبديعُ الشكل، ولا يُعَمِّرُ طويلا، إذ يذبلُ] فِي يَومٍ واحدٍ، وتتفتحُ فِي أكثرِ العام لكن يجود تفتحها فِي فصلِ المطر الذي يستمر أربعة شهور، وبالرغم مِن وفرتها، فليس له رائحة.

زهرة الكَنير:

مِنْها الأبيض والأحمر، ولها شكل زهرة الخوخ، وذات خمس أوراق، وهُنَاكَ وجهٌ للشبه بين زهرتِه الحمراء وزهرةِ الخوخ. وتتفتح أربع عشرة زهرة أو خمس عشرةَ مِن زهرة الكنير مِن منبت واحد. وتبدو مِن بعيدٍ كزهرةٍ كبيرة. وتزكو رائحتها كلما زادت حُمْرَتها. وهذه الزهرة تتواجد فِي أكثرِ أوقاتِ السنة لكن يجود تفتُّحِها وتجمل فِي فصل المطر. (٢٨٨أ).

زهرة الكيورا:

وهي زهرةٌ زكيَّةُ الرائحة، وإذا كان عيْب المسك فِي جفافه، فيمكن القول إن زهرةَ الكيورا هي المسكُ الغض، ورائِحَتُها أزكى مِن المسك. والحقيقة، إن منظرها غريب، ويتراوح طول زهرتها بين شبرٍ ونصف إلى شبرين. وشكلُ أوراقِ غصونها طويلة وذات أشواك، أما أوراقها الداخلية فهي لينة وبيضاء. وبين أوراقها الداخلية تنمو بتلات تشبه التي فِي قلب الوردة، وتنبعث مِنْها الرائحة الطيبة. وفِي أول تفتحها، تكون اغصانها التي لم تزهر بعد تشبه الغاب. وأوراقها منبسطة وأعرض، وساقها المملوءة بالشوك غير منتظمة، وجذورها بادية للعين.

الياسمين:

ويُسَمونه چنبا، لونُه أبيض. وهو أكبرُ مِن الياسمينِ الذي نعرفه فِي بلادِنا، ورائِحتُه أقوى.

مواقيت الهِنْد:

فصولُ السنةِ فِي غيرِ «الهِنْد» أربعة، أما فِي «الهِنْد» فهي ثلاثةُ فصول. أربعةُ شهورٍ للصيف، وأربعةُ شهورٍ للمطر، وأربعة شهورٍ للشتاء. وبدايةُ الشهورِ تُحسب قَمَريا. وكل ثلاث سنوات يضافُ شهر إلى شهور المطر، وبعد ثلاث سنوات أخرى يضاف هَذَا الشهر إلى شهورِ الشتاء، وبعد ثلاثة أخري يضاف إلى شهورِ الصيف. والشهور الكبيسة مِنْها هي:

(٢٨٨ب) چيت، بيساك، جيت، آسار[١]، وهي فصل الصيف. وتُقَابِل [أبراج] الحوت، والحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء. وشُهُور المطر تُقَابِل السرطان، والأسد، والسُنْبُلة، والميزان. وشهور الشتاء تُقَابِل العقرب، والقَوْس، والجدى، والدلو.

وقد قَسَّم الهنود الشهورَ الأربعةِ لِكُلِّ فصلٍ إلى قِسْمَيْنِ، وكل قِسْمٍ مِنْها قَسَّموه إلى شهرين، يسمى أحدهما باسم شهرى الشدة، فشهران لشدةِ الحر، وشهران لشدةِ المطر، وشهران لشدةِ الشتاء. فالشهران الأخيران مِن الصيف هما شدة الحر، ويقابلان [برجى] الثور، والجوزاء، والشهران الأولان مِن فصلِ المطر هما شدة المطر، ويقابلان [برجى] السرطان، والأسد، والشهران الأوسطان مِن شهورِ الشتاء هما شدة البرد، ويقابلا [برجى] القَوْس، والجدي. وهكذا تكون السنة [عبارة عن] ستة فصول.

كما أثبتوا أسماء الأَيَّام وهي؛ سينجر ،يكشنبه،ايتوار ،دوشنبه،سموار، سه شنبه، منكلوار[٢].

حساب الوقت في الهِنْد:

وكل ساعة تنقسم إلى ستين جزء، ويسمى الجزء مِنْها دقيقة. وفي ولاياتنا، تعرفنا على تقسيم الليل والنهار إلى أربعةٍ وعشرين قسما، الواحدُ مِنْها ساعة، فيكون الليل والنهار ألف وأربعمائة وأربعين دقيقة، ومدة الدقيقة تساوي تقريبًا قراءةَ سورةِ الفاتحة مع البسملة ست مرات (٢٨٩أ). ويمكن قراءة سورة الفاتحة مع البسملة في اليوم والليلة ثمانية آلاف وستمائة وأربعين مرة.

أما الهنود، فيقسمون الليل والنهار إلى ستين [جزء] يسمون الواحد مِنْها كري[٣]، ويقسمون الليل إلى أربعِ فترات، والنهار إلى أربعِ فترات أخرى، يُسَمون الواحدةَ مِنْها «بَهْرَه»[٤]،

---

(١) تقابل شهور مارس وإبريل ومايو، ويونيو.

(٢) تبدأ أسماء الأَيَّام بيوم السبت.

(٣) الجزء يساوى٢٢ دقيقة.

(٤) الفترة تساوي ثلاث ساعات.

وهي بالفارسية سي باس. ويردد النَّاس لفظا باس و باسنان لكنهما ليسا بالمعني الذي نعرفه.

ويضطلع بمهة الميقاتى فِي كل مدن «الهِنْد» المعتبرة جماعة مقررة ومعينة تسمي الكريالية، وهؤلاء يستخدمون صَحْفة كبيرة مِن النحاس الأصفر له شكل الطبق وعمقها حوالي إصبعين، ويسمون هَذِهِ الصَّحْفة كريال. ويضعون هَذَا الكريال فِي مكان مرتفع. ومع بدء كل كري [أي جزء مِن الوقت] يضع الكريالي وعاءً مثقوبا يشبه ساعة مِن زجاج فِي الماء ليعرف به الوقت. فإذا وضعه مع شروق الشمس وامتلأ [مرة واحدة]، فإن الكريالى يضرب بمطرقته مرة واحدة. ولو امتلأ مرتان يطرق مرتين. وهكذا حَتَّى تنتهي الفترة [أي : البهره]. ولانتهاء كل فترة علامة هي أن يطرق الكريالى بقوة وبِشَكْلٍ مستمر. ولوكان الوقت أول فترة مِن النهار، فإن الكريالى يطرق الكريال بِشَكْلٍ متصل، (٢٨٩ب) ثُمَّ يتوقف برهة، ثُمَّ يطرق مرة واحدة. فإذا كانت الفترة الثانية فإن الكريالى يطرق طرقا متواصلا، ثُمَّ يطرق مرتين بعد برهة. وفِي الثالثة يطرق ثلاث مرات، وفِي الرابعة يطرق أربع مرات. حَتَّى تنتهي فترات النهار الأربع، ومع بداية فترات الليل يفعلون ذات الأمر طوال فترات الليل الأربعة.

وكان الكريالية مِن قبل، يطرقون الكريال مع نهاية كل فترة مِن الليل والنهار علامة على انتهائها. فمن يستيقظون مِن نومهم ليلًا ويسمعون الصوت الدال على الجزء الثالث أو الرابع، لا يعرفون فِي أي فترة هم [مِن فترات الليل]، أهي الفترة الثانية أم الثالثة. لهذا أمرتُ أن يُطرق الكريالى الطرقة الدالة على الجزء مِن الليل والنهار، ثُمَّ يُطرق طرقةً أخرى تدل على [ترتيب] الفترة مِن الليل أو النهار.

فمثلًا يُطرق ثلاث مرات للدلالة على الجزء الثالث مِن الفترة الأولى مِن الليل، ويتوقف لحظات،ثُمَّ يُطرق مرة ثانية للدلالة على الفترة، فيتضح مِن هَذِهِ الطرقات الثلاث، أنها الجزء الثالث مِن الفترة الأولي. وبعد أن يطرق إشارة الجزء الرابع مِن الفترة الثالثة مِن الليل يتوقف لحظات، ثُمَّ يُطرق ثلاث مرات للدالة على الفترة، فيفهم أنها الجزء الرابع مِن الفترةِ الثالثه. وقد

لَقِيَ هَذَا استحسانا كبيرا. فمن يستيقظ فِي اللَّيْلِ، كان يتبين [الوقت] وفِي أي جزء مِن الليل هو وذَلِكَ مِن عددِ طرقات الكريال.

وقد قسموا كل جزء إلى ستين جزيئ. وسموا كل واحد مِنْهُ پَل. فالليلة (٢٩٠أ) واليوم ثلاثة آلاف وستمائة جزيئ، ومدة كلجزيئ قدر طرفة العين ستين مرة. وعدد طرفة العين فِي اليوم والليلة مائتى وستة عشر ألف مرة. وقد جربتُ فوجدتُ أن الجزيئ الواحد يكفي لقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾مع البسملة ثمان مرات. ويمكن أن تقرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [1] مع البسملة ثمانية وعشرين ألف وثمانمائة مرة فِي اليوم والليلة.

الموازين فِي الهِنْد:

- ثَبَّتَ الهنود الموازين بطريقة جيدة:
- الماشة تساوي ثمانية رتي.
- والأربع ماشة تساوي تانك، أي اثنين وثلاثين رتي.
- والخمساشة تساوي مثقال، أي أربعين رتي.
- واثنتا عشرة ماشة تساوي توله أي ست وتسعين رتي.
- وأربع عشرة توله تساوي سير.
- واتفقت على الأماكن على أن الأربعين سير تساوي باتمان.
- واثنتا عشرباتمان تساوي ماني.
- ومائه ماني تساوي منياسه.
- ويزنون الجواهر واللؤلؤ بالتانك.

- الأعداد فِي الهِنْد:

كما أن الهنود ثبتوا الأعداد تثبيتًا جميلًا:

- المائة ألف [أسمها] لك.

(١) سورة الإخلاص الآية ١.

- والمائة لك كرور.
- المائة كرور ارب.
- والمائة ارب كرب.
- والمائة كرب نيل.
- والمائة نيل پدم.
- والمائة پدم سانك.

وهذه الأعداد دليل على عِظَم أموال «الهِنْد».

وأغلبُ أهلِ «الهِنْد» كفار، ويسمى أهل «الهِنْد» الكَافِر هِنْدو. وأكثر الهِنْدو يؤمنون بالتناسخ. ومنهم العمال، والأجراء، والخدم كلَهُم. والقَبَائِل الرُحَّل فِي ولاياتنا وفِي الصحراء يحملون أسماء قبائلَهُم. وهنا أيضًا يتسمي المتوطنون فِي الولاية وفِي القرى بأسماء قبائلَهُم. وكل صاحب مهنة يمارس هَذهِ المهنة أبا عن جِد.

الهند عِنْدَ الفتح البَابُرى::

و«الهِنْد» مكانٌ قليلُ البهجة، ينقُص أهله الجَمال، ويفتقرون إلى حَسَن العِشرة والتربية والضِيافة، فلا ذَوق ولا ذَكاء، ولا أدب ولا كَرَم أو مروءة، ولا نِظام ولا جَمال فِي فنونِهم وأعمالَهُم، ولا أسلوب ولا نظام، ولاخيل جيدة، ولا لحم طيب، ولا عنب أو شمام أو فواكه طيبة، ليس بها ثلج أو ماء بارد، والطَّعَام الجيد والخبز الطيب، والحمامات والمدارس والشمع والمشاعل والشمعدان كل هَذهِ أشياء غير موجودة فِي أسواقه.

وحملة المشاعل عبارة عن جمع كبير قبيح، ويسمونهم ديوتي.فيُمسكون فِي أيديهم الشمال واحدًا أو ثلاثة مِن العصي الصغيرة بدلًا مِن الشمع والمشاعل، وفِي طرف كل واحدة مِن هَذهِ العصي الثلاثة يثبتون قطعة مِن الحديد علَيْها خشبة ذات ثلاث شعب مثل رأس الشمعدان، ويربطون فتيل بسمك إصبع الإبهام، على الدعامة الحديدية المثبتة على الخشبة ذات الشُعب الثلاث. وفِي يدهم اليمني، وعاء به فتحة ضيقة قليلًا يصبون مِنْها الزيت، وكلما احتاج الفتيل إلى

زيت يضعونه مِن هَذَا الوعاء. ويستخدمون هَذَا بدلًا مِن الشمع والمشاعل. ويُوجَد لكبارهم مائه أو مائتين مثل هؤلاء الدويتية. وإذا كان لدي السُلْطَان والأمراء فِي اللَيْلِ عمل يحتاج إلى الشمع، يقوم هؤلاء بهيئتهم القبيحة بإحضار هَذَا الشيء، ويقفون بجوارهم.

وليس بالهِنْد مياه جارية فِي الحدائق والعمائر سوى تلك التي تجرى فِي الأنهار وباطن الأرض والمياه المتجمعة فِي الوديان. ولا يُوجَد فِي عمائرهم صفاء أو هواء أو أصول أو انتظام.

ملابس الهِنُود:

يتجول الرعيةُ والدهماءُ [فِي الهِنْد] وهم عراة تمامًا، ويربطون الشيء المسمي لنكوته، فيلفون قطعة مِن القماشِ طولها شبرين أسفل السُرَّه. وقطعةٌ أخرى فوقَ قطعةِ القماش المتدلية، فيربطون طرفها بخيط هَذهِ اللنكوته، ويمررون الطرف الثاني بين الفخذين. ويمررونه مِن الرباطِ الخلفي للنكوته ويمسكونه به. أما السَيِّدات، فيربطن قطعةَ قماشٍ طويلةٍ تسمى اوق لنك. يربطن نصفه حول وسطهن، ويغطين رؤوسهن بالنصف الثاني.

مزايا الهِنْد:

ومزية ولاية «الهِنْد» أنها لَيْسَت كبيرة. ويتوفر فيها الذهب والمال. وهواؤُها لطيفٌ جدًا فِي فصلِ المطر، وأحيانا تمطر فِي اليومِ الواحدِ عشر أو خمس عشرة مرة. وفِي أوقاتِ المطر تحدث السيول. وتصب مياهها فِي الأماكن المحرومة مِن المياه. والأماكن التي تتعرض للمطر يصير الهواء فيها لطيفا للغاية، وتصبح فريدةً فِي اعتدالِ هوائِها ولطافتِه. ولا يعيبها سوى زيادة الرطوبةِ فِي الهواء. وفِي فصلِ المطرِ فِي تلك الولايات لا تنطلق السهام مطلقًا مِن أقواسها، ويصيبها العَطَب. (٢٩١ب) ليس الأقواس فقط، بل إن الدروعَ والكتبَ والقماشَ والمتاعَ أيضًا كلها تتأثر مِن الرطوبة. والمباني أيضًا واهية. بالإضافة إلى فصل المطر. فإن الهواء يكون جيدا فِي الشتاءِ والصيف، لكن تهب فيها ريحُ الشمال، ويكثر الغبار. وصيفُها فِي برجي الثور والجوزاء. وعندما يقترب فصل المطر. تهب الرياح شديدة أربع أو خمس مرات، ويكثر الغبار حَتَّى

يحجب المرء عن الآخر، ويسمون هَذِهِ الرياح آندي[1]، والهواء يكون حارا فِي الجوزاء[2]. لَكِنَّهُ ليس سيئًا أو مفرط الحرارة. فلا يصل نصف حرارة «بَلْخ»، و « قَنْدَهار». ومدته أيضا نصف مدته فِي تلك الأماكن.

ومن حسناتها، أن بها ما لا يُعَدُّ ولا يحصى مِن أَرْبَاب الحرف ومن كل صنف. وأَرْبَاب كل حرفةٍ [عبارة عن] مجموعة مقررة ومعينة، يمارسون هَذِهِ الحرفة أَبًا عن جَد. ولاسيما أن المُلَّا شرف سجل فِي منظومته ظفرنامه أن الأمير تيمور[3] كان يجلب يوميًا مائتين مِن الحجارين مِن آذربيجان، وفارس، و«الهِنْد» والممالك الأخرى للعمل فِي عمارة المسجد الحجرى. أما عمائرنا الخاصة فِي «أَكْرا»، فيشتغل فيها كل يوم ستمائة وثمانين شخص مِن الحجارين المحليين مِن «أَكْرا» وحدها. وذات مرة، كان يشتغل فِي عمائرنا الخاصة فِي «أَكْرا»، و«سيكري»، و«بيانه»، و«دلپور»، و«كواليار»، وكول، ألف وأربعمائة وواحد وتسعين حجار كل يوم. وقياسا على هَذَا، فإن أَرْبَاب كل حرفة فِي «الهِنْد» (٢٩٢أ) لا تعد أعدادهم ولا تحصى.

وهذه الولايات مِن «بَهْرَه» إلى «بِهَار» تحت أيدينا. و[ريعها] إثنين وخمسين مائة مائة ألف. ويتضح مجموعها مِن هَذَا الجدول المفصل. مِنْها ثمان أو تسع مائة مائة ألف عن مُقاطَعات الراي والراجاوات التابعين لنا، وكانت هَذِهِ المقاطعات فِي أيديهم مُنْذُ القدم يجمعون أموالها ويحافظون عَلَيْها. وجميع ولايات «الهِنْد» المُسَخَّرة لراياتنا المنصورة [إيراداتها] مُنْذُ ذَلِكَ الحين [بالتخمين] على هَذَا النحو:

ولاية أنروى آب ستلج، وبهره، ولاهور، وسيالكوت، و ديپالپور وغيرها، [إيرادها] ٣ كرور، ٣٣ "لك" ١٥,٩٠٩ تنكَه

ولاية سِهْرِنْد: ١ كرور، ٢٩ لك، ٣١,٩٨٥ تنكَه.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية بمعنى ظلمة السماء.

(٢) جاءت فِي الانجليزية الثور والجوزاء.

(٣) يقصد تيمورلنك.

ولاية «حِصار» فيروز : ١ كرور، ٣٠ لك، ٧٥,١٧٤ تنكَه.

ولاية دار المُلك دهلي وميان دوآب، ٣ كرور و٦٩ لك، ٥٠,٢٥٤ تنكَه.

ولاية «ميوات» فيما عدا فترة سكندر [اللودى]

ولاية بيَانه ١ كرور، ٤٤ لك، ١٤,٩٣٠ تنكَه:

ولاية أكرا: ٢٩ لك، ٧٦,٩١٩ تنكَه.

ميان ولايت: ٢ كرور، ٩١ لك، ١٩ تنكَه.

ولاية كواليار: ٢ كرور ٢٣ لك٥٦,٤٥٠ تنكَه

ولاية كالبى وسهنده وغيره: ٤ كرور، ٢٨ لك، ٥٥,٩٥٠ تنكَه.

ولاية قُنوج: ١ كرور، ٣٦ لك، ٦٣,٣٥٨ تنكَه.

ولاية سنبل: ١ كرور، ٣٨ لك، ٤٤,٠٠٠ تنكَه

ولاية لكنور وبكسر: ١ كرور، ٣٩ لك، ٨٢,٤٣٣ تنكَه.

ولاية خيراباد: ١٢ لك، ٦٥,٠٠٠ تنكَه.

ولاية اود وبهرايج: ١ كرور، ١٧ لك، ١,٣٦٩ تنكَه.

ولاية جونبور: ٤ كرور، ٨٨,٣٣٣ تنكَه.

ولاية كره ومانكبور: ١ كرور، ٦٣ لك، ٢٧,٢٨٢ تنكَه.

ولاية بهَار: ٤ كرور، ٥ لك، ٦٠,٠٠٠ تنكَه.

ولاية سروار: ١ كرور، ٥٥ لك، ١٧,٥٠٦ ونصف تنكَه.

ولاية سارن: ١ كرور، ١٠ لك،١٨,٣٧٣ تنكَه.

ولاية جبارن: ١ كرور، ٩٠ لك، ٨٦,٠٦٠ تنكَه.

ولاية كندله: ٤٣ لك،٣٠,٣٠٠ تنكَه.

ولايةترهت (راجه روب) : ٢٧ لك، ٥٠,٠٠٠ تنكَه.

ولاية رنتنبور(من يولى وجاتسو وملانه): ٢٠ لك.

ولاية ناكور:-------

ولايةراجه بكر ماجيت(من رنتنبور):-------

ولايةكلنجرى:--------

ولاية راجه سنكديو:------

ولاية راجه بكم ديو:------

ولاية راجه بكم جند:------

(٢٩٣ب) وقد كتبنا عن موقع ولايات «الهِنْد» وما تُعرف به، وخصائص أهلها وصفاتهم. فإذا بدا للعين أو تناهى للسمع بعد ذَلِكَ ما يستأهل الكتابة فسوف أكتبه.

خزينة الهِنْد:

فِي يَومِ الاثنينِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ رجب، انشغلنا بالنظرِ فِي الخزينةِ وقِسْمَتها. وأعطينا إلى هُمايون مِنْها سبعين مائة ألف، علاوة على خزينة جماعة بأكملها بدون حصر لها أو قيد له. وأعطينا بعض الأُمَرَاء عشرة مائة ألف، وللبعض الآخر ثمانمائة ألف أو سبعمائة ألف أو ستمائة الف.كما أنعمنا على كل المَوْجُودِينَ فِي الجَيْش؛ مِن الأَفْغَان، والهزاره، والعرب، والبلوج، وعلى كل جماعة بقدر مِن الأموال يتناسب مع حالها. وقد حَصَل كُلّ تاجِر وكُلّ طَالِب عِلمٍ، بَل وكُل امرئ رافق الجَيْش،على الحظِّ الوافِر والنصيبِ الكامِل مِن الإنْعَامَات والعَطَايا. كما أرْسَلْنا إلى غير المشتركين فِي الجَيْش كثيرًا مِن الإنعامات والعطايا مِن هَذهِ الخزينة. فأرْسَلْنا إلى كامران سبعة عشرة مائة ألف، وإلى مُحَمّد زمان مِيرْزا خمس عشرة مائة ألف، وإلى عَسْكَري [ميرْزا] وهِندال [مِيرْزا] بل وإلى كل الأقارب الشيء الكثير مِن الذهب، والفضة، والقماش، والجواهر، والعبيد. وأرْسَلْنا هدايا كَثِيرَة إلى أمراء تلك النواحي وإلى الفُرْسَان، وأرْسَلْنا هدايا إلى الأقاربِ فِي «سَمَرْقَنْد»، و «خُراسان»، (٢٩٤أ) و«كاشْغَر»، و«العراق». كما أرْسَلْنا النذور إلى المشايخ فِي «سَمَرْقَنْد»، و«خُراسان»، وإلى«مكة»، و«المدينة» أيضًا. كما أحسنا

بشاهرخ واحد على كل رجل وامرأة وعبد وحر وكبير وصغير في ولاية «كابل»، وأحواز «وَرْسك».

تحالف بعض أمراء الهند ضد بابر:

وفي أول مجيئنا إلى «اكْرا»، دَبَّ نشوز غريبٌ ووحشةٌ بين رجالنا والأهالي، وكان الفُرْسان والرعية يفرون مِن رجالنا إلى كل صَوْبٍ وحَدَبٍ. ولم تُعْلِن كل الأماكن ذات القِلاع الانصياع لنا اعتمادا على مَنَعَةِ قِلاعها باستثناء «دِهْلي»، و«اكْرا». وكان قاسم السُنْبُلي في «سُنْبُل»، ونظام خان في «بيَانه»، وحسن خان الميواتي في «ميوات»، وهَذَا الرجل الملحد هو السبب في هَذَا الشر والفساد. وكان مُحَمَّد زيتون في «دُولْپور»، وتاتار خان السارنكاني في«كواليار» ، وحسين خان النوحاني في «رابري»، وقطب خان في «اتاوه»، وعالِم خان في «كالْپي».

أما نواحي «قُنوج»، و«كُنَكْ» فكانت كلها في يدِ الأفْغان المعارضين أمثال نصير خان النوحاني، ومعروف الفَرمُلي وعدد كبير مِن الأُمَرَاء. وهؤلاء انتقلَت إليهم «قُنوج»وكل الولايات التي في ذَلِكَ الجانب، وبعدما ظهرتُ على ابراهيم [اللودي]، جاءوا مِن «قُنوج» إلى هَذهِ الناحية، وأقاموا على مَسَافَة منزل أو اثنين. وأعلنوا بَهادِر خان ابن دريا خان سُلْطَانا (٢٩٤ب)، ولقبوه بالسُلْطَان محمود. ورغم أن مرغوب قولكان كان في «مَحاون» عَلَى مقربةٍ منا، لَكِنَّهُ لم يأت مُنْذُ أمدٍ بعيد.

شكوى بَابُر مِن رجَاله:

عِنْدَمَا جِئْنَا إلى «أَكْرا»، كان فصلُ الحر[قد بدأ] وهَرَبَ كل الأهالي خشية [منا]. فلم نجد بها طعاما لنا، أو علفا لخيولنا. وبسبب المُغَايَرة والنُفور، شَرَعَ أهل القُرى في قطعِ الطريقِ والسرقةِ والعداون. واستحال السَّيْر بالطرق. وكنا آنذاك مشغولين بقسمةِ الغنائم، لذا لم تسنح لنا الفرصة مُنْذُ ضبطِ الخزينة وحَتَّى الآن لتعْيين الرجَال الأكفاء لِكُلِّ مقاطعةٍ ومَوْضِع. فقد كان هَذَا العام قائظا، ولقِيَ كثيرٌ مِن الرجَال حتفهم بتأثيرِ ريحِ السموم. ولهذا انفض عنا أغلب الأُمَرَاء

والفتية الجيدين. وكانوا متضررين مِن البقاء فِي «الهِنْد»، بل إنهم قرروا الرحيل. ولو كان هَذَا هو قولُ الكبارِ أَرْبَاب التجربة، فلا تثريب عَلَيْهِم، إذ قلما قالوا مثل هَذَا الكلام، فبعد أن ينجلى الأمر، يميز كل ذى عقل ومنطق بين الصالح والطالح، وبين الطيب والخبيث. لكن ما معنى ترديد الكلام المعاد، وأن يتحرك كل أمرؤ وفق هواه. وما سبب أن يردد كل غرير صغير، مثل هَذِهِ الأفكار والأقوال التي لا طائل مِنْها (٢٩٥أ).

والغريب فِي الأمر، إنه عِنْدَمَا تَحَرَّكْنَا هَذِهِ المرة مِن «كَابُل»، كان بعض هؤلاء الصغار حديثى العهد بالإمارة، وكنتُ أتمني منهم أننى لو خضتُ النَّهْر أو النار وخَرَجْتُ مِنْها، أن يخوضوا معي ويخرجوا مِنْها بغير تردد، و يكونوا إلى جواري حيثما أذهب. لا أن يكون كلامهم على خلاف ما آمله، ويخرجون عما اتخذنا فيه قرارا باستشارة الجميع واتفاقهم، ويذهبون بغير مشورة.

والواقع، إن هؤلاء [الصغار] أساءوا التصرف، ونهج أحمدي البِروانچي، وولي خازن نهجهم وكانا على شاكلتهم. أما الخوجه كلان فقد أحسن التصرف مُنْذُ غادرنا «كَابُل»، وانتصرنا على ابراهيم إلى أن فتحنا «أكْرا»، وكانت له كلمات شجاعة، وقدم أفكارا مفيدة. لكن بعد أن أخذنا «أكْرا» ببضعة أيَّام تغير كل تفكيره، وأصبح مِن المحرضين على الذهاب.

وعندما شاع أمر ترددهم، استدعينا كل أمراءهم للمشاورة، وقلت:"إن السَّلْطَنَة والفتح لا يكونا بلا أَسْبَاب وآلات، والسلطنة والإمارة لا يمكن أن تكون بلا رِجَال وولايات.كم سعينا لسنوات وسقنا بالجند، وكم كابدنا مِن الصعاب، وقطعنا الأرض بجيوشنا لمسافات بعيدة، وعرضنا أنفسنا ورِجَالنا للحرب ومخاطر القِتَال. (٢٩٥ب) وبعناية الله، انتصرنا على مثل هَذَا الجمع الغفير مِن الأعداء، وأخذنا مثل هَذِهِ البلاد الوَاسِعَة. فما السبب أو الضرورة أو الضرر الذي يدفعنا لأن نترك الآن وبغير علة[أو سبب] الولايات التي كابدنا لفتحها. كما أن رجوعنا إلى «كَابُل»، يعنى مُكَابَدَة الضيق مرة أخرى. فمن حَسُنَت نواياه، يكُفُّ عن هَذَا القَوْل بعد الآن. ومن لا طاقة له على الاحتمال، ويرغب فِي الذهاب فليذهب، على ألا يرجع [هنا] مرة أخرى.

وبهذه الكلمات العاقلة المناسبة هدأ الجميع [وأنصاعوا لنا]طَوْعا أو كُرها. ولما كان الخوجه كلان قد عَقَدَ العزْمَ على الرحيل، فقد قرَّرْنا أن يأخذ الخوجه كلان رِجَاله وينقل الهدايا إلى «كَابُل» و «غَزْنَة»، ويتولى أمورَ الضبطِ والربطِ هُنَاكَ فهو كثير الجُنْد، والرِجَال هُنَاكَ قِلة. وأحسنا عَلَيْهِ بغَزْنَة، و «كرديز»، وهزارة السُلْطَان مسعودي. كما أعطيناه مقاطعة كهرام فِي «الهِنْد» وريعها ثلاثمائة أو أربعمائة ألف.

وتقرر ذهاب الخوجه مير ميران إلى «كَابُل». وأودعنا الهدايا فِي عهدته. وعينا المُلَّا حَسَن الصراف، وتوكههندو، قابضَيْن. ولأن الخوجه كلان لا يحب «الهِنْد»، فقد كتَبَ عِنْدَ ذهابِه هَذَا البيتُ مِن الشعرِ على جِدَارِ بيته:

إذا غادرتُ السِّنْد بخير وسلامة،

فليسود الله وجهي إن اشتقتُ إلى «الهِنْد» ثانية

وكان مِن غير اللائق أن يَكْتب بيتا ساخرا كهذا، ونحن مازلنا فِي «الهِنْد»، ولو كان فِي ذهابة كدَرٌ، فقوله هَذَا زاد مِن كدَرِنا. فكتبتُ بدورِي هَذِهِ الرباعية ارتجالًا وأرسلتُها إليه:

يا بَابُر، أشكر الكريم الغفار

الذي وهبك السِّنْد والهِنْد ومُلكا كبيرا

فإن لم يصمد وجهك لحرارته، وتتوق للبرد،

أمامك غزْنَة؛ فول وجهك شطرها

وفِي هَذِهِ الأثناء، أسندنا إلى المُلَّا آپاق إدارة بعض الأَفْغَان. وكان مِن قبل ذا رتبة صغيرة، ومنذ سنتين أو ثلاث جمع إخوته كبارًا وصغارًا وصار ذا رِجَال. ومن ضّفَّة السِّنْد [أرْسَلْناه] إلى « كول» حاملا مراسيم استمالة إلى الفُرْسَان و الرماه فِي تلك النواحي وما حولها.

وجاء الشَّيْخ كُورَن مخلصا ومنيبا، ومعه ألفين أو ثلاثة آلافٍ مِن فرسانِ ميان دوآب ورماتها، والتزموا. وبينما يونس على فِي طريقِهِ مِن «دِهْلي» إلى «أَكْرا»، ضَلَّ الطريق، وافترق عن هُمايون، فقابل مصادفةً أبناءَ عليخان الفَرمُلي وأهلَه. وبعدَ معركةٍ قصيرة، هزمَهُم وأَسَرَ أبناء

عليخان وساقهم إلينا. لذا أرسلتُ مِيرْزا مُغُول ابن دَوْلَتْ قَدَم التركى ومعه أحد أبناء عليخان المأسورين بمراسيم استماله إلى (٢٩٦ب) عليخان، وكان قد توجه إلى «ميوات» وقت هزيمته. وقد جاء عليخان مع مِيرْزا مُغُول، فأَظْهَرْنَا له الاحترام، وأعطيناه مقاطعةً ريعها خمس وعشرين مائة ألف، مِن مقاطعاته.

وأرسل السُلْطَان ابراهيم عددا مِن الأُمَرَاءِ بقيادةِ مصطفي الفَرمُلي، وفيروز خان السارنكخاني لقتالِ الأُمَرَاءِ العصاة البغاة فِي «پُورَب». فأحسن مصطفي مناجزتهم، وهزمهم هزيمة منكرة أكثر مِن مرة. وقد توفي مصطفي قبيل هزيمة [السُلْطَان] ابراهيم. فآلت فِي التوّ الولايات التي كانت تحت سيطرته ورِجَاله إلى أخية الأَصْغَر الشَّيْخ بايزيد، إذ كان [السُلْطَان] ابراهيم مشغولا بأعمال مهمة. وقد جاء الشَّيْخ بايزيد إلينا الآن ودخل فِي خدمتنا ومعه كل مِن فيروز خان، ومحمود خان النوحاني، والقاضي جيبا، فأَظْهَرْنَا إليهم المزيد مِن العناية والشفقة أكثر مما يأملون، وأحسنا على فيروز خان بمائةٍ وستٍ وأربعين مائةِ ألفٍ وخمسةِ آلاف تنكَه[1] مِن «جونپور»، وعلى الشَّيْخ بايزيد بمائةٍ وثمانٍ وأربعين مائةِ ألف وخمسةِ آلاف تنكَه مِن «أود»، وعلى محمود خان بتسعين مائة ألف وخمس وثلاثين ألف تنكَه مِن «غازيپو»، وعلى القاض جيبا بعشرين مائةِ ألف مِن «جونپور».

وبعد عيدِ الفِطر ببضعةِ أَيَّام، أَقَمْنَا مجلسا للصُحبه فِي قبة الإيوان ذى الأَعْمُدَة الحجرية الذي يتوسط حرم عمارة السُلْطَان ابراهيم، وأنعمنا على هُمايون بقميص موشى، وسيف ذى حزام، وفرس ذى سرّج مذهب، وعلى كل مِن چين تيمور سُلْطَان ، ومهدي خوجه، (٢٩٧أ) وسُلْطَان مِيرْزا، بقميص موشى،وسيف ذى حزام،وخناجر بحزام.وأنعمنا على كل واحد مِن الأُمَرَاء والفتيان كل حسب مكانتهبسيف ذى حزام،وخنجر ذى حزام وخلعنا على كلٍ حسب مكانته.ولاسيما أنني دونت جملتهم وهي:

اثنان مِن الخيول المسرجة بالذهب، وسيفان مرصعان بحزام، وخمس وعشرون خنجرا

(١) هَذا الرقم يساوى ١.٤٦٥.٠٠٠.

مرصعا، وستة عشر خنجرا مرصعا،وسكين هندي ذو مقبض مِن الذهب، وخنجران مرصعان بحد عريض، وأربعة أثواب ذات أربعةقبب، وثمان وعشرون ثوبا سقرلاط.

وفِي يَومِ الصُّحْبَة، انهمرت أمطارٌ غزيرةٌ عجيبةٌ، فقد أمطرت ثلاث عشرة مرة فأصابت بعض مَن فِي الخارج، حَتَّى على أشرفوا على الغرق.

وأحْسَنا على مُحَمَّدي كُوكَلْداش بولاية «سامانه»، وكلَّفناه بالغارة على «سُنْبُل» . وكافأنا هُمايون بقلعة فيروزه، وزدناه إحسانا بسُنْبُل. وجعلنا هندو بِك مرافقًا له. ولهذا أرْسَلْنا هندوبك، وكَتَه بِك، وملك قاسم بابا قاشقة وإخوته كبارًا وصغارًا، والشَّيْخ كورن ومعه المُلّا آفاق، ورُماة «ميان دوآب»، للغارة على «سُنْبُل» بدلًا مِن مُحَمَّدى[كُوكَلْداش]. وجاء رجل مِن عِنْدَ قاسم السُنْبُلي ثلاث أو أربع مرات ليبلغنا: (٢٩٧ب) إن بِبَن الوضيع حاصر «سُنْبُل» فأعجزها، وينبغى الإسراع بالغارة ذَلِكَ أن بِبَن هَرَبَمِن عندنا بإعدادٍ وتخطيط، ولم يضيّعْ وقتا، فسَلَكَ طريقَ سفحِ الجبل، وجمع الأفْغَان والهنود الهاربين والمشتتين، وجاء وحاصر سُنْبُل وهي خلوا [مِن الجُنْد].

وصَلَ هندو بِك، وكَتَه بِك وصحبه المتوجهين لشن الغارة، إلى مَخَاضَة اهار، وانشغلوا بتجاوزِ النَّهْر، وأرسلوا ملك قاسم بابا قاشقة وإخوته كبارًا وصغارًا إلى المُقَدِّمَة. وعندما جاوز ملك قاسم النَّهْر، سار ومعه إخوته وزهاء مائه أو مائه وخمسين رجلًا، واسرعوا فِي سيرِهم، فبلغوا «سُنْبُل» وقت صلاةِ الظهر. كما نَظَّمَ بِبَن رِجَاله، وتحرك مِن معَسْكَره. وتَقَدَّمَ ملك قاسم بسرعةٍ جاعلا القَلْعَة وراءه، وهاجم بِبَن الذي عجز عن الصمودِ أمامه فوَلَّى هاربا. فقطع قاسم ملك رأس عدد مِن رِجَاله، وغنموا بضعة أفيال وبضعة خيول.

وفِي اليومِ التَّالِي، وَصَلَت جماعةٌ أخرى مِن رِجَال الغارة [إلى سُنْبُل]، وجاء قاسم السُنْبُلي ورآهم، وقرر أنه لا يَحْسُن به أن يسلم القَلْعَة لَهُم. وتشاور الشَّيْخ كوران مع هندوبك والآخرين، واستطاعوا بالحيلة استمالة قاسم السُنْبُلي، وإدخال رِجَالنا حصن « سُنْبُل ». وأخرجوا عائلة قاسم السُنْبُلي وأتباعه سالمين آمنين وأرسلوهم [إلينا].

وأرسلوا قلندر پياده بمراسيمِ الوعدِ والوعيدِ إلى نظام خان الموجود فِي «بيَانه».

(٢٩٨أ) وكتبوا هَذهِ القطعة بالبديهة:

يا أمير «بيَانه»، لا تدخل فِي نزاع مع الترك،

فبأس الترك وبطولتهم أمر معلوم.

فإن لم تصغ للنصح وتسرع بالإذعان،

فلا ضرورة لبيان ما هو واضح للعيان

وقلعة «بيَانه» مِن قِلاع «الهِند» المشهورة، وقد وثق [نظام خان] الأحمق فِي منعتها وتفوقه، فلم يُحسن جواب الرسول.

وانشغلنا بتجهيز أَسْبَاب فتح القَلْعَة، وأرسَلْنا بابا قُلي بِك إلى مُحَمَّد زيتون بمراسيمِ الوعدِ والوعيد، فتَعَلَّل بالأعذار، وانتَهَج سبيل الحيلة.

خضوع أمَراءِ «الهِند» لبَابُر:

وأثناء وجودِنا فِي «كَابُل»، أرسلَ راناسَنْكَا رسولَه ليُعْرِبَ لنا عن صداقتِهِ. و[ليبلغنا] قوله الذي عقد عَلَيْهِ العزم وهو إنه؛" إذا جاء السُلْطَان مِن «كَابُل» إلى ظاهر «دِهْلي»، فإنه سيتحرك مِن مكانه إلى «آگْرا». وها أنا ذا [جئتُ]وهَزمتُ [السُلْطَان] ابراهيم، وأخذتُ «دِهْلي»، و«آگْرا». ولم يتحرك هَذَا الكَافِر حَتَّى ذَلِكَ اليوم. وبعد فترة، حاصر «قلعة كندار» التي بها حَسَن بن مكن. وجاء رِجَال مِن عِنْدَ حَسَن بن مكن عدة مرات و لم يأت هو بنفسه. ولم نكن قد رأيناه بعد، ولم يَكُنْ [رِجَالنا] قد استولوا بعد على القِلاع فِي تلك المناطق مثل «أتوا»، و«دُولْپُور»، و«كواليار»، و«بيانه». (٢٩٨ب) وكان الأَفْغَان فِي المَنَاطِق الشرقيةِ على العنادِ والعصيان، وأقاموا جُنُودهم فِي مَوْضِعين أو ثلاثة فِي المسافة مِن «قُنوج» إلى «آگْرا»، ولأننا لم نطمئن بعد للعصاة فِي تلك المناطق، لهذا كله لم نكلف أحدا بمساعدته. وبعد شهرين أو ثلاثة، وجد حَسَن [بن مكن] نفسه عاجزا عن فعلِ شيء، فَعَقَدَ عهدا [معنا] وسَلَّم «قلعة قندار».

توزيع ولايات الهِنْد على رِجَال بَابُر:

كان حُسَيْن خان فِي «رابري»، فتركها وغادرها خوفا، فأعطيناها إلى مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك. وكان قطب خان فِي «اتاوه». وقد أرسلتُ له مراسيم الوعد والوعيد أكثر مِن مرة. فما جاء إلينا، بل ترك«اتاوه»وغادرها، فأنعمنا بها على الخوجه مهدي. ومددناه بعدد مِن رِجَال الأُمَرَاء وخواص مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، والسُلْطَان مُحَمَّد دلداي ومُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، وعبد العزيز ميرا خوار، لتدعيمه وأرْسَلْناه إلى «اتاوه».

وأعطيتُ قُنوج إلى السُلْطَان مُحَمَّد دُلداي. كما أَظْهَرْنَا مزيدا مِن الرِّعَايَة لِكُلِّ مِن فيروز خان، ومُحَمَّد خان، والشَّيْخ بايزيد، والقاضي جيا. وأعطيناهم مُقاطَعات مِن «پُورَب». كما عيناهم على «اتاوه».

وكان مُحَمَّد زيتون (٢٩٩أ) فِي «دُولْپُور»، فأخذ يتحايل ولم يأتِ. فأحسنا على السُلْطَان جُنَيْد برلاس «بدُولْپُور»، وأرْسَلْناه إليها وتحت قيادته عادل سُلْطَان، ومُحَمَّدي كُوكَلْداش، وشاه منصور برلاس، و قُتْلُقْقَدَم، وعبد الله، وولي جان بِك، وبيرقُلي، وشاه حَسَن باركي وذَلِكَ لِيَنْتَزِعُوها بالقوة، ويسلِّمُونها إلى سُلْطَان جُنَيْد، ثُمَّ يتوجهوا إلى «بيَانه».

التحرك ضد نصير خان فِي پُورَب:

وبعد أن عيننا هؤلاء الجُنْد، استدعيتُ أمراء الترك و«الهِنْد» للتشاور، واقترحنا الآتى: إن الأُمَرَاء الباغيين فِي «پُورَب» وعلى رأسِهِم نصير خان النوحاني، ومعروف الفَرمُلي، جاوزوا «كُنَكْ» مع أربعين أو خمسين ألفا، وبسطوا سيطرتهم على «قُنُوج»، وصاروا على مَسَافَة منزلين أو ثلاثة منا.كما أخَذَ الكَافِر راناسَنْكَا كاندار وهو مشغولٌ بإثارةِ الفتنةِ والفساد. وأوشك فصلُ المطرِ على الانتهاء، وصار مِن اللازم والواجب أن نتحرك إما ضد الباغى[نصير خان]، أو ضد الكَافِر [راناسَنْكَا]. و[والرأي عندي] إن القِلاع التي فِي هَذِهِ المناطق وماحولها، أمرها يسير، ويمكن التصدي لهؤلاء [الباغين] بعد دَفْعِ عدونا هَذَا. فلا يمكن أن نساوى بينهم وبين رانا سَنْكَا. فأتفق الجميع على أن راناسَنْكَا مازال بعيدا وغير معروف إن كان سيمكنه

الاقتراب[أم لا]. أما وهؤلاء الأعداء قد صاروا قاب قوسين أو أدنى، فإن دفعهم أهم وأَوْلى. واتفقت كلمتهم على البدءِ بالتحركِ ضد هَذَا الباغى. (٢٩٩ب) فقال هُمايون: لا حاجة لخروجِ السُلْطَان للقتال، أقوم أنا بهذه المهمة. وقد استحسن الجميع هَذَا، وأُعجِبَ أمراءُ الترك و«الهِنْد» بهذه الفكرة. وكلَّفْنَا هُمايون بأمر «پُورَب». وأرْسَلْنا أَحْمَد قاسم الكَابُلي على وجهِ السرعةِ إلى جند «دُولْپُور»، وأمرناهم أن يلتحقوا بهُمايون فِي «چندوار». كما أرْسَلْنا مرسومًا إلى الجُنْد الموجدين تحت إمرة الخوجه مهدي و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا فِي «اتاوه» ليلتحقوا به.

وفِي يَومِ الخميسِ الثالث عشر مِن شهر ذي القعدة[1]، خرج هُمايون للغارة. ونزل قرية جَليسِر، وهي قريةٌ صغيرةٌ على مَسَافَة ثلاثةِ فَرَاسِخ مِن «أَكْرا». وبعد أن تَوَقَّف هُنَاكَ ليومٍ واحد، غادرها وتَقَدَّمَ مِن منزلٍ تلو آخر.

وفِي يَومِ الخميسِ العشرين مِن الشهر. أَذِنّا لخوجه كلان بالذهابِ إلى «كَابُل».

إنشاء الحدائق فِي الهِنْد:

كان أكثر ما يشغل بالنا دوما هو خلو «الهِنْد» مِن المياه الجارية، وهذا أكبر عيوبها. وكنا أينما نَحِل نُؤَمِّن المياه الجارية عن طريقِ السواقي، ونُفَكِّر كيف يمكننا أن ننشئ فيها أماكن ذات نظامٍ وتخطيط.

وبعد مجيئنا إلى «أَكْرا» ببضعةِ أَيَّام، اجتزنا « نهر جون» للبحثِ عن الأماكنِ التي يمكن اتخاذها حدائق. فالأماكن قفر كريهة لدرجة أننا اجتزناها وشعور الاشمئزاز والنفور يملؤنا. ومن قبح هَذَا المكان وقذارته (٣٠٠أ) تخلينا عن فكرة إنشاء حَدِيقَة به. أما ولا يُوجَد مكان قريب مِن «أَكْرا» سواه، فقد اضطررنا بعد بضعة أَيَّام أن نتخذه [حَدِيقَة] وحفرنا بئرا كبيرا بالقدرِ الذي يؤمن لنا ماءَ للاستحمام. وغرسْنا أشجارَ التمر «الهِنْدى» فِي مكانٍ به حوض ثُمَانِيّ الشكل، ثُمَّ أنشأنا حوضا وصَحْنا أمام المبني الحجري. و نظمنا حَدِيقَة خاصة بمكان إقامتنا الخاصة والبيوت. وبعد ذَلِكَ أنشأنا الحمام. وهكذا [تبدل الحال] فِي «الهِنْد» وهي المكان الذي

(١) يقابل ٢١ أغسطس ١٥٢٦.

يخلو مِن الصفاء والتنظيم، فأصبحت عامرة بالحدائق الجميلة المنسقة والمنظمة. وأمرتُ فزُيِّن كل ركنٍ مِنْها بالخمائلِ الجميلة، وكل خميلة مِنْها بالزهورِ والرياحين مناسبة.

وقد تَضَرَّرْنا مِن «الهِنْد» لثلاثةِ أَسْبَاب هي؛ حرارتِها، ورياحِها، وغبارها. وكان الحَمام دافعا للثلاثة. أما فائدته مع الغبار والرياح ؛ فالاستحمام فِي الهواء الحار يذهب حرارته وينقل الإنسان مِن الإحساس بالحرارة إلى الإحساس بالبرودة. وقد أنشأوا حجرة الحوض الساخن بالحَمَّام كلها مِن الحجر. والجوسق مِن الحجر الأبيض، وحجر التسخين فِي الحَمَّام والسقف كله مِن حجر «بَيَانه» القرمزى، وقد أنشأ كل مِن خليفة، وشيخ زين، ويونس على وكل مَن استقروا على ضَفَّة النَّهْر (٣٠٠ب) حدائق منظمة ومنسقة، وأحواضا للمياه. كما عملوا سواقي على طريق «لاهور» و«ديپالپور». وأجروا المياه. ولأن الهنود لم يروا مِن قبل مثل هَذِهِ الأماكن المنسقة الممهدة والمرتبة. فقد أطلقوا على الأماكن ذات العمائر فِي أنحية «جون» اسم «كَابُل».

وصف البئر الكبير:

أمرتُ بإنشاءِ بئرٍ كبيرٍ داخل حصن [أَكْرا]، فِي البقعة الخالية بين جِدَار الحِصْن وعمارة [السُلْطَان] ابراهيم، ويسمي الهنود البئر الكبير المُزَيَّن واين. وقد أنشأنا هَذَا البئر الكبير قبل إنشاء [حدائق] چارباغ، وانشغلنا بحفرها أثناء فصل المطر. وقد انهارت عدة مرات فوق العمال ودفنوا تحتها. وقد انتهينا مِنْها بعد غزوة راناسَنْكَاوالتاريخ المدون على الحجر، يُنْبِئ أنها تمت بعد الغزوة، وكانت بئرا كبيرا وجميلا. وبداخلها بناء ذو ثلاثة طوابق، يشتمل الطابق السفلي مِنْهُ على ثلاثة إيوانات. والوصول إلى الطريق يكون عبر السلم المؤدي للبئر. ونفس الطريق يؤدي إلى كل واحد مِن الايوانات. كل إيوان مِنْها يرتفع عن الآخر بثلاث درجات سلم. وعندما تُسحَب المياه مِن الإيوان السفلي، تنخفض المياه [فِي الإيوان العلوى] درجة واحدة. وعندما ترتفع المياه فِي فصل المطر يفيض الماء فِي بعض الأحيان مِن الإيوان العلوي. وفِي الطابق الأوسط صهريج مزخرف بجوار القبة التي بها الثور الذي يدير الساقية، (٣٠١أ) والطابق العلوي عبارة عن صهريج. ويحف سفح الصحن الخارجي الذي يعلو البئر، طريق مدَرَّج بخمس

أو ست درجات يفضي إلى هَذَا الصهريج. وفِي مواجهة الطريق المؤدي إلى الجانب الأيمن نُصُب مِن الحجارة. وبجوار هَذَا البئر بئر آخر. يزيد عمقه عن منتصف عمق البئر الأول. وينساب الماء مِن بئر إلى آخر بواسطة الساقية التي يديرها الثور الذي تحت القبة السابق ذكرها. وقد وضعنا عجلة فوق هَذَا البئر أيضًا، فينساب الماء مِنْ فَوْقِ السدة بهذه العجلة، ثُمَّ يجري فِي اتجاه الحَدِيقَة التي فِي مَوْضِع أعلى مِن البئر. وأقمنا بناءً مِن الحجر أمام سلم البئر. ويُوجَد خارج الجِدَار المحيط بالبئر مسجدا مِن الحجر لَكِنَّهُ غير جميلا، ومبني على الطراز الهِنْدي.

استيلاء هُمايون على جاجماوو:

عِنْدَمَا خرج هُمايون [للغارة]، كان الأُمَرَاء الباغين مجتمعين فِي «جاجماوو» [1] وعلى رأسهم نصير خان النوحاني، ومعروف الفَرمُلي. وعلم هُمايون بتجمعهم هَذَا وهو على مَسَافَة عشرة أو خمسة عشر فَرْسَخا، فأرسل مؤمن اتكه ليتقصى الأمر. وكان بدوره يتطلع إلى الغارة على الغنيمة. فلما علم هؤلاء البغاة بمجيء مؤمن اتكه، ولوا ولم يعقبوا. ولم يتمكن مؤمن اتكه مِن تقصى حقيقة الأمر. وبعد مؤمن اتكه أرسلَ [هُمايون] قسمتاي، وبابا چهرة، وبوجكه لتقصى الأمر، فأخبروه بهزيمة العدو وفراره.وتحرك هُمايون فأخذ جاجماوو ثُمَّ تجاوزها. فلما اقترب مِن أنحية «دلماو» (٣٠١ب) جاء فاتح خان السرواني بنفسه وقابل[هُمايون]، وقد أرسله إلينا مع الخوجه مهدي، ومحمود سُلْطَان مِرْزا.

استيلاء عُبيد خان الأُزبكي على طوس ومَشْهَد:

وفِي هَذهِ السنة، ساق عُبيد خان الجُنْد مِن «بُخَارى» وجاء إلى «مَرْو»، وكان فِي قلعتها عشرة أو خمسة عشر فردا فقتلَهُم، ورَبَط خَراج «مَرْو» فِي أربعين أو خمسين يوما، ثُمَّ سار إلى «سَرَخْس»، وكان فِي قلعتها ثلاثين أو أربعين مِن القِزِلْباش، فأغلقوا بابَ القَلْعَةِ دونه ولم يسلموها. فأعْلَنَ رعاياهم العصيان، وفتحوا باب القَلْعَةِ للأزبك فدخلوها وقطعوا رؤوس

(١) اسم مكان فِي دوآب اسفل جونپور.

هؤلاء القِزِلْباش. وبعد أن أخذ «سَرَخْس»، سار إلى «طُوس» و«مَشْهَد». وكان أهل «مَشْهَد» لا حول لَهُم ولا قوة، فسلموا المدينة، كما أخذ « طُوس » صُلْحا بعد حصارٍ لها دامَ ثمانية أشهر.لَكِنَّهُ نَكَثَ بوعدِهِ وقَتَل رِجَالها وأَسَرَ نِساءَها.

إعلان بَهادِر خان سُلْطَانا على كُجَرات:

فِي هَذهِ السنة، أصبح بَهادِرخان حاكم « كُجَرات» سُلْطَانا عَلَيْهَا مكان والده.

وكان قد لجأ إلى [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي] بعد نِزاعٍ مع أبيهِ، لَكِنَّهُ لم يلق التقدير الذي كان يطمع فيه، فجاء أثناء وجودنا قريبا مِن «پَانِيپَت» ، وعرض عَلَيْنَا حاله. وأرسلتُ بدورى مراسيم العناية والشفقة، ودعوتُه للحضور. وكان ينوي المجيء لَكِنَّهُ غير رأيه فيما بعد، وانفصل عن جند ابراهيم، وتحرك فِي اتجاه كُجَرات. وفِي هَذهِ الأثناء توفي والده السُلْطَان مُظَفَّر فأصبح أخوه الأكبر (١٣٠٢أ) سكندر شاه سُلْطَانا فِي كُجَرات مكانه. وبسبب معاملته السيئة، قام أحد العبيد ويدعى عماد الملك بالاشتراك مع آخرين بخنقه، ودعوا بَهادِر خان الذي كان مازال فِي الطريق [إلى كُجَرات]، وأجلسوه مكان والده، ولقبوه بَهادِر شاه. وقد أحسن فعلا إذ قتل عماد الملك هَذَا جزاء نكرانه الجميل، فنال جزاءه. كما قتل بعض أمراء والده. ويقولون إنه كان سُلْطَانا سفاكًا للدماء وجريئًا غير هياب.

****

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وثلاث وثلاثين[1]

مولد فاروق مِيرْزا :

فِي شهرِ المحرم، جاء بِك وَيْس بخبَرِ مَوْلِد [ابني] فاروق [مِيرْزا]. والحقيقة أن أحدَ المُشاةِ كان قد أتى بالخبرِ قَبْلَه. لكن بِك وَيْس جاء بالبُشرى فِي هَذَا الشَّهْر. وكان مولدُه يومَ السبتِ الثالثِ والعشرين مِن شهرِ شوال. وسميناه فاروق.

صب المدفع لفتح بِيَانه:

أَصْدَرْنَا الأوامر إلى الأستاذ عليقُلي بِصَبِّ مدفعٍ كبيرٍ لفتح « بِيَانه» وبعض القِلاعِ الأخرى التي لم نفتحها بعد. فجهز الأتون وكل ما يلزم [لصب المدفع]، ثُمَّ أرسلَ رجلًا إلينا.

وفِي يَومِ الاثنينِ الخامسِ عشر مِن شهر المحرم، أقام ثمانية أُتُون حول مَوْضِع صب المدفع. وجهز الآلات. ويخرج مِن داخل كل أُتُون (٣٠٢ب) مِيزابٌ يتجه مُباشرةً إلى قالب المدفع. كل ميزاب يصب [المعدن المنصهر] فِي القالب مثل شريط الماء. وبعد فترة وقبل امتلاء القالب، بدأت المعادن المنصهرة المتدفقة مِن هَذِهِ الأفران تنقطع واحدا تلو الآخر. وكان هُنَاكَ خطأٌ إمَّا فِي الفرن أو فِي المعادن. فأحسَّ الأستاذ عليقُلي الفَشَل الذَّرِيع، وهَمَّ بإلقاءِ نفسه فِي النحاس المُنْصَهِر داخل القالب. فطيبنا خاطره، وألبسناه خِلْعَةً لنبدد حزنه.

وبَعْدَ يَومٍ أو اثنين، فتحوا القالب بعد أن برد، فوجدوا أن جسم المدفع سليم، فابتهج الأستاذ عليقُلي، وأرسل رجلا ليبلغني بالأمر وأنه مِن السهل صب خَزَّان البارود الخاص به. وأخرج القالب الخارجي للمدفع. وخصص رِجَال لتعميره، وانشغل هو بِصَبِّ خَزَّان البارود.

استقبال فتح خان السرواني:

جاء الخوجه مهدي مِن عِنْدَ هُمايون ومعه فتح خان السرواني وقد افترقوا عنه عِنْدَ دلماو. فأحسنا استقبال فتح خان، وأنعمنا عَلَيْهِ بمقاطعات والده أعظم هُمايون وولايات أخرى إضافية. وأعطيناه مقاطعة قيمتها مائة وستين مائة ألف. وكانوا يُطْلِقُون على الأُمَرَاء ذوي

(١) يقابل الفترة من ٨أكتوبر ١٥٢٦- ٢٧سبتمبر ١٥٢٧.

الاعتبار فِي «الهِنْد» ألقابا محددة مثل أعظم هُمايون، وخان جهان (٣٠٣أ) وخان خانان، وكان لقب والد فتح خان هَذَا هو أعظم هُمايون. وبسبب هُمايون [ابنى] كان مِن غير اللائق إطلاق هَذَا اللقب على شخص آخر [سواه]، لهذا ألغيتُ [استخدام] هَذَا اللقب، ومنحتُ فتح خان سرواني لقب خان جهان.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثامنِ مِن شهرِ صفر، انتهينا مِن ترتيبِ مجلس كبير على حافة الحوض فِي الطرف الشمالي مِن أشجار التمر الهِنْدي. وقد دعوتُ فتح خان السرواني إلى مجلس الشراب، وقدمتُ له الشراب إكْراما له، وخلعتُ عَلَيْهِ عمامتي وملابسي. وسمحنا له بالتوجه بها إلى ولايته. وأن يبقي ابنه مُحَمَّد خان معنا ملازمًا لنا دومًا.

الاستعداد لمواجهة راناسَنْكَا:

وفِي يَومِ الأربعاءِ الرابعِ والعشرين مِن شهرِ المحرم، أرْسَلْنا مُحَمَّد علي حيدر الركابدار إلى هُمايون على وجهِ السرعة ليبلغه: إن الحمد لله؛ فقد هَرَبَ عَسْكَر « پُورَب » ، وبمجرد أن يصلك رسولنا هَذَا، أوكل أمر « جونپور » إلى الأُمَرَاء المناسبين، وأدركنا بجندك على وجه السرعة. فقد اقْتَرَبَ الكَافِر راناسَنْكَا، وأصبح على الأبواب، وينبغي أن نهتم بأمره.

وبعد أن توجه الجُنْد إلى «پُورَب»، أرْسَلْنا تردي بِك، وقوج بِك وأخيه الأَصْغَر، وشيرا فكن، ومُحَمَّد خليل آخته بِك وإخوته كبارًا وصغارا، ورستم تركمان وإخوته كبارًا وصغارًا، ومن الهنود راودي السرواني، وكلفناهم بالغارة على أنحية «بيَانه»، فإن استطاعوا إخضاع قلاعها (٣٠٣ب) لنا بالحسني فبها ونعمت، وإلاّ فلينهكوها بالغارة والنهب[1].

الاستيلاء على قلعة تهنكر:

كان فِي قلعة تهنكر مِن يدعى عالِم خان، أحد إخوة نظام خان صاحب «بيَانه» الأكبر. وجاء رِجَاله مرارا وعرضوا الخضوع والولاء. وأخذ عالِم خان هَذَا زمام الأمر وقال:لو أن السُلْطَان أمدنى بفرقه مِن الجُنْد، فأنا القادر على استمالة كل رُماة «بيَانه»، وفتح قلعتها.

(١) حدث تقديم وتأخير فِي أجزاء هَذهِ الجملة فِي الترجمة التركية، بما يؤثر على المغنى.

المُكلَّف بقلعة «بيَانه» بأنه، تحت قيادة تردي بِك، الموْجُودِينَ فأصدرنا الأوامر إلى الفتية مادام عالِم خان حليفنا، فليضطلع هو بهذه المهمة. فتحركوا فِي أمر «بيَانه» حسبما يرى فيه الصلاح والصواب.

والواقع أن بعض الهنود يعرفون استخدام السيف، لكن أكثرهم لا يعرف عنه شيئًا، وليس لَهُم مِن الجندية والقيادة نصيب. وعندما اوكلنا أمر الهجوم إلى عالِم خان هَذَا، دفع بالجند قريبا مِن «بيَانه» دون الالتفات إلى أي رأي آخر، أو يفكر فِي عاقبة الأمر خيرا كان أو شرا. وكان بين جُنُودنا الذين ذهبوا إلى هُنَاكَ مائتين أو ثلاثمائة مِن الترك، وما يربو على ألفين مِن الجُنْد الذي جمعناهم مِن «الهِنْد» وما حولها. وكانت قوات الفُرْسَان والأَفْغَان التي مع نظام خان فِي «بيَانه» تتكون مِن أكثر مِن أربعة آلاف فارس وأكثر مِن عشرة آلاف مِن المشاه.

وعندما عَلِمَ نظام خان (٣٠٤أ) بأمرِ هؤلاء الجُنْد، خرج لَهُم على الفورِ بجندهِ الفُرْسَان والمشاة السابق ذكرهم، ولما أسرع بالكرِ عَلَيْهِم بخيلَهُم، فلاذ رِجَال الغارة بالفرار. وقد استولى أخوه الأكبر عالِم خان عَلَى «تهنكري»،كما أخذ خمسة رِجَال أو ستة، وقسما مِن أمتعتهم. ورغم تصرفِ نظام خان هَذَا، تجاوزنا عما تقدم مِن ذنبة، والتزمنا بوعدنا معه، وأرسَلْنا إليه مراسيم الوعد والاستمالة. وعندما علم باقتراب الكَافِر راناسَنْكَا، أُسقط فِي يده، واستدعي سَيِّد رفيع للوساطةفي تسليم القَلْعَة لرِجَالنا. ثُمَّ جاء مع سَيِّد رفيع ونال شرف ملازمتنا. وأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة «ميان دوآب» وقيمتها عشرين مائة الف. وأرسَلْنا دوست ايشيك اغا مؤقتًا إلى «بيَانه». وبعد بضعة أَيَّام، أعطينا «بيَانه» إلى الخوجه مهدي. وأذنا له بالذهاب إليها، ورفعنا مخصصاته إلى عشرين مائة ألف. وجاء رجل مِن عِنْدَ تاتار خان السارنكاني الموجود فِي «كواليار». وعرض الانصياع لنا.

واستولي الكَافِر راناسَنْكَا على كندار، وعندما اقترب مِن «بيَانه»، اقترب الكافران در منكت أحد راجاوات «كواليار»، وخان جهان مِن «كواليار»، وبدءَ فِي إثارة الفتن طمعا فِي القَلْعَة.

الاستيلاء على كواليار ودُولپُور:

وجاء رجل تاتار خان لتسليم «كواليار»[لنا]. وكان قسم كبير مِن الأُمَرَاء والخَوَاص وخيرة الفتيان قد ذهبوا مع الحملة والغارة فِي كل صوب. فأرْسَلْنا رحيم داد (٣٠٤ب) وأخوته الكبار والصغار مع عدد مِن رِجَال «بهْرَه» و«لاهور»، وهستي جي طونقطار إلى «كواليار» على أن تكون مقاطعة لَهُم. كما أرْسَلْنا المُلّا آپاق، والشَّيْخ كوران، على أن يرجعا بعد أن يستقر رحيم داد فِي «كواليار».

وعِنْدَمَا صَارُوا على مشارفِ «كواليار»، عَدَل تاتار خان عن رأيِه، وقَرَّرَ ألا يُدخِلَهُم القَلْعَة. وفِي تلك الأثناء، أرسلَ الشَّيْخ مُحَمَّد وهو درويشٌ له أتباع ومريدين، رجلا مِنَ القَلْعَة إلى رحيم داد ليبلغه أن ادخلوا القَلْعَة وليكن ما يكون، فهذا الرجل عَدَل عن رأيه. ويُضمر السوء. وعندما علم رحيم داد بهذا الأمر أرسلَ [إلى تاتار خان] قائلًا:

إنَّ بَقَاءنا خَارِجَ القَلْعَة أمرٌ خطر بسبب الكُفَّار. وينبغي أن أدخُلَ القَلْعَة مع بضعِ رِجَال، ويظل الباقون خارجها. وأمام إصراره وافق تاتار خان على هَذَا. فلما دخل القَلْعَة مع عدد قليل مِن الرِجَال قَالَ: ليقف رِجَالنا عِنْدَ باب هاتي پول. وفِي تلك الليلة، أدخل كلِ رِجَاله مِن باب هاتي پول هَذَا، وفِي اليوم التَّالِي أُسقط فِي يد تاتار خان وسلم القَلْعَة طوعا أو كُرها. وجاء بنفسه والتزم فِي «أَگْرا». وخصصنا له عشرين مائة الف مِن مقاطعة بَيَاوه.

ولَمَّا أَعْجَزَت الحيل محمود زيتون، سلم «دُولپُور» (٣٠٥أ) وجاء إلينا والتزم، فأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة قيمتها عدة مئات مِن الألوف. وجَعَلْنَا «دُولپُور» خاصة لنا. وأحسَنَّا على ابو الفتح التُرْكُماني بوظيفة شقدار[1]، وأرْسَلْناه إلى «دُولپُور». وجمع حميد خان السارنكخاني الموجود فِي نواحي قلعة فيروزة عددا مِن أفغان بني، وثلاثة أو أربعة آلاف مِن أفغان تلك النواحي، وانشغل بإشاعة الفتنة والفساد.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن شهرِ صفر، أرْسَلْنا إليه چين تيمور سُلْطَان . ومن

(١) بمعنى النائب أو القائم مقام.

القادة أحمدي البروانجي، وأبو الفتح التُرْكُماني، وملك داد الكرّاني، ومجاهد خان الملتاني. وكلفناهم بالسَّيْر بسرعة إلى هؤلاء الأَفْغَان. فساروا إليهم وباغتوهم، وهزموهم هزيمة مُنْكَرَة. وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وقطعوا رؤوس كَثِيرَة ورجعوا بها.

سفير الشاهزادة طهماسب[1]:

وفِي أواخِرِ شهرِ صفر، جاء خوجكي أسد الذي كنا قد أرْسَلْناه سفيرًا إلى الشاهزادة طمهاسب فِي العراق. ومعه تركماني يدعي سُلَيْمان، وأحضر معه الهدايا. ومن بينها فتاتين شركسيتين.

دس السم لبَابُر:

وفِي يَومِ الجمعةِ السادسِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول، حَدَثَت واقعةٌ غريبة. لاسيما أنني ذكرتُها بالتفصيل فِي الخطابِ الذي أرسلتُه إلى «كَابُل». وسأذْكُرها هنا بغير زيادة ولا نقصان:

"تفاصِيلُ الواقعةِ العظيمة التي وقَعَت"

"فِي يَومِ الجمعةِ السادسِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول مِن عام تسعمائة وثلاث وثلاثين"

عَلِمَت أم ابراهيم [اللودي]، هَذِهِ المرأة المشئومه أنني أتناول الأطعمة الهِنْدية. ذَلِكَ أنني قبل هَذَا التاريخ بثلاثة أو أربعة شهور، طلبتُ أن يأتوا بطهاة ابراهيم، لأنني لم أكن قد خبرتُ الأطعمة الهِنْدية مِن قبل، واستبقيتُ عندي أربعة مِن الطهاة الذين يتراوح عددهم بين خمسين إلى ستين طاهيًا. وعندما سمِعَت [أم ابراهيم اللودي] بهذا الأمر، أرسَلَت رجلًا إلى «اتاوه» ليأتِ بالچاشنكير أَحْمَد، ويسمي الهنود ذائق الطَّعّام چاشنكير، ودَفَعَت لجارية بأوقية مِن السم داخل ورقة مطوية لتعطيها إلى أَحْمَد الجاشنكير المذكور. والأوقية تزيد قليلًا على مثقالين. فدفع أَحْمَد هَذَا بهذا السُم إلى الطاهي الهِنْدي الذي فِي مطبخنا، ليدسه فِي طعامنا بأي صورة مِن الصور، مع وَعْدٍ بأن يعطيه أربع مُقَاطَعات [إن نجح فِي هَذَا الأمر]. وأرسَلَت خلف الجارية التي حملت السُم إلى أَحْمَد الجاشنكير جارية أخري، لتراقبها إن كانت ستعطيه السم أم لا. وبفضل

(١) ابن الشاه اسماعيل الصفوي، صار زعيا للقزلباش بعد وفاة الشاه اسماعيل.

الله لم يدس [الطاهي] ذَلِكَ السُم فِي القدر الكبير بل وضعه فِي الصحن، وسبب عدم وضعه فِي القدر هو أنني سبق وأن أَمَرْتُ بتشديد المراقبة على الهنود أثناء قيامهم بإعداد الطَّعَام، وأن يتذوقوا الطَّعَام الذي يطهونه [قبل تقديمه]. وبينما كانوا يتذوقون الطَّعَام، غفل طهاتنا المشئومين، وبينما يضع الطاهي [الهِنْدى] شريحة الخبز فِي الصحن، نثر فوقها مِن السُم الذي فِي الورقة مقدارًا أقل قليلًا مِن النصف، ووضع فوقه الزيت (٣٠٦أ) ولو كان قد نثر السُم فوق الزيت، أو وضعه فِي القدر، لكان الوضع سيئا. لَكِنَّهُ لارتباكه ألقي المتبقي مِن السم فِي الموقد، وهو يزيد عننصف المقدار.

وقُبَيْل مساءِ يَومِ الجمعة، قدموا الطَّعَام وقت العصر. وأَكلتُ قليلًا مِن الأرنب المطهي. كما أَكلتُ أيضًا مِن الجزر المقلي. وتناولتُ لقمة أو اثنتين مِن هَذَا الطَّعَام الهِنْدي المسموم. ولم أتبين شيئا مِن طعمه. وأَكلتُ قطعة أو اثنتين مِن اللحم المقدد. ثُمَّ شعرتُ بالغثيان مِن معدتي. وكان اللحم المُقَدَّد الذي تناولتُه فِي اليوم السابق، سيء الطعم. فظننتُ أن غيثان معدتي بسببه. وغثيت معدتي مرة ثانية. وحدث ذَلِكَ مرة أو اثنتين أثناء تناول الطَّعَام، وسرعان ما تقيأتُ. ثُمَّ بدا لي أن [الغثيان] قد زال. ونهضتُ مِن مكاني، وقبيل الوصول إلى مقر راحَتى، توقفتُ فِي الطريق، ثُمَّ تقيأتُ وواصلتُ السَّيْر، ثُمَّ تقيأتُ كثيرًا عِنْدَمَا وصلتُ إلى مقر راحَتى. ولم أتقيء مطلقًا بعد الأَكل، بل إنني لم أتقيأ عِنْدَمَا شربت.

وداخلتني الريبه، فأمرتُ بالقبض على الطاهي، وتقديم ذَلِكَ القئ إلى كلب ومراقبته. وفِي اليوم التَّالِي قبيل الفترة الأولي، مرض الكلب قليلًا، وأنتفخت بطنه، ولفحته السخونة، ولم يعد قادرًا على تحريك أطرافه حَتَّى عِنْدَ رميه بالحجارة. واستمر على هَذَا الحال حَتَّى وقت الظهر، وبعد ذَلِكَ نهض ولم يمت.

كما أَكل واحد أو اثنان مِن الغلمان مِن هَذَا الطَّعَام، وفِي اليوم التَّالِي تقيئا كثيرا. (٣٠٦ب) غير أن واحدًا منهما، تدهورت حالته.وفِي النهاية شفيا لقد نزل البلاء، لَكِنَّهُ الله لطف وقد وهبني الله تعالى الحياة مِن جديد.

أنا القادم مِن تلك الدنيا. لقد ولدتني أمي الآن.

ومرضتُ ثُمَّ أُحييتُ، وأقسم بالله إنني عرفت الآن قيمة الروح.

وأصدرتُ أمرًا إلى السُلْطان مُحَمَّد بخشي بالتحفظ على الطاهي. وتحت وطأة التعذيب أقر الطاهي بالتفاصيل خطوة بخطوة على النحو الذي ذكرته.

وفِي يَومِ الأحد، وهو يومُ [انعقاد] الديوان، وفِي وجود الأكابر والأشراف والأمراء والوزراء، أحضرنا الرجلين والسَيِّدتين وأمرنا باستجوابهم. فأقروا وشرحوا كيف تمت الواقعة بكل تفاصيلها. فأمرتُ بتمزيق هَذَا الچاشنكير إرَبا، وسلخ جلد الطاهي. وإلقاء إحدي السَيِّدتين تحت أقدام الفيل، وإطلاق الرصاص على الثانية وهي جاثية. أما المرأة العجوز [أم السُلْطَان لابراهيم] فقد أمرنا بوضعها تحت المراقبة، وسوف تلقي جزاء ما اقترفته يداها.

وفِي يَومِ السبت، شربتُ كوب حليب وكوبا آخر يوم الأحد. وسحقتُ مختوم الزهور والترياق الفاروقي وشربته. وقد أفرغ الحليب ما بداخلي تمامًا.

وفِي اليوم الأولِ الموافق السبت، تقيأتُ أشياء مثل السوداء. والحمد لله، لقد زالت الآن آثار الخطر، وهُنَاكَ مصراع مِن الشعر يقول:

لا يعرف قيمة الحياة سوى مَن صار على مشارف الموت

وكلما أتذكر هَذِهِ الواقعة المخيفة، لا أصدق، ويتغير حالى (٣٠٧أ) لقد وهبني الله العظيم بعنايته الروح مِن جديد. ويعجز اللسان عن الوفاء بالشكر والحمد لله.

ودار بخلدى أن أكتب لكم حَتَّى تطمئنوا ولا ينتابكم القلق،وبغير تردد كتبتُ هَذِهِ الرسالة فِي «چارباغ» يوم الثلاثاء العشرين مِن شهر ربيع الأول. وأرسلتهاإلى «كابُل» بعندما نجوت مِن هَذَا [البلاء]».

وقد أرْسَلْنا هَذِهِ المرأة التعسة [أم السُلْطَان ابراهيم] إلى يونس على خوجكي اسد فجردها مِن أملاكها جزاءً وفاقا لما اقترفته مِن إثمٍ عظيم، وقد سلمها بدوره إلى عبد الرحيم شيغاول ليضعها تحت المراقبة بعدما جردها مما لديها مِن أموالٍ وخيولٍ وعبيدٍ وجواري. وكنا نعامل حفيدها ابن ابراهيم [اللودي] معاملة تتسم بالتعظم الشديد والاحترام. لكن بسبب ما تضمره

لنا هَذهِ الأسرة، رأينا أنه مِن غير المناسب الإبقاء عَلَيْهِ هنا [فِي أَكْرا]، فأرْسَلْناه فِي يَومِ الخَميس التاسع والعشرين مِن شهر ربيع الأول إلى كامران [فِي قَنْدَهار] برفقة المُلّا سرسان الذي كان قد جاء مِن عِنْدَ كامران لأداء لبعض الأعمال المهمة.

تحرك هُمايون ضد العصاة الذين فِي «پُورَب»، وفَتَح «جونپور»، (٣٠٧ب) ثُمَّ أسرع بالتحرك ضد نصير خان فِي «غازيپو». وبلغه أن ناصِر خان عبر «نهر كُنَكْ»فور علمه بتحرك هُمايون. ولهذا توجه هُمايون مِن«غازيپور» صوب «خَرِيد». وعلم الأَفْغَان الموجودون هُنَاكَ بالأمر، فعبروا «نهر سَرْو». ورجع الجُنْد مِن هُنَاكَ بعد أن نهبوا «خَرِيد» .

وبموافقتنا، ترك هُمايون كلًا مِن شاه مير حُسَيْن، وسُلْطَان جُنَيْد وعدد مِن الفتيان المهرة فِي جونپور. وعيَّن معهم القاضي جيبا. وعيَّن الشَّيْخ بايزيد على «أود». وبعد ان فرغ مِن تنظيم هَذهِ الأعمال عبر «نهر كُنَكْ» مِن جوار «كَره مانكپور» سالكا طريق «كَالْپِي».

وكان عالِم خان [ابن] جلال خان جكهت موجودًا فِي «كَالْپِي»، فأرسل عرض حال يسترحم فيه لَكِنَّهُ لم يأت بنفسه. وعندما وصل هُمايون عِنْدَ «كَالْپِي»، أزال مخاوفه وأحضره معه بنفسه.

وفِي يَومِ الأحدِ الثالثِ مِن شهرِ ربيع الآخر، جاء هُمايون إلى «حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت» ، والتزم.كما جاء فِي ذَلِكَ اليوم أيضا الخوجه دوست خواند مِن «كَابُل».

التوجه إلى بيَانه:

وفِي هَذهِ الأَيَّام، بدأ رِجَال الخوجه مهدي فِي الحضور تباعًا وقالوا: إن راناسَنْكَا سيتحرك، وأن حَسَن خان الميواتي يفكر فِي الانضمام إليه. وكان ينبغى أن يذهب بعضُ الجُنْد إلى «بيَانه» للمساعدة قبل أن ينفذ [حَسَن خان الميواتي] ما يفكر فيه. (٣٠٨أ)

وقَرَّرْنَا سَوْق الجُنْد. وكنا قد أرْسَلْنا قُبيل ذَلِكَ الجُنْد الذين تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، ويونس على، وشاه منصور برلاس، وكَته بِك، وقسمتاي للهجوم على «بيَانه» أثناء الحرب مع ابراهيم [اللودي]، وأسرنا ابن حَسَن خان الميواتي المدعو ناهر خان. وأخذناه رهينه.

ولهذا ظل أبوه حَسَن خان معنا فِي ذهابنا وإيابنا، وكان دائم السؤال عن ابنه. وقد عرض عينا البعض رأيا له مفاده: إنناإذا رددنا إلى حَسَن خان ابنه لاستملناه و حسنت خدمته لنا ولفعل عندئذ ما نكلفه به على خير وجه. فخلعتُ على ناهر خان بن حَسَن خان، وأذنت له بالذهاب بناء على ما قطعه أبوه مِن وعود. غير أن هَذَا المنافق كان يهادننا حَتَّى يتمكن مِن استعادة ابنه. وبمجرد علمه أننا أذنا لولده بالذهاب، وقبل أن يصل إليه، خرج مِن «الور»، وذهب إلى راناسَنْكَا فِي«توده». وكان الإذن لابنه فِي تلك الأثناء أمرا غير محسوب.

وفِي تلك الأثناء،كان المطر ينهمر غزيرا. وكانت المجالس لا تنقطع ويحضرها هُمايون. والواقع أنه كان يمتنع عن الشراب، لَكِنَّهُ هَذِهِ المرة.شرب ولعدة أَيَّام.

استيلاء الأُزْبَك على بَلْخ وما حولها:

ومن الوقائع الغريبة فِي هَذِهِ الأثناء، [(١)] إنه بَيْنَما كان هُمايون فِي طريقه مِن «قلعة الظفر» ليلحق بالحملة على «الهِنْد»، (٣٠٨ب) وأثناء الطريق هَرَبَ المُلَّا بابا الپشاغري وأخوه الصغير بابا شيخ، وذهبا إلى كيتن قرا سُلْطَان [الأزبكي]. وانتقلت «بَلْخ» إلى السُلْطَان كيتن قرابعد أن عجز مِن فيها عن [الدفاع عنها]. وصار هَذَا الرجل الأجوف هو وإخوانه الصغار على رأس الأمر فِي هَذِهِ المناطق، واقترب مِن نواحي«آيبك» و« خرّم» و«سارباغ». وفزع سكندر شاه مِن استيلاء الأُزْبَك على «بَلْخ»، فسلمهم قلعة الغوري،فجاء المُلَّا بابا مع الشَّيْخ وعدد مِن الأُزْبَك، ودخلوا القَلْعَة. ونظرا لقرب قلعة ميرهمه، لم يجد ميرهمه أمامه سبيلًا سوى الخضوع للأزبك. وبعد بضعة أَيَّام جاء بابا شيخ مع بعض الأُزْبَك إلى «قلعة ميرهمه»، لكى يخرجه ورِجَاله مِنْها، وينقلَهُم إلى «بَلْخ» لإنهاء أمره. فأنزل ميرهمه بابا شيخ بالقَلْعَة، وأعطى كل واحد مِن رِجَاله خيمة فِي مَوْضِع منفصل عن الآخرين. واشتبك مع بابا شيخ. وقبض عَلَيْهِ مع بعض رِجَاله، وأرسل رجلًا إلى تنكري بردي فِي «قُنْدُز». فأرسل له يار على، وعبد اللطيف وعددا مِن الرِجَال الأكْفاء. وقبل أن يصلوا، جاء المُلَّا بابا و الأُزْبَك إلى قلعة ميرهمه يطلبون الحرب. فلما عجز

(١) فِي الفترة بين فتح "أكرا" والخروج لحرب رانا سنكا.

[ميرهمه ورِجَاله] عن فعل شيء، لحقوا برِجَال تنكري بردي وجاءوا إلى « قُنْدُز ». وجرح بابا شيخ جرحا قويا، فقطع ميرهمه رأسه وأحضرها [معه إلى أَكْرا] فِي تلك الأَيَّام، (٣٠٩أ) ومن قبيل الإحسان والشفقة رفعتُ مكانته، وجعلتُه مميزا بين أقرانه وأمثاله.

وعندما ذهب إلى باقي شيغاول [إلى بَلْخ].كنتُ قد وعدتُ بطرف مِن الذهب مقابل رأس كل واحد مِن هذين التعيسين. والتزامًا بهذا الوعد، أعطيتُ ميرهمه طرفا مِن الذهب علاوة ما أحسنتُ به عَلَيْهِ. وفِي هَذهِ الأثناء، فإن قسمتي الذي ذهب للغارة على «بِيَانه»، رجع ومعه عدة رؤوس قطعها[1]. وعندما ذهب قسمتى مع بوجكه وعدد مِن الفتية المغيرين لتقصى الأخبار، هزم مجموعتين مِن مهاجمى الكُفَّار ذَلِكَ الكَافِر [راناسَنْكَا]، وقبض على زهاء ستين أو سبعين منهم. وجاء بخبر مؤكد عن التحاق حَسَن خان الميواتي [براناسَنْكَا].

تجربة إطلاق المدفع:

وفِي يَومِ الأحدِ الثامنِ مِن نفسِ الشهر، ذهبتُ لمشاهدةِ إطلاق الحجارة بالمدفعِ الذي صنعه أستاذ عليقُلي. ولم يَكُنْ هُنَاكَ أي قصور فِي ماسورة المدفع الكبير الذي تم صبه مِن قبل، وقد أتمه بعد ذَلِكَ بصب خانة البارود الخاصة به، وأطلق قذيفة الحجارة فِي وقت العصر، فانطلقت لمسافة ألف وستمائة قدم، وأنعمتُ على الأستاذ بخنجر ذى حزام، وخِلعة،وجواد أصيل.

وفِي يَومِ الاثنينِ التاسعِ مِن شهر جمادى الأول. سحبنا [المدفع] إلى الطريق للقتال، ووضعناه فِي سهل خارج [المناطق المأهولة مِن «أَكْرا»]، وتوقفنا هُنَاكَ ثلاثة أَيَّام أو أربعة لجمع العَسْكَر واتمام تجهيزاتهم، ولأننا لم نثق تماما فِي الهنود، فقدكلفنا الأُمَرَاء منهم بالغارة على مكان آخر، وجعلنا عالِم خان (٣٠٩ب) مساعدًا لرحيم داد وأرْسَلْناه للغارة على «كواليار» .وكلفنا مكن، وقاسم بِك، وسُنْبُلي وأخوة حامد الكبار والصغار، ومُحَمَّد زيتون بالغارة على «سُنْبُل» .

(١) جملة رجع ومعه عدة رؤوس قطعها غير موجودة فِي الترجمة التركية.

هجوم راناسَنْكَا على بيَانه:

ونحن فِي مكاننا هَذَا، بلغتنا الأخبار أن راناسَنْكَا اقترب مِن «بيَانه»، وهاجم بكل جُنُوده، ولم يتمكن الذين ذهبوا للاستطلاع أن يدخلوا القَلْعَة أو أن يأتوا إلينا بخبر. أما مِن فِي القَلْعَة فقد ابتعدوا عنها قليلا وتصدوا [لراناسَنْكَا] بغير انتظام. وجاء العدو بالمزيد مِن الْقُوات تغلبت عَلَيْهِم وأجبرتهم على الفرار. وسقط سنكرخان چنچوهه شهيدًا هُنَاكَ. وعند الالتحام كان كَتَه بِك بدون درِع فخرج جاريًا، واسقط أحد الكُفَّار مِنْ فَوْقِ جواده، وبينما يهم بالقبض عَلَيْهِ، استل الكَافِر سيف أحد رِجَال كَتَه بِك، وضرب كَتَه بِك فِي كتفه. وقد عانى كثيرا ولم يتمكن مِن حضور غزوة راناسَنْكَا. وتحسن بعض الشيء، لكن حدثت لديه عاهة بسيطة.

كان قسمتي، وشاه منصور بارلاس وكل مَن جاء مِن«بيَانه»، يبالغون فِي إطراء جَلَد جُنُود الكُفَّار وجرأتهم. ولا أعرف إن كان هَذَا بسبب خوفهم، أو لرغبتهم فِي بث الخوف بين النَّاس. ومن حيث انطلقنا للحرب،أرْسَلْنا قاسم الميراخور وعددا مِن مُعِدِّي الاستحكامات، لحفر الآبار فِي المكان الذي سينزل فيه الجَيْش فِي «مقاطعة مدهاكور».

وفِي يَومِ السبتِ الرابعِ عشر مِن شهرِ جمادى الأول، تَحَرَّكْنَا مِن مكانٍ قُرْبَ «أَكْرا»، وجئنا إلى المكان الذي حفرنا فيه الآبار. (٣١٠أ) وفِي اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وكانت المياه وفيرة فِي تلك الأنحية بما يكفي لحاجة الجُنُود، لكن فكرنا ماذا لو تمكن الكُفَّار مِن السيطرة عَلَيْها!.فتحركنا بعد أن نظمنا أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب. ولأن درويش مُحَمَّد ساربان وقسمتي ترددا على «بيَانه»، فقد أَلِفا الطريق وخبروه، فأرْسَلْناهما قبلنا لدراسة المكان الذي سنزل به على ضَفَّة بحيرة سِيكْري. وفور وصولنا إلى المكان، أرْسَلْنا رجلًا إلى الخوجه مهدي وأولئك الذين فِي «بيَانه» ليسرعوا بالحضور والانضمام إلينا. كما أرْسَلْنا ميرك مُغُول تابع هُمايون ومعه عدد مِن الفتية لتقصي أخبار الكُفَّار. وجاءوا عِنْدَ دخول المساء بخبر أن العدو ينزل على مَسَافَة فَرْسَخ مِن بسارو. كما جاء فِي ذَلِكَ اليوم الخوجه مهدي، ومُحَمَّد سُلْطَان ميرزا اللذان ذهبا للغارة على «بيَانه».

وتم تكليف الأُمَرَاء بتولي مُقَدِّمَة الجَيْش بالتناوب. وعندما تولى عبد العزيز مُقَدِّمَة الجَيْش، تقدم بدون أن يعير مَن فِي مُقَدِّمَة الجَيْش أومؤخرته أي انتباه، فوصل إلى كانواهه على مَسَافَة خمسة فَرَاسِخ مِن «سيكري». وكان الكَافِر [راناسَنْكا] يجد صعوبة فِي التقدم، فلما علم بتقدمهم بهذا الشكل غير المنظم، جاء بسرعة وباغتهم بأربعة أو خمسة آلاف رجل.(٣١٠ب) وكان مع عبد العزيز والُملاَّ آپاق حوالي ألف أو ألف وخمسمائة رجل. فتقدموا للالتحام بهم، وبدأوا الهجوم بدون أن يقدروا قوة العدو حق قدرها. فلما بدأ الهجوم لاذ هَذَا الحشد مِن الجُنُود بالفرار. وعندما علمنا بالخبر، أرْسَلْنا إليهم على الفور محب على خليفة وأتباعه. أتبعناهم بالمُلَّا حُسَيْن وعدد آخر لدعمهم. كما أرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك. وقبل أن يصل محب على، كان [العدو] قد دفع عبد العزيز ومن معه إلى الفرار، وأخذ رايتهم وأخذوا المُلَّا نعمت، والمُلَّا داود، والأخ الأَصْغَر للمُلَّا آپاق وعددا مِن الرِجَال. وأذاقوهم الشهادة. وهاجم طاهر تبري خال مُحِب علي، فوقع فِي أيديهم بسبب عدم وصول المدد إليه، كما وقع مُحِب علي [القورچي] فِي أيديهم أثناء المَعْرَكَة، لكن بالتو اخترق صفوفهم وأنقذه منهم. فتعقبهما العدو لمسافة فَرْسَخ، وعندما رأوا غبار جُنُود مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، كَفُّوا [عن ملاحقتهما].

وبَلَغَنا خبر ملاحقةِ العدو لَهُما واقترابِه. فلبسنا الدروع، كما دَرَّعْنا خيولنا، وأخذنا أسلحتنا، وأمرتُ بسحب العَرَبَات وإحضارِها وانطلقنا. وبعد أن تقدمنا مَسَافَة فَرْسَخ، وجدنا العدو وقد انسحب. وكان بالقرب منا بحيرة كبيرة فنزلنا عندها طلبا للماء. ووضعنا العَرَبَات أمامنا بِشَكْلٍ منتظم. وربطناها بالسلاسل، بين كل عربة وأخرى سبعة أذرع أو ثمانية وسحبناها بالسلسلة. وكان مصطفي الرومي قد صنع العَرَبَات على النسق الرومي. (٣١١أ) فكانت خفيفة جدًا وعملية وجميلة. ولأن الأستاذ على قُلي كان يَغَار مِنْهُ، فقد جعلنا مصطفي [الرومى] بجانب هُمايون فِي المَيْمَنَة.[وكلفنا]رِجَال التَحْصيناتِ مِن الخُرَسانيين والهنود بحفرِ الخنادق فِي الأماكن التي لا تصل إليها العَرَبَات. وبسبب مبالغة مَن كانوا فِي«بيَانه» وشاه منصور و"قسمتي" فِي

وصف سُرعة انقضاض هَذَا الكَافِر [راناسَنْكَا] والثناء عَلَيْهِ، فقد فَتَّ هَذَا الكلام فِي عَضُدِ الجُنْد، وزاد هَذَا بعد هزيمة عبد العزيز. ومِن أجْلِ طمأنة خواطر النَّاس، وإظهار متانة استحكامات الجَيْش، عملنا إستعدادات أخرى فِي الأماكن التي لا تصل إليها العَرَبَات عبارة عن ركائز معمولة مِن الأشجار يبلغ طول الواحدة مِنْها سبعة أذرع أو ثماني، وأوثقنا ربطها بأربطة مصنوعة مِن جلدِ الثور. واستغرق الانتهاء مِن هَذهِ الاستعدادات ما يناهز عشرين أو خمسة وعشرين يومًا.

وفِي تلك الأثناء، تجمع فِي «كَابُل»، قاسم حُسَيْن سُلْطَان حفيد ابنة السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا [بَايْقَرا]، وأحمدي يوسف سَيّد يوسف، وقوام اوردو شاه وآخرين مِن هنا وهُنَاكَ. وبلغ عددهم نحو خمسمائة رجل.كما جاء معهم مُحَمَّد شريف المنجم المشئوم، و بابا دوست سوجي الذي ذهب إلى «كَابُل» لجَلْبِ الشراب، جاء ومعه ثلاثة قُطُر (٣١١ب) مِن الإبل مُحملة بأطيب شراب «غَزْنَة».

وكما ذكرتُ، إنه فِي هَذهِ الفترة التي زاد فيها تردُّد الجُنْد وخوفهم بسبب ما جرى مِن وقائع وأحوال، وما دار مِن هُرَاءٍ وأقاويل، لم ينطق مُحَمَّد شريف المُنَجِّم التَّعِس بكلمةٍ واحدةٍ مفيدة لنا، لَكِنَّهُ كان يقول لِكُلِّ مَن يلقاه: إن وقوع المرِّيخ فِي جهة الغرب هَذهِ الأَيَّام، يعني أن كل مَن يُحارب مِن هَذهِ الجهة سيكون مِن المهزومين. وقال هَذَا الفأل السيِّء لِكُلِّ مَن يسأله.وقد ضَاعَف هَذَا مِن انكسارِ قلوب النَّاس التي خَلَتْ مِن الشجاعة. لكننا اجتهدنا فِي الاستعدادِ للمعركةِ وتنظيمِ الصفوفِ بكلِ همةٍ وجِدٍّ غير مُلقِين السمعَ إلى هَذَا الهُرَاء الذي ينطِق به، أو نُطْلِعه على خُطَطِنا.

وفِي يومِ الأحدِ الثاني والعشرين مِن الشهر، أرْسَلْنا الشَّيْخ جمالي ليبذل ما فِي وسعِهِ لجَمْعِ ما يمكنه مِن رُماة ميان دوآب، و«دِهْلي»، ويرسلَهُم للغارة على قرى «ميوات». وكان المُلَّا ترك علِي قادمًا مِن «كَابُل» فأمرناه أن يلحق بالشَّيْخ جمالي، ويغير على «ميوات»، ولا يتواني فِي إزعاجِ العدو. وأصدرنا ذات الأمر إلى مغفور ديوان. فذهبوا وأغاروا على عددٍ مِن القري

النائية فِي أنحية «ميوات»، ونهبوها وأخذوا الأسري. لكن كل هَذَا لم يزعج العدو.

إقلاع بَابُر عن شرب الخمر:

وفِي يَومِ الاثنينِ الثالثِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول، (٣١٢أ) خَرَجْتُ فِي جولة، فجال بخاطرى هاتف التوبة. وكنت دائمًا أشعر بوخز الضمير مِن اقتراف هَذهِ المعصية فقلت:

أيتها النفس،

إلى متي تجدين اللذة فِي المعاصى! التوبة أيضا لا تخلو مِن اللذة.

كم اقترفت مِن معاصٍ، وكم عانيت الحرمان مِن راحة البال

فإلى متي تقعين أسيرة هواك ؟ وإلى متي تضيعن العمر هباء ؟

يا نفس وأنت تخرجين للغزو، وترين الموت أمام عينيك.

وتدركين حال مَن وضع المنية نصب عينيه،

ينأي بنفسه بعيدًا عن كل النواهي، ويطهر نفسه مِن كل الذنوب،

فشعرت بالسعادة وتابت النفس عن كل ما مضى،

وجمعتُ كل أواني الذهب والفضة، وجميع ما يلزم مجالس الشراب،

وكسرتُها كلها. واستراح قلبي بالإقلاع عن الشراب.

وَوَزَّعْتُ حُطامَ هَذهِ الأواني وأطقم الذهبِ والفضةِ على المستحقين والدراويش. وكان عسس أول مَن اتبعني فِي هَذهِ التوبة، كما أطلق لحيته. وفِي تلك الليلة وصباحها، أعلن زهاء ثلاثمائة مِن الأُمَرَاءِ والخَوَاص والفُرْسَان وغيرِ الفُرْسَان تَوْبَتَهم. (٣١٢ب) وأهرقتُ ما لدينا مِن الخمر. أما ما أتى به بابا دوست، فقد وضعتُ فيه ملح، وأمرتُ بتحويله إلى خلٍ. وأمرنا بحفر حفرة كبيرة أهرقنا فيها الخمر ثم غطيناها بالحجارة، وقررتُ بِبَناء تكية إلى جوارها. وفِي شهر محرم مِن عام ٩٣٥ هـ، ذهبتُ وتفرجتُ على «كواليار»، وإلى أن جئتُ مِن «دُولْپُور» إلى سيكري كانوا قد انتهوا مِن عمل تلك الحفرة.

وقبل ذَلِكَ، كنتُ قد عقدتُ النية على رفع المكوس عن المسلمين إذا انتصرتُ على

الكَافِر راناسَنْكَا. فلما أعلنتُ هَذهِ التوبة، ذكَّرني درويش مُحَمَّد ساربان، والشَّيْخ زينمسألة المكوس.

فقلتُ: حَسَن أن ذكرتموني بها وأعفينا المسلمين فِي الولايات التي تحت أيدينا مِن المكوس، وأمرنا بكتابة مراسيم لإعلان هذين الأمرين العظيمين، فكتبها الشَّيْخ زين بإنشائه، وأرسلتُها إلى كافة الأنحاء.

مرسوم ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر:

نحمد توابًا يُحِب التوابين، ويُحِب المتطهرين. ونشكرُ وهَّابًا يهدِي المذنبين، ويغفرُ للمستغفرين، ونُصلي على خيرِ خلقِهِ مُحَمَّد وآله الطيبين وصَحْبِهِ الطاهرين. إن مرايا آراء أَرْبَاب الألباب هي صورة أَسْبَاب المحاسن ومخازن لآلئ الصدق والثواب، والرغبة فِي هَذَا المعنى هي زينة الجواهر الزواهر، (٣١٣أ) فالميل إلى اللذات النفسية فطرة إنسانية، وترك الشهوات مرهون بالتوفيقات الربانية، والتأييد الإلهي، فالنفس البشرية غير معصومة مِن الهوى. **﴿وما أبرِّئُ نفسي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إِلاَّ مَن رَحِم ربي، إِنَّ رَبِّي غفورٌ رَحِيمٌ﴾**[1]، و**﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾**[2]

والغرض مِن تدبيج هَذهِ المقالة، وتقرير هَذهِ المقولة، أنه بمقتضي البشرية، وحسب المراسم السُلْطَانية، ولوازم السُلْطَان والعادات، فإن أصحاب الجاه مِن السُلْطَان والفُرْسَان فِي عنفوان أَيَّام الشباب يرتكبون بعض النواهي والمُلهيات، وبعد بضعة أَيَّام، عِنْدَمَا يشعر بالندم والحسرة، ويترك تلك المناهي التي يرتكبها واحدة تلو الأخرى، وبالتوبة النصوح، يجد أن باب الرجوع عنها غير مسدود. أما التوبة عن الشراب التي هي أهم مطالب ذَلِكَ المقصد، وأعظم مآرب ذَلِكَ المقصود، فقد احتجب وجهها خلف حجاب الأمور مرهونة بأوقاتها فلم يظهرحَتَّى هَذهِ الساعات المباركة التي نخوض فيها الحرب ضد الكُفَّار بجهد تمام الإحرام للجهاد، وجند شعارهم

(١) الآية ٥٣ يوسف.

(٢) الآية ٢١ الحديد.

الإسلام، وبالمضمون الميمون مِن ملهم الغيب والهاتف العارِ مِن الريب، وما تناهي إلى سمعنا بمضمون ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [1]، فقد قرعنا أبواب التوبة بتمام الجد لاقتلاع أَسْبَاب المعصية مِن جذورها، وحسب مضمون القول الهادِ إلى التوفيق إن مَن قرع بابا ولَجَّ، ولَجْ (٣١٣ب)، انفتح باب الإقبال، وأمرنا ببدء هَذَا الجهاد بالجهاد الأكبر الذي هو مخالفة النفس، ورددنا بلسان الإخلاص ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [2]، ونقشنا على لوح القلب، إني ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3].

وقد أَعْلَنَّا التَّوْبَة عَنِ الشَّرَابِ التي هِي مَكْنُون خَزِينَة الصدر، فَخَرَجَت مِن القَلْبِ إلى الفِعْل، وعملاً بمُقْتَضي الحُكْم المُبَارك العَاقِبَة، جَمَعَ عَبِيدُنا المُتَوَّجِين بالنصرِ أوانَ الشَّرَابِ وأَقْدَاحِه، وسَائِرِ أدواتِهِ ولوازِمِ مَجْلِسِه المَصْنُوعةِ مِن الذهَبِ والفضَّة، وكأنها مِنْ كَثْرَتِها وجَمَالِها كَوَاكِب الفُلْكِ الرَّفِيعِ التي تُزَيِّنُ المَجْلِس البديع، وأَلْقُوها تَحْتَ الأقْدَامِ فِي تُرابِ الذلة مِنْ أَجْلِ عِزَّةِ الشَّرِيعَة، وقد حَطَّمْنَاها قِطَعًا، إنْ شَاءَ الله نُوَفِّقُ عَن قَرِيبٍ فِي تَحْطِيمِ الأصنام كما حَطَّمْنَاها، وأعْطَيْنَا كل قِطْعَة مِنْها إلى أحَدِ الفُقَرَاء والمَسَاكِين.

وبِبَرَكَةِ هَذِهِ التوبة التي نَرْجُو أنْ تَكُون مَقْبُولة، فإنَّ أَكْثَرَ المُقَرَّبِين صَارُوا فِي ذَاتِ المَجْلِسِ مَظْهَرًا لِشَرَفِ التَّوْبَة، وأَقْلَعُوا تَمَامًا عَنِ حُبِّ الشَّرَاب عَمَلا بِأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِم. وهكذا، فإِن مَنْ امْتَثَلُوا لِلطَّاعَات، وأعْرَضُوا عَنِ المُنْكَرَات سَاعَةً تِلْوَ أُخْرَى، أَدْرَكُوا هَذِهِ السَّعَادَة فَوْجًا بَعْدَ فَوْج. وبِمُقْتَضَي أنَّ الدَّالَ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، فإِنَّ ثَوَابَ هَذِهِ الأَعْمَال يَرْجِعُ إلى زَمَانِ سَلْطَنَتِنَا المُبَارَكَة، ونَرْجُو زِيَادَةِ النَّصْرِ والفَتْح يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بِبَرَكَةِ هَذِهِ السَّعَادَة.

وبَعْدَ تَمَامِ هَذِهِ النِّيَّة، وكَمَالِ هَذِهِ الأُمْنِيَة، صَدَرَ هَذَا المَرْسُوم الواجِبُ الطَّاعَةِ والنَّفَاذِ فِي مَمَالِكِنا المَحْرُوسَة حَرَسَهَا الله عَنِ الآفَاتِ والمَخَافَات، إنَّهُ مَحْظُور عَلَى أيِّ إنسَانٍ تَنَاوُلِ الخَمْر،

---

(١) الآية ١٦ الحديد.

(٢) الآية ٢٣ الأعراف.

(٣) الآية ١٤٣ الأعراف. جاءت في الأصل الجغتائي أول المسلمين.

أو السَّعْيِ فِي طَلَبه، أو صُنْعِه، أو بَيْعِه، أو شِرَاءِه، أو حَمْلِه، أوجَلْبِه، بل ومِنْ وجُودِ الخَمرِ فِي مَنْزِلِه، وأن يَنْصاعُوا لِمَضْمُون﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [1]. وشُكْرًا عَلَى هَذِهِ الفُتُوح وتصدِيقًا لِقَبُولِ تِلْكَ التَّوْبَة النصوح، فَقَد فَاضَ بَحْرُ كَرَمِ السُلْطَان، وكَانَت مَوْجَات كَرَمِهِ سَبَبَ عِمَارَةِ العَالَم وبه تجلى بَيَاض وَجْهِ بَنِى آدَم.

وامْتِثَالًا لِشَرِيعَةِ سَيِّدنا رَسُولِ الله، فَقَد رَفَعْنَا عَنْ جَمِيع مَمَالِكِ المُسْلِمِين، المكوس الزائِدَةِ عَنِ الحدِّ التي لم يَتَوَان السلاطين الأوَائِل عنْ تَحْصِيلِها لَحْظَةً واحِدَة. فلا تحصل المكوس مِن أي مَدِينَةٍ أو بَلْدَة، أو طَرِيق، أو مَخَاضَة، أو دَرْب، أو مَرْفَأ، وصَدَرَ مَرْسُوم فِي هَذَا الأمر بِقواعدِ هَذَا الحكم بلا تَغْيِير أوتَبْدِيل،﴿ **وَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**﴾ [2].

ومَنْ يَرْغَبُون فِي العَيْشِ آمِنِين فِي ظِل كَرَمِ السُلْطَان، مِن الترك، والتاجيك، والتتار، والعرب، والعجم، والهنود، والفرس، والرعية والفُرْسَان، وكافَّةِ الأُمَمِ وعَامةِ طَوَائِفِ بَنِى آدَم، الالتزام بهذا الربَاط والتَّقيد بِه، والانْشِغَال دَوْمًا بالدُّعَاءِ لِلدَّوْلَة، والتمَسُّكِ بما تَسْتَوْجِبُه هَذِهِ الأَحْكَام، وعَدَمِ الانْحِرَافِ إلى سَبِيلٍ سِوَاه، ولِيَعْمَلوا بِمُوجَّبِ هَذا المرسوم، ويَضَعُوا أحْكَامَه فِي مَوْضِعها، ويَتَقَيَّدُوا بما احْتَواه الخَاتم الشَّرِيف.

كتب بالأمرِ العالِ، أعلاه الله المتعال، وخَلَّدَ نَفَاذه فِي الرابعِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الأول سنة تسعمائة وثلاث وثلاثين.

وفِي تلك الأَيَّام، وبِسَبَبِ الوقَائِع التي ذكرناها مِن قَبْل، ازداد الخَوْف والتَّردد عِنْدَ الكَبِير والصغِير. ولم أَسْمَع مِنْ أحَدٍ قط كَلِمَة شُجَاعة أو رَأْي [يَنُم عن] بِطُولَة.

وكان كلامُ الوزراءِ المنوطِ بهم المشورة بما يَنْبَعى عمله، وكذا كلامُ الأُمَرَاءِ المنوطِ بهم الإدارة، كله يَمْشِى بالخوف، ونقصِ الشجاعَة، سواء فِي أنْفُسِهِم، أو فِي الأعمالِ والمهام المَنُوطَةِ

(١) الآية ٩٠ المائدة.
(٢) الآية ١٨١ البقرة.

بهم. أما خليفة على، فقد أحْسَنَ التحركِ فِي هَذِهِ الحملة، ولم يَألُ جهْدا فِي الجِدّ والاهتمامِ والحماسةِ والقُدْوَةِ فِي الانْضِبَاطِ والاسْتِحْكَامات.

فلما أدركتُ ما يعتري النَّاسَ مِن التَرَدُّدِ والخَوْف، ورَأَيْتُ هَذَا القدر مِنَ التراخي، جَالَ بخاطِرِي تَدْبِير، فاسْتَدْعَيتُ كل الأُمَرَاءِ والفتيةِ وقُلْتُ لَهُم: أيها السادَة والفِتْيَان:

إنَّ كُل مَنْ عَلَيْهَا فَان،

والباقي هو الله.

وكل مَن بمجلس الحياة،

سيتجرع كأسَ المَنِيَّةِ فِي منتهاه،

وكل مَن يَحِل بمنزِلِ الحياة

سيغادر فِي النهاية دار الغم هَذهِ، المساة الدنيا،

وإن تموت وذكرك طيب، أفْضَل مِن الحياة بسيء الذِكر.

فما أجملَ أن تُفَارِق الدنيا وذكرك طيب،

فطيب الذكر مبتغانا لأنَّ الجسد إلى فناء.

فلْيَجْعَل الله العظيم لنا مِن هَذهِ السعادة نصيب، وليُقَرِّبنا مِن هَذهِ المنزلة الرفيعة، فالغازي شهيد، والعمل بكلامِ الله فرضٌ عَلَيْنَا جميعًا، (٣١٥أ) وألا يفكر أحد قط فِي التولى عن القِتَال، وألا ينفك عنه حَتَّى تفيض روحه.

فَأَقْسَمُوا بِهذا عَلَى [كتاب الله] بِرَغْبَتِهِم؛ السَيِّد منهم والعبد، والكبيرُ والصغير. وكان تَدْبِيرا طَيِّبا اسْتَحْسَنَهُ كل مَنْ شاهدَهُ أو سَمِعَ به مِنَ القريبِ والبعيدِ والعَدُوِّ والصَّدِيق.

انتشار الفتنة بين رِجَال بَابُر:

وفِي تلك الأَيَّام، كانت الفتنةُ قائمةً فِي كلِّ مكان. فجاء حُسَيْن خان النوحاني إلى رابري وأخَذَها. كما استولى رجل قطب خان[1] على «چندوار»[2]. وجمع مَن يدعي رستم خان

(١) أحد أمراء الهِنْد، وكان حاكما على اتوا.

(٢) تقع چندوار أسفل "اأكرا" بخمس وعشرين ميل،على نهر جون.

بجمع رُماة ميان دوآب، وجاء وأخذ كول[1]، وأسر كچوك على. وخرج زاهد مِن سُنْبُل وقد انخلع قلبُه. وتخلى السُلْطَان مُحَمَّد دولدي عن قُنوج وجاء [إلينا]. وحاصر الكُفَّار «كواليار». أما عالِم خان الذي أرْسَلْناه لنجدتها، فلم يذهب إليها، بل ذهب إلى ولايته.

وكانت الأخبارُ السيئة تصلنا كل يوم، ومن كل مكان. وبدأ بعضُ الهنود فِي الفرارِ مِن الجَيْش، وهَرَبَ هبيت خان كرك انداز وذهب إلى سُنْبُل . وهَرَبَ "حَسَن خان باري وال" وانضم إلى الكُفَّار.

ترتيب الجَيْش لمواجهة راناسَنْكَا:

واصلنا التقدم لأمرنا بدون اكتراث بما جرى، وجهزنا العَرَبَات وأَلْقُوائم الثلاثية ذات العجلات وجميع اللوازم، وتحركنا فِي يَومِ الثلاثاءِ التاسعِ مِن شهر جمادى الآخر، وكان يوم النوروز. (٣١٥ب) ونظمنا جناحى المَيْمَنَة والمَيْسَرَة وصفوف القلب، ووضعنا فِي المُقَدِّمَة العَرَبَات وأَلْقُوائم الثلاثية ذات العجلات، ومن خلفها الأستاذ على قُلي ورُماة البنادق. وتقدم المشاه صفًا خلف العَرَبَات مباشرة. وبعد أن بلغت الصفوف أماكنها، انطلقتْ بينهم لبث الشجاعة بين أمراء القلب وجناحى المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والفُرْسَان والفتية. وبعد أن حددتُ لِكُلِّ فرقةمنهم مكانها، ومهامها، تَحَرَّكْنَا لمسافة فَرْسَخ وفق هَذَا الترتيب والتنسيق ثُمَّ نزلنا. وعلم الكُفَّار بذَلِكَ، فجاءوا فرقة تلو أخرى. ولأننا جعلنا العَرَبَات والخنادق أمام الجَيْش صار معَسْكَرنا مضبوطا ومنيعا.

الحرب مع راناسَنْكَا:

لم يَكُنْ لدينا نية للقتال فِي ذَلِكَ اليوم، لذا تقدمت مجموعة صغيرة مِن الفتية، والتحموا بالعدو على سبيل التجربة، وأجاد ملك قاسم ورجع بعدد مِن رؤوس [قتلى العدو]، وقد قوى هَذَا مِن عزيمة الجُنْد وحماستهم، وثقتهم فِي أنفسهم.

وفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي، تَحَرَّكْنَا ونحن مُسْتَعِدّون للقتال.لكن خليفة وبعض المخلصين،

(١) قرية فِي ناحية عليكره.

رأوا أنه يحسن أن (٣١٦أ) نحكِم المكان الذي سنذهب إليه بالخنادق أولًا قبل الذهاب إليه، خاصة وأنه غير بعيدا.وذهب خليفة إلى هُنَاكَ لمباشرة أمر الخنادق، وحدد أماكنها لمسئولي التحصينات، والجاوشية ثُمَّ رجع.

وفِي يَومِ السبتِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الآخر، وضَعْنَا العَرَبَات أمامنا، واصْطَفّت أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب وتقدمنا حوالي الفَرْسَخ، ونزلنا بالمكان المحدد. وأقمنا بعضالخيام، وأثناء إقامة بعضها الآخر، علمنا أن صفوف العدو تلوح [مِن بعيد]. وعلى الفور، امتطينا الخيول، وأمرتُ أن تتخذ أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة أماكنها، وأمرنا بضبط الصفوف والعَرَبَات وترتيبها.

وهنا أمرنا الشَّيْخ زين أن يكتب رسالة الفتح هَذهِ يصور فيها حرب المسلمين مع الكُفَّار، وحال جُنُود الإسلام، وعدد أسراب الكُفَّار، وأوضاع الصفوف، وهذا هو نص رسالة الفتح التي كتبها بلا زيادة أو نقصان:

رسالة الفتح والنصر على راناسَنْكَا:

مرسوم الغازي ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر:

الحمد لله الذي صَدَقَ وَعْدَه، ونَصَرَ جُنْدَه، وهَزَمَ الأحْزَابَ وَحْدَه، ولا شيء بَعْدَه، مَن رَفَعَ دَعائِمِ الإسْلام بِنَصْرِ أوليائه الراشِدين، وَوَضَعَ قَوائِمِ الأصْنام بِقَهْرِ أعدائه الماردين، فَقطَعَ دَابِر القَوْمِ الظالمين، والحمد لله رب العالمين، وصلي الله على خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّد سَيِّد الغُزَاة والمُجَاهِدِين، وعَلَى آلِه وأَصْحَابِهِ الهداة إلى يَوْمِ الدين.

إنَّ تَـواتُر نِعَمِـهِ سُبْحَانَـه، هِيَ البَاعثُ عَلَى كَثْرَةِ الشكْرِ والثَّنَاء. وكَثْرَةِ الشكْرِ والثَّناء تورث تَوَاتر النِعَم، فَأَدَاءِ الشكْر عَقِبَ كل نِعْمَةٍ تَأْتِي عَقِبَ كُلِّ شُكْر، أَمْرٌ يَعْجَزُ البَشَرَ عن أنْ يحصوه، ويَعْجَزُ أصحابُ القُدْرَةِ عنْ أنْ يُؤَدُّوه، وهؤلاء دَوْلَتهم فِي الدنْيَا أعْظَم، وسَعَادتهم فِي العُقْبَى أكْبَر. أما مَن يَتَقَاعسون عَنْ قَهْرِ عُتَاةِ الكُفَّار، وسَلْبِ أَغْنِياءِ الفُجَّارِ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ

الْفَجَرَةُ﴾ [1]، وما نَزَلَت الآيةُ إلَّا فِي بَيَانِ أمْثالَهُم، ولا سَعَادَةَ أحْسَن مِنْها فِي نَظَرِ أرْبَابِ البَصِيرَةِ والألْبَابِ.

والمِنَّة لله الذي جَعَلَ هَذِهِ السعَادَة العُظْمي والمَوْهِبَة الكُبْري مَطْلَبا أصْليا ومَقْصُودا حقيقيا مِن المَهْدِ إلى هَذَا العَهْد لِكُلِّ ذى ضَمِيرٍ خيِّر، ورَأْيٍ نيِّر.

ومن مكمن عواطف حضرة المَلِكِ العَلام، الفَتَّاحُ بِلا منَّة، والفَيَّاضُ بلا عِلَّة، فتحت فِي هَذِهِ الأَيَّامِ المباركة أبواب الفَيْضِ لآمالِ نُوَّابِنا المَنْصُورين، وسجلت أسماء أفواجنا السامية المبتهجين فِي سِجِل الغُزَاة المكرمين. وبَلَغَ لِوَاء الإسْلام أوج الرِّفْعَة والرُّقي بِجهْدِ (٣١٧أ)، جُنُودنا المُظَفَّرين.

وكما حَرَّرْنا فِي كُتُبِ الفتوحِ السابقة، فإِنَّ هَذَا المجدُ وهَذهِ السعادة، ظَهَرَت مُنْذُ أضَاءت لمعاتُ سيوف فرساننا حماةالإسلام، «الهِنْد» بأنوارِ الفتح والظفر، وارتَفَعَت بأيدى التوفيق رايَتُنا المُظَفَّرة خَفَّاقة فِي مَمَالِكِ «دِهْلي»، و«أَكْرا»،و«جنبور»،و«خَرِيد»، و«بِهَار» وغيرها، فأخضعت لنوابنا الميمونيين أكثر طوائفِ الكُفَّار والمسلمين،. وسَلَكُوا طَرِيق العُبُودِيةِ بِقَدَم الصِّدْق والإِخْلاص.

لكنَّ الكَافِر راناسَنْكَا عمل بِمَضْمون. ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [2]، فلم يَنْصَاع لنُوَّابِنا أصحاب العاقبة الميمونة، وخَرَجَ وكأنَّهُ الشَّيْطان قائِدا لِجَيْشٍ جرار، فاجْتَمَعَت حَوْله طَوائِف الفُرْسَان المهجورة، فَمِنْهُم مَنْ وضَعُوا الزنار فِي رِقَابِهِم وكأنه طوق اللعْنِة، ومِنْهُم مَنْ سَحَبُوا شوك محنة الردة بِذيُولِهُم، واستولي هَذَا الكَافِر الملعون، خَذَلَه [الله] فِي يَومِ الدِّين، على ولايةِ «الهِنْد»، حَتَّى أنَّ أمراءَها وحكامَها الكبار الذين خَضَعُوا له قَبْل طلوعِ شمسِ الدولةِ السُلْطانية، وسطوعِ الخلافةِ الشاهنشاهية، فِي هَذهِ المَعْرَكَة لم يُطِيعوه، والحكام والقادة مِن أهل الارتداد (٣١٧ب) الذين صاروا فِي رِكَابِه، لم يُتَابِعُوه فِي قتالٍ ولم يوافقوه، ولم يصحبوه فِي طريقِ سفر أو يُرَافِقوه.

---

(١) الآية ٤٢ سورة عبس.

(٢) الآية ٣٤ البقرة.

ولأن كل السلاطين ذَوِي المَكَانَـةِ الرفيعَـة فِي هَذهِ الخُطة الوَاسِعَة، سُلْطَان «دِهْلي»، وسُلْطَان «كُجَرات»، وسُلْطَان «ماندو»وغيرهم، وعجزوا عنْ مُقَاوَمَتِه فِي سوء سيره، فاتجهوا بالحيلِ اللطيفة إلى المداراة، واظهروا له المُوَاسَاة.

ولقد خَفَقَت أعْلامُ الكُفْرِ فِي مُدُنِ الإسْلام ما يقرب مِن مائتي عام. وخربت المساجد والمعابد، وصار عِيَال المُؤْمِنين وأطفالَهُم أسْري فِي تلك البُلْدان والأمْصار، والقاعدة فِي ولايةِ «الهِنْد»، أنَّ الولايةَ ذات المائة ألف، تكون ذات مائة فارس، والولاية ذات المائة مائة ألف، تُعْتَبَرُ ذات عَشَرَة آلاف فارس، والأمرُ المُدْهِش أنَّ هَذهِ الولاية المُسَخَّرة لهذا الرجلِ الكَافِر، بَلَغَت ألف مائة الف[1] أي تكون ذات مائه ألف فارس.

وفِي هَذهِ الأيَّام، فإن أكثرَ صَنَاديد الكُفَّار المشهورين الذين لم يُؤَازِروا هَذَا الكَافِر الشَقِي فِي أي حرب قَطْ، فإنهم انْضَموا إلى جُنُوده هَذهِ المرة بغضا لجُنُود الإسلام، وَوَصَلَ الأمر أن عشرة مِن الحكام المستقلين، رفع كلُّ واحِدٍ منهم رايَةَ العِصْيان كالدخان، وصار كل واحد منهم قائدًا لفرقةٍ مِن فِرَقِ الكَافِر فِي مقاطعتِه، واتصلت أغْلالَهُم وسلاسلَهُم بذَلِكَ الكَافِر الفاجِر. (٣١٨أ) وعَلَى نَقِيض العشرة المُبَشَّرين [بالجنة] ورَفَعَ هؤلاء العَشَرَة الكَفَرَة لِواء الشقاء فبشرهم بِعَذَابٍ أليم. وكانوا أصحاب أتباع وعساكر كَثِيرَة، ومقاطعات وَاسِعَة. فَمِنْهُم صلاح الدين وكان عَلَى رَأْسِ ثلاثين ألفًا مِن الفُرْسَان، وراول الأودي سينك باكري زعيما لاثنى عشر ألفا، وسوار وميدني راو لاثنى عشر ألفا، وحَسَن خان الميواتي لاثنى عشر ألفا، وبارمل ايدري لأربعة آلاف، ونريت هاره لسبعة آلاف، وستروي كيجي لستة آلاف، ودهرم ديو لأربعة آلاف، وبرسنك ديو لأربعة آلاف فارس. كذَلِكَ محمود خان ابن السُلْطَان سكندر رغم أن بلا ولاية أو مقاطعة، فإنَّه جَمَعَ زُهَاء عشرة آلاف فارِسٍ أملًا فِي القِيَادَة. وبَلَغَ مجموع هؤلاءِ المهجورين المطرودين مِن وادِي الأمنِ والسلامة، حسب القاعدة المَرْعِيَّة فِي مُقَاطَعاتِ «الهِنْد» وولايتها، مائتي وواحد ألف فارس.

---

(١) أى مائة مليون.

والقصة، أن ذَلِكَ الكَافِر الذي باطِنُهُ الغرور، وظاهِرُه العمى، توافَقَت قُلُوب الكُفَّار القاسِيَة مع رياحِهِم السواد، كَظُلمات بعضها فوق بعض، لمخالفة أهل الإسلام ومحاربتهم، وهدم أساس شريعة سَيِّد الأنام عَلَيْهِ الصلاة والسلام، فَنَزَل مجاهِدو السُلْطَان كقضاءِ الله على رأسِ ذَلِكَ الدَّجَّال الأعْوَر، وتجلى أَمَام نَظَرِه، بصيرة أصحاب السَّيْرَة إذا جاء القضاء عمي البصر، وضعوا نُصْبَ أعينهم آية ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[1]. (٣١٨ب) ونفذوا الحكم الواجب الإذعان أن ﴿جَاهِدِ الكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ﴾[2].

وفي يَومِ السبتِ الثالثِ عشر مِن شهرِ جمادى الآخر سنة ٩٣٣[هـ]، بارَكَ الله في سَبتِكم إشارة إلى بَرَكَةِ ذَلِكَ اليوم.صارت الأراضي الوَعرة لأعداءِ الدين المُمْتَدة لمسافَةِ فَرْسَخَيْن في كانوه مِن مضافات «بَيَانه»، مضربا لخيامِ عَسْكَر الإسلام المنصورين. وما أنْ بَلَغَت دبْدَبَة كَوْكَبَة مَوْكِب الإسلام مسامع أعداء الدين، والكُفَّار الملعونين، حَتَّى تَتَرَّسُوا بأفْيَالَهُم التي لها هيئة الجبل، ووجه العفريت،كَأَنَّهُم أصْحَاب الفيلِ المخَالِفِين لأمَّةِ مُحَمَّد، والراغبين فِي هدمِ كعبةِ المسلمين، وأصبحوا على قلبِ [رجل] واحد مجتمعين، وجُنُود الشقاء أفواجا متقدمين:

الهنود الأذلاء كأصحاب الفيل، زادتهم أفيالَهُم غرورا

مشئومين كليل الأجل، وأشد مِن الليل سوادا، وأكْثر مِن النجوم عددا

إنهم كالنار، لكن رؤوسهم تصاعدت كالدخان إلى قبة السَّمَاء،

جاءوا كالنمل آلافا مؤلفة عن اليمين والشمال مشاة وفرسانا،

وتوجهوا بِعَزْمِ المقاتلةِ والحرب، فأحاطوا بالجَيْشِ المنصور، فاصْطَفَّ غُزَاةُ الإسلامِ فِي رياضِ الشجاعة صفوفا لها صفة الصنوبر، (٣١٩أ) ورفعوا مزاريقهم المهيبة [كأشجار]الصنوبر، وتلَّغت قلوبُ المجاهدين فِي سبيلَ الله أوجها كأشعةِ الشمس. وكانت صفوفهم بلونِ الحديدِ وكأنها سدّ الإسكندر، مَتينَةٌ كطريقِ شَرِيعَةِ الرسول ﷺ فِي الاسْتِقَامَةِ والإحكام﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ

(١) الآية ٦ العنكبوت.
(٢) الآية ٧٣ التوبة

مَرْصُوصٌ﴾[1]، وبمقتضي أولئك عَلَى هُدى مِنْ ربهم وأُولئِكَ هم المُفْلِحُون[2] المختص بها والموصوفين مِن أهلِ الفلاحِ والنصر (قطعة):

ليس فيهم لثمة مِن طباع الجبن،

لأنهم رأوا ملك الملوك والدين القويما

أعلامهم الخفاقة فِي السَّماء،

كالألِفُ فِي إنا فتحنا،

فِي النهاية، وضعنا الحزم نُصب أعيننا، ورَتَّبْنَا العَرَبَات صفا، وأوثقناها ببعضها بالسلاسل لحماية رُماة البنادق وقاذفي الرعد الذين يتقدمون الجندكغزاة الروم[3]. وكل مَن رأى جند الإسلام بهذا التنظيم والإحكام، أثني على العقل المنير، والفلك الأثير الذي أحسن تدبيرها وترتيبها.

وأما هَذَا الترتيبُ والإحكام، والتشييد والانتظام، فقدجاء ثَمَرَة سَعْي واجْتِهاد مقرب الحضرة السُلْطَانية، واعتماد الدولة الخاقانية نظام الدين على خليفة، وجاء كل تدبيره وفق التقدير، وكل قواده ورؤسائه مثار إعجاب الرأي المنير.

وتَقَرَّرَ أنْ يكون مَقَر السُلْطَان صاحبُ العِزَّة فِي القلبِ [مِن الجَيْش]، (٣١٩ب) وعن يمينِه الأخ الأعز الأرشد، عين السعادة المختص بعواطفِ الملك المستعان چين تيمور سُلْطَان، والابن الأعز الأرشد سُلَيْمان شاه، حفظه الله سبحانه ورعاه، وجناب صاحب الهداية، ومنتسب الولاية الخوجه كمال الدين دوست خاوند، ومُعْتَمد السَّلْطَنَة العلية مؤتمن العتبة السنية، المقرب الخاص، وزبدة أصحاب الاختصاص، جمال الدين يونس على، وعُمْدَة الخَوَاص كامل الإخلاص جلال الدين شاه منصور برلاس. وعُمْدَة الخَوَاص، وزبدة أصحاب

---

(١) الآية ٤ الصف

(٢) الآية ٥ لقمان.

(٣) يقصد الأتراك العثمانيين

الاختصاص، نظام الدين درويش مُحَمَّد ساربان، وعُمْدَة الخَوَاص، صادق الإخلاص شهاب الدين عبد الله الكتابدار، ونظام الدين دوست أشيك أغا، وقد أخذوا أماكنهم.

وفي يسارِ القلب، ملجأ السَّلْطَنَة، ومنتسب الخلافة، المختص بعواطف الملك المستعان السُلْطَان علاء الدين عالِم خان بن السُلْطَان بهلول اللودي مقرب للحضرة السُلْطَانية، ودستور أعاظم الصدور بين الأنام، وملاذ الجمهور، ومؤيد الإسلام الشَّيْخ زين خوافي. وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص كمال الدين محب على، الولد المقرب للحضرة السُلْطَانية، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين تردي بِك أخو المرحوم قوج أَحْمَد (٣٢٠أ)، وعُمْدَة الأعاظم والأعيان خان أعظم أرايش خان بن المرحوم قوج بِك المذكور، وقبضة الأسد، ودستور أعاظم الوزراء بين الأمم الخوجه كمال الدين حُسَيْن، وجماعة أَرْبَاب الديوان العظام، اتخذ كل منهم مَوْضِعه المقرر.

وفي المَيْمَنَة، تمكن الإبن الأعز الأرشد، قُرَة عين السعادة، قَرِين السَّعْد، مَنْظُور أنظار عناية حضرة الخالق، نجم بُرْج السَّلْطَنَة، وسعادة شمس سماء الخلافة والحُكم، الممدوح بلسان العبد والحُر، مُعز السَّلْطَنَة والخلافة مُحَمَّد هُمايون بَهادِر. وفي اليمين المسعود، ذَلِكَ الإبن العزيز لجناب ملاذ السَّلْطَنَة، المختص بعواطف الملك الديان قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين أَحْمَد يوسف أوغلا قچي، ومُعْتَمد الملك، صادق الإخلاص جلال الدين خُسْرو كوكلتاش. ومُعْتَمد الملك قوام بِك اوردو شاه، وعُمْدَة الخَوَاص كامل العقيدة والإخلاص ولي خازن قرا قوزي، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين بيرقلي السيستاني. وعُمْدَة الوزراء بين الأمم الخوجه كمال الدين پهلوان البدخشي، ومُعْتَمد الخَوَاص نظام الدين عبد الشكور، ومُعْتَمد الأعيان سُلَيمان أقا سفير العراق، (٣٢٠ب) وحسين اقا سفير «سيستان».

وفي اليسار، وضعنا المدثر بالظفر الإبن السعيد للمشار إليه عالي الجناب، السَّيِّد المرتضوي الانتساب مير همه، وعُمْدَة الخَوَاص، وكامل الاخلاص شمس الدين مُحَمَّدي كُوكَلْداش ونظام الدين خواجكي أسد الخاندار.

وكان مِن أمراء «الهِنْد» في المَيْمَنَة، عُمْدَة المُلك، خان الخانات دلاور خان، وعُمْدَة

الأعيان ملكداد كرراني، وعُمْدَة الأعيان شيخ المشايخ الشَّيْخ كورن، واتخذوا مواقعهم فِي الأماكن التي حددت لَهُم فِي المرسوم.

وفِي مَيْسَرَة عَسَاكِر الإسلام عالي الجَناب، اصْطَفّ نقيبُ الانتساب، حائز رِفْعَة افتخار آل طه وَيْس، قدوة أولاد سَيِّد المُرْسَلِين، السَيِّد مهدي خوجه، والأخ الأعز الأرشد مبتغي منظور أنظار عناية حضرة مولاه مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا؛ وملجأ سلطنة المنتسب للخلافة، والمختص بعواطف الملك المستعان عادل سُلْطَان ابن مهدي سُلْطَان، ومُعْتَمد الملك، كامل الإخلاص مُعِزُّ الدين عبد العزيز ميراخور، ومُعْتَمد الملك شمس الدين مُحَمَّد على چَنْكِچَنْك، وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص جلال الدين قُتْلُقْقَدَم قراول، وعُمْدَة الخَوَاص، كامل الإخلاص جلال الدين شاه حُسَيْن يار كي مُغُول غانجي، ونظام الدين جان مُحَمَّد بِك أتكه.

وفِي هَذَا الجانب، وضعنا مِن أمراء «الهِنْد»، سلالة السلاطين كمال خان، وجلال خان، (٣٢١أ) إبنَي السُلْطَان علاء الدين المذكور، وعُمْدَة الأعيان على خان شيخزاده الفَرمْلي، وعُمْدَة الأعيان نظام خان [صاحب] «بيَانه».

واحتياط المَيْمَنَة كل مِن مُعْتَمد الخَوَاص،كامل الإخلاص ترديكه، وملك قاسم أخو بابا قشقه، ومعه عَدَد مِن المُغُول، وفِي المَيْمَنَة مُعْتَمد الخَوَاص، صادِق الإخْلاص مُومِن اتكه، ومُعْتَمد الخَوَاص رستم تركمان على رأس عَدَدٍ مِن خواص عبيدنا.

وتم وضع عُمْدَة الخَوَاص، زُبْدَة أصحاب الاختصاص، كامِل الاختصاص نظامُ الدين سُلْطَان مُحَمَّد بخش، وأعْيَان غُزاة الإسلام وأركانهم فِي أماكِنِهِم ومواضِعِهِم المُقَرَّرَة، على أن يكونوا مُسْتَعِدِّين لسماع أوامرنا، وأرْسَلْنا ناقلي الاخبار وأَلْقُواسين إلى الأطراف والأكناف، لتوصيل أحكامنا المطاعة إلى السلاطين العظام،والأمراء الكرام، وسائر الغُزَاة ذوي الاحترام، بشأن ضبط الفُرْسَان والمشاة وربطهم.

وثبتنا أركان الجُنْد، وصدر المرسوم واجب الإذعان، لازم الامتثال، بأن يثبت كل واحد منهم فِي مكانه، ولا يبدأ القِتَال قبل الإذن له.وتجنبنا يوم الطعان حَتَّى صار الفريقان متقابلين

متقاربين، وعندئذ بدأوا الحرب والقِتَال، وكانت جُنُود الجانبين (٣٢١ب) متقابلين، تقابل النور والظلام، وبدأ قتال عظيم فِي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة، حَتَّى زلزلت الأرض، وبلغت القعقعة عنان السَّمَاء.

وعندما تقدمت مَيْمَنَة الكُفَّار الذين هم مِن آثار الشقاء نحو مَيْمَنَة جُنُود الإسلام الميمونة، حملت عَلَيْهِم جُنُودنا وفِي مقدمتهم خُسْرو كُوكَلْداش، وملك قاسم أخو بابا قاشقة.وحسب الأمر، أسرع الأخ الأعز الأرشد چين تيمور سُلْطَان لنجدتهم، وقاتل بشجاعة.واقتلع الكُفَّارمِن أماكنهم، وتقدم فِي أعقابهم حَتَّى وصل إلى قلبهم. وقد كافأنا هَذَا الأخ العزيز المكافأةالتي يستحقها.

وتقدم نادرة العصر مصطفي الرومي، والإبن الأعز السعيد منظور أنظار عناية حضرة مولاه المختص بعواطف الملك الناهي الآمر مُحَمَّد هُمايون بَهادِر متقدما العَرَبَات، ودَكّ صفوف الكُفَّار بالبنادق والمدافع أثناء المَعْرَكَة فصارت قلوبهم مكسورة، وفِي قلب المَعْرَكَة صدر الأمر إلى الأخ الأعز الأرشد قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وعُمْدَة الخَوَاص نظام الدين أَحْمَد يوسف وقوام بِك فأسرعوا لمعاونتهم.

ولأن المدد يصل إلى فرق الكُفَّار مِن رِجَالَهُم تباعا، فقد أَرْسَلْنا بدورنا مُعْتَمد الملك جلال الدين هندو بِك ومن خلفه دُعامة الخَوَاص مُحَمَّدي كُوكَلْداش وخواجكي أسد جاندار ومن بعدهم أيضًا (٣٢٢أ) مُعْتَمد السُلْطَان العلية، ومؤتمن العتبة السنية، المقرب الخاص جمال الدين يونس على، وعُمْدَة الخَوَاص، تام الإخلاص جلال الدين شاه منصور برلاس، وعُمْدَة الخَوَاص شهاب الدين عبدالله الكتابدار ومن ورائهم أيضًا عُمْدَة الخَوَاص دوست أشيك أقا وشمس الدين مُحَمَّد خليل آخته بِك لتدعيم قواتنا.

وهجمت مَيْمَنَة الكُفَّار كَرَّاتٍ ومرَّات على مَيْسَرَة جند الإسلام. ووصلوا إلى الغُزَاة ذوي النجاة، وفِي كل مرة يهجم عَلَيْهِم الغُزَاة العظام، بزخم السهام المُظَفَّرة، يُشيّعون بعضا منهم إلى دار البوار يصلونها فبئس القرار، ويوَلّي البعض الآخر الأدبار. بناء على هَذَا، أحاط مُعْتَمد

الخَوَاص مؤمن اتكه ورستم التُرْكُماني، بمؤخرة عَسْكَر الكُفَّار، دُعامة الظلام وملجأ الشقاء. وأرْسَلْنا لمساعدتهم مُعْتَمد الخَوَاص، صادق الإخلاص الخوجه محمود على أتكه، ورأس العبيد المقرب مِن الحضرة السُلْطَانية، اعتماد الدولة الخاقانى نظام الدين خليفة. وبدأ الأخ الأعز الأرشد مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا ، وملجأ السَّلْطَنَة عادل سُلْطَان، ومُعْتَمد الملك معز الدين عبد العزيز الميراخور، وجلال الدين قُتْلُقْقَدَم قراول، وشمس الدين مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك وعُمْدَة الخَوَاص شاه حُسَيْن يارکی، ومغول غانجی، بدأوا الحرب، وهجموا هجمة شديدة. وأرْسَلْنا لمساعدتهم كبير الوزراء بين الأمم كمال الدين حُسَيْن، مع جماعة مِن الديوانين. (٣٢٢ب) وبلغت هِمَّة أهل الجهاد غاية الجد والاجتهاد والرغبة فِي القِتَال ووضعوا نصب أعينهم الآية الكريمة ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [(١)] وعزموا على بذل الروح، ورفعوا لواء الفداء.

ولما بَدَأَت المَعْرَكَة، وحَمَى الوطيس، صَدَرَ الفرمان واجب الإذعان إلى الفتيةِ المقاتلين مِن الجُنْد السُلْطَانية الرابضين كالأسود خلف العَرَبَات المربوطة بالسلاسل أن ينطلقوا، إلى خارج المركز مِن اليمين والشمال، وأن يتخذ رُماة البنادق مكانهم فِي الوسط. وانطلق الجُنْد مِن خلفِ العَرَبَات مثل طلوع الصبح الصادق فِي الأفق. وانسكبت دماءُ الكُفَّار المنحوسين بلون الشفق فِي ميدان القِتَال الذي يشبه الفلك الدوار. وانفصلت رؤوس عدد مِن العصاة عن فلك وجودهم [وتناثرت] كالنجوم. وكان نادرة العصر الأستاذ عليقُلي، واقفًا برِجَاله الشجعان أمام القلب يدكون صفوف الكُفَّار التي تشبه القَلْعَة فوقها الحديد دثار، بالأحجار الثقال التي لو وضعوا واحدًا مِنْها على كفة ميزان الأعمال، لأصبح صاحبها مظهرا لسر الآيـة ﴿فأما مَن ثَقُلَت مَوازِينُه، فهو فِي عِيشَةٍ راضِيَه﴾ [(٢)]. ولو انطلقت واحدة مِنْها على جبلٍ راسخٍ قوي لأصبح كالعِهْنِ المنفوش، وكان يقذف الحجارة والمدافع والبنادق، فيدُكُّ بها بناء أجسام الكُفَّار.(٣٢٣أ)

---

(١) الآية ٥٢ التوبة

(٢) الآية ٦ القارعة.

وبموجب الأمر الصادر برز رُماة البنادق الذين فِي مركز القلب، وانطلقوا مِن العَرَبَات إلى ميدان القِتَال، وأذاق كل واحد منهم سم الموت لعدد مِن الكُفَّار. واقتحموا مَوْضِع الخطر، وتألقت أسماؤهم بين أسود غابة البطولة وأبطال معركة الفداء. وفِي هَذِهِ الأثناء، صدر مرسوم حضرة الخاقان بدفع العَرَبَات مِن المركز إلى الأمام. وتقدم السُلْطَان بنفسه صوب جُنُود الكُفَّار محفوفا بالفتح والسعاده عن يمينه، والإقبال والنصر عن يساره. فلما رأته الجُنُود المُظَفَّرة، ماج بحرها الزاخر تموجًا عظيمًا، وتجلت شجاعة تماسيح هَذَا البحر مِن القوة إلى الفعل، وارتفع الغبار كالغمام، وغطي ميدان المَعْرَكَة كله كالركام. وانطلق لمعان البرق مِن بريق لمعات أَرْبَاب السيوف البتَّاره. وأصبح وجه الشمس مِن أثر الغبار المتصاعد كاسفا كظهر المرآة. واختلط الضارب بالمضروب، والغالب بالمغلوب، بلا تميز بينهما، وسحر ساحر الزمان أعينهم، فلم يروا مِن [الكواكب] السيارة غير السهام، ولم يظهر لَهُم مِن الكواكب الثوابت غير المواكب ثابتة الأقدام.

فِي يوم القِتَال بلغت الدماء برج الحوت،

وارتفع الغبار حَتَّى بلغ القمر، (٣٢٣ب)

ومن سنابك الخيل فِي تلك الصحراء المترامية

صارت الأرض ست طبقات والسَّمَاء ثمان.

وتناهى إلى سمع المجاهدين الغُزَاة فِي حومة القِتَال، هاتف الغيب يبشرهم ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [(١)] واستمعوا لبشرى النصر أنه لاريب ﴿نَصْرٌ مِن الله وفَتْحٌ قَرِيب وبَشِّر المؤمنين﴾ [(٢)] فأقبلوا على القِتَال بشوقٍ كبير.حَتَّى بلغ مسامعهم حبور الأرواح القدسية فِي الملأ الأعلى. والملائكة المقربين تحلق فوق رؤوسهم كالفراشات.

واسْتعَرَتْ نارُ القِتَال بين الصلاتين، فبلغ لهيبها عنانَ السَّمَاء. وانقضت مَيْمَنَة جند الإسلام وميسرتهم على مَيْسَرَة الكُفَّار وميمنتهم، فأتعسوا قلبهم، وبعثروا مؤخرتهم.

(١) الآية ١٣٩ آل عمران.

(٢) الآية ١٣ الصف.

وعندما بَدَأت آثارُ انتصارِ المجاهدين تنجلى، ولواءُ الإسلام يرتفع، فإن الكَافِر اللعين وهؤلاء الأشرار عديمى الدين، تحيروا لحالَهُم، وأَلْقُوا بأنفسهم إلى التهلكة، فهجموا على يمين القلب ويساره. وشددوا الهجوم على المَيْسَرَة، واقتربوا منا، لكن الغزاه الشجعان، وضعوا نصب أعينهم ثمرة الثواب، فغرسوا فِي تراب صدر كل واحد منهم براعم السهام، فبددوهم مثل حظهم الأسود. وفِي هَذهِ الأثناء، هبت نسايم النصر والإقبال على خميلة سعادة نوابنا المبارَكة. (٣٢٤أ) وجاءتهم بشرى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [١]، وعندما ظهر الفتح المُزين للعالم، وقد ازدان جبينه بطرة ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [٢]، وبدأت بشائر السعادة والإقبال تلوح مِن خلف الحجب، أدرك جُنُود الباطل بؤس حالَهُم، وتفرقوا كالعهن المنفوش وتلاشوا كالفراش المبثوث. وقتل أكثرهم فِي ميدان القِتَال. فولى قسم منهم جهة الصحراء شاردين، وصاروا طعمةً للغربان والحداه. مِن جثثهم ارتفعت التلال، ومن رؤوسهم أقيمت المنائر.

وانتقل حَسَن خان الميواتي إلى عداد الأموات بطلقة بُنْدُقِيَّة، وهلك أكثر المتمردين مِن زعمائهم المضلين برميات السهام والبنادق.

وبالجملة، فإن "راول اودي سنك باكرى" والى ولاية «اودى پور» صاحب اثني عشر ألف فارس؛ و«چندَرْبان»، وراي چوهان صاحب أربعة آلاف فارس، و بوبت راو بن صلاح الدين المذكور حاكم «چينديري » صاحب ألف فارس، ومانك جند چوهان، ودلبت راو صاحب أربعة آلاف فارس (٣٢٤ب) و«كُنكو»، و«كرم سنك»، ودنكرسى صاحب ثلاثة آلاف فارس، ومجموعة أخرى كل واحد منهم إما زعيم، أو صاحب سلطنة وشوكة وكبير جماعة، فارقوا هَذهِ الدار إلى مأواهم فِي الجحيم، وحلوا بالدرك الأسفل. وأصبح طريق دار الحرب كالجحيم يَغُصُّ بمن سلكوا طريق المَوْت مِن الجَرْحي، وامتلأ الدَرْك الأسْفَل بالمنافقين الذين بَذَلوا روحهم لمالك الجحيم. وصار قَتْلَاهم مَنْتَشِرين وحيثما ركض جُنُود المسلمين، وجدوا فِي كل خطوة

---

(١) الآية ١ الفتح.
(٢) الآية ٣ الفتح.

قتيلا محبا لذاته، وحينما طاردوا المهزومين، وجدوا الوجوه مِن جرحاهم فوق الثرى مطروحين.

وأصبح الهنود مِن طلقات البنادق

أذلاء كأصحاب الفيل

وتفجرت الدماء مِن أجسادهم

وكأنها عين ماء تتفجر مِن الجِبَال

ومن سهام جندنا الغالبين يفرون

خوفا كالخنازير فِي الصحاري والجِبَال

ولوا على أدبارهم نفورا

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [1].

ونحمد الله السميع العليم. فإنما العون مِن الله العزيز الحكيم.

كُتِب فِي الخامس والعشرين مِن شهر جمادى الآخر سنة تسعمائة وثلاث وثلاثين.

وذُيلت رسالة الفتح هَذهِ بلقب وطغراء الغازي، ثُمَّ كتبتُ بعد [هَذهِ الرسالة]هَذهِ الرباعية:

قطعتُ الصحاري لرفعة الإسلام،

وقاتلتُ الكُفَّار والهنود.

أطلب الظفر بالشهادة (٣٢٥أ)

فجعلني الله غازيا، والمنَّة لله.

وقد أرَّخ الشَّيْخ زين لهذا الفتح بعبارة فتح پادشاه اسلام [2]، كتب أحد مِن جاءوا مِن «كابُل» ويدعى ميركيسو، رباعية أرَّخ فيها لهذا لفتح بذات العبارة. ومِن باب توارد الأفكار، فقد راقت هَذهِ الألفاظ للشيخ زين وميركيسو، فاختارها كل منهما فِي رباعياته. كما أرخ الشَّيْخ

(١) الآية ٣٨ الأحزاب.

(٢) هَذهِ العبارة بحساب الجمل تساوي ٩٣٣، وهو تاريخ هَذَا الفتح.

زين لفتح ديپالپور بجملة وسط شهر ربيع الأول. وأرَّخ ميركيسو له بذات العبارة.

وبعد هزيمةِ العدو، تَعَقَّبْناه بالضرب، فأرْسَلْنا مُحَمَّدي، وعبد العزيز، وعلى خان وبعضَ الآخرين فِي أعقابِه إلى معَسْكَره، وكان يفصل بينه وبين معَسْكَرنا فَرْسَخَيْن. لكن ظهرت بادرة إهمال. إذكان يجب أن أذهب بنفسى ولا أترك هَذَا الأمر لآخر. فبعد أن تقدمتُ وأصبحت على مَسَافَة فَرْسَخ مِن موقع الكُفَّار رجعتُ إلى المَعَسْكَر وقت صلاة العشاء بسبب ضيق الوقت أو تأخره. فجاء المُنَجِّم مُحَمَّد شريف الذي لم يَكُنْ متفائلًا إلى حد كبير لتقديم التهنئة على الفور. فقلتُ له كل ما جرى به لساني، وأفرغتُ مكنون صدرى. والواقع، إن هَذَا الكَافِر المنحوس كان كثير التمرد والعجب بنفسه. لكنا حفظنا له خدماته القديمة فأحسنا عَلَيْهِ بمائه ألف، وأمرناه بالرحيل مِن بلادنا وعدم الإقامة بها.(٣٢٥ب)

وفِي اليومِ التَّالِي، توقفنا فِي ذات المكان. وأرْسَلْنا مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، والشَّيْخ كورن، وعبد الملك القورچي مع قوة كبيرة إلى الياس خان الذي خرج [عَلَيْنَا] فِي ميان دو آب، وأخذ كول، وأسر كيچيك على. فلما وصلوا إلى هُنَاكَ، انهزموا بدون أن يحاربوا العدو، وتفرقوا هنا وهُنَاكَ. وقد أمسكوا به بعد بضعة أيَّام مِن مجيئي إلى «أَكْرا»، وجاءوا به، فأمرتُ بسلخ جلده. وأمرتُ بعمل منارة مِن رؤوس الكُفَّار فوق ربوة هُنَاكَ قُبَالَة المَعَسْكَر، حيث دارتالمَعْرَكَة عندها.

وَغَادَرْنَا مكاننا هَذَا، فبلغنا «بيَانه» بعد منزلين. وكانت جِيَف أهل الكفر والردة الملقاة على الأرض فِي الطريق إلى «بيَانه»، بل وإلى «الوار»، و«ميوات»، لا تعد ولا تحصى. وتفرجتُ على «بيَانه». وجئتُ إلى المَعَسْكَر. واستدعيتُ أمراء الترك، و«الهِنْد»، واستشرتهم فِي أمر الحملة على ولاية هَذَا الكَافِر. لكن تجاوزنا عن هَذهِ الحملة بسبب ندرة الماء فِي الطريق،وشدة الحر.

وولايةُ «ميوات» قريبةٌ مِن «دِهْلي». ويبلغُ ريعها حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة مائة ألف. وكان آباءُ حَسَن خان الميواتي يحكمون فِي «ميوات» مستقلين مُنْذُ مائه أو مائتي عام، مع خضوعهم لسلاطين «دِهْلي» (٣٢٦أ) خضوعا غيركامل. ولعل سلاطين «الهِنْد» لم يحكموا

ولاية [ميوات] هَذهِ بسبب اتساع ولاياتهم، أو ضيق إمكانياتهم، أو بسبب وعورتها، فاكتفوا منهم بإعلان الطاعة، وتركوا لَهُم حكم الولاية.

وبعد فَتْحِ «الهِنْد»، وعملًا بمنهج السلاطين القدامى، أولَينا حَسَن خان الرِّعَايَة. لكن ذَلِكَ الكَافِر الجاحد لم يقدِّر لطفنا وعنايتنا، وبدلًا مِن أن يشكر لنا حَسَن المعاملة والرِّعَايَة، أصبح كما ذكرنا محرك كل الفتن، ورأس كل الفساد.

فتح ميوات:

وبسببِ توقف هَذهِ الحملة [ضد راناسَنْكَا]، تَحَرَّكْنَا لتسخير «ميوات». وبعد أربع مراحل، نزلنا بضِّفَّة نهر مانس على مَسَافَة سته فَرَاسِخ مِن «قلعة الور» مقر حاكم «ميوات». ولما كان آباء حَسَن خان يقيمون فِي «تجاره» [1] أبا عن جد، فإنه فِي العام الذي تحركتُ فيه باتجاه «الهِنْد»، وهزمتُ بهار خان، وأخذتُ «لاهور» و«ديپالپور» [2]، ظن [حَسَن خان] أن الدور عَلَيْهِ، وانشغل مِن فرط خوفه بعمارة هَذهِ القَلْعَة. وكان لدى حَسَن خان رجل معتبر اسمه كرمچند، جاء [عِنْدَمَا كنا] فِي «أَكْرا» ومعنا ابنه [3]، (٣٢٦ب) وقد جاء [هَذهِ المرة] مِن الور مِن عِنْدَ هَذَا الابن يطلب الأمان. فأرْسَلْنا معه عبد الرحيم شيغاول بمراسيم الوعد [والأمان]، والذي رجع ومعه ناهر خان ابن حَسَن خان، فأَظْهَرْنَا له العناية مرة أخرى، وأحسنا عَلَيْهِ بمقاطعة [ريعها] عدة مئات مِن الألوف.

وكنا نَظُن أن خُسْرو أبلى فِي المَعْرَكَة بلاءٍ حسنًا، فجعلنا له مخصصات مقدراها خمسين مائة ألف، وَعَيَّناه على «الوار». ومن سوءِ حظه تمنع ولم يأخذها. وعرفنا فيما بعد، أن البلاء الحسن كان لچين تيمور سُلْطَان ، فأعطيناه المكافأة، وأنعمنا عَلَيْهِ بمدينة «تجاره» عاصمة «ميوات»، ورفعنا مخصصاته إلى خمسين مائة ألف.

---

(١) منطقة تقع على مَسَافَة ٣٠ ميل شمال شرق الوَر.

(٢) كان هَذَا فِي عام ٩٣٠هـ = ١٥٢٤م.

(٣) يقصد ابن حسن خان الميواتى ويدعى ناهر خان كما سيتضح من النص.

وكان ترديكه مُعد الأكمنة فِي المَيْمَنَة أثناء الحرب مع [رانا] سنكا، هو الأَفْضَل مقارنة بالآخرين، فرفعنا مخصصاته إلى خمس عشرة مائة ألف. وأنعمنا عَلَيْهِ بقلعة الور. وأعطينا هُمايون خزائن «قلعة الور» وما فيها.

وتحركنا مِن هَذَا المكان فِي يَومِ الأربعاءِ غرة رجب[1]، إلى مَسَافَة فَرْسَخَيْن مِن «الور». فذهبتُ إلى قلعة «الوار»، وتفرجتُ عَلَيْهَا، وأمضيتُ بها تلك الليلة، وفِي اليوم التَّالِي، ذهبتُ إلى مقر الجَيْش.

وكنتُ قبل بضعة أَيَّام مِن غزوةِ الكَافِر [راناسَنْكَا] المار ذكرها، قد وعدنا الكبير والصغير، (٣٢٧أ) إنه بعد الفتح سنُرَخص لِكُلِّ مَن يرغب بالذهاب. وكان أكثر اتباع هُمايون يقيمون قرب «بَدَخْشان» أو حولها، وقد استنفدوا طاقتهم فلم يَكُنْ مِن بينهم مَن اشترك فِي حملة استمرت شهر أو شهرين. ولذا سمحنا لِهُمايون بالذهاب إلى «كَابُل» حسب وعدنا، وأيضا لأن «كَابُل» كانت خالية [بغير حاكم].

وعلى هَذَا، تَحَرَّكْنَا مِن «الور» فِي يَومِ الخميس التاسع مِن شهر رجب. وتقدمنا مَسَافَة أربعة أو خمسة فَرَاسِخ، ونزلنا بضّفَّة «نهر مانسني» . وكان مهدي خوجه فِي غاية الاضطراب. فسمحنا له بالذهاب إلى «كَابُل». وأعطينا نيابة[2] «بيَانه» إلى دوست أشيك أغا. وكنا مِن قبل قد أعطينا « أتاوا » إلى مهدي خوجه. وعندما هَرَبَ قطب خان مِن «أتاوا»، أرْسَلْنا إليها جعفر خان بدلا مِن أبيه مهدي خوجه. وبسبب الإذن لِهُمايون، فقد توقفنا فِي هَذَا المكان يومين أو ثلاثة. ومِن مكاننا هَذَا، أرْسَلْنا مؤمن على التواجي برسالة الفتح إلى «كَابُل».

وكنتُ قد سمعتُ عن وصفِ العين التي ينبع مِنْها «نهر پيروزپور» ، وعن «بحيرة كوتله »

---

(١) الموافق ١٣ ابريل ١٥٢٧م.

(٢) جاءت فِي الانجليزية كلمة شقداريليق بمعنى جمع الجُند، وقد أوردتها الترجمة التركية بأنها نعنى، قائمقامية، نيابة أو وكالة أو ولاية، وقد رأينا أنها الأنسب وهو نفس المعنى الذى أورده القاموس الجغتائي لسليمان أفندى البخارى ص ٢٠٢.

الكبيرة. فتركنا الجَيْش فِي هَذَا المكان لنُشَيّع هُمايون، وأيضا للتفرج على هَذَا المكان.

وتحركنا فِي يَومِ الأحد (٣٢٧ب)، وفِي ذَلِكَ اليوم، تفرجنا على «پيروز پور» وعلى منبع مائها، وأكلنا المعجون. وكانت زهور الدَفل[1] في الوادي الذي تجري إليه مياه المنبع قد تفتحت كلها. وهو مكان لا يخلو مِن جمال، لَكِنَّهُ لا يستحق الوصف. وأمرنا بنحت الأحجار، وبناء حوض كبير فِي هَذَا الوادي، فِي المكان الذي يتسع فيه النَّهْر.

وأمضينا الليلة فِي ذَلِكَ الوادي، وفِي اليوم التَّالِي، تفرجتُ على «بحيرة كوتله» وتحوطا سفوح الجِبَال مِن كل جانب، ويصب فيها «نهر مانسنى»، وهي بحيرة كبيرة. ويمكن مِن طرف البحيرة رؤية الطرف الآخر مِنْها، ويتوسطها مَوْضِع مرتفع. وعلى أطراف البحيرة ترسوا الكثير مِن السفن الصغيرة، وهذه يركبها سكان القرى المجاورة للنجاة بأنفسهم عِنْدَ حدوث فوضى أواضطراب. وعند مجيئنا، ركبنا وبعض الرِجَال سفينة خضنا بها داخل البحيرة وتفرجنا عَلَيْها ثُمَّ رجعنا إلى معَسْكَر هُمايون. واسترحنا هُنَاكَ، وبعد الطَّعَام، خلعنا على المِيرْزا والأمراء.

وعند صلاة العشاء، ودعنا هُمايون. وتحركنا مِن هُنَاكَ وخلدنا إلى النوم فِي مَوْضِع بالطريق، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مع بزوغ الفجر،فاجتزنا مقاطعة «كُهْرِي»، وغفونامرة أخرى،ثُمَّ وصلنا المَعَسْكَر فِي توده. وتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا «سونكرا»، وعندها هَرَبَ ناهر خان الميواتي (٣٢٨أ) الذي كان برفقة عبد الرحيم.

تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وبعد منزل واحد بلغنا نبع الماء عِنْدَ نتوء الجبل الواقع بين «بُساور» وجوسه. فَأَقَمْنَا الخيام، وأكلنا المعجون. وقد وصف تردي بِك خاكسار هَذَا النبع عِنْدَمَا مر الجَيْش مِن هنا [مِن قبل]. لذا جِئْنَا وتفرجنا عَلَيْهِ ونحن على ظهور الخيل، إنه نبع جيد. ولا يُوجَد فِي «الهِنْد» أي مياه جارية. أما الينابيع فنبحث عنها. ونجدها أحيانا يخرج ماؤها رفيعا مثل الخيط، ولا يتدفق مثل ينابيع هَذهِ النواحي. أما ماء هَذَا النبع، فيكفي [لتشغيل] نصف ساقية

(١) نبت مر زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخروب، ويتخذ للزينة.المعجم الوجيز، ص ٣/٢٣٠.

وينبع ماؤه متدفقا مِن سفح الجبل. وتحيط به المروج فتبدو بديعة. فأمرنا أن ينشئوا فوق النبع حوضا مِن الأحجار المنحوته مُثَمّن الشكل.

وتحت تأثير المعجون الذي تَعَاطَيْنَاه عِنْدَ حافةِ النبع، قائل تردي بِك مزهوا: مادمت أنا مَن دَلَّكم على هَذَا المكان الجميل، فلابد من إطلاق اسمي عَلَيْهِ، وكرر قوله هَذَا. فقال عبد الله: لابد وأن تقول: نبع السُلْطَان الذي دلَّ عَلَيْهِ تردي بِك. وكان قوله هَذَا مثارا للضحك والمداعبة.

ونحن عِنْدَ رأسِ هَذَا النبع، جاء دوست أشيك أغا مِن «بيَانه» والتزم. وتحركنا مِن مكاننا هَذَا (٣٢٨ب) فتفرجتُ على «بيَانه». ثُمَّ توجهتُ إلى «سيكري»، وأَقَمْتُ يومين عِنْدَ الحَدِيقَة التي أمرتُ بإنشائها للعناية بها. وفِي وقت السحر مِن يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرين مِن شهر رجب، جئتُ إلى «أَكْرا».

الاستيلاء على چندوار ورابري واتاوه:

وكما ذكرنا، أثناء هَذهِ الفوضى أصبح المخالفين لنا متصرفين فِي «چندوار»، و« راپري ». وأرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِچَنْك، وتردي بِك قوج بِك، وعبد الملك كرجي، وحسين خان مع كبَار السادة إلى «چندوار»، و« راپري ». فلما صاروا على مقربة مِن «چندوار»، علم أحد رِجَال قطب خان الموجود هُنَاكَ بالأمر فغادرها وهَرَبَ. فاستولوا على «چندوار»، ثُمَّ انتقلوا إلى «راپري». وخرج رِجَال حُسَيْن خان النوحاني لملاقاتهم ومناوشتهم، لكنهم لم يصمدوا، أما رِجَالنا فولوا الأدبار. وركب حُسَيْن خان فيلا، وخاض فِي الماء مع بضع مِن رِجَاله، فغرقوا فِي «نهر جون»، وعندما سمع قطب خان بهذا، ترك هو أيضًا «اتاوه»، وهَرَبَ مع عدد مِن رِجَاله. ولأنه سبق وأن وعدنا مهدي خوجه باتاوه، فقد أرْسَلْنا إبنه جعفر خوجه إلى هُنَاكَ.

توزيع بَابُر مُقَاطَعات «الهِنْد» على رِجَاله:

عِنْدَمَا تمرد الكَافِر سَنْكا كما ذكرنا، انقلب عَلَيْنَا أكثر الهنود والأَفْغَان، وأصبحوا متصرفين على كل المقاطعات والولايات. أما السُلْطَان مُحَمَّد دولدي الذي ترك «قَنوج» وجاء، (٣٢٩أ) فقد رفض العودة إليها مرة أخرى إما بسبب خوفه، أو بسبب أنها مسألة تمس شرفه، وعِوضاعن «قَنوج» [التي يبلغ ريعها] ثلاثين مائة ألف أخذ «سرهند» ذات الخمسمائة ألف.

وأنعمنا على مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا بقُنوج ذات الثلاثين مائة ألف. وأعطينا «بدوان» إلى قاسمحُسَيْن سُلْطَان.

التحرك ضد بِبَن:

وأرْسَلْنا مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا ومعه مِن أمراء الترك؛ ملك قاسم بابا قشقة وأخواته الكبار والصغار، والمُغُول، وأبو المُحَمَّد نيزه باز، ومؤيد ورِجَال والده، وحسين خان، وكبار السادة، ورِجَال السُلْطَان مُحَمَّد دولدي، ومن أمراء «الهِنْد» على خان الفَرمُلي، وملك داد كراني، مُحَمَّد شيخ بكاري، وتاتار خان خان جهان، لينضموا إلى سُلْطَان مِيرْزا، ويتحركوا إلى بِبَن الذي جاء واستولي على «لكنو» أثناء حرب الكَافِر راناسَنْكَا. وأثناء عبور هَذَا الجَيْش «نهر كُنَك»، علم بِبَن بالأمر، فترك متاعه وهَرَبَ، فتتبعة جيشنا إلى «خير اباد»، ثُمَّ عاد بعد أن أمضى هُنَاكَ عدة أَيَّام.

وقسمنا الخزينة، وأرجأنا تقسيم الولايات والمقاطعات إلى حين الفراغ مِن غزو هَذَا الكَافِر. وعندما فرغنا مِن أمره، قسمنا الولايات والمقاطعات.(٣٢٩ب) ونظرًا لاقتراب فصل المطر، فقررنا أن يذهب كل واحد إلى مقاطعته، وأن يكونوا على أُهْبَة الاستعداد للتحرك بمجرد انتهاء فصل المطر.

وفِي هَذهِ الأثناء، علمنا أن هُمايون ذهب إلى «دِهْلي»، وأخذ عددا مِن خزائنها بغير إذن منا. وكنتُ لا أتوقع مِنْهُ قط مثل هَذَا التصرف، وقد وقع هَذَا الأمر ثقيلًا على نفسي. كتبتُ إليه تنبيهات شديدة اللهجة، وأرسلتها إليه.

إرسال الهدايا إلى الشاهزاده طهماسب:

وفِي يَومِ الخَميسِ الخامسِ عشر مِن شهرِ شعبان، جاء الخوجه كى اسد الذي أرْسَلْناه سفيرا إلى العراق،ومعه سُلَيْمان التُرْكُماني. فأرْسَلْناه معه مرة أخرى بهدايا مناسبة إلى الشاهزاده طهماسب.

كان تردي بِك خاكساري قد انصرف عن التصوف وأصبح فارسًا، ولازمنا بضع سنين، ثُمَّ غلب عَلَيْهِ شعور التصوف، وطلب السماح له بذَلِكَ، فإذنا له. وأرْسَلْناه سفيرًا إلى كمران.

وليوصل إليه خزانة مقدارها ثلاثمائة مائة ألف.

وكنتُ قد كتبتُ قطعه عن أولئك الذين ذهبوا فِي السنة الماضية. وقد أرسلتها مع تردي بِك إلى المُلَّا علي خان، وهي:

يا مَن عرفتم مِن «الهِنْد» عذابها والألم،(٣٣٠أ)
وعانيتم مِن حرها واشتقتم إلى كابُل وطيب الهواء،
ألم تجدوا فيها سعادة ونِعم ومتعة وهناء
فرغم ما عانينا مِن غم وأذي،
وما لقِيَت أنفسنا مِن عناء،
وما أصاب أبداننا مِن بلاء،
فإننا نحمد لله أننا احياء.

الذهاب إلى سِيكْري:

أمضينا شهرَ رمضان هَذَا فِي «حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت» .وكنتُ اغتسل لِكُلِّ صلاة تراويح. ومنذ أن كنتُ فِي الواحدة والعشرين، لم أقض عيد الفطر مرتين متعاقبين فِي مكان واحد. وقد تصادف أن قضيتُ عيد الفطر الماضى فِي «أَكْرا»، ولكي لا أخل بهذه القاعدة، ذهبتُ إلى سِيكْري مساء يوم الأحد نهاية الشهر لقضاء العيد بها. وفِي الطرف الشمالي الغربي مِن «حَدِيقَة باغ فتح» التي أنشأتها فِي «سِيكْري»، أعددنا صُفَّة مِن الحجر وضعنا فوقها خيمة بيضاء. وقضينا العيد هُنَاكَ، وفِي مساء تَحَرَّكْنَا مِن «أَكْرا»، أرْسَلْنا مير على القورجي إلى شاه حَسَن فِي تته. وكان مولعا بلعب الورق، فأرْسَلْناه إليه.

مرض بابُر:

وفِي يَومِ الأحد الخامس مِن شهر ذي القعدة، مرضتُ، واستمر المرض سبعة عشر يومًا. وفِي يَومِ الجمعة الرابع والعشرين مِن نفس الشهر، ذهبنا للتجول فِي «دُولْپُور». وعند المساء، هجعنا فِي منتصف الطريق، (٣٣٠ب) وفي الصباح، وصلنا إلى سد السُلْطَان سكندر.

وفِي المَوْضِع الذي ينتهي إليه الجبل قريبا مِن جنوب السد، سقطت قطعة مِن الحجارة الحمراء التي تستخدم فِي البناء. فاستدعيتُ الأستاذ شاه مُحَمَّد الحجَّار، وأمرتُه أن يقيم بناء مِن قطعة واحدة مِن الحجر إن أمكنه هَذَا، وإذا كان ارتفاع الحجر لا يكفي، فليحفروا حوضًا مِن قطعة واحدة مِن الحجر.

وذهبنا مِن إلى «باري» للتفرج عَلَيْهَا. وفِي اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مِن «باري»، واجتزنا الجبل الواقع بين «باري» و«جنبل». ورجعنا بعد أن تفرجنا على نهر جنبل. وفِي هَذِهِ المسافة، رأينا فِي الجبل شجرة أبانوس ويسمون فاكهتها تندو.كان شجر الأبانوس أبيضا، وأكثر الأشجار فِي هَذَا الجبل هي أشجار الأبانوس الأبيض.

وَغَادَرْنَا «باريب»، وبعد أن تجولنا فِي «سِيكري»، جِئْنَا إلى «أَكْرا» فِي يَومِ الأربعاء التاسع والعشرين مِن الشهر.

وفِي تلك الأَيَّام، كانوا يرددون أخبارًا متفرقة عن الشَّيْخ بايزيد، وأرْسَلْنا السُلْطان علي تُرك إلى الشَّيْخ بايزيد وأنظرناه عشرين يومًا.

وفِي يَـومِ الجمعة الثاني مِن شهر ذي الحجة، بدأتُ فِي قراءة أحد الأوراد أربعين مرة. وفِي تلك الأَيَّام قلتُ هَذَا البيت:

قل، عينيه، أم حاجبيه، وقوله أم بيَانه،

جسمه أم خديه، وشعره أم خصره.

وقطعته على وزن خمسمائة وأربع. وقد رتبتُ رسالة فيه.

مرض بَابُر للمرة الثانية:

وفِي ذَلِكَ اليوم، مرضتُ (٣٣١أ) للمرة الثانية. واستمر المرض هَذِهِ المرة تسعة أَيَّام. وفِي يومِ الأربعاءِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ ذي الحجة، تَحَرَّكْنَا للتفرج على «كول» و«سُنْبُل».

***

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وأربع وثلاثين[1]

وصلنا «كول» فِي يَومِ الجمعة غُرَّة شهر المُحَرَّم. وكان هُمايون قد ترك درويش على ويوسف فِي سُنْبُل، واجتاز الأنهار، وهزم قطب السَّيْرواني وعددا مِن أتباعه مِن ملوك «الهِنْد» هزيمة منكرة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأرسل عددا مِن رؤوسهم وفيلًا. وقد جاءوا بهم أثناء وجودنا فِي «كول».

وتفرجنا على «كول» مدة يومين، ونزلنا بمنزل الشَّيْخ كورن استجابة لرجائه. وقد أقام المُلَّا مأدبة، وقدم الهدايا. ثُمَّ تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ فوصلنا «أوترولي».

وفِي يَومِ الأربعاء، عبرنا «نهر كُنَكْ»، وأقمنا فِي قرى «سُنْبُل».ثُمَّ بلغنا «سُنْبُل». يوم الخميس وتفرجنا عَلَيْهَا فِي يَومِيْنِ، ورجعنا فجر يوم السبت.

وفِي يَومِ الأحد، نزلنا بمنزل راوو السَّيْرواني فِي «سكندره». فقدم لنا الطَّعَام وقام بالضيافة. وتحركنا مِن هُنَاكَ قبل الصباح. وفِي الطريق تعللتُ بأمر ما، وانفصلتُ عن الركب وأسرعتُ بمفردي لمسافة فَرْسَخ مِن «أَكْرا». ثُمَّ لحق بي رفاقي فيما بعد. ونزلنا «أَكْرا» وقت الظهر.

مرض بَابُر:

وفِي يَومِ الأحدِ السادسِ عشر مِن شهرِ المحرم، أصابتني سخونة، وبدَأتْ نوبةُ المرض، واستمرت زهاء خمسة وعشرين أو ستة وعشرين يومًا. وتناولتُ الدواء. وفِي النهاية، تحسنت حالتي. وقد كابدتُ عدم النوم والظمأ. وأثناء مرضى، نظمتُ ثلاث رباعيات أو أربع (٣٣١ب) قلتُ فِي واحدة مِنْها:

تشتد الملاريا فِي جسمي مِن يوم إلى يومٍ،
فإذا حل المساء، فرَّ النوم مِن عيني،
وكلاهما مثل ألمي وصبري،

---

(١) يقابل الفترة من ٢٧سبتمبر ١٥٢٧- ١٥سبتمبر ١٥٢٨.

الأول فِي ازدياد والآخر فِي نقصان.

وفِي يَومِ السبتِ الثامنِ والعشرين مِن شهر صفر، جاءت البيجوم فخرجهان، والبيجوم خديجة سُلْطَان، وتحركت بالسفينة قريبا مِن شمال «سكندراباد» والتزمت هُنَاكَ.

التجربة الأولى لإطلاق المدفع:

وفِي يَومِ الأحد، أطلق الأستاذ علي قُلي حجرًا بالمدفع الكبير، فانطلق الحجر بعيدًا لكن المدفع صار فتاتا. وسقطت قطعة مِنْهُ على رأس جماعة، فأودت بحياة ثمانية أشخاص.

وفِي يَومِ الاثنين السابع مِن شهر ربيع الأول، ذهبتُ إلى « سِيكري» للنزهة. وكانوا قد فرغوا مِن بناء الصُّفَّة ثُمانية الشكل التي ابتنيتها داخل البحيرة. فتوجهتُ إليها بالسفينة، وأقمنا خيمة كبيرة، وأكلنا المعجون.

وبعد نزهة «سيكري»، وفِي مساءِ يومِ الأحدِ الرابعِ عشر مِن شهرِ ربيع الأول، تَحَرَّكْنَا إلى نواحي «چَنْدِيرِي» عازمين على القِتَال. وتقدمنا مَسَافَة ثلاثة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا «جاليسر». وتوقفنا هُنَاكَ مدة يومين لاستكمال استعدادات الجُنْد. ثُمَّ تَحَرَّكْنَا يوم الخَمِيس، فوصلنا أنوار. ومن هُنَاكَ، ركبنا السفينة قاصدين «چندوار».

فِي الطريق إلى چندوار:

طوينا المراحل واحدة تلو الأخرى، فوصلنا مَخَاضَة «كُنار» يوم الاثنين الثامن والعشرين مِن الشهر.

وفِي يَومِ الخَمِيسِ الثاني والعشرين مِن الشهر، جاوزنا النَّهْر، وتوقفنا هُنَاكَ مدة أربعة أيَّام أو خمسة لحين عبور الجَيْش. (٣٣٢أ) فِي هَذهِ الأيَّام المعدودة، كنا نأكل المعجون فِي السفينة. ومَوْضِع اتصال «نهر چنْبَل» أعلى مَخَاضَة «كُنار» بفَرْسَخ أو فَرْسَخَيْن.

وفِي يَومِ الجمعة، ركبنا السفينة فِي «نهر چنْبَل» ، وتجاوزنا مَوْضِع اتصال النَّهْر، وذهبنا إلى المَعَسْكَر.

إرسال الجُنْد ضد الشَّيْخ بايزيد:

والواقع أنه لم يُبد الشَّيْخ بايزيد خروجا صريحا عَلَيْنَا، لكننا تيقنا مِن حركاته وأفعاله أنه

المحرض على العصيان. و[تحسبا] لهذا الأمر، أرْسَلْنا مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك إلى قُنوج ليأتي بِمُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا وسلاطين وأمراء تلك النواحي مثل قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، وملك قاسم، وكوكي، ابو المُحَمَّد نيزه باز، ومَنُوچهر خان وأخواته الكبار والصغار والسادة، وذَلِكَ للتحرك ضد الأَفْغَان المخالفين فِي سروار. وكان هؤلاء سيستدعون بدورهم الشَّيْخ بايزيد. فإذا جاء مخلصا وانضم إليهم، ساروا معًا، وإن أبى فليتصدوا له.

وطلب مُحَمَّد علي عددا مِن الفيلة. فأعطيناه عشرة مِنْها. وبعد الإذن لمُحَمَّد علي [بالذهاب إلى قُنوج]، أمرناه بالذهاب إلى « بابا چهرة » والانضمام إليهم. وجئنا نَحْنُ مِن كُنار بعدد مِن السفن.

وفِي يَومِ الأربعاء الثامن مِن شهر ربيع الأخر، نزلنا على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «كَالْپِي». وهُنَاكَ جاء بابا سُلْطَان بن السُلْطَان خليل الأخ الأَصْغَر الشقيق للسُلْطَان سعيد خان والتزم. وكان قد هَرَبَ فِي العام الماضي مِن إخوته الكبار، (٣٣٢ب) لَكِنَّهُ استشعر الخجل مِن فعلته هَذهِ فرجع مِن عِنْدَ حدَّ «اندرآب»، فلما اقترب مِن «كاشْغَر» وهو فِي طريق العودة، أرسلَ الخان إليه حيدر مِيرْزا لمقابلته والرجوع به مرة أخرى.

وفِي اليَومِ التَّالِي، نزلنا بيت عالِم خان فِي «كَالْپِي». وأعدّ لنا طعامًا على الطريقة الهِنْدية وقدم الهدايا.

وفِي يَومِ الاثنينِ الثالثِ عشر مِن الشهر، تحَرَّكْنا مِن «كَالْپِي» فوصلنا ايرج يوم الجمعة. وفِي يَومِ السبت، وصلنا بايزيد[1].

وفِي يَومِ الأحدِ التاسعِ عشر مِن الشهر، أرْسَلْنا قبلنا إلى «چَنْدِيرِي» زهاء ستة أو سبعة آلاف رجل بقيادة چين تيمور سُلْطَان. والأمراء الذين ذهبوا للغارة هم باقي مينك بِك، وتردي بِك، وقوچ بِك، وعاشق بكاول، والمُلّا آپاق ومحسن دولدي، ومن أمراء «الهِنْد» الشَّيْخ كورن.

---

(١) موضع بين كالپي و چنديري، وقد وردت فِي الانجليزية باندير.

وفِي يَومِ الجمعةِ الرابعِ والعشرين مِن الشهر، نزلنا بالقرب مِن «كَچْوَه». واستملنا أهلها، وأعطيناها إلى ابن بدر الدين[1].

وصف كَچْوَه:

«كَچْوَه» مكانٌ مغلق[2]. تحوطها التلال الصغيرة. وهُنَاكَ سد بين الجبلِ فِي جنوبِ شرقِ كَچْوَه. ويحيط بها مِن ثلاثِ جهاتٍ بحيرة كبيرة محيطها حوالي خمسة أو ستة فَرَاسِخ. وهُنَاكَ مرج صغير فِي الشمال الغربي مِنْها. ويقع باب المدينة فِي ذَلِكَ الطرف، وداخل البحيرة قوارب صغيرة يمكن أن يتسع الواحد مِنْها لثلاثة أشخاص أو أربعة. فإذا اضطر النَّاس للفرار، ركبوا هَذهِ ألْقُوارب (٣٣٣أ) وانطلقوا بها داخل النَّهْر، وقد أقاموا سدين فِي مَوْضِعين بين الجِبَال حَتَّى «كَچْوَه»، فتكونت بحيرات أصْغَر مِن بحيرة «كَچْوَه».

فِي الطريق إلى چَنْدِيرِي:

لبِثْنا فِي «كَچْوَه» يومًا واحدًا، وكَلَّفْنا عددًا مِن الجاوشية ذوِي الجَلَد، والعمال العارفين بتمهيد الأرض، وإزالة الأدغال التي فِي الطريق مِن «كَچْوَه» إلى «چَنْدِيرِي»[3] ليسهل جر العَرَبَات والمدفع بلا مشقة. ثُمَّ تحَرَّكْنا مِن «كَچْوَه»، ونَزَلْنَا عِنْدَ نهرِ« بُرهان پور» علَى مَسَافَة ثلاثةِ فَرَاسِخ مِن «چَنْدِيرِي».

ويقَعُ حصن «چَنْدِيرِي» فوق الجبل بين المدينة والقَلْعَة الخارجية. ويمر الطريق الممهد الذي تقطعه العَرَبَات عِنْدَ سفح القَلْعَة.

وتحَرَّكْنا مِن بُرهان پور، وبسبَبِ العَرَبَات وصلنا إلى مَسَافَة فَرْسَخ أسفل «چَنْدِيرِي». وبعد منزلٍ واحد، نزلنا عِنْدَ رأسِ السد على حافةِ حوض بهجت خان وذَلِكَ فِي يَومِ الثلاثاءِ

(١) أحد أمراء حسين ميرزا.

(٢) جاءت فِي التركية جميل.

(٣) عبارة التي فِي الطريق من كَچْوَه إلى چنديرى غير واردة فِي التركية.

الثامنِ والعشرين مِن الشهر [1]. وتحركنا فِي اليومِ التَّالِي، وانتشرنا حول القَلْعَة، ووزعنا [أنفسنا] بين القلب والمَيْمَنَة والمَيْسَرَة.

واختار الأستاذ عليقُلي مكانًا مستويًا فِي إحدي الحدائق لإطلاق الحجارة. وكلفنا بُناة الاستحكامات والجاوشية بتجهيز المكان لوضع المدفع. وأصدرنا الأوامر لِكُلّ العَسْكَر بتجهيز الدروع والسلالم اللازمة للاستيلاء على القَلْعَة.

تاريخ چَنْدِيرِي:

كانت «چَنْدِيرِي» مِن قبل (٣٣٣ب) تابعة لسلاطين «مندا و». وبعد وفاة السُلْطَان ناصِر الدين أصبح ابنه السُلْطَان محمود والموجود الآن فِي «مندا و»، هو المتصرف فِي مندا و وتلك النواحي. كما لجأ ابن له يدعي مُحَمَّد شاه إلى السُلْطَان سكندر [اللودي] [2] ليساعده فِي الاستيلاء على «چَنْدِيرِي». فأرسل له السُلْطَان سكندرجندًا كثيرًا، وبسط حمايته عَلَيْهِ.

وبعد السُلْطَان سكندر توفي مُحَمَّد شاه فِي زمن السُلْطَان ابراهيم [اللودي]، وترك ابنًا صغيرًا له يدعي أحْمَد شاه. فقام السُلْطَان ابراهيم بإبعاد أحْمَد شاه هَذَا، ووضع مكانه [فِي چَنْدِيرِي] أحد رِجَاله. وعندما جاء راناسَنْكَا إلى «دُولپُور»، وساق الجُنْد ضد [السُلْطَان] ابراهيم [اللودي]، تمرد عَلَيْهِ أمراؤه، فانتقلت «چَنْدِيرِي» إلى يد راناسَنْكَا، وأعطاها بدوره لكافر مِن المعتبرين عنده ويدعي مندني راو.

وكان مندني راو آنذاك فِي قلعة «چَنْدِيرِي» ومعه أربعة أو خمسة آلاف مِن الكُفَّار. وكان تربطه صداقة مع ارايش خان. فأرسَلْنا [إليه] ارايش خان والشَّيْخ كورن بكلمات فيها العناية والشفقة، مع وعد بإعطائه شمس اباد بدلًا مِن «چَنْدِيرِي». وخرج لَهُما واحد أو اثنان من رِجَاله المعتبرين. ولا أعرف هل بسبب عدم الاطمئنان [لوعودنا] أو بسبب ثقتة فِي [متانة] القَلْعَة، لم يأت عرض الصُلْح بنتيجة.

---

(١) الحادى والعشرين من شهر يونيو سنة ١٥٢٨.

(٢) ثانى سلاطين اللوديين بعد بهلول اللودى حكم من ١٤٨٩-١٥١٧م.

فتح قلعه چَنْدِيرِي: في صباح يوم الثلاثاء السادس مِن شهر جمادى الأول، تحَرَّكْنا مِن «حوض بهجت خان» بعزم اقتحام قلعة «چَنْدِيرِي». ونزلنا عِنْدَ حافة الحوض الواقع (٣٣٤أ) قريبا مِنَ القَلْعَة. في ذَلِكَ الصباح، وأثناء الطريق، جاء خليفة برسالة أو اثنتين، فيها أن الجُنْد المكلفين بپُورَب، تحركوا بلا حساب، وانهزموا، فتركوا «لكنو» ، وجاءوا إلى «قُنوج» . ورأيتُ تردد خليفة وفرط خوفه مِن جراء هَذَا، فقلتُ: لا مجال للتردد والخوف، فلن يكون سوى ما قدره الله. ومادمنا بصدد هَذَا الأمر، فيحسن ألا نفكر فِي أمر آخر سواه. غدا سنهاجم القَلْعَة، ومن بعدها ننظر فيما ينبغي عمله.

كان العدو قد حصَّن القَلْعَة الداخلية، وترك رجلا أو اثنين[1] فِي القَلْعَة الخارجية مِن قبيل الحَيْطَة. فِي ذَلِكَ المساء، دخل جندنا القَلْعَة الخارجية مِن كل طرف، وكان بها عَدَدٌ مَحْدُودٌ مِن رِجَال العدو ولُّوا الأدبار بدون أدني معركة حقيقة، وانسحبوا على الحِصْن الداخلي.

وفي صباحِ يومِ الأربعاءِ السابع مِن شهر جمادى الأول، أمرنا الجُنْد ان يتسلحوا، ويلتزموا أماكنهم، ويستعدوا للحرب. وعندما أقرع الطبل وأرفع الراية، يسارعوا بالهجوم مِن مواقعهم. فلما اشتد أوار الحرب، تركتُ الطبل والبيرق، وذهبتُ بنفسي لأري إطلاق الأستاذ عليقُلي [المدفع] الحجارة. وقد أطلق ثلاث أو أربع قذائف لم تؤثر فِي جِدَار القَلْعَة.

ولأن مَوْضِع الإطلاق غير مَكِين، وجِدَار القَلْعَة (٣٣٤ب) منيع، ومبني مِن الحجارة، لذا لم تؤثر فيه [قذائف المدفع]. وكما ذكرنا، فإن مَنَعَه «چَنْدِيرِي» سببها وقوعها فوق الجبل. وقد شقوا فِي أحد جوانبها طريقًا يؤدى إلى النَّهْر يحفه جِدَاران أسفل الجبل. فشددنا الوطأة عَلَيْهِ فأصبنا قوات المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والفرق الخاصة هُنَاكَ. وشددّنا الوطأة عَلَيْهِ أكثر دون اكتراث بالحجارة والنيران التي يلقيها الكُفَّار مِن أعلى. وفِي النهاية، تسلق شاهيم يوز بِك، مَوْضِع اتصال جدران الطريق المؤدي إلى النَّهْر بجِدَار شالقَلْعَة الخارجية، كما تنسلق الفتية مِن مَوْضِعين أو

---

(١) جاءت فِي الانجليزية اثنين أو ثلاثة.

ثلاثة مِن مواضع أخرى. ولاذ الكُفَّار الذين فِي طريق النَّهر بالفرار. فاستولينا على المكان. ولم يقاتل مَن فِي القَلْعَة قتالا يُذكر، ولاذوا أيضا بالفرار. وتسلق جمع مِن رِجَالنا [الجِدَار] وصعدوا إلى القَلْعَة الخارجية. وما هي إلا فترة وجيزة، إلا وخرج الكُفَّار وهم مجردون وبدأوا فِي القِتال، ودفعوا الكثير مِن الجُنْد إلى الفرار، والقفز مِنْ فَوْقِ الجِدَار. وضربوا الكثير منهم وقتلوهم.

وكان سبب تخليهم بسرعة عن الحائط، أنهم تيقنوا أن المهزومين سيقتلون وتذبح نساءهم فوضعوا الموت نصب أعينهم وبرزوا للقتال وهم مجردون. وفِي النهاية، شدد رِجَالنا الهجوم مِن كل جانب، (٣٣٥أ) ودفعوهم للقفز مِنْ فَوْقِ الجِدَار. ودخل مائتان أو ثلاثة مائه [منهم] إلى مأوى الكَافِر مندني راو. وأجهزوا على بعضهم بعضا؛فيأخذ أحدهم سيفًا، ويمد الآخرون أعناقهم بمحض اختيارهم واحدًا تلو الآخر. وهكذا ذهب أكثرهم إلى الجحيم.

وبعناية الله، فتحنا فِي غارتين أو ثلاث غارات قلعة مشهورة كهذه بدون أنه نستخدم الطبل أو الراية. بل وبدون أن تدور معركة حقيقية.

ومن جماجم الكُفَّار أقَمْنَا منارة فوق الجبل فِي الشمال الغربي مِن «چَنْدِيرِي»، وقد وضعنا جملة فُتِح دار الحرب لتكون تاريخًا لهذا الفتح، وربطته على هَذَا النحو:

غصَّت چَنْدِيرِي بالكُفَّار زمانا،

وصارت ميدانًا للحرب والضرب،

وفتحتُ قلعتها قتالا،

وأصبح تاريخها فُتح دار الحرب.

وصف چَنْدِيرِي:

تقع «چَنْدِيرِي» فِي ولايةٍ جميلة. تحُفُّها الكثير مِن المياه الجارية. وقلعتها أعلى الجبل. بداخلها ثلاثة أحواض كبيرة منحوتة مِن الحجارة، مِنْها حوض كبير فِي طريق النَّهر الذي سيطرنا عَلَيْهِ عِنْدَ تشديد الهجوم على القَلْعَة. وكل بيوت الشريف والوضيع مِن [أهلها] كلها مِن الحجارة. غير أن بيوت الكبار[مشيدة] مِن الحجارة المنحوته بإتقان. أما بيوت العامة فمن الحجارة غير

المنحوته. وتكسوها بأحجار مستوية وعريضة بدلا مِن القرميد. (٣٣٥ب) ويُوجَد أمام القَلْعَة ثلاثة أحواض كبيرة، وكان الحكام القدامي يقيمون السدود فِي أطرافِها وجوانبها، وينشئون الأحواض فِي الأماكن المرتفعة.ويجري «نهر بيتوي» على مَسافة ثلاثة فَرَاسِخ مِن «چَنْدِيرِي»، وهو نهر صغير مشهور ماؤه عذب فرات، فِي وسطه صخور متفرقة تصلح لأعمال البناء. والطريق مِن «أَكْرا» إلى جنوب «چَنْدِيرِي» حوالي تسعين فَرْسَخا. وارتفاع [مدار] الجدي خمس وعشرين درجة.

وفِي اليومِ التَّالي الخميس، تحَرَّكْنَا مِن عِنْدَ القَلْعَة، ووصلنا إلى حافةِ «حوض ملو خان».

وجئناإلى هنا بعد فتح «چَنْدِيرِي» عازمين على السَّيْر إلى «رايسنك»، و«بهلسان»، و«سارنكپور»، وهي ولايات الكُفَّار، وتتبع الكَافِر صلاح الدين. وبعدها نتوجه إلى «چيتور» لمهاجمة راناسَنْكَا. وعندما تلقينا هَذهِ الأخبار المثيرة للقلق، استدعينا الأُمَرَاء، وبعد المشورة، رأينا أن التحرك لدفع فتنة وفساد المفسدين ومثيري الفتن أنسب وأولى. وكانت «چَنْدِيرِي» فِي يد حفيد السُلْطَان ناصِر الدين، ثُمَّ أعطيت إلى أَحْمَد شاه المار ذكره. فاتخذتها خاصةً [سُلْطَانية] وريعها خمسين مائة الف، وجعلتُ نيابتها فِي عُهدة المُلَّا آپاق، وتركنا ثلاثة آلاف مِن الترك والهنود ليكونوا عونا لأحمد شاه.

(٣٣٦أ) وفِي يَومِ الأحدِ الحادِي عشر مِن شهر جمادى الأول، قررنا العودة. وتحركنا مِن حوض ملو خان. ونزلنا بضَّفَّة «نهر برهانپور». وأَرْسَلْنا يكه خوجه، وجعفر خوجه مِن «باندير» إلى «يكشنبهي » ليحضرا السفن مِن «كَالْپِي» إلى مَخَاضَة كُنار.

وفِي يَومِ السبتِ الرابع والعشرين مِن الشهر، نزلنا مَخَاضَة« كُنار»، وأمرنا الجُنْد بالبدء فِي تجاوز النَّهْر. وفِي هَذهِ الأَيَّام جاءنا خبر أن مَن ذهبوا للغارة تركوا «قُنوج»، وجاءوا إلى «رابري». وأن ابو المُحَمَّد نيزه باز أغلق «قلعة شمس آباد» ، لكن قوات كبيرة [مِن العدو] جاءت واقتحمت القَلْعَة واستولت عَلَيْهَا.

وتوقفنا ثلاثة أَيَّام أو أربعة على جانبي النَّهْر حَتَّى ينتهي الجُنْد مِن عبوره. ثُمَّ تقدمنا مِن

منزل إلى آخر قاصدين «قُنوج» ، وأرْسَلْنا فتية الغارة أمامنا لتقصي أخبار العدو. وقبل قنوج بمنزل أو أثنين، علموا أن ابن معروف عِنْدَمَا رأي «سواد» المتجهين إليه هَرَبَ مِن «قُنوج» . وعلم بِبَن، وبايزيد، ومعروف بأمرنا، فجاوزوا «كُنكْ» ، وأقاموا أمام «قُنوج» فِي الجَانِبِ الشرقي مِن «كُنكْ» بهدف السيطرة على مَخَاضَة [النَّهْر].

وفِي يَومِ الأربعاءِ السادسِ مِن شهرِ جمادى الآخر، اجتزنا «قُنوج» ، ونزلنا الضفة الغربية مِن «كُنكْ» . وذهب فتياننا (٣٣٦ب) وهاجموا عددا مِن سفن العدو واستولوا عَلَيْهَا.[واتجهوا إلى] أسفل وأعلى [نهر كُنكْ]، وأحضروا زهاء ثلاثين أو أربعين سفينة كبيرة وصغيرة.

إقامة جسر على نهر كُنكْ:

وأرْسَلْنا مير مُحَمَّد جاله بان لاختيار مَوْضِع مناسب وإعداد ما يلزم لإقامة جسرٍ. فاختار مَوْضِعا على مَسَافَة فَرْسَخ جنوب موقع الجَيْش، وجعلنا جاوشية أكفاء [لمساعدته].

ووضع الأستاذ عليقُلي المدفع قريبا مِن متكأ الجسر، واختار مكانًا لقذف الحجارة وانشغل بإطلاقها. ونقل مصطفي الرومي عربات المدفع إلى إحدي الجزر فِي الجنوب قليلًا مِن المكان الذي سيرتكز عَلَيْهِ الجسر، وبدأ فِي إطلاق المدفع مِن هُنَاكَ. وفِي الطرف العلوي مِن الجسر، أَقَمْنَا ساترا، انجز مِنْ فَوْقِه رُماة البنادق طلقات نارية صائبة.

وجاوز ملك قاسم مُغُول وفتية آخرون النَّهْر بالسفينة مرة أو مرتين، واشتبكوا مع عدد محدود مِن رِجَال [العدو]. وذات ليلة عبر بابا سُلْطَان درويش بالسفينة باندفاع وبغير روية ومعه زهاء عشرة أو خمسة عشر رجلًا، لكنهم رجعوا بدون قتال أو انجاز، فأنحينا عَلَيْهِم باللائمة. وفِي النهاية، تحمس ملك قاسم وهاجم [العدو] بعدد محدود مِن الرجَال، وأحاط بمَعَسْكَره، لكن انقض عَلَيْهِم عدد كبير مِن رِجَال العدو ومعهم فيلَهُم فولوا هاربين. وركبوا السفينة، وقبل أن تتحرك، (٣٣٧أ) لحق الفيل بالسفينة وأغرقها، وقد توفي ملك قاسم فِي هَذَا القِتَال.

وخلال الأَيَّام التي انتظرنا فيها لحين إقامة الجسر، أطلق الأستاذ عليقُلي عددا كبيرا مِن

القذائف الصائبة، فأطلق فِي اليوم الأول ثمان قذائف، وفِي اليومِ الثاني ست عشرة قذيفة مِن الحجارة واستمر على هَذَا النحو لمدة ثلاثة أو أربعة أيَّام. فكان يطلق هَذهِ الحجارة بمدفع اسميناه الغازي لكونه المدفع الذي قذف الحجارة على الكَافِر [رانا] سنكا فِي حربنا معه.كما قام الأستاذ عليقُلي بصب مدفع [آخر] أكبر مِنْهُ بعض الشيء. وكان هَذَا المدفع يقذف الحجارة وقد انكسر فيما بعد. وأطلق رُماة البنادق الرصاص على كثير مِن الرِجَال والخيول. وتناثرت على الأرض أشلاء أغلب الفارين والعمال والخيول أيضا.

وعندما تَحَرَّكْنَا يوم الأربعاء التاسع عشر مِن شهر جمادى الآخر، جِئْنَا إلى الجسر، وقد أوشكوا على انتهاء مِن ربطه. وكان الأَفْغَان يسخرون ويستبعدون تمكننا مِن إقامة الجسر.

وفِي يَومِ الخميس، أصبح الجسر جاهزًا، فعبرته مجموعة صغيرة مِن المشاة وأهل «لاهور» إلى الجانب الآخر، وجرت مناوشة محدودة.

وفِي يَومِ الجمعة، عَبَر فوج مِن [جُنُود] القلب الخاصة [الجسر] مشيا على الأقدام وكذا رُماة البنادق فِي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة. فجاء الأَفْغَان بأفيالَهُم وقد تسلحوا كلَّهُم وهاجمِوهم. فلاذ عدد مِن رِجَال المَيْسَرَة بالفرار، بَيْنَما ثبت رِجَال القلب والمَيْمَنَة فِي أماكنهم، وقاتلوا حَتَّى انسحب الأَفْغَان (٣٣٧ب). وانفصل اثنان مِن رِجَال العدو عنه وأعادا الهجوم. فأصاب [رِجَالنا] أحدهما وأمسكوا به فِي التَوِّ، وأصابوا الآخر وجواده فِي أكثر مِن مَوْضِع، فولى هاربا بجواده، ووقع على الأرض بين قومه. وفِي ذَلِكَ اليوم، أتوا بسبعة أو ثمانية مِن رؤوس [قتلي العدو]، وأُصيب كثير مِن رِجَاله بجروح مِن جراء السهام والرصاص. واستمر القِتَال إلى ما بعد العصر.

وفِي المساء، عاد كل مَن عبروا الجسر. ولو أن كل الرِجَال عبروه مساء تلك الجمعة لأمكن أسر أغلب رِجَال العدو. لكنا تذكرنا أننا تَحَرَّكْنَا مِن سِيكْري لمناجزة [رانا] سنكا فِي يَومِ النيروز العام الماضي وكان يوم الثلاثاء، فظَهَرنا عَلَيْهِ يوم السبت.

ويوم النيروز هَذهِ السنة يوافق يوم الخميس، وها نَحْنُ نتحرك لقتال عدونا هَذَا. فإذا ظهرنا عَلَيْهِ يوم الأحد، فسيكون هَذَا مِن الوقائع الغريبة.

وفِي يَـومِ السبت، جَاوَزَت العَرَبَـات [الجسر]. ولم يعبر الرِجَال أو يتقدموا للقتال، بل وقفوا بعيدا على أهبة الاستعداد.

وفِي وقتِ السَّحَر، أصدرتُ الأوامر بعبور الجُنْد. وما أن بدأنا دق الطبول، حَتَّى أبلغنا جند المُقَدِّمَة أن العدو ولَّى هاربا. فأصدرتُ الأوامر إلى چين تيمور سُلْطَان بالخروج بالجند وتعقب العدو. وكلفنا رِجَال مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك. وحسام الدين على خليفة، ومحب على خليفة، وكوكي بابا قشقة (٣٣٨أ) ودوست مُحَمَّد بابا قشقة، وباقي التاشْكَنْدي وولي قيزيل بالخروج معه وإطاعة أوامره.

وفِي وقتِ السُّنه، عبرتُ الجسر، وأصدرتُ الأمر أن تجتاز الإبل المَخَاضَة الواقعة فِي الجنوب قليلا. وفِي ذَلِكَ اليوم وهو يوم الأحد، نزلنا بضّفَّة « قراسو » على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «بنكر ماوو» . ولم يتحرك المكلفون بتعقب [العدو] بالشكل المناسب. ونزلوا فِي «بنكر ماوو».

وتحركنا مِن هُنَاكَ وقت الظهر مِن ذَلِكَ اليوم. وفِي اليوم التَّالِي، نزلنا بشاطئالبحيرة الواقعة أمام «بنكر ماوو». وفِي ذَلِكَ اليوم جاء توخته بوغه سُلْطَان، ابن خالي الخان الصغير [(١)] والتزم.

وفِي يَومِ السبتِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ جمادى الآخر، تفرجنا على« لكنو»، واجتزنا «نهر كوي سو» ونزلنا. وفِي ذَلِكَ اليوم، اغتسلتُ فِي «نهر كوي سو». ولا أعرف هل دخل الماء أذني أم أصابتني بروده، فقد أصبحتُ لا أسمع بأذني اليمنى. لكنى برئتُ مما أصابها بعد بضعة أَيَّام. ونحن على مَسَافَة منزلٍ أو اثنين مِن «أود»، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ چين تيمور سُلْطَان، وأبلغنا أن العدو يقيم بالجانب الآخر مِن «نهر سَرْو»، وطلب المساعدة. فأرْسَلْنا لنجدته زهاء ألف فتى مِن قوات القلب بقيادة قرا جه.

وفِي يَوم السبتِ السابعِ مِن شهر رجب، نزلتُ على مَسَافَة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ أعلى «أود». عِنْدَ مَوْضِع اتصال [نهر] «كَكَر» و[نهر] «سرو» [(٢)].(٣٣٨ب)

---

(١) أحْمَد خان خال بابر.

(٢) جاءت فِي الانجليزية سرد.

محاربة الشَّيْخ بايزيد عِنْدَ أود:

كان الشَّيْخ بايزيد حَتَّى ذَلِكَ اليوم فِي الطرف الآخر مِن «سرو»[1] قُبَالَة «أود»، وأثناء تدبر الأمر علم السُلْطَان بحيلته، فأرسل رسالة إلى [چين تيمور] سُلْطَان للتفاهم معه. ولحق قرا جه بالسُلْطَان [چين تيمور]، فأرسل رجلا إلى قرا جه وقت الظهر، وقرر عبور النَّهْر. وكان فرسان العدو البالغ عددهم زهاء خمسين [فارسا] معهم ثلاثة أفيال أو أربعة، يفرون بغير قتال. فقبضا على عدد منهم، وقطعا رؤوسهم وأرسلوها. وكانت مهمة بيخوب سُلْطَان وتردي بِك وبابا چهره، وقوج بِك وباقي شيغاول، أن يعبروا بعد السُلْطَان. وظل الذين عبروه أولا يتعقبون الشَّيْخ بايزيد حَتَّى صلاة العشاء.ودخل بايزيد أحد الأدغال، فكُتبت له النجاة.

وفِي المساء، نزل چين تيمور سُلْطَان بضَفَّة «قراسو»، وفِي منتصف الليل واصل التحرك فِي أعقاب العدو، وقطع طريقا بطول أربعين فَرْسَخا، حَتَّى وصل إلى موطن عائله [الشَّيْخ بايزيد] وعشيرته. ومن هُنَاكَ أرسلَ المهاجمين إلى كل صوْبٍ وحَدَبٍ. وذهب باقي شيغاول وعدد مِن المقاتلين فِي أعقاب العدو، ووصل إلى أهلِهِ وعشيرتِهِ وجاء بعدد مِن الأَفْغَان.

وتوقفنا فِي هَذَا المكان بضعة أَيَّام لتحقيق الضبط والربط فِي «أود» وهذه الأنحية. وقالوا: هُنَاكَ مَوْضِع جيد على مَسَافَة ستة أو سبعة فَرَاسِخ شمال «أود» على ساحل بحر سرو، فأرسلتُ مير مُحَمَّد جاله بان إلى هُنَاكَ. ورجع بعد أن رأى مَخَاضَة «نهر سَرْو» و«نهر ككر». (٣٣٩أ)

وفِي يَومِ الخميس الثامن عشر مِن الشهر، خَرَجْتُ للصيد.

***

(١) جاءت فِي الانجليزية سرد.

وقائعُ سنةِ تسعمائة وخمس وثلاثين[1]

فِي يَومِ الجمعةِ الثالثِ مِن شهرِ المحرم، جاء عَسْكَري [مِيرْزا] إلى حيث مكان راحتي الخاص والتزم، وكنتُ قد استدعيته قبيل حملة «چَنْدِيرِي» مِن أجْلِ أمر «مُلْتان».

وفِي اليومِ التَّالِي، جاء المؤرخ خواندامير، ومولانا شهاب معمائي، ومير ابراهيم قانوني قريب يونس على وكانوا قد غادروا «هَرَاة» مُنْذُ أمدٍ، فجاءوا والتزموا.

وفِي يَومِ الأحدِ الخامسِ مِن الشهر، جاوزتُ «جون» وقتَ صلاةِ العصر أنشد التفرج على «كواليار»، ويكتبونها كاليور، فدخلتُ قلعة «أَكْرا» لوداع البيجوم فخرجهان، والبيجوم خديجة سُلْطَان، وكانتا قد عزمتا على الذهاب إلى «كَابُل» خلال يومين أو ثلاثة، وتمنيتُ لَهُما رحلة طيبة ثُمَّ غادرتُ. والتمس مُحَمَّد زمان مِيرْزا الإذن وبقى فِي «أَكْرا». وفِي تلك الليلة، قطعنا مِن الطريق ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ، ونزلنا بحافة بحيرة، وهجعنا عندها.

تعمير دُولْپُور:

وتحركنا قبيل صلاة [الصبح]. وتناولنا طعامنا على ضفَّةِ «نهر كبير»، ثُمَّ غادرنا قبل صلاة الظهر. وأثناء الطريق، خلطنا الدواء الذي أعده المُلَّا رفيع على هيئة سفوف[2] بطحين القمح حَتَّى يتحسين مذاقه، وشربتُه. وكان طعمه كريها جدا وسيئ المذاق. وعقب صلاة العصر، وصلتُ إلى الحَدِيقَة والعمارة (٣٣٩ب) اللتين سبق وأمرتُ بإنشائها على مَسافَة فَرْسَخ غرب «دُولْپُور».

وتقع هَذهِ الحَدِيقَة والعمارة عِنْدَ مخرج جبل. ولأن هَذَا الطرف عبارة عن قطعة واحدة مِن حجر البناء الأحمر، فقد أمرتُ بالحفر حَتَّى سفح الجبل لاستخراج قطعة حجر كبيرة تكفي لإقامة مبنى مِن قطعة واحدة، وإذا لم يمكن إستخراج قطعة كبيرة تصلح لهذ، فليحفروا فِي الجزء المستوي مِن الحجر حوضًا مِن قطعة واحدة. غير أنه لم يمكن استخراج قطعة حجر كبيرة

---

(١) تقابل الفترة من ١٥ سبتمبر ١٥٢٨ إلى ٥ سبتمبر ١٥٢٩م.

(٢) السفوف كل دواء يابس غير معجون، المعجم الوجيز ١/٣١٣.

بالقدر الذي يسمح بعمل مبنى. وحسب أمرنا، أعدَّ الأستاذ شاه مُحَمَّد الحَجَّار رسما لحوض ثمانيّ الشكل على هَذَا الحجر الذي استخرجوه. وأمرنا أن يَعْمَل الحَجَّارين بجِدٍ لإنجاز هَذَا العمل على وجه السرعة.

وتنمو أشجارُ الكرزِ الهِنْدي والعنب، وغيرها مِن الأشجارِ مختلفة الأنواع كثيفة فِي الطرف الشمالي مِن مَوْضِع إنشاء الحوض، وأمرنا بعمل بئر ماء بين هَذهِ الأشجار ليذهب ماؤه إلى الحوض. وكادوا أن ينتهوا مِنْهُ. وفِي جهة الشمال الغربي مِن الحوض، أقام السُلْطَان سكندر سدًا يعلوه بناء، فيتجمع الماء فِي فصل المطر فِي الطرف العلوي مِن السَّد، فيكوِّن بحيرة كبيرة. والأطراف الشرقية لهذه البحيرة ذات حدائق، (١٣٤٠أ) كما أمرتُ بعمل مقاعد مِن قطعة واحدة مِن الحجر فِي هَذَا الجانب مِن البحيرة. وإنشاء مسجد فِي الجانِبِ الغربي.

وأمضينا يومى الثلاثاء والأربعاء فِي «دُولْپُور» لإنجازِ هَذَا العمل.

وتحركنا يوم الخميس، فجاوزنا نهر چَنْبَل، وصلَّينا الظهر على شاطئه، ثُمَّ تحَرَّكْنَا بين الصلاتين. فجاوزنا نهر كواري بين المغرب والعشاء، وأمضينا الليلة. وكانت المياه مرتفعة بسبب الأمطار، فعبرته الخيل طافية، وعبرنا نَحْنُ بالسفينة.

وتحركنا مِن هُنَاكَ فِي اليوم التَّالِي وكان يوم الجمعة الموافق يوم عاشوراء. و تناولنا طعام الغداء فِي قرية على الطريق. وفِي وقت صلاة العشاء، وصلنا حَدِيقَة چارباغ التي أمرتُ بإنشائها فِي السنة الماضية على مَسَافَة فَرْسَخ شمال «كواليار». ونزلتُ مِن هُنَاكَ.

دخول بَابُر كواليار:

وفِي اليوم التَّالِي تَحَرَّكْنَا بعد الظهر، وتجولتُ على التلال الواقعة شمال «كواليار»، ثُمَّ دخلتُ مِن بوابتها المسماه هاتي پول الملاصقة لقصر الراجه[1] مان سنك[2]. وعند صلاة العصر، جئتُ إلى قصرِ الراجه بكر ماجيت الذي كان يقيم به رحيم داد.

---

(١) لقب الملوك المحليين فِي الهِنْد ومنها ماهراجا وتعنى الملك الكبير.

(٢) حاكم كواليار.

إصابة بَابُر بألم فِي أذنه:

وفِي تلك الليلة، تناولتُ الأفيون بسبب ضيقٍ أصابني مِن أذنيّ، كما كان ضوء القمر سببا فِي هَذَا الضيق. وفِي اليوم التَّالِي، سبب لي الأفيون اضطرابًا كبيرًا، وقد تقيأتُ كثيرًا

مِن آثار الهِنْد:

ورغم هَذهِ المتاعب، طوَّفتُ بكلعمائر مان سنك وبكر ماجيت. وتفرجتُ عَلَيْها. (٣٤٠ب) وهي عمائر غريبة منفصلة عن بعضها وغير متناسبة، وكل العمائر مقامة مِن الحجر المنحوت. وعمائر مان سنك أجمل وأعلى مِن عمائر كل ملوك «الهِنْد». وقد أظهروا اهتماما كبيرا بالضلع الشرقي لعمارة مان سنك مقارنة ببقية الأضلاع. وارتفاعه يناهز أربعين أو خمسين ذراعا وكله مِن الأحجار المنحوته. وواجهتة مكسوة بالجص. وبعض مواضع العمارة مكون مِن أربعة طوابق. الطابقان السفليان معتمان تماما. وبعد أن توقفنا لفترة تبدد [إحساسنا] بالعتمة قليلا، فتجولنا فيهما على ضوء الشموع. ويعلوكل ضلع مِن أضلاع هَذَا القصر خمس قباب، بينها قباب صغيرة رباعية الحواف على النسق الهِنْدي. هَذهِ القباب الخمسة الكبيرة، مغطاة بطبقات مِن الذهب والنحاس، والجزء الخارجي مِن الجدران مغطي بالخزف الأخضر. وقد رسموا أشجار الموز على كل أطرافه بالصيني الأخضر. وفِي البرج الواقع فِي الضلع الشرقي تقع [بوابة] هاتي پول. فهم يُطْلِقُون على الفيل اسم هاتي، وعلى الباب اسم پُول. وقد وضعوا عِنْدَ مخرج هَذَا الباب مجسم فيل، وعلى ظهره اثنان مِن سائقى الأفيال؛ وهو كالفيل تمامًا، فقد جعلوه يشبهه إلى حد كبير. ولهذا يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم [أي بوابة الفيل]، (٣٤١أ) وفِي الطابق السفلي مِن هَذَا القصر ذي الأربعة طوابق نافذة تطل على الناحية التي بها مجَسَّم الفيل. حيث يرى مِنْها الفيل قريبًا. والطابق العلوي تعلوه القباب السابق ذكرها. أما الطابق الثاني فيضم قاعات الجلوس. وهذه القاعات أيضًا تقع فِي أماكن عميقة. وقد أنشئت على النسق الهِنْدي وهي أماكن قليلة الهواء.

وتقع عمائر بكر ماجيت ابن مان سنك فِي منتصف الجانب الشمالي مِنَ القَلْعَة. وهي لَيْسَت كعمائر والده. والقبة الكبيرة التي أقامها بالغة العتمة، ولكن يتبدد [الإحساس] بالعتمة بعض

الشيء بعد فترة. وتحت هَذهِ القبة الكبيرة يُوجَد مبنى أَصْغَر مِنْها قليلًا. لا يدخله الضوء مطلقًا مِن أي جانب. وفوق هَذهِ القبة الكبيرة، إبتنى رحيم داد جوسقا صغيرا بعض الشئ. وقد أقام رحيم داد فِي عمائر بكر ماجيت. ويخرج مِن عمائر بكر ماجيت هَذهِ طريق يؤدي إلى عمائر والده. وهو طريق جيد لا يظهر مِن الخارج، ولا يطل مِن الداخل على أي مكان، ويتسلل الضوء مِن بعض مواضعه.

تفرجنا على هَذهِ العمائر، ودخلنا المدرسة التي أقامها رحيم داد. وتفرجنا على الحَدِيقَة التي أنشأها رحيم داد على حافة الحوض الكبير فِي الطرف الجَنُوبِيّ مِنَ القَلْعَة. (٣٤١ب) ورجعنا فِي وقت متأخر إلى «چارباغ»حيث المعَسْكَر.

وقد غُرستْ فِي هَذهِ الحَدِيقَة زهورا كَثيِرَة، وتكثر فيها زهور الدفل الحمراء اللامعة، وهي فِي هَذهِ النواحي بلون أزهار الخوخ، أما زهور الدفل فِي «كواليار» فلونها أحمر قانى، وقد أخذتُ مِن «كواليار» بعضا مِن هَذهِ الزهور، وغرستها فِي حدائق «أَكْرا».

وجنوب هَذهِ الحَدِيقَة بحيرة كبيرة. تتجمع فيها المياه فِي فصل المطر، وغرب البحيرة معبد للأصنام. وقد بنى السُلْطَان شمس الدين ايلتمش[1] مسجدا جامعًا كبيرًا بجوار هَذَا المعبد، والمعبد مرتفع جدًا، ولا يعلوه بناء فِي القَلْعَة. ويبدو هَذَا المعبد وقلعة «كواليار» واضحان تمامًا مِن جبل «دُولْپُور» ويقولون: إن أحجار هَذَا المعبد جلبت كلها مِن هَذهِ البحيرة الكبيرة، وقد أقاموا فِي هَذهِ الحَدِيقَة جوسقا مِن الخشب منخفضًا بعض الشيء وغير متناسق الشكل، وعند باب الحَدِيقَة عملوا إيوانات على النسق الهِنْدي تخلو مِن الذوق.

وصف ادوا:

وفي ظُهرِ اليوم التَّالِي، خرجنا للتجول فِي الأماكنِ التي لم نشاهدها مِن «كواليار»، وتفرجنا على عمائر بادل كر خارج قلعة مان سينك. فدخلنا مِن بوابة هاتي پول. وذهبنا إلى المكان المسمي ادوا. وهذا المكان عبارة عن وادٍ فِي الطرف الغربي مِنَ القَلْعَة. ورغم أن موقعه

(١) شمس الدين ايلتمش الغورى المتوفي عام ١٢٠٦م.

خارج الحاجز المقام فوق الجبل، فإنهم شيدوا عِنْدَ مدخله جدرانًا عالية فِي مستويين. ويصل ارتفاع هَذَا الحاجز زهاء ثلاثين أو أربعين ذراعا. والجِدَار الداخلي أطول قليلًا، (٣٤٢أ) ويتصل بجِدَار القَلْعَة الكائنة عِنْدَ طرف الوادي. ويتصل بمنتصف هَذَا الجِدَار جِدَار ثالث منحنٍ قليلا وأقصر مِنْهُ وغير تام، أقاموه لحجز الماء. وفِي هَذَا الجِدَار، خزانا يتصل بالماء بمَدْرَج ذي عشر أو خمسة عشر درجة. وقد حفروا اسم السُلْطَان شمس الدين ايلتمش على حجر فوق الباب المؤدي إلى حائط الخزان. وتاريخه هو [سنة]٦٣٠[هـ] [1]. وعند سفح هَذَا الجِدَار الخارجي للقلعة بحيرة كبيرة. وغالبا إنها بحيرة لاينقص ماؤها. فماؤها يتدفق إلى حاجز الماء. وتوجد بحيرتان كبيرتان أخرتان داخل [وادي] ادوا هَذَا. وأهل القَلْعَة يفضلون ماء هَذهِ البحيرة على أي ماء آخر.

قيام بَابُر بتحطيم التماثيل العارية فِي ادوا:

ويحيط ادوا مِن ثلاثِ جهاتٍ جبلٌ واحدٌ أحجارُه لَيْسَت بحُمرة أحجار «بَيَانه»، وتبدو باهتة مقارنة بها. وقد نحتوا الأحجار الضخمة التي فِي أطرافِ ادوا، وصنعوا مِنْها مجسمات كبيرة وصغيرة. وفِي الطرف الجَنُوبِيّ مِنْها مجسم كبير يصل ارتفاعه تقريبًا إلى عشرين ذراع، وكل هَذهِ المجسمات عارية. ومواضع العورة مِنْها مكشوفة. وعلى أطراف هاتين البحيرتين الكَبيرتين فِي ادوا حفرنا عشرين أو خمسة وعشرين بئرًا. ومن مياه هَذهِ الآبار زرعنا الخضروات، وغرسنا الزهور والأشجار. وادوا مكان مقبول، ويعيبه وجود المجسمات حوله. فأمرتُ بهدم هَذهِ المجسمات.

ورجعتُ مِن ادوا إلى القَلْعَة، وتفرجتُ على بوابة سُلْطَان پول، وكانت سغلقة مُنْذُ زمن الكُفَّار. وجئتُ فِي المساء إلى الحَدِيقَة التي أمر رحيم داد بإنشائها، وأمضيتُ ليلتى هُنَاكَ.

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الرابعِ عشر مِن الشهر، جاء رِجَال مِن عِنْدَ بكر ماجيت الموجود فِي قلعةِ رنتنپور مع أمه پدماوتي وهو الابن الثاني لراناسَنْگا. وقبل الخروج للتجول فِي «كواليار»، جاء رجل هندوسي معتبر مِن رِجَال بكر ماجيت اسمه اسوك، وأظهر الولاء والطاعة، وأعلن

(١) يقابل عامى ١٢٣٢،١٢٣٣م.

أن [بكر ماجيت] مستعد لتسليم رنتنپور مقابل إعطائه مُقاطَعات بسبعين مائة ألف. فأنعمنا عَلَيْهِ بما طلب مِن مُقاطَعات، وسمحنا لَهُم [بالذهاب] على أن نلتقي فِي «كواليار» عِنْدَمَا أذهب للتفرج عَلَيْها. وقد تأخروا بضعة أَيَّام عن الوقت المحدد. وكان أسوك الهِنْدوسى هَذَا مِن الأقارب المقربين لوالدة بكر ماجيت. (٣٤٣أ) وهكذا، قام مع الإبن بدور الأم فاتفقا مع اسوك هَذَا ووافقا على [عرض] الصداقة والخدمة [لنا].

وعندما تغلب سنكا على السُلْطَان محمود وأَسَرَه، أخذ قلنسوته التاج، وحزامه الذهب ثُمَّ أطلق سراحه. وكانت تلك القلنسوة التاج، والحزام الذهب لدى بكر ماجيت. وعندما أصبح مكان والده، طلب مِنْهُ أخوه الأكبر الذي يحكم چيتور الآن القلنسوة التاج، والحزام الذهبي، لَكِنَّهُ رفض إعطائها له. وقد وعد عن طريق هؤلاء الرِجَال الذين جاءوا أنه سوف يعطيني التاج، والحزام الذهبي، وطلب بيانه مقابل [تسليمنا] رنتنپور. وقد وعدناه بشمس آباد فِي مقابل «رنتنپور» بدلا عن «بيانه». وفِي نفس اليوم، خلعنا على هؤلاء الرِجَال، وسمحنا لَهُم بالذهاب على وعد المجيء إلى « بيانه » بعد تسعة أَيَّام.

وصف معابد كواليار:

وَغَادَرْنَا حَدِيقَة [رحيم داد]، وطوفتُ بمعابد الأصنام فِي «كواليار». وكانت بعض معابدهم مكونه مِن طابقين أو ثلاثة. وهي طوابق منخفضة قليلا وعلى طراز قديم. وقد نحتوا على أطرافها مجسمات مِن الحجر. وفِي بعض المعابد حجرات تشبه حجرات المدرسة، قبابها عالية وكبيرة، وتعلو كل حجرة مِنْها قُبَّة مِن الحجر المنحوت. وفِي الحجرات السفلى مجسمات منحوتة [مِن الحجر]. (٣٤٣ب)

وبعد الفرجةِ على هَذهِ العمائر، برحتُ «كواليار» مِن بوابتها الغربية، ورجعتُ إلى القَلْعَة مِن الطرف الجَنُوبِيّ. وتفرجتُ على المكان، ثُمَّ جئتُ إلى چارباغ رحيم داد أمام [بوابة] هاتي پول. وقد أقام رحيم داد مأدبة فِي الچارباغ. وبعد مظاهر الضيافة والطَّعَام الطيب، قدم هدايا قيمتها أربعمائة ألف مِن النقد والبضائع. وغادرتُ هَذهِ الچارباغ فوصلتُ حديقتي فِي وقت متأخر.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن الشهر، ذهبتُ مَسَافَة ستة فَرَاسِخ جنوب شرق «كواليار» للتفرج على الشلال. وكنا قد تَحَرَّكْنا متأخرين قليلا. فوصلنا إلى الشلال عقب صلاة الظهر. وينهمر ماء الشلال مِن نبع على ارتفاع خمسة عشر أو ستة عشر قدمًا، ويكفي لإدارة ساقية. وهذا الماء يخرج مِن منبع واحد،وينهمر عبر صخرة واحدة، ثُمَّ ينسال مِنْها لأماكن متفرقة فيكوّن بحيرة. لَكِنَّهُ ماء غير دائم. وعلى حافة هَذَا الماء، صخور متفرقة يمكن الجلوس عَلَيْها. وجلسنا عِنْدَ الشلال، وأكلنا المعجون. ارتقينا إلى النقطة التي يبدأ مِنْها الماء وتفرجنا عَلَيْهِ، ثُمَّ رجعنا وجلسنا لفترة فوق أحدى الربا. وعزف العازفون الطنبور، وردد المغنيون بعض الأغاني. (٣٤٤أ) وعرَّفت شجرة الأبنوس التي يسميها الهنود تندو لمن لم يرونها مِن قبل. ثُمَّ رجعنا مِن هُنَاكَ، فهبطنا الجبل، وتحركنا بين المغرب العشاء. وعند الطرقة الثانية، آوينا إلى مكان هجعنا به. ووصلنا الچارباغ فِي الجزء الأول مِن اليوم.

وفِي يومِ الجمعةِ السابعِ عشر مِن الشهر، تفرجنا على القرية المسماه «سوهجنه» [١] مسقط رأس صلاح الدين [٢]، وعلى حدائق السدافل والليمون فِي الوادي الذي يتخلل الجبل فِي الطرف العلوي مِن القرية، ثُمَّ رجعنا إلى چارباغ فِي الجزء الأول [مِن الليل].

وفِي يَومِ الأحد التاسع عشر مِن الشهر، تَحَرَّكْنا مِن الچارباغ قبيل بزوغ الفجر وجاوزنا «نهر كواري»، ثُمَّ تناولنا الطَّعَام وتحركنا مِن هُنَاكَ بعد صلاة الظهر، فجاوزنا «نهر چَنْبَل» والشمس تميل إلى الغروب، ودخلنا قلعة «دُولْپُور» بين صلاتى المغرب والعشاء. وعلى ضوء المشاعل تفرجنا على الحمام الذي ابتناه ابو الفتح، ثُمَّ تَحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ ونزلنا عِنْدَ رأس السد فِي المكان الذي أنشأت فيه الچارباغ الجديدة.

وفِي اليوم التَّالِي، طوَّفتُ بالأماكن التي أنشأتها، وكانوا لم ينتهوا بعد مِن عمل الحوض المغطي الذي أمرنا بإنشائه مِن قطعة واحدة مِن الحجر. فأستكثرتُ مِن عدد الحجَّارين، وأمرتُ

(١) احدى قرى كواليار.

(٢) أحد امراء الهند اشترك مع رانا سنكا فِي حربه ضد بَابُر.

بحفر قلب الحوض كله دفعة واحدة حَتَّى يمكن تعيين مستوى المياة بداخله. وبعد صلاة العصر ،كانوا قد إنْتهوا تماما مِن حفرِ الحَوْض، فأمرنا أن يَمْلؤوه بالماء. (٣٤٤ب) وانشغلوا بِقِيَاسِ أَطْرَافه بالماءِ وتسويتها. كما أمَرْنَا بإنشاءِ مِيضأه تكون أرضيتها والحوض الصغير الذي بداخلها منحوتة مِن قطعةٍ واحدةٍ.

وفِي يَومِ الاثنين عقدنا جلسة [لتناول] المعجون.

وتوقفنا هُنَاكَ يوم الثلاثاء أيضًا.

وفِي ليلةِ[1] الأربعاء، تناولنا فطورنا، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا قاصدين «سِيكْري» . وفِي الفترة الثانية [مِن الليل] آوينا إلى مكان لنغفوا به. ويبدو أن تأثير البرودة كان قويا على أذني فقد آلمتنى بشدة فِي تلك الليلة. وجفانى النوم.

وتحركنا مِن هُنَاكَ مع بزوغ الفجر، وفِي الفترة الأولى [مِن اليوم] نزلتُ بالحَدِيقَة التي أقمناها فِي «سِيكْرِي» . وقد زجرتُ مَن يَعْملون فِي جِدَار الحَدِيقَة والبئر لأن العمل لم يَكُنْ على النحو المرجو، وأنزلتُ بهم الجزاء. ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مِن سِيكْري بين العصر والمغرب، ومررنا مِن مدهاكور، وآوينا بمكان ونمنا.

وجئتُ مِن هُنَاكَ إلى «أَكْرا» فِي الجزء الأول. وقمتُ بزيارة البيجوم خديجة سُلْطَان فِي القَلْعَة حيث إنها لم تستطع أن تذهب مع البيجوم فخر جهان بسبب بعض شؤومها. وجاوزتُ «جون»، وذهبتُ إلى «حَدِيقَة هَشْت بَهَشْت».

وفِي يَوم السبتِ الثالثِ مِن شهرِ صفر، ذهبتُ لرؤية ثلاث مِن عماتى الكبار اللواتي مررن مِن توته[2] ، ونزلن بضَفَّة النَّهْر على حافة الأحياء، وهن البيجوم كُهَر شاد، والبيجوم بديع الجمال، و البيجوم آق ومن السَيِّداتِ الصغار، البيجوم خانزاده حفيدة البيجوم زينب سُلْطَان، وابنه السُلْطَان مسعود مِيرْزا ، والبيجوم سُلْطَان بخت وزوجة أخ چيجام. فقابلتهن بين صلاتى

(١) كلما ليلة غير واردة فِي الترجمة التركية

(٢) اسم مكان على ضَفَّة نهر جون.

العصر والمغرب، ورجعتُ مِن هُنَاكَ بالسفينة. (٣٤٥أ)

وفِي يَومِ الاثنينِ الخَامسِ مِن شهرِ صفر، أرْسَلْنا هاموسى بن ديوه وهو مِن الموظفين الهنود القدامي فِي «بَهْرَه»، مع سفيرِيّ بكر ماجيت، لكى يأخذا عهدًا أو ميثاقًا حسب رسومهم ونظمهم، ويبلغاه بقبول رسالته وتسيلم رنتنپور. وكان رجُلنا الذي أرْسَلْناه هَذَا سينظر فِي هَذهِ الأمور بنفسه، ويدلي برأيه فيها، ثُمَّ يرجع. وقد وعدتُ [بكر ماجيت] أنه فِي حال التزامه بكلمته بما يرضي الله. فإنني سوف أقيمُه حاكما مكان والده، وأجلسُه على عرش چيتور.

وفِي تلك الأَيَّام، نفدت خزائن سكندر وابراهيم [اللودى] فِي «دِهْلي» و«أَكْرا».

وفِي يَومِ الخَميسِ الثامنِ مِن شهرِ صفر، أمرنا أن يدفعوا ثلاثين فِي المائة مِن كل ما تم جَمْعه إلى الديوان للإنفاق على تسليح الجُنْد، وتوفير البارود للمدافع، ورواتب رُماة البنادق.

وفِي يَومِ السبتِ العاشرِ مِن الشهر، أرسلتُ إلى «هَرَاة» للمرة الثانية مبعوث السُلْطَان مُحَمَّد بخش والمدعو شاه قاسم الذي حمل ذات مرة مراسيم الاستمالة إلى أهلِ «خُراسان». وكان مضمون المراسيم التي حملها هو أننا انتهينا بعون الله مِن الأعداء والكُفَّار فِي شرق «الهِنْد» وغربها (٣٤٥ب). وإننى حتما إن شاء الله سأذهب إلى هُنَاكَ هَذَا الصيف[1] أيا ما كان الأمر. كما أرسلتُ مرسوما آخر إلى أَحْمَد أفشار. وقد كتبتُ بخط يدي على هامش المرسوم استدعى فريدون القبوزي.

وفِي ذَلِكَ اليوم، بدأتُ تناول الزئبق.[ماء الفضة]

وفِي يَومِ الأربعاءِ الحادِي والعشرين مِن الشهر، أحضر أحد المشاة الهنود عرائض كمران والخوجه دوست خاوند. فقد وصل الخوجه دوست خاوند إلى «كَابُل» فِي اليوم العاشر مِن ذي الحجة. وبينما كان فِي طريقه إلى هُمايون. جاءه رجل مِن عِنْدَ كامران برسالة فحواها: ليتفضل الخوجه بالحضور للقائنا ومعه ما لديه مِن مراسيم، ثُمَّ يذهب [إلى هُمايون] بعد أن نتناقش فِي الأمر. وجاء كامران إلى «كَابُل» فِي السابع عشر مِن شهر ذي الحجة، وبعد أن تكلم مع

---

(١) جاءت فِي الانجليزية هَذَا الربيع.

الخوجه، تركه يذهب إلى قلعة الظفر [1] في الثامن والعشرين مِن نفس الشهر.

وكانت هَذِهِ العرائض تحوى أخبارا طيبة، فقد توجه الشاهزادة طهماسب لدفع الأُزْبَك. فهزم رينش الأُزبكي في دامغان، وأعمل السيف في رِجَاله. وعندما تحقق عُبيد خان مِن خبر القِزِلْباش، تحرك مِن ظاهر «هَرَاة» إلى «مَرْو»، واستدعي السلاطين مِن «سَمَرْقَنْد» وتلك الأنحية. فذهب كل سلاطين «ما وراء النَّهْر» (٣٤٦أ) لنجدته في «مَرْو».

كما أبلغنا ذَلِكَ القادم أن هُمايون رُزِق بغلام مِن إبنة يادكار طغائي. وأن كامران أيضا سيتزوج في «كابُل». ويأخذ ابنة عمه السُلْطَان علي مِيرْزا .

وفي ذَلِكَ اليوم، أمرنا بخلعة للسَيِّد الدكني الشيرازى، وأنعمنا عَلَيْهِ، وأمرناه أن ينهي البئر الفوارة [التي أمرنا بها] على خير وجه.

مرض بَابُر:

وفي يَومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن الشهر، عرض بى عارضٌ مِن الحُمّى حَتَّى أنني صليتُ الجمعةَ في المسجدِ بمعاناة. وقد صليتُ الظهرَ بعد وقتِه قضاءً في مكتبتي. وذَهَبَت عنى الحُمّى، لكنها عاودَتْني مرة ثانية يوم الأحد مع رعشةٍ بسيطة.

تحويل بَابُر رسالة الوالدية إلى نظم:

وفي مساءِ يومِ الثلاثاءِ السابع والعشرين مِن شهر صفر، جال بخاطري تحويل رسالة الوالدية لحضرة الخوجه عُبَيْد الله إلى نظم. والتجأتُ إلى روحه، وجال بفؤادى أن يَلقى نظمى هَذَا القبول عنده، ولاسيما أنه قَبِل ما نَظَمه صاحب البُرده [2] فبرئ مِن الفَلَج. ولو برئتُ أنا أيضًا مِن هَذَا المرض، يكون هَذَا دليلا على قبول ما نظمته. وبهذه النية بدأتُ في نَظْم الرسالة، على وزن الرمل المسدس والمخبون والمخبون المحذوف الناقص، وهو وزن سبحة [الأبرار] [3]

---

(١) تقع على ضَفَّة أحد فروع نهر جيحون بيم كهمرد و حُلم.

(٢) الإمام البوصيرى صاحب قصيدة نهج البردى في الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) منظومة في التصوف

لمولانا عبد الرحمن الجامى. وفِي تلك الليلة، نظمتُ ثلاثة عشر بيتًا. والتزمتُ بنظم ما لا يقل عن عشرة أبيات فِي اللَيْلِة الواحدة وما تركتُ هَذَا ليوم واحد. وكثيرا ما اعتراني مثل هَذَا المرض فِي العام الماضي، واستمر شهرا على الأقل أو أربعين يوما. وبعناية الله وهِمَّة رسوله، بدأت حالتي فِي التحسن قلبلًا.

وفِي يَومِ الخميسِ التاسعِ والعشرين مِن الشهر، بَرِأتُ مِنْهُ تماما.

وفِي يَومِ السبتِ الثامنِ مِن شهرِ ربيع الأول، أكملتُ نظم الرسالة. وقد كتبتُ فِي يَومٍ واحدٍ اثنين وخمسين بيتا.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثامنِ والعشرين مِن الشهر، أرسلتُ مراسيم إلى الجُنْد الموجدين فِي الأطراف والأكناف فحواها أننا: سنخرج إن شاء الله فِي حملة فِي أقرب فرصة، فلَيْسَتعد الجُنْد، وليأتوا على وجه السرعة.

وفِي يَومِ الأحد التاسع مِن شهر ربيع الأول، جاء السَيّد مُحَمَّد التعليق جى. وكان قد أحضر فِي آخر شهر محرم مِن العام الماضي خلعة وجوادا إلى هُمايون.

مولد ابن هُمايون مِيرْزا :

وفِي يَومِ الاثنين العاشر مِن الشهر، جاء بيككينه وَيْس لاغري، وأيضا الشَّيْخ بيان أحد رِجَال هُمايون، ليبلغنا ببشرى مولد ابنٍ لَهُمايون، وأنهم أطلقوا عَلَيْهِ اسم الأمان. وقد وضع الشَّيْخ ابو الوجد تاريخ (١٣٤٧أ) مولده [بحساب الجُمَّل] شه سعادت مند. وقد غادرنا الشَّيْخ بيان بعد بيكينكه بفترة طويلة. وكان قد جاء بسرعة إذ انفصل عن هُمايون فِي المكان المسمى دوشنبه يوم الجمعة التاسع مِن شهر صفر عِنْدَ « سفح كشم »، ووصل «أكْرا» يوم الثلاثاء[1] العاشر مِن شهر ربيع الأول. وذات مرة جاء الشَّيْخ بيان هَذَا مِن قلعة الظفر إلى «قَنْدَهار» فِي أحد عشر يوما.

(١) جاءت فِي الانجليزية يوم الإثنين.

انتصار طهماسب على الأُزْبَك:

وقد جاء الشَّيْخ بيان بخبر مجيئ الأمير [الشاهزاده طهماسب] وهزيمة الأُزْبَك. وتفصيل ذَلِكَ على النحو التَّالِي:

جاء الشاهزاده طهماسب مِن العراق على وجه السرعة بأربعين ألف رجل وقد نظم البنادق والعَرَبَات وفق الأصول الرومية. وهزم ازبك رينيش[1] فِي «بسطام» و«دامغان»[2]، وذبح رِجَاله وعبر بسرعة. كما انهزم قنبر على ابن كبك بى[3] أمام أحد رِجَال القِزِلْبَاش، وذهب إلى عُبيد خان بعدد محدود مِن رِجَاله وانضم إليه. واستحال على عبيد خان البقاء بجوار «هَرَاة»، فأرسل على وجه العجلة رجلًا إلى الخانات والسلاطين فِي «بَلْخ» وحِصار و «سَمَرْقَنْد» و«تاشْكَنْد» وجاء بنفسه إلى «مَرْو». فجاءوه على الفور واجتمعوا به. وقد جاء كل السلاطين، إذ جاء مِن «تاشْكَنْد» باراق سُلْطَان الابن الثاني لسيونجك خان، ومن «سَمَرْقَنْد» وميان كال جاء كوچوم خان، وأبو سعيد سُلْطَان، وبولاد سُلْطَان، (٣٤٧ب) وجاني بِك سُلْطَان وأبناؤه، وجاء حمزة سُلْطَان، ومهدي سُلْطَان[4]، مِن «حِصار»، ولحقوا بعبيد خان فِي «مَرْو». فبلغ عددهم مائه وخمسة آلاف رجل. وقد أبلغهم جاسوسهم أن الشاهزادة [طهماسب][5] جاء على وجه السرعة مع أربعين ألف رجل لظنه أن عُبيد خان يقيم فِي أنحية «هَرَاة» مع عدد محدود مِن الجُنْد، ولكنه عِنْدَمَا علم بأمر هَذَا التجمع [للخانات والسلاطين]، قام مِن فوره بحفر الخنادق بجوار رادكان ورابط هُنَاكَ. ولم يكترث الأُزْبَك بعدوهم رغم عِلمهم

---

(١) والى عبيد الله خان على استراباد.

(٢) جاءت فِي الانجليزية:أخذ بسطام وذبح رنيش ازبك ورِجَاله فِي دامغان.

(٣) احد رِجَال شَيْبَاق خان الأُزبكي.

(٤) ورد فِي الانجليزية ونشر ايجى مانوا عبارة وجاءكيتن قرا سلطان من بَلْخ، وجاء فِي الفارسية، وابناه حمزة سلطان ومهدى سلطان من بَلْخ.

(٥) أضافت الترجمة الفارسية كلمة الصفوي.

بهذا، وبعد المشاورة قالوا: إن كل الخانات والسلاطين يقيمون فِي «مَشْهَد». ويتحتم عَلَيْنَا أن نعين عددا مِن السلاطين ومعهم عشرين ألف جندي ليقيموا على مقربة مِن معَسْكَر القِزِلْباش، حَتَّى نضيّق على العدو. وعندما تدخل الشمس برج العقرب، نأمر السَّحَرة بعمل السِّحر فنُعْجِز العدو وننتصر عَلَيْهِ؛ قرروا هَذَا وغادروا «مَرْو». وخرج الشاهزادة [طهماسب] مِن «مَشْهَد» ونازل الأُزْبَك بأنحية جام وخركرد فتغلب عَلَيْهِم. ووقع كثير مِن السلاطين فِي الأسر وقتلوا. وكتبوا أيضًا فِي هَذهِ الرسالة أنه غير مؤكد نجاة أي مِن السلاطين سوي كوجوم خان (٣٤٨أ) فلم يرجع حَتَّى الآن أحد ممن كانوا مع الجُنْد، وأن السلاطين الذين فِي «حِصار» تركوها وخرجوا. وأن چلمه بن ابراهيم خان واسمه الأصلي إسماعيل، فِي قلعة «حِصار».

رسالة بَابُر إلى هُمايون:

ورجع الشَّيْخ بيان هَذَا على وجه السرعة ومعه الرسائل المكتوبة إلى هُمايون وكامران.

وفِي يَومِ الجمعةِ الرابعِ عشر مِن الشهر، جَهَّزْتُ الر سائل والخطابات، وسلمتُها إلى الشَّيْخ بيان، وأذنا له بالذهاب. فغادر «أَكْرا» فِي يَومِ السبت الخامس عشر مِن الشهر.

وهذه هي مسودة الرسالة التي كتبتُها إلى هُمايون:

هُمايون بعد السلام عليك، والشوق الزائد إليك؛ أما بعد، فقد جاء بيككينه، والشَّيْخ بيان يوم الاثنين العاشر مِن شهر ربيع الأول، وقد فهمنا جيدا الوضع هُنَاكَ مِن خلال الرسالة والعرائض:

نحمد الله أن رزقكم غلاما بحق،

ليكون قرة عين لي وابنًا لك

ونسأل الله أن يديم عليك وعلينا هَذهِ السعادة، آمين يا رب العالمين. أما وقد أطلقتَ عَلَيْهِ اسم الأمان، فإنني أري أن النَّاس مع كثرة ترديد الاسم سينطقونه آلاما أو ايل امان، (٣٤٨ب) فالألف واللام فِي الأسماء غير شائع [بيننا]. ونسال الله أن يجعله مباركا فِي روحه وذاته، ويحفظه لي ولك سنينا مديدة وقرونا عديدة، محفوفا بالدولة والسعادة.

لقد انتظمَت أعمالنا بفضل الله العظيم وكرمه. وبلغَت ما لن تبلغه مِن قبل أبدا.وفِي يَومِ الثلاثاء الحادي عشر مِن الشهر، بلغتنا أراجيف أن أهل «بَلْخ» استدعوا قُربان[1] وأدخلوه [القَلْعَة].

وقد أصدرتُ الأوامر إلى كمران وأمراء «كَابُل» بالانضمام إليك لتخرجوا إلى ««حِصار» أو «سَمَرْقَنْد» أو أي ناحية[2] ترون فيها صلاح الدولة فتقهروا الأعداء بعناية الله، وتحوزوا الولايات، فيسعد بذَلِكَ الأصدقاء، ويلحق العار بالأعداء إن شاء الله تعالى. فقاتل بلا هوادة، ولا تتهاون فِي أمر بلغ بابك. فالتراخي ليس مِن شِيَم السَّلْطَنَة:

اعلم أن الفتح لا يكون بالتوقف.

وأن الدنيا تسرع بالدوران

وأن السكون وإن صلح لِكُلِّ أمر،

فإنه لا يصلح لصاحب السُلْطَان

فإذا مَنَّ الله عليك بولايتي «بَلْخ»، وحِصار وسَخَّرَهُما لك، فاجعل أحد رِجَالك فِي «حِصار»، وأخاك كامران فِي «بَلْخ». وإذا سخر الله لك بعنايته «سَمَرْقَنْد»، فلتتخذها مستقرا لك ومقاما. وإن شاء الله سوف أجعل ولاية «حِصار» خالصة [للسلطنة]. (٣٤٩أ) وإذا رأى كامران أن «بَلْخ» قليلة عَلَيْهِ، فاعرِض الأمرَ عَلَيْنَا، وإن شاء الله سوف نُكْمِل له هَذَا النقص مِن هَذِهِ الولايات. ثُمَّ أعلم أن القاعدة الواجبة الإتباع دوما هي؛ إن أصبت من شيء ستة أسهم، فنصيب كامران خمسة. والزم هَذِهِ القاعدة دومًا ولا تتجاوزها. وأحسِن معاملته، واصبِر عَلَيْهِ، فالصبر مِن شِيَمِ الكِبار، وآملُ أن يُبادلك المُعاملة الطيبة بمثلِها. فهو شابٌ طيبٌ يحترمُ الشريعة. كما إنه لا يُقَصِّر فِي الالتزام بنا ومعنا على هَدَفٍ واحِدٍ.

(١) قربان الجرخي أحد قواد بابُر.

(٢) جاءت فِي الانجليزيةحصار و سَمَرْقَنْد وهراة

أما بعد، فِي نفسي عتاب عليك. فمنذ سنتين أو ثلاث، لم يأت إلينا رجل مِن عندك، كما أن رسولنا إليك، رجع إلينا بعد عام كامل. أيصح هَذَا ؟.

وبعد، أراك تَكْتُبَ في رسائلك كلمة أنا بمفردي وتُكررها، وهذا الكلمة عَيْبٌ فِي السَّلْطَنَة. ولاسيما إنهم قالوا:

ارضَ بالقيْدِ إن كان فِي قدمك

وافعل ما شِئْتَ إن كُنْتَ على ظَهْرِ الجَوَاد وحْدَكَ

فليس هُنَاكَ قيد مثل السَّلْطَنَة. ولا تجتمع السَّلْطَنَة والأنانية.

وبعد، فقد ذكرت إنك لا تقرأ رسائلي التي أكتبها. وإن أردت أن تقرأها (٣٤٩ب) لا تستطيع. وكان ينبغي أن تغير مِن حالك، أما رسائلك التي ترسلها إليّ فأقرؤها بِصُعُوبَةٍ، فعباراتها مبهمة. فلم نر مِن قبل الألغاز تكتب نثرًا. فإملاؤك غير صحيح فِي الأغلب، لَكِنَّهُ ليس بسيء، فقد كتبتَ كلمة التفات بالطاء، وكلمة قولنج بالياء. وإن تمكنتُ مِن قراءة رسالتك، لا أفهم تمام المقصود مِنْها بسبب ألفاظك المغلقة. وأغلب الظن أن هَذَا هو سبب تكاسلك فِي الكتابة. فرغبتك فِي التكلف هي السبب فِي غلق المعاني، وينبغى مِن الآن أن تكتب بغير تكلف، وتستخدم كلمات واضحة وبسيطة. وبذَلِكَ يسهل الأمر عليك، وتسهل القراءة.

وبعد، فإنك بصدد أمر عظيم. عليك فيه بمشورة العارفين به، والأمراء أصحاب الرأي والتدبير. والعمل بمشورتهم.

وإذا كنتَ تريد سعادتي، فاترك الخلوة والعزوف عن النّاس. ولا تغفل عن دعوة أخيك الصغير والأمراء والشيوخ ولقائهم مرتين في اليوم، ومشورة هؤلاء الصادقين المحبين للدولة فِي كل أمر يَعنُّ لك واتخاذ القرار تبعا لاتفاقهم.

وبعد، .فلتكن علاقتك مع الخوجه كلان وثيقة مثلما كانت علاقتي به، فقد كانت علاقتنا وطيدة (٣٥٠أ) ولو كانت الأعمال فِي «بَلْخ» مَيْسَرَة بعناية الله، ولم تكن هُنَاكَ حاجة إلى كامران، فليأت إلينا، وليترك فِي «بَلْخ» مَن يراه مِن الرِجَال الأكفاء.

أما بعد، فقد استبشرتُ خيرا بكَابُل، فهذا القدر مِن الفتوح والانتصارات جرت أثناء مقامى فِي «كَابُل»، لذا فقد اتخذتها خاصة لي. فلا تجعلها مطمعا لأحد مِن عندك قط.

وبعد، فلقد أحسنتم التصرف مع سُلْطَان وَيْس، ونجحت فِي الاستئثار بقلبه. فاتخذه عَضُدًا لك، ولتَعْمَل بمشورتِهِ. فهو رَجُلٌ مسموع الكَلِمة. وعلَيْكَ بجَمْعِ الجُنْد والسَّيْر بهم حسبما سيبلغك به الشَّيْخ بيان شَفَاهَةً؛ وسلامٌ مُفْعَمٌ بالشَّوْقِ إلَيْكَ.

حُرر فِي يَومِ الخَميس الثالث عشر مِن شهر ربيع الأول.

وحررتُ بيدي رسائل بهذا المعنى إلى كامران، والخوجه كلان.

وفِي يَومِ الأربعاءِ التاسعِ عشر مِن الشهر. استدعيتُ الأُمَرَاء [التَّيْمُورِيين] والسلاطين وأمراء الترك و«الهِنْد» وتداولنا الأمر، وقررنا ما يلي:

سنخرج هَذِهِ السنه حتما فِي حملة على بعض الأماكن، فليسبقنا عَسْكَري [مِيْرزا][1] إلى «پُورَب». وينضم إليه السلاطين والأمراء والجند الذين فِي ذاك الجانب مِن «نهر كُنْك»، ويتوجه إلى حيث يروا أن صلاح الدولة فِي التوجه إليه.

وقد كتبتُ بهذا فِي يَومِ السبت الثاني والعشرين مِن الشهر، (٣٥٠ب) وكلفتُ غياث الدين القورچي، بالإسراع إلى أمراء «پُورَب» وعلى رأسهم السُلْطَان جُنَيْد برلاس، وأمهلناه ستة عشر يومًا. وليبلغه شفاهة، إننا أرسَلْنا عَسْكَري [مِيْرزا] قبلنا لتجهيز المدافع والعَرَبَات والبنادق وسائر لوازم الحرب، وإلى أن يتم تجهيزها، يستعد كل السلاطين والأمراء الذين فِي ذاك الجانب مِن «نهر كُنْك» وينضموا إليه. وإذا ظهر بعد مشاورة المخلصين هُنَاكَ، أن صلاح الدولة في السَّيْر إلى جهة ما، فليتحركو إلى تلك الجهة بعناية الله، وإذا كان هُنَاكَ ما يستدعى حضورى، سأتحرك مِن فورى بمجرد عودة رسولنا إن شاء الله تعالى. وإذا أظهر البنكالى[2] أنه معنا، ومخلص لنا، ولم تكن هُنَاكَ حاجة لمجيئي، فأعرضوا عَلَيْنَا الأمر مفصلا. واخرجوا مع عَسْكَري

---

(١) عسكرى ميرزا ابن بَابُر من زوجته كل روح، كان فِي الثانية عشر من عمره عند وفاة بَابُر.

(٢) نصرت شاه.

[مِيرْزا]بمشورة المخلصين إلى مكان آخر، وأبلغونا بنتيجة ما قمتم به فِي تلك الجهات بعناية الله.

وفِي يَومِ السبتِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ ربيع الأول، خلعتُ عَلَى عَسْكَري [مِيرْزا] خلعة سُلْطَانية، وخنجر ذو حزام مرصع، وأنعمنا عَلَيْهِ براية، وطوغ، وطبل، وخيول أصيلة، وعشرة أفيال، وقطيع من الإبل، وآخر من البغال (٣٥١أ) وكل الأَسْبَاب والآلات السُلْطَانية الأخرى. وقررنا أن يأخذ مكانه فِي رئاسة الديوان. وأحسنا على مولاه واثنين مِن مربيه بصدريات ذات أزرار. وعلى سائر رِجَاله بثلاث أطقم ملابس ذات تسعة [أجزاء].

وفِي يَومِ الأحدِ اليوم الأخير مِن الشهر، توجهتُ إلى منزلِ السُلْطَان مُحَمَّد بخشى فمد البساط، وأحضر هداياه. وقدم هدايا مِن المال والمتاع تزيد قيمتها على مائتى ألف. وبعد تقديم الهدايا انتقلنا إلى حجرة أخرى مِن البيت، حيث أكلنا المعجون. وخَرَجْتُ مِن هُنَاكَ فِي الفترة الثالثة، وجاوزتُ النَّهْر، وتوجهتُ إلى بيتي الخاص.

وفِي يَومِ الخميسِ الرابعِ مِن شهرِ ربيع الآخر[1]، تقرر ما يلي:أن يقوم چيقماق بِك، وشاهي التمغاچي الذي سيكون بمثابة كاتبًا له، بقياس المسافة مِن «أَكْرا» إلى «كَابُل»، ويقيما برجا بارتفاع اثنى عشر ذراعًا كل تسعة فَرَاسِخ تعلوه غرفة. ويربطا بين كل ثمانية عشر فَرْسَخا بستة خيول للبريد. ويخصص راتبًا لرجل البريد، والسايس، وعليق الخيل. وكان الأمر أنه، إذا كانت أماكن عمل خيل البريد قريبة مِن أملاكنا الخاصة، فلتؤمِن هَذهِ الأشياء مِنْها. وإلا فلتؤمنوها مِن أمير المقاطعة القريبة منكم.

مقاييس الهِنْد:

وفِي ذَلِكَ اليوم، غادر چيقماق، وشاهي «أَكْرا»، وقد حسبوا هَذهِ الفَرَاسِخ بالأميال ولاسيما إنه ورد فِي المُبَيّن أن: (٣٥١ب)

- الأربعة آلاف قدم هي ميل.
- وأعلم أن أهل «الهِنْد» يسمونه كروه

(١) جاءت فِي التركية شهر ربيع الأول.

- والذراع ونصف الذراع هي قدم،
- وأعلم أن فِي كل ذراع ستة توتام
- وكل توتام أربعة أصابع
- وأعلم أن كل إصبع ست حبات شعير

كما ورد به أن خيط المقياس طوله أربعين قدما على حساب أن القدم يساوي تسعة توتام، ويساوي ذراعا ونصف. وهكذا فإن المائة مِن هَذَا الخيط تساوي فَرْسَخا.

استقبال سفراء القِزِلْباش والأُزبك والهنود:

وفِي يَومِ السبتِ السادسِ مِن الشهر، أَقَمْنا وليمة حضرها سفراء القِزِلْباش والأُزبك، والهنود. وقد جلس سفراء القِزِلْباش جهة اليمين فِي خيمة أقيمت لَهُم على مَسَافَة سبعين أو ثمانين ذراعا، وقد أمرتُ أحد الأُمَرَاء وهو يونس على بالجلوس معهم.كما جلس سفراء الأُزْبَك جهة اليسار وبذات الطريقة، وأمرتُ أحد الأُمَرَاء ويدعى عبد الله بالجلوس معهم. وجلستُ فِي السرادق الذي أقمتُه حديثًا فِي الضلع الشمالي، وهو ثُمانيّ الشكل، ويكسوه نبات. وعلى مَسَافَة خمسة أو ستة أذرع عن يميني، جلس توخته بوغه سُلْطَان،، وعَسْكَري [مِيرْزا]، وأبناء السادة المشايخ وهم الخوجه عبد الشهيد، والخوجه كلان، والخوجه چشْتى، وخليفة والحُفَّاظ والمدرسين مِن أتباع السادة المشايخ الذين جاءوا مِن «سَمَرْقَنْد». وعلى مَسَافَة خمسة أو ستة (٣٥٢أ) أذرع عن شمالي، جلس مُحَمَّد زمان مِيرْزا، وتانك أتميش سُلْطَان، والسَيِّد رفيع، والسَيِّد الرومي، والشَّيْخ ابو الفتح، والشَّيْخ جمالي، والشَّيْخ شهاب الدين العربى، والسَيِّد الدكني. وقبيل الطَّعَام، قدَّم جميع السلاطين والخانات والأكابر والأمراء هدايا مِن جنس الذهب والفضة والنحاس وأقمشة وأشياء أخري. وأمرتُ بمد بساط أمامي، وضعوا فوقه هَذَا الذهب والفضة. وضعوا بجانبه، القماش الحرير وأكياس النقود. وأثناء تقديم الهدايا قبيل تناول الطَّعَام، بدأت الأفيال والإبل الهائجة فِي الجزيرة المقابلة لنا فِي التضارب. كما جلبوا أيضًا عددًا مِن الكباش للتناطح، ثُمَّ تصارع المصارعون. وبعد مأدبة كبيرة، خلعتُ على كل مِن الخوجه عبد الشهيد،

والخوجه كلان غطاء رأس مِن قماش رقيق وخلع مناسبة.

وكسونا الذين جاءوا تحت رئاسة المُلّا فرخ، وحافظ صدريات، كما أحسنا على سفير كُچوم خان، والأخ الأَصْغَر لحسن چلبي بغطاء رأس مِن القماش، وملابس مِن الفراء ذات أزرار، وخلع تناسب مكانتهما.

وأحسنا على ابو سعيد سُلْطان، ومِهْرَبَان خانم، ورُسُل ابنها بولاد سُلْطَان، ورسول شاه حَسَن، بصدريات ذات أزرار وقماش (٣٥٢ب) وملابس. وأحسنا على الشَّيْخين وعلى الرسولين؛ رجال الخان الصغير وأخو حَسَن چلبى الصغير، بذهب بميزان الفضة وفضة بميزان الذهب. وميزان الذهب يساوي خمسمائة مثقال، ويساوى سِير بميزان «كابُل». وميزان الفضة يساوي مائتان وخمسين مثقالا، وبميزان «كابُل» يكون نصف سِير.

وأحسننا كذَلِكَ على الخوجه مير سُلْطَان وعلى أبنائه[1] وسائر السفراء الآخرين بالذهب والفضة. وأحسنا على يادیکار ناصِر بخنجر ذي حزام، وأعطينا مير مُحَمَّد جاله بان إحسانًا مناسبا لقيامه بِبَناء الجسر عِنْدَ «نهر كُنَكْ».وأحسنا بخنجر على كل مِن مُحَمَّد هَذَا و پَهْلِوان حاجي مُحَمَّد و پَهْلِوان بهلول، وولي پارسچي وهم مِن رُماة البنادق، كما أحسنا على ابن الأستاذ على قُلي بخنجر. وعلى السَيِّد داود كر مسيري بالذهب والفضة. وعلى رِجَال ابنتي معصومة، وابني هِندال بصدريات ذات أزرار، وخلع مِن القماش. وأحسننا على مَن جاءوا مِن «أنْدِجان»، ومِن الأماكن التي تجولنا بها عِنْدَمَا كنا بلا وطن وبلا ولاية، والذين جاءوا مِن «سوخ» و«هشيار»، بصدريات وخلع قماش والذهب والفضة، ومن كل الأشياء. كما أحسنا على رِجَال قُربان ورجَال شيخي وعلى رِجَال «كاهْمَرد » (٣٥٣أ) بما يشبه ذَلِكَ.

ألعاب الهِنْد:

وبعد الوليمة، أمرتُ بمشاهدة الألعاب التي أتى بها لاعبو «الهِنْد»، فلعبوا وأظهروا مِن مهاراتهم ما لم نره عِنْدَ لاعبينا. ومنها؛ أن يأت أحدهم بسبع حلقات، فيضع جبهته على واحدة

---

(١) أضاف إيجى مانو (وعلى ملازمى الخوجه وعلى رأسهم حافظ تاشكندى، والمُلا فرخ)

مِنْها، وركبتيه على اثنين، وأصابع يديه على اثنين، وكذا أصابع قدميه على اثنين، ويدور بها بسرعة وبغير توقف. ولعبة أخري؛ مثل سير الطاووس، فيضع يدا على الأرض، ويده الأخرى والقدمين معلقة فِي ثلاث حلقات، ويدور بسرعة وبغير توقف. ولعبة أخري قام أحد لاعبينا بربط قطعتين مِن الخشب فِي قدميه، ومشى بهما. أما [لاعبو الهِنْد] فقد قاموا بعمل مسند للقدم فِي هَذِهِ الساق الخشبية، ويمشون بهذا المسند بدون أن يربطوه. [بقدمهم] ولعبة أخري، أن يمسك اثنان مِن لاعبينا ببعضها البعض. ويدخلون ويمرون مِن حلقتين معلقتين، أما لاعبو «الهِنْد» فيربط أحدهما وسطه بطرف صارى طوله ستة أو سبعة أذرع، ويتسلق الآخر الصارى، ويؤدى ألعابه فوقه. ولعبة أخرى، أن يصعد لاعب صغير فوق رأس لاعب آخر كبير، ويقف بدون أدنى حركة، بَيْنَمَا يسير اللاعب الآخر بسرعة يمينا وشمالا، وبينما يستعرضون مهارتهم، نجد أن ذَلِكَ اللاعب الصغير يظهر أيضا مهارته بأن يقف ثابتا تماما فوق رأس اللاعب الآخر بدون حركة. وقد جاء راقصون كثر ورقصوا. وقبيل المساء، نثرنا نقودا كَثِيرَة مِن الذهب والفضة والنحاس، فحدث زحام وجلبة كبيرة. وبين المساء والعشاء، قربتُ خمس أو ست مِن الأصدقاء المقربين، وأجلستهم بجوارى. فجلسوا لمدة تزيد عن فترة [مِن الليل]. وفِي اليوم التَّالِي، فِي الفترة الثانية ركبنا السفينة، وجئنا إلى هَشْت بِهَشْت.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء عَسْكَرِي [مِيرْزا] المتجه[بجنده إلى أَكْرا] إلى الحمام للاستئذان، وتحرك صوب الشرق.

وفِي يَومِ الثلاثاء، ذهبتُ لرؤية الحوض والبئر اللذين أمرتُ بِبَنائِها فِي «دُولْپُور». وتحركتُ مِن الحَدِيقَة فِي الجزء الأول مِن الفترة الأولي [مِن اليوم]. ووصلتُ إلى «حَدِيقَة دُولْپُور» فِي وقت متأخر فِي الجزء الخامس مِن الفترة الأولي مِن الليل.

وفِي يَومِ الخميس الحادي عشر مِن الشهر، تمت البئر، وستة وعشرين صنبورا، وعمودا مِن الحجر، وميزابات الماء وكلها نُحتت مِن قطعة واحدة مِن الحَجَر.

وبدأ سحب الماء مِن البئر مِن الفترة الثالثة مِن ذَلِكَ اليوم. وقد أحسننا على العمال

والنجارين والحجارين الذين عملوا فِي «دُولْپُور»، (٣٥٤أ) وكذا على العمال والمشرفين الذين فِي «أَكْرا»، وأمرنا بسحب المياه، وتشغيل الساقية ليل ونهار دون توقف لمدة خمسة عشر يوما مِن قبيل الاحتياط، حَتَّى تذهب الرائحة مِن ماء البئر.

تحركتُ مِن «دُولْپُور» وقد بقي جزء واحد مِن الفترة الأولي مِن يوم الجمعة، وجاوزنا النَّهْر قبل غروب الشمس.

الحرب بين التُّرْكُمان والأُزبك:

وفِي يَومِ الثلاثاءِ السادسِ عشر مِن الشهر، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ ديو سُلْطَان الذي يتحارب مع القِزِلْباش والأُزبك وقرر الآتي:

فِي يَومِ عاشوراء، دارت الحربُ بالمعني الكامل بين التُّرْكُمان والأُزبك فِي نواحي جام وخركرد، واستمرت مُنْذُ الصباح وحَتَّى وقت الظهر، وقال: إن الأُزْبَك كانوا ثلاثمائة ألف رجل، والتُّرْكُمان أربعين أو خمسين ألفا فِي حين أن سوادهم هيأ [لمن يراه]أنهم مائه ألف. لكن الأُزْبَك كانوا يبدون وكأنهم مائه وخمسة آلاف. وقد رتب القِزِلْباش العَرَبَات والمناجيق والبنادق على النسق الرومى[1]. ونظموا أنفسهم وتحاربوا. وكان معهم ألفي عربه وستة آلاف بُنْدُقِيَّة، وكان الشاهزاده [طهماسب]، وجوحه سُلْطَان ومعهم عشرين ألف مِن الفتيان يقفون متحصنين وسط العَرَبَات. وأمراؤه يقفون خارج العَرَبَات ينظمون جناحي المَيْمَنَة والمَيْسَرَة. (٣٥٤ب)

وجاء الأُزْبَك، وهاجموا الرجَال الذين خارج [العَرَبَات] وأوسعوهم ضربا، وأحاطوا بهم مِن الخلف، واستولوا على كثير مِن الإبل والمتاع. وفِي النهاية، فتح مِن بداخل العَرَبَات السلسلة التي تربط العَرَبَات وخرجوا لَهُم. ودارت حرب ضروس. وحملوا على الأُزْبَك ثلاث مرات، فهزموهم بفضل الله تعالى وأسروا تسعة سلاطين وعلى رأسهم كوچوم خان، و عُبيد خان، وأبو سعيد سُلْطَان. وبقي ابو سعيد سُلْطَان على قيد الحياة. بَيْنَمَا قُتل السلاطين الثمانية

---

(١) تعنى النسق العثمانى.

الآخرين. وقد عثروا على جثمان عُبيد خان سُلْطان دون الرأس. وقد قتل مِن الأُزْبَك خمسين ألفا، ومن التُّرْكُمان عشرين ألف.

وفِي نفسِ اليوم، جاء غياث الدين القورچي الذي انظرناه ستة عشر يوما للذهاب إلى جونپور. وكان السُلْطان جُنَيْد ورجاله قد أرسلوا الجُنْد إلى خَرِيد. ولهذا لم يستطع أن يصل فِي المُهلة المحددة له. جاء رد السُلْطان جُنَيْد يقول: الحمدالله؛ لم يحدث فِي هَذهِ النواحي ما يستدعي تحرك السُلْطان. ولو جاء المِيرْزا وأمر السلاطين والخانات والأمراء فِي هَذهِ النواحي بالتحرك معه، فإننا نأمل أن تجرى الأمور يسيرة. (٣٥٥أ)

وكنا قد أرْسَلْنا المُلّا مُحَمَّد مذهب بسفارة إلى البنكاله بعد معركة الكَافِر [رانا] سنكا. وكنتُ فِي انتظار خبر عنه فكانوا يقولون إنه سيرجع اليوم أو غدًا.

وفِي يَومِ الجمعةِ التاسعِ عشر مِن الشهر، جلستُ فِي بيتى الخاص مع عددٍ مِن أصدقائي المقربين نأكل المعجون، وقد جاء مُحَمَّد مذهب فِي المساءِ والتزم. فسألناه واحدًا تلو الآخر عن أحوال تلك المناطق، وعلمنا مِنْهُ أن البنكاله مطيعون لنا ومنحازون إلينا.

وفِي يَومِ الأحد، استدعيتُ أمراءَ الترك، و«الهِنْد» إلى مقر راحَتى الخاص. وطرحتُ عَلَيْهِم هَذَا الرأي: لقد أرْسَلْنا سفيرا إلى البنكاله، وعرفنا أنهم مطيعون لنا ومنحازون إلينا. لذا فلا جدوى أو فائدة مِن الذهاب إلى البنكاله. كما أنه ليس فِي تلك الناحية الخزينة المُجدية لأمر الجُنْد. أما ناحية الغرب فبها بعض الأماكن القريبة وأيضا ذات الخزائن:

إقليم ماله وفير، وأهله كفار، وطريقه قريب،

فإذا كان الشرق بعيدا، فهذا الإقليم قريب

وفِي النهاية تقرر الآتي: أما وطريقنا صوب الغرب قريبٌ، فلنتوقف هنا بضعة أيَّام، ونفرغ أولا مِن ناحية الشرق (٣٥٥ب) فإذا بدا لنا بعد ذَلِكَ أن نذهب إلى هُنَاكَ فالأمر كذَلِكَ.

وأرْسَلْنا غياث الدين القورچي إلى أمراء «پُورَب» مرة أخرى بالمراسيم، ليبلغهم أن يجمع كل السلاطين والخانات والأمراء المَوْجُودِينَ فِي الجانِبِ الآخر مِن «نهر كُنگ» جُنُودهم،

ويتوجهوا إلى هؤلاء المتمردين. ثُمَّ يأتي منهم بالجواب، ويرجع فِي الوقت المحدد. وأنظرناه عشرين يومًا.

وفِي تلك الأَيَّام، جاء عرض حال مِن مُحَمَّدي كُوكَلْداش أن البلوج جاءوا و نهبوا بعض الأماكن. وكلفنا چين تيمور سُلْطَان بالسَّيْر إلى البلوج، وينضم إليه الأُمَرَاء مِن «سِهْرِنْد» سامانه مثل، عادل سُلْطَان وسُلْطَان مُحَمَّد دولداي، و خُسْرو كُوكَلْداش ومُحَمَّد چَنْكِچَنْك، وعبد العزيز الميراخور وسَيِّد على، وولي قيزل، وقرا جه، وهلاهل، وعاشق بكاول، والشَّيْخ على، وكته، وكجور خان، وحسن على السوادي، ويأخذوا معهم لوازم ستة أشهر. وأرْسَلْنا إليهم عبد الغفار التواچي بالمراسيم المكتوبة، بأن يمتثلوا لِكُلِّ ما يأمر به چين تيمور سُلْطَان ويلتزموا بما يقول. وقررنا أن يُسَلم هَذهِ المراسيم أولا إلى چين تيمور سُلْطَان ، ثُمَّ يُطلِع عَلَيْهَا بقية الأُمَرَاء المذكورين، (٣٥٦أ) فإذا حدد چين تيمور سُلْطَان مَوْضِع تلاقيهم، فعَلَيْهم جميعًا أن يتواجدوا هُنَاكَ بجُنُودهم بكامل الاستعداد. وإذا رأي عبد الغفار أن أيٍ مِن المشاركين فِي هَذهِ الحملة، يثير شغبا أو يبدي عدم الاهتمام، فليرفع أمره إلينا. وسيُقصى المقصرين عن الجَيْش، ويجردوا مِن ولاياتهم ومقاطعاتهم، وأعطيت هَذهِ المراسيم إلى عبد الغفار، وأبلغناه بما سيقوله شفاهة،ثُمَّ أذنا له.

وفِي الجزءِ السادسِ مِن الفترةِ الثالثة مِن ليلةِ يومِ الأحدِ الثامنِ والعشرين مِن الشهر، عبرنا مِن جون، وتحركنا إلى حديقه نيلَفَر فِي «دُولْپُور»، فبلغناها فِي الفترة الثالثة مِن يوم الأحد، وحددنا أماكن الأُمَرَاء والخَوَاص ومستقرهم بأطراف الحَدِيقَة وجنباتها ليقيموا فيها عمائرهم وحدائقهم.

وفِي يَومِ الخميسِ الثالثِ مِن شهرِ جمادى الأول، اخترنا مَوْضِع الحمام فِي طرفِ الجنوبِ الشرقي مِن الحَدِيقَة، فمَهَّدُوه وبعد وضعِ أساس الحمام فِي هَذَا المكان المنبسط، كلفتهم بإنشائه، وعمل حوض كبير فِي أحد حجراته قياسه عشرة فِي عشرة[1] .

---

(١) عبارة قياسه عشرة فِي عشرة غير واردة فِي التركية.

تحرك بابُر إلى أَكْرا:

وفي ذات اليوم، جاء خليفة بعرائض مِن القاض جبا، ونرسنك دو مِن «أَكْرا» (٣٥٦ب) قالا فيها إنهما سمعا أن محمود ابن سكندر أخذ «بِهَار». فلما بلغنا هَذَا الخَبَر، قررنا إرسال الجَيْش، وانطلقنا مِن «حديقه نيلَفَر» في الجزء السادس مِن يوم الجمعة التَّالي، فوصلنا «أَكْرا» وقت صلاة العشاء، وقابلنا في الطريق مُحَمَّد زمان مِيرْزا وهو في طريقه إلى «دُولْپُور». وفي ذات اليوم، وصل چين تيمور سُلْطَان إلى «أَكْرا».

وفي يَومِ السبت التَّالي، دعوتُ الأُمَرَاء لتداول الأمر، وقررنا الذهاب إلى «پُورَب» يوم الخميس العاشر مِن الشهر.

وفي يَومِ السبت نفسه، جاءت رسالة مِن «كَابُل» وخبر أن هُمايون جمع جند تلك الناحية، وضم إليه سُلْطَان وَيْسوتحرك في اتجاه «سَمَرْقَنْد» ومعه أربعين أو خمسين ألف رجل. ومشى قُلي الأخ الأَصْغَر لسُلْطَان وَيْس إلى «حِصار» ودخلها[1]. ومشى ترسون مُحَمَّد سُلْطَان مِن « تِرْمِذ » وأخذ قباديان وطلب المساعدة. فأرسل هُمايون، تولك كُوكَلْداش ومير خرد وقوة كبيرة مِن الرجَال، والموجود مِن المُغُول لمساعدة ترسون سُلْطَان، ثُمَّ تبعهم بنفسه.

وفي يَومِ الخميسِ العاشرِ مِن شهرِ جمادى الأول، وبعد الجزء الثالث، خَرَجْتُ[2] قاصدا «پُورَب»، فجاوزتُ «جون» بالسفينة أعلى قليلا مِن «قرية جَليسِر»، (٣٥٧أ) وجئتُ إلى «حَدِيقَة زرافشان». وهُنَاكَ أصدرتُ مرسوما بأن يحضروا الطوغ والطبل والإصطبل وكل جماعات الجُنْد أمام الحَدِيقَة، ويذهبوا إلى ذاك طرف مِن النَّهْر الذي سيبدو لَهُم، أما مَن سيأتون للمثول أمامنا فيجاوزوا النَّهْر بالسفن.

وفي يَوم السبت، أحضر إسماعيل متا سفير البنكاله، هدايا البنكالي [نصرت شاه]، والتزم على الطريقة الهِنْدية. فجاء إلى ساحة رماية السهام وانصرف بعد التعظيم. وقد أمرنا بإلباسه خلعة معتادة مِن النوع الذي يسمونه سيرموينه، وجاء وانحنى ثلاث مرات حسب

---

(١) عبارة ومشى شاه قُلي الأخ الأصغر لسلطان وَيْس إلى حصار ودخلها غير واردة في الترجمة التركية.

(٢) أضافت الانجليزية في اتجاه الشرق.

دستورنـا، وقدم عريضـة نصرت شاه. والهدايـا التي أحضرهـا، ثُمَّ انسحب.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء الخوجه عبد الحق، فجاوزتُ النَّهر بالسفينة، وذهبتُ إلى خيمته والتزمت.

وفِي يَومِ الثلاثاء، جاء حَسَن چلبى والتزم. وتوقفنا بضعة أيَّام فِي «چارباغ» لاستكمال استعدادات الجُنْد.

وفِي يَومِ الخميس السابع مِن عشر مِن الشهر، تحركتُ مِن هُنَاكَ بالسفينة بعد الجزء الثالث [مِن اليوم]، ونزلتُ «قرية انوار» على مَسَافَة سبعة فَرَاسِخ مِن «أَكْرا».

وفِي يَومِ الأحد، أعطينا الإذن لسفراء الأُزْبَك. وقد أنعمنا على أمين مِيرْزا رسول كوچوم خان (٣٥٧ب) بخنجر، وصديري مكفت بالذهب، وسبعين ألف تنكَه.كما أنعمنا على المُلَّا طغائي رجُل ابو سعيد سُلْطَان وعلى رِجَال مِهَرْبَاني خانيم [(١)] وأبنها بولاد سُلْطَان بصدريات ذات أزرار، وخِلع مِن القماش، كما أحسنا عَلَيْهِم أيضًا بأموال تتناسب مع مكانة [كل واحد منهم].

هدايا بَابُر لأبنائه:

وفِي اليومِ التَّالِي، سمحنا للخوجه عبد الحق بالبقاء فِي «أَكْرا». وسمحنا للخوجه كلان حفيد الخوجه يحي الذي جاء فِي مهمة مِن عِنْدَ خان الأُزْبَك وسلاطينهم،بالذهاب إلى «سَمَرْقَنْد». وأرسلتُ مِيرْزا [(٢)] التبريزى ومِيرْزا بِك طغائي بعشرة آلاف شاهرُخي تهنئة بزواج كامران ومثلها لمولد ابن هُمايون. ولكل واحد منهما لباس مما ألبسه وحزام مما أربطه. وأرسلتُ إلى هِندال بواسطة المُلَّا بهشتي خنجرا ذا حزام مرصع ودواة مرصعة وكرسي مطعم بالصدف ولباس قصير مِن الذي ألبسه، وحزام ومفردات الخط البَابُري [(٣)] والقطع المكتوبة به. كما أرسلتُ

(١) أخت بَابُر الكبرى.

(٢) جاءت فِي الانجليزية ملا.

(٣) هو الخط الذى ابتكرة بابر.

إلى هُمايون وهندال والخوجه كلان التراجم والأشعار التي نظمتها مُنْذُ المجيئ إلى «الهِنْد»، كما أرسلتُ أيضًا إلى كامران بواسطة مِيْرزا بك طغائي، الأشعار التي قلتها مُنْذُ المجيء إلى «الهِنْد» ونماذج مكتوبةبالخط البَابُري.

وفِي يَومِ الثلاثاء، كتبتُ رسائل إلى الرِجَال المتوجهين إلى «كَابُل»، وأذنتُ لَهُم. وأعطيتُ لِكُلِّ مِن المُلَّا قاسم والأستاذ شاه مُحَمَّد سنكتراش وميرك مير غياث، (٣٥٨أ) ومير سنكتراش، وشاه بابا بيلدار تعليمات عن العمائر التي ستقام فِي «أَكْرا» و«دُولْپُور». وأسندتُ إليهم مسئولية هَذَا العمل، ثُمَّ أذِنتُ لَهُم. وكانت الفترة الأولى [مِن اليوم] قد أوشكت، فتحركتُ مِن انوار. وقبيل صلاة العصر، بلغنا قرية ابابور على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «چندوار».

وفِي مساءِ الأربعاء، أرْسَلْنا عبد الملوك القورچي مع حَسَن چلبي إلى الشاه [طهماسب]، كما أرْسَلْنا چابق مع سفراء الأُزْبَك إلى الخانات والسلاطين.

وقبل انقضاء الليل بأربعةِ أجزاء، جاوزتُ «اباپور»، وبلغتُ قُبَالَة «چندوار» مع بزوغ الفجر، فركبتُ السفينة. وعند المساء، غادرتها قُبَالَة «رابري» ، وجئتُ إلى معَسْكَر الجَيْش فِي فتحپور وتوقفنا هُنَاكَ ليوم واحد.

وقبيل فجر يوم السبت، توضأتُ ثُمَّ انطلقنا، وصلينا الصبح مع الجماعة بالقرب مِن رابري. وقد أمَّنا فيها مولانا محمود الفارابي. ومع طلوع الشمس، ركبنا السفينة مِن أسفل مرفأ «رابري» الكبير.

سطرتُ فِي هَذَا اليوم أحد عشر سطرًا مما أريد كتابته بخط التركيب.فِي ذَلِكَ اليوم استشعر قلبي تنبيه مما نطق به أهل الله. وآوينا بالسفن إلى مرفأ قُبَالَة جاكين إحدى مُقاطَعات رابري، وقد أمضينا هَذِهِ الليلة فِي السفينة.

وقبيل الصباح، (٣٥٨ب) انطلقنا بالسفن، وصلينا الصبح على ظهرها. وجاء سُلْطَان مُحَمَّد بخشي، بشمس الدين مُحَمَّد خادم الخوجه كلان ونحن على ظهر السفينة، وصار الوضع والأحوال فِي «كَابُل» واضحة ومعلومة لنا مِن رسائله وتقريره. كما جاء أيضًا الخوجه مهدي.

نزلنا بالحَدِيقَة الواقعةِ بالطرفِ الآخر مِن النَّهْر[1] قُبَالَة «اتاوا» قبيل صلاة الظهر، فاغتسلتُ فِي [نهر] «جون» وصليتُ الظهر. ومِن مكاننا هَذَا انطلقنا صوب «اتاوا». وارتقينا ربوة مشرفة على النَّهْر وجلسنا تحت ظلال أشجار الحَدِيقَة نفسها ودعونا المصارعين للترويح عنا. وأقام لنا الخوجه مهدي سُفرة فِي هَذَا المكان تحية لنا. وعند المساء، جاوزنا النَّهْر، فبلغنا معَسْكَر الجَيْش وقت صلاة العشاء. وقد توقفنا فِي هَذَا المكان يومين أو ثلاثة أَيَّام لجمع الجَيْش وكتابة الرسائل إلى الذين فِي «كَابُل» وإرسالها بواسطة شمس الدين مُحَمَّد.

وفِي يَومِ الأربعاء آخر شهر جمادى الأول، تحَرَّكْنا مِن «اتاوا» ، فبلغنا موري و ادوسه وبعد ثمانية فَرَاسِخ. وهنا كتبتُ بقية الرسائل التي سنرسلها إلى «كَابُل». وفحوى الرسالة التي كتبتها إلى هُمايون يقول:

إذا لم يَكُنْ هُنَاكَ ما يحزبك، فوجه همتك لمنع الغارات ولا تسمح لأحد قط بإفساد الأمن بين النَّاس.(٣٥٩أ) وقد جعلتُ مِن ولاية «كَابُل» خاصةً لنا، فلا يمدن أحد مِن الأبناء بصره إليهاكما استدعيتُ[2] هِندال. كما [كتبت] لكامران أن يهتم بالاحتفاء بالشاهزادة [طهماسب] فِي المجيئ والذهاب. وأحسنا عَلَيْهِ بولاية «مُلْتَان». وأن ولاية «كَابُل» خاصةٌ لنا، فلينقل إليها العائلة ونفائس القصر.

فكر الإدارة عِنْدَ بَابُر:

ولكى تصير الأوضاع التي كتبتها إلى الخوجه كلان معلومة، فقد دَوَّنْتُ مسودة تلك الرسالة [التي كتبتها إليه] كما هي:

بعد السلام على الخوجه كلان، فقد جاء شمس الدين مُحَمَّد إلى «اتاوه»، وصارت الأوضاع [فِي «كَابُل»] معلومة لنا تماما. أن رغبتنا فِي الذهاب[إليها] لاحدود لها، ولا تنتهي. ولما كانت شئون «الهِنْد» على وشك الانتظام، فإن كل ما أتمناه مِن الله سبحانه هو أن ننتهي

---

(١) عبارة بالطرف الآخر مِن النَّهْرغير واردة فِي الترجمة الانجليزية.

(٢) جاءت فِي التركية لم استدع هِندال

بعونه من إنجاز شئون هَذهِ البلاد فِي القريبِ العاجل. وسوف نتحرك فور الفراغ مِنْها بإذن الله تعالى. فكيف للمرء أن ينسي جمال تلك الولايات. وكيف ينسى لذة الحلال مِن الرزق مِن بطيخ وأعناب، بعد أن تاب الله عَلَيّ توبة نصوح. وقد جاءوا لى بِواحِدةٍ مِن البطيخ، وما أن قطعتُها وتذوقتُها حَتَّى اعترانى انفعالٌ كبيرٌ وبكيت.

لقد كتبتَ لنا عن عدم ضبط الأمور وربطها فِي «كَابُل». (٣٥٩ب) وقد استراح قلبى إلى استدعاء شقيقتنا الكبرى والحريم إلى «الهِنْد». فكيف للأمور أن تستقر وتنتظم فِي ولاية بها سبعة أو ثمانية حكام! وجعلنا «كَابُل» وكل أعمالها وقراها خالصة لنا، وقد شرحنا هَذَا فِي رسائل إلى هُمايون وكامران، فلينقلها إليهما أحد الأخيار. وسبق لى أن كتبت بهذا إلى الأُمَرَاء [التَّيْمُورِيين]. على كل حال فقد صار الأمر معلوما لَهُم.

والآن، لم يعد هُنَاكَ ما يحول دون إدارة تلك الولاية وتعميرها. وبعد ذَلِكَ، إذا كانت القَلْعَة غير حصينة، أوالرعية غير مرفهين، وإذا لم تكن هُنَاكَ ذخيرة، أو الخزائن غير ممتلئة، فإن هَذَا سيُحمل على عجز عُمْدَة الملك عن تحصيل الأموال.

وأكتبُ لك عن بعض الضروريات، وقد أرسلتُ بشأن بعضها مرسومًا وما يفيض مِنْها يودع الخزينة. والضروريات هي؛ ترميم القَلْعَة، وجلب الذخيرة، ونفقات السفراء فِي رواحهم وغدوهم، وبناء مسجد جامع [لصلاة] الجمعة، ولتأخذ الأموال اللازمة للبناء مِن الإيراد، ولتقيم الشرع، ولتنفقوا. وبشأن ترميم خانات ألْقَوافل والحمامات؛ فيمكن أن يبدأ الأستاذ حَسَن على فِي ترميمها بقرميد محروق كالذي استخدمه فِي الحِصْن، ويجري إتمام العمائر التي لم تتم وفق خطة مناسبة بمشورة الأستاذ سُلْطَان مُحَمَّد. (٣٦٠أ) وإذا كانت الخطة القديمة التي وضعها الأستاذ حَسَن على مناسبة، فليتمها على ذَلِكَ الشكل، وإلا فلينشئها وفق خطة مناسبة وجميلة على أن يكون صحنها موازٍ لصحن الديوان.

وينبغى أن يتصل سد خُرد «كَابُل» بنهر بتخاك عِنْدَ مضيق بوغاز خرد «كَابُل». وترميم سد «غَزْنَة»؛ وفيما يخص خيابان فإن مياه حَدِيقَة خيابان نَدِرة، لذا فمن الضروري توفير الماء بما يسمح بتشغيل ساقية. كما يجب توصيل مياه وادي توتم فِي الطرف الجَنُوبِيّ الغربي لخوجه

بست، إلى فوق الربوة، وإنشاء حوض هُنَاكَ، وغرس الشجيرات. ونظرًا لوجودها قُبَالَة مسار رئيس و[المنظر مِن هُنَاكَ] واسع وجميل على امتداد البصر، فليطلق عَلَيْهَا اسم [حديقة] نظر كاه. ومن الضروري أن تغرس هُنَاكَ أيضًا الشجيرات الجميلة، وتقام الخمائل بِشكلٍ منسق، وأن تغرس فِي الأطراف الزهور ذات الألوان الجميل والروائح الزكية والنباتات العطرة. وقد عينا سَيِّد قاسم معاونًا. وعليك ألا تغفل عن أحوال رُماة البنادق والأستاذ مُحَمَّد أمين الجبه جي.

وعندما تَصِلكَ رسالتنا هَذِهِ، تتحرك أختي الكبري والحريم على الفورِ ولتكُن مُرشِدَهم فِي الطريقِ حَتَّى «نيلاَب»، و يخرجن بعد أسبوعٍ مِن وصولِ هَذِهِ الرسالة على الأكثر وبدون تأخير وإلا فإن الجُنْد القادمين مِن «الهند» سيعانون مِن هَذَا المكان الضيق وتصبح الولاية خرابًا. ثُمَّ، لقد بالغت كثيرًا فِي الرسالة التي كتبت إلى عبد الله بشأن التوفيق فِي التوبة [عن الشراب]. وهذا الرباعي حائلًا بعض الشيء دون [عودتي للشراب]:

حالى شتات لترك الشراب

لا أعرف ماذا أفعل. إنني حيران

لقد ندم الآخرون ثُمَّ تابوا،

أما أنا فقد تبت أولا، وأنا الآن ندمان.

وقد تذكرتُ إحدى دعابات بنَّائي. فذات يوم قام بنَّائي بمداعبة فِي حضور على شيربك، وكان على شيربك يرتدي صديريا ذا أزرار. فقال: دعابتك لطيفة إنما أعطيك صدريتي لكن أزرارها لم تنفك فقال بنَّائي: لَيْسَت الأزرار مانعتك، أمَّا المانع فتحاتها. والعهدة على الراوي، واستميحكم عذرا لمثل هَذِهِ الدعابة. واستحلفكم أن تغضوا الطرف عنها.

معاناة بابر بسبب الإقلاع عن الشراب:

وقلتُ هَذَا الرباعي أيضا فِي السنةِ الماضية. والحقيقة أن ميلى واشتياقي لمجلس الشراب خلال العامين الماضين كان جامحا حَتَّى أنني كنتُ أبكى أحيانا مِن فرطِ الاشتياقِ للشراب. أما هَذِهِ السنة، فقد زال مِن قلبي تمامًا ذَلِكَ الضيق والحمد لله.

وغالبا أنها بركة ويمن تحويل [رسالة الوالدية] إلى نظم. (٣٦١أ) وأنت أيضًا عليك بالتوبة. فالصُحْبَة والشراب يطيبان مع أصدقاء الصُحْبَة والكأس:

الصُحْبَة والشراب تطيب مع الأصدقاء

أما إذا كان أصدقاءُ الصُحْبَةِ والكأس هما شير أَحْمَد وحيدر قُلي، فالتوبة هنا يسيرة.

[أطيب] تمنياتي والسلام.

كتبتُ هَذهِ الكلمات الناصحة فِي يَومِ الخميس غرة جمادى الآخر. وكان لها عليّ عظيم الأثر، وسلمتُ هَذهِ الرسائل إلى شمس الدين مُحَمَّد، وأبلغته ما سيقوله شفاهة، ثُمَّ أذنتُ له فِي ليلةِ الجمعة.

وفِي يَومِ الجمعة، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا جُوَمُندنا، وجاء رجل مِن طرف كيتن قرا سُلْطَان يدعي كمال الدين قناق فِي سفارة ومعه شكوى مِن تصرفات أمراء الحدود واختلاطهم [بالأهالي]، ومن اللصوص والغارات. وقد أعطينا الإذن إلى قناق بالذهاب، وكتبنا مرسومًا إلى أمراء الحدود لمنع أعمال السرقة والغارات وأن يحسنوا التصرف والخُلطة. وسلمنا هَذهِ المراسيم إلى مرسال كيتن قرا سُلْطَان ثُمَّ أذِنَّا له [بالمغادرة] ونحن فِي مكاننا هَذَا. وجاء مَن يدعي شاه قُلي مِن عِنْدَ حَسَن چلبي[1] وعرض [عَلَيْنَا] كيف دار القِتَال. (٣٦١ب) فكتبتُ رسالة إلى الشاه [طهماسب] بواسطة شاه قُلي، للاعتذار عن تأخر حَسَن چلبي، ثُمَّ أذِنَّا له يوم الجمعة الموافق الثاني مِن الشهر.

وفِي يَومِ السبت، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ ونزلنا ككورا وچچاولي مِن مُقاطَعات «كالْپِي».

وفِي يَومِ الأحدِ الرابعِ مِن الشهر، قطعنا تسعة فَرَاسِخ. وقمتُ بقص شعري ونحن فِي مقاطعةِ ديده پور مِن مُقاطَعات «كالْپِي»، وكنتُ لم أقصه مُنْذُ شهرين ثُمَّ اغتسلتُ فِي نهر سينكر.

(١) سفير الشاه طهماسب

وفي يَومِ الاثنينِ الخامسِ مِن الشهر، قطعنا أربعة عشر فَرسَخا، ونزلنا چيركده إحدى مُقاطَعات «كالْپي».

وفي يَومِ الثلاثاءِ التّالي السادس مِن الشهر، وصل تابع هندى[1] لقراچه، و معه المرسوم الذي كتبته [زوجى السَيّدة] ماهيم إلى قراچه. وكتَبَتْه بنفس الطريقة التي أُكتبُ بها وفهمنا مِنْهُ أن [السَيّدة] ماهيم قادمة فِي الطريق. وطلبتْ أن يكون دليلها مِن أهل «لاهور» وبهرة وماحولها، وقد حررتُ هَذَا المرسوم فِي «كَابُل» في السابع مِن شهرِ جُمادى الأول.

وفي يَومِ الأربعاء، قطعنا سبعةَ فَرَاسِخ، ونزلنا مقاطعة آدمپور، وفِي ظهر ذَلِكَ اليوم خَرَجْتُ بمفردي فوصلتُ إلى «نهر جون»، مع بزوغ الفجر. ومن ضَفَّة «نهر جون» اتجهنا إلى أسفل فلما بلغنا قابلة «آدمپور»، خيمنا فِي جزيرة بالقرب مِن معَسْكَرِ الجَيْش، وأكلنا المعجون.

وفي ذَلِكَ اليوم، (٣٦٢أ) جعلنا [المصارع] صادق يصارع كلال الذي جاء متحديًا له. وكان قد طلب أن نُنظِره عشرين يوما حَتَّى يصارعه فِي «أكْرا»، متعللًا بالإرهاق بسبب الطريق وقد مضي على هَذهِ المُهلة أربعين أو خمسين يوما. لذَلِكَ أصبح مضطرا [على المصارعة اليوم] وقد تصارع صادق جيدًا، وطرح كلال أرضًا بمنتهي السهولة. وقد أحسننا على صادق بعشرة آلاف تنكه، وجواد مسرج، وطقم ملابس، وصديري ذو أزرار. وعلى الرغم مِن هزيمة كلال، فلم نشأ أن نحبطه، وأحسنتُ عَلَيْهِ أيضا بطقم ملابس وثلاثة آلاف تنكَه.

وأمرنا بإنزال العَرَبَات والمدافع مِن السفنِ، وتمهيد المكان، وتعبيد الطريق، وقد توقفنا فِي هَذَا المكان ثلاثة أو أربعة أيَّام لحين أنزال العَرَبَات والمدافع.

وفي يَومِ الاثنين الثاني عشر مِن الشهر، قطعنا اثنى عشر فَرسَخا، ونزلنا «كورره».وفي ذَلِكَ اليوم جئتُ بالهودج. وذهبنا مِن «كورره» اثنى عشر فَرسَخا، فوصلنا «كُرْيَه » إحدى مُقاطَعات «كورره » .

ومن «كُرْيَه» قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا «سراي مندا». ولدي وصولنا هُنَاكَ فِي وقتِ العشاء، جاء السُلْطَان جلال الدين والتزم. وقد أحضر معه اثنين مِن أبنائه الصغار.

(١) تتبين فيما بعد أن اسمه شهرك بك.

وفِي يَوم السبتِ التّالِي، السابع عشر[١] مِن الشهر، قطعنا ثمانية فَرَاسِخ، ونزلنا «دكدكي» مِن مُقاطَعات «كره» على ضَفَّة «كُنَك».

وفِي يَومِ الأحد[٢]، وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، جاء مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، (٣٦٢ب) وقاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبي خوب سُلْطَان وترديكه.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء عَسْكَري [مِيرْزا] أيضا إلى ذات المكان والتزم. وكل هؤلاء جاءوا مِن شرق «كُنَك». وقد أمرنا أن يتقدم عَسْكَري [مِيرْزا] ورِجَاله ويعبروا ذَلِكَ الجانب مِن كُنَك ويقيموا هُنَاكَ [على الجانب الآخر مِنْهُ] قُبَالَة الجَيْش.

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، كانت الأخبار تصلنا تباعا مِن المتقدمين بأن مائه ألف[٣] أفغاني انضموا إلى السُلْطَان محمود [اللودي]، وأنه أرسلَ الشَّيْخ بايزيد وبَبن مع عَسْكَر كثير إلى سروار، وتقدم بنفسه مع فتح خان السرواني بمحاذاة ضَّفَّة «كُنَك» إلى «چِنَار». وأن شير خان سور الذي أنعمتُ عَلَيْهِ فِي السنة الماضية، وأعطيتُه مُقاطَعات كَثِيرَة وأقام فِي هَذِهِ الأنحية، قد تخلى عن هَذِهِ المناطق وانضم إلى الأَفْغَان. فجاوز شيرخان وعدد مِن الأُمَرَاء النَّهْر إلى الجانب الآخر، وعجز رجل السُلْطَان جلال الدين عن الدفاع عن «بنارس»، فخرج مِنْهَا وهَرَبَ تاركا قوة فِي «حصن بنارس»، وجاء إلى ضَفَّة «كُنَك» بدعوى أنه سيقاتل [السُلْطَان محمود اللودي].

وتحرك [الجَيْش] مِن «دكدكي»، فقطع ستة فَرَاسِخ، ونزل «كسار» على مَسَافَة ثلاثة أو أربعة فَرَاسِخ مِن «كره». أما أنا فقد جئتُ بالسفينة.وتوقفنا ليومين أو ثلاثة فِي هَذَا المكان بسبب وليمة السُلْطَان جلال الدين. (٣٦٣أ)

وفِي يَومِ الجمعة، نزلنا منازل السُلْطَان جلال الدين[٤] داخل «قلعة كره». فقام

(١) جاءت فِي التركية الثاني عشر.
(٢) هَذِهِ العبارة أغفلتها الترجمة التركية.
(٣) جاءت فيالانجليزية عشرة آلاف.
(٤) ابن حسين شاه من الأفغان

بالضيافة وقدم بعض الطَّعَام. وبعد الطَّعَام خلعتُ عَلَيْهِ هو وأبنائه ملابس قصيرة غير مخيطة. ونزولا على رغبته، خاطبنا ابنه الأكبر بالسُلْطَان محمود.

وتحركنا مِن «أَكْرا» وبعد مسيرة فَرْسَخ نزلنا بضّفَّة «كُنَك». وأثناء مقامنا هُنَاكَ، كتبتُ فِي ذَلِكَ اليوم رسالة إلى شهرك بِكْ الذي جاء مِن طرف [السَيِّدة] ماهيم عِنْدَ مقامنا على ضّفَّة كُنَكْ، ثُمَّ أذنا له. وطلب منى الخوجه كلان حفيد الخوجه يحي الوقائع التي انتهيتُ مِن كتابتها، فأمرتُ بنسخها، وأرسلتها إليه مع شهرك.

تَحَرَّكْنَا يوم السبت التَّالِي، وذهبنا مَسَافَة أربعة فَرَاسِخ. [أما أنا فقد] جئتُ بالسفينة، لذا وصلتُ مبكرا إذ كان مَوْضِع نزولنا قريبًا. وبعد مدة، تَعَاطَيْنَا المعجون على ظهر السفينة ودعونا الخوجه عبد الشهيد مِن خيمة نور بِكْ والمُلَّا محمود مِن خيمة المُلَّا على خان. وبعد أن لبثنا فترة، جاوزنا النَّهْر إلى الطرف الآخر، ودعونا المصارعين ليتصارعوا. وأمرنا دوست يسين خير ألاّ يتصارع (٣٦٣ب) مع المصارع صادق بل مع سواه، ممن هم أقوى مِنْهُ على خلاف المعهود. فأحسن المصارعة مع ثمانية رِجَال.

وعند صلاةِ العصر، جاء السُلْطَان مُحَمَّد بخش بالسفينة، وأبلغنا بهزيمة محمود خان بن السُلْطَان سكندر الذي يسميه المتمردين السُلْطَان محمود. وكان أحد عيوننا قد جاء عند الظهرين هُنَاكَ بنبأ عن هزيمة هؤلاء المتمردين. وقد اتفق فحوى عريضة تاج خان السارنك خاني التي بلغتنا بين الظهر والعصر مع ما أنبأنا به الرجل. وعرض السُلْطَان مُحَمَّد [بخش] ماجرى. فقد جاء [جند] العدو وحاصروا «چنَار»، ودارت مناوشة، وما أن علموا بنبأ مجيئنا يقينا، حَتَّى انقضواعلى أدبارهم خائبين.كذَلِكَ الأَفْغَان الذين عبروا [النَّهْر] إلى «بنارس»، فقد انسحبوا مكرهين، وغرقت سفينتان وعدد مِن رِجَالَهُم عِنْدَ عبور النَّهْر.

وفِي اليوم التَّالِي، قطعنا ستة فَرَاسِخ فوصلنا «سيراولى» مِن أعمال «بياك». أما أنا فقد ذهبتُ بالسفينة.

وكان ايسن تيمور سُلْطَان[1] وتوخته بوغه سُلْطَان، يترقبان لملاقاتي فِي منتصف الطريق، وقد دعوتهما إلى السفينة، وكتب توخته بوغه سُلْطَان، تعويذة، هبَّت [على أثرها] ريح شديدة وبدأ المطر ينهمر. وصار الهواء عليلًا. وكان هَذَا الهواء مدعاة لتناول المعجون. وبالرغم مِن تناولنا المعجون فِي اليوم السابق، فإننا تناولناه اليوم أيضًا. وجئنا إلى المَعَسْكَر، وتوقفنا فِي هَذَا المكان لليوم التَّالِي.

وفِي يَومِ الثلاثاء، تَحَرَّكْنَا مرة أخري، وتوجهتُ بالسفنة إلى جزيرة خضراء كبيرة قُبَالَة معَسْكَر الجَيْش، وتفرجتُ على المكان، ثُمَّ رجعتُ إلى السفينة فِي الجزء الأول. وأثناء تجولى بالجواد على حافة النَّهْر بغير انتباه، ارتقى الجواد صخرة، وما أن ارتقاها إلا وطارت الصخرة. فقفزتُ مِنْ فَوْقِه فِي الحال، وألقيتُ بنفسي على الشاطيء. لكن الجواد هوى ولوكنتُ على ظهره،لهوينا معا.

وفِي ذَلِكَ اليوم، عبرتُ «نهر كُنكْ» سباحة. وقد عبرتُ كل الأنهار سابحًاولم يتبق سوى«نهر كُنكْ». فقطعته ثلاث وثلاثين مرة. ذهابا وإيابا بدون أن أستريح،وأنا أعد ضربات ذراعى.

وعند المساء، وصلنا إلى مَوْضِع اتصال «نهر كُنكْ» بنهر «جون». وسحبنا السفينة إلى ناحية «بياك»، وجئتُ إلى المَعَسْكَر فِي الجزء الرابع مِن الفترة الأولى [مِن الليل].

وفِي يَومِ الأربعـاء، واعتبـارًا مِن الجزء الثاني، بدأ الجُنْد فِي تجاوز «نهر جون» وكان [معنا] أربعمائة وعشرين سفينة.

وفِي يَومِ الجمعة غُرة شهر رجب، جاوزتُ النَّهْر.

وفِي يَومِ الإثنينِ الرابع مِن الشهر، تَحَرَّكْنَا على عزم التوجه مِن ضَفَّة «جون» إلى «بهار». فقطعنا خمسة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا «لواين». وقد جئت أنا بالسفينة. وكان الجُنْد مازالوا يجتازون

(١) جاءت فِي التركية چين تيمور سلطان.

النَّهْر حَتَّى ذَلِكَ اليوم[1]. وأمرتُ بإعادة عربات المدافع [الضربزن] التي أنزلناها فِي «آدمپور» إلى السفن مرة أخرى فِي «بياك»، ودعونا المصارعين للمصارعة، فتصارع كشتي بان اللاهوري مع دوست يسين خير. وبعد مجاهدة كبيرة انتصر دوست بِصُعُوبَةٍ وقد أحسنا على كليهما بكسوة كاملة.

وقالوا إنه هُنَاكَ نهر اسمه «نهر توس» ، وهو نهر آسن مليء بالوحل والمستنقعات. وقد لبثنا هُنَاكَ يومين للبحث عن [المَخَاضَة] وتمهيد طريق. فعثرنا فِي الشمال قليلًا على دَرْب للخيل والإبل. وأمرنا أن تجتازه العَرَبَات المحملة أيضًا،فقالوا أن العَرَبَات المحملة لن تتمكن مِن اجتيازه بسبب عوائق الصخور. (٣٦٤أ)

وتحركنا يوم الخميس، فوصلتُ بالسفينة إلى مَوْضِع اتصال «نهر توس» . وهُنَاكَ غادرتُ السفينة، وتقدمتُ فِي اتجاه أعلى «نهر توس» . وعند صلاة العشاء، وصلتُ إلى مَعَسْكَر الجَيْش وكانوا قد جاوزوا النَّهْر واستقروا. وفِي ذَلِكَ اليوم، قطعتُ ستة فَرَاسِخ. وتوقفنا فِي هَذَا المكان لليوم التَّالِي، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا يوم السبت، فقطعنا اثنى عشر فَرْسَخا، ونزلنا بالطرف الشمالي مِن البلدة. ثُمَّ تقدمنا مِن هُنَاكَ سبعة فَرَاسِخ ونزلنا «نانو پور» .

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، جاء تاج خان وأبناؤه مِن «چِنَار»، والتزموا.

وفِي تلك الأَيَّام، وصلت عريضة مُحَمَّد بخشي؛ وكانت العائلة وأثقال القصر فِي الطريق مِن «كَابُل» بِشَكْلٍ نهائي.

وَغَادَرْنَا المكان يوم الأربعاء بعد التفرج على قلعة «چِنَار»، وتقدمنا ثُمَّ نزلنا على مَسَافَة فَرْسَخ مِنْهَا.

مرض بَابُر:

أثناء تَحَرَّكْنَا مِن پياك، ظَهَرَ خراج دموي فِي بدني. وكان هُنَاكَ سياح قادم مِن بلادِ الروم ومعه علاج اكتشفه حديثًا. فقام بِغَلْي مطحون الفلفل الأسود فِي إناء، وعرَّضتُ الجرح

(١) أي أن تجاوز الجُند النَّهْر استغرق من يوم الأربعاء إلى يوم الاثنين.

للبخار الساخن المتصاعد مِنْهُ، ثُمَّ غسلتُ الجرح بالماء الساخن. واستمر هَذَا العلاج مدة ساعتين.

وأثناء مقامنا فِي هَذَا المكان، قالَ أحدهم إنه رأي كَرْكَدَنْ وأسدًا فِي الجزيرة القريبة مِن المَعَسْكَر. وفِي الصباح ضربنا دائرة حول الجزيرة، (٣٦٤ب) وأحضرنا الأفيال، ولم يخرج الأسد والكَرْكَدَنْ. وخرج مِن طرف الدائرة حيوان ماندا بَرّي. وفِي ذَلِكَ اليوم هبَّت ريحٌ عاتِيَة، وسبب الغُبار اضطرابا كبيرا. فركبتُ السفينة، ورجعتُ إلى معَسْكَر الجَيْش. وكان الجَيْش قد نزل على بعد فَرْسَخَيْن شمال «بنارس». وتكثر الأفيال فِي الأدغال الواقعة فِي نواحي «چِنَار»، فذهبتُ إلى هُنَاكَ لصيد إحداها.

وجاء تاج خان بخبر عن وجود محمود خان بجوار «نهر سون» . فاستدعيتُ الأُمَرَاء للتداول فِي أمر الإسراع بالسَّيْر إلى العدو. وفِي النهاية، تقرر السَّيْر مرحلة طويلة بدون توقف.فتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا «دَرْب بلوه» بعد مسيرة ثمانية فَرَاسِخ.

وفِي مساءِ يومِ السبتِ الثامنِ عشر مِن الشهر، أرسلتُ طاهر مِن «دَرْب بلوه » إلى «أكْرا»، ومعه براءة بالنقودِ التي أحسننا به على أولئك الذين جاءوا مِن «كَابُل» باعتبارها نفقة للطريق. وفِي ذَلِكَ اليوم جئتُ بالسفينة، وكنتُ قد ركبتُ السفينة قبيل الصباح، وذهبتُ إلى مَوْضِع اتصال نهرى«كُوي»، و«جونپور»، ثُمَّ اتجهتُ إلى أعلى «نهر كُوي» قليلًا ورجعتُ ثانية. ورغم ضيق النَّهْر (٣٦٥أ) لم تكن به مَخَاضَة. وكان الجُنْد الذين فِي تلك الناحية يعبرون على ظهر السفينة والطَّوْف والخيل الطافية.

وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ أسفل مَوْضِع اتصال «نهر جونپور». وشاهدتُ المكان الذي تحركتُ مِنْهُ إلى جونپور فِي العام الماضي، وبدا أن ريحا مواتية تأتى مِن أعلى النَّهْر. ففتحوا شراع سفينة البنكالي، وربطوه بسفينة كبيرةٌ، فأبحرنا ووصلنا بسرعة. وقد استغرق قدوم الجَيْش مِن مدن «بنارس» إلى هَذَا المكان الواقع أعلاها على مَسَافَة فَرْسَخ مِنْها جزئين مِن اليوم. و جاءت أسرع السفن التي لحقت بنا بدون توقف عِنْدَ صلاة العشاء. وكنتُ قد أصدرتُ أمرا إلى مُغُول

بِك بقياس الطريق بخيط قياس فِي كل سير لنا ابتداءً مِن «چِنار»، وكذَلِكَ أصدرتُ أمرا إلى لطفي بِك عِنْدَمَا ركبتُ السفينة بقياس [نفس المسافة مِن] ضِّفَّة النَّهْر، وكانت المسافة المستقيمة للطريق أحد عشر فَرْسَخا وضِّفَّة النَّهْر ثمانية عشر فَرْسَخا.

وفِي اليومِ التَّالِي توقفنا فِي هَذَا المكان.

وفِي يَومِ الأربعاء، اتجهنا بالسفينة مِن « غازيپور» إلى أسفل مَسَافَة فَرْسَخ.

وفِي يَومِ الخميس، جاء مُحَمَّد خان النوحاني ونحن فِي ذَلِكَ المكان والتزم. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء جلال خان ومعه عرائض بَهَار خان البهاري، وفريد خان، وناصر خان، وشير خان سور، وعلاول خان سور، وعدد آخر مِن الأُمَرَاء الأَفْغَان. (٣٦٥ب) وفِي اليوم نفسه، وصلت عريضة عبد العزيز ميراخور وقد حررها مِن «لاهور» فِي العشرين مِن شهر جمادى الأول.

وفِي اليَومِ الذي كتبتُ فيه العريضة، وصل الخادم الهِنْدي الذي أرسله قراچه مِن نواحي «كالْپِي»

وقد ذَكَرَ عبد العزيز فِي عريضتِه أنه ومن [أُلحقوا به] ذاهبون فِي التاسعِ مِن شهر جمادى الآخر لمقابلة العائلة لدى وصولها إلى «نيلاب» وقد رافقهم عبد العزيز إلى «چاناب»، ثُمَّ تركهم هُنَاكَ، وسارع بالذهاب إلى «لاهور» وأرسل هَذِهِ العريضة.

وفِي يَومِ الجمعة، تحركتُ بالسفينة، وتفرجتُ على المكان الذي كسفت فيه الشمس السنة الماضية قُبَالَة چوسه، ثُمَّ رجعتُ إلى السفينة. وجاء مُحَمَّد خان مِيرْزا أيضًا بالسفينة مِن كيين، وأكلنا المعجون بتشجيع مِنْهُ.

مِن عقائد الهِنْد:

ونزل الجَيْش بضِّفَّة نهر كَرْمناس. وكان الهنود يجتنبون هَذَا النَّهْر تماما فلم يجاوزوه، وركبوا السفينة، وجاوزوا «نهر كُنَكْ» المقابل لهذا النَّهْر، فهم يعتقدون أنه [ماء] هَذَا النَّهْر إذا أصاب الإنسان، فسدت عبادته. وهذا سبب تسميته بهذا الاسم الذي يناسب هَذَا [الاعتقاد].

وذهبنا أعلى نهر كَرْمناس قليلا ثُمَّ رجعنا، ثُمَّ ذهبنا إلى الطرف الشمالي لنهر كُنْك، (٣٦٦أ) وأرسينا السفن. ومرح الشباب لفترة وأخذوا يتصارعون. وجاء المتصارعون وتصارعوا. وادعي ساقي محسن أن بمقدوره مصارعة أربعة أو خمسة رِجَال دفعة واحدة. فطلبتُ مِنْهُ أن يتصارع مع رجل واحد، فصمد أمامه قليلًا ثُمَّ انهار. وكان الثاني شاديان. وقد هزم محسن. فخجل وغشيه الانفعال.

وفي يَومِ السبت التَّالِي، تحركتُ مع الفترة الأولى[1] [مِن اليوم] بسبب الرجل الذي أرْسَلْناه للبحث مِن مَخَاضَة نهر كَرْمناس. فركبتُ الجواد، وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ فِي اتجاه المَخَاضَة، ووصلتُ إلى طرف أعلى النَّهْر. ثُمَّ رجعتُ مرة ثانية بسبب بُعد المَخَاضَة، وجئتُ بالسفينة إلى المكان الذي نزلنا فيه. وقد بات الجَيْش على مَسَافَة فَرْسَخ مِن « جُوسَه ».

وفي ذَلِكَ اليوم، استخدمتُ علاج الفلفل الأسود مرة ثانية وكان ساخنًا بعض الشيء، فتورم جسمي وعانيتُ كثيرًا.

وكان يُوجَد أمامنا مستنقع صغير. فبقيتُ فِي هَذَا المكان إلى اليوم التَّالِي حَتَّى يتم تمهيد طريق.

وفي مساءِ يومِ الاثنين، كتبتُ الرد على الرسالة التي أحضرها السائر الهِنْدي الذي جاء مِن عِنْدَ عبد العزيز، وأرْسَلْناه.

وفي صباحِ يومِ الاثنين[2]، تحركتُ بالسفينةُ وقد سحبوها بسببِ [ضعف] الرياح. وجئنا قُبَالَة بكسره التي أَقَمْنَا فيها لفترةٍ طويلة فِي السنةِ الماضية، (٣٦٦ب) وجاوزنا النَّهْر، وتفرجنا على المكان. وقد أَقَمْنَا دَرَجًا حَتَّى يمكن النزول إلى حافة الماء. وغالبا تجاوز عددها الأربعين درجة ودون الخمسين. وقد حمل الماء الدَّرَج كله ولم يبق مِنْهُ سوى الدرجتين العلويتين

(١) ذكرت الانجليزية أنها السادسة صباحا.
(٢) ٢٥ جمادى الأول ٩٣٥هـ=٤ إبريل ١٥٢٨م.

وذهبنا أعلى نهر كَرْمناس قليلا ثُمَّ رجعنا، ثُمَّ ذهبنا إلى الطرف الشمالي لنهر كُنك، (٣٦٦أ) وأرسينا السفن. ومرح الشباب لفترة وأخذوا يتصارعون. وجاء المتصارعون وتصارعوا. وادعى ساقي محسن أن بمقدوره مصارعة أربعة أو خمسة رِجَال دفعة واحدة. فطلبتُ مِنْهُ أن يتصارع مع رجل واحد، فصمد أمامه قليلًا ثُمَّ انهار. وكان الثاني شاديان. وقد هزم محسن. فخجل وغشيه الانفعال.

وفي يومِ السبت التَّالِي، تحركتُ مع الفترة الأولى[1] [مِن اليوم] بسبب الرجل الذي أرْسَلْناه للبحث مِن مَخَاضَة نهر كَرْمناس. فركبتُ الجواد، وذهبتُ مَسَافَة فَرْسَخ فِي اتجاه المَخَاضَة، ووصلتُ إلى طرف أعلى النَّهْر. ثُمَّ رجعتُ مرة ثانية بسبب بُعد المَخَاضَة، وجئتُ بالسفينة إلى المكان الذي نزلنا فيه. وقد بات الجَيْش على مَسَافَة فَرْسَخ مِن « جُوسَه ».

وفي ذَلِكَ اليوم، استخدمتُ علاج الفلفل الأسود مرة ثانية وكان ساخنًا بعض الشيء، فتورم جسمي وعانيتُ كثيرًا.

وكان يُوجَد أمامنا مستنقع صغير. فبقيتُ فِي هَذَا المكان إلى اليوم التَّالِي حَتَّى يتم تمهيد طريق.

وفي مساءِ يومِ الاثنين، كتبتُ الرد على الرسالة التي أحضرها السائر الهِنْدي الذي جاء مِن عِنْدَ عبد العزيز، وأرْسَلْناه.

وفي صباحِ يوم الاثنين[2]، تحركتُ بالسفينةُ وقد سحبوها بسببِ [ضعف] الرياح. وجئنا قُبَالَة بكسره التي أَقَمْنَا فيها لفترةٍ طويلة فِي السنةِ الماضية، (٣٦٦ب) وجاوزنا النَّهْر، وتفرجنا على المكان. وقد أَقَمْنَا دَرَجًا حَتَّى يمكن النزول إلى حافة الماء. وغالبا تجاوز عددها الأربعين درجة ودون الخمسين. وقد حمل الماء الدَّرَج كله ولم يبق مِنْهُ سوى الدرجتين العلويتين

(١) ذكرت الانجليزية أنها السادسة صباحا.
(٢) ٢٥ جمادى الأول ٩٣٥هـ=٤ إبريل ١٥٢٨م.

فقط. وركبنا السفينة، وأكلنا المعجون، ثُمَّ أرسينا السفينة أعلى قليلًا مِن الجَيْش، وتصارع المتصارعون. ثُمَّ وصلنا مقر الجَيْش وقت صلاة العشاء.

وفِي هَذَا المكان الذي نزل فيه الجَيْش فِي السنة الماضية، عبرتُ « نهر كُنْكْ » سباحةً، قد جاء البعض على ظهور الخيل، وبعضهم على الإبل، وتفرجنا على المكان، وقد أكلتُ الأفيون فِي ذَلِكَ اليوم.

وفِي اليومِ التَّالِي يوم الثلاثاء، أرْسَلْنا كريم بردي، ومُحَمَّد علي حيدر الركابدار، وبابا شيخ ومعهم مائتين مِن الفتية الأكفاء لتقصي أخبار هؤلاء المخالفين. وفِي هَذَا المكان أصْدَرْنَا مرسوما إلى سفير البنكاله بغرض ما جاء فِي المواد الثلاث [المذكورة].

وفِي يَومِ الأربعاء، أرْسَلْنا يونس على إلى مُحَمّد زمان لتقصى الأخبار مِن «بِهَار». وقد رجع بجواب غير شافٍ.

وجاء رسولُ أبناء شيوخ «بِهَار»، ومعه عريضة وخبر عن [أن العدو] تخلى عن «بِهَار» وخرج مِنْها.

وفِي يَومِ الخميس، أعطينا تردي مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك ما يقرب مِن ألفين مِن أمراء الترك و«الهِنْد» ورُماة السهام، وكتبنا مراسيم استمالة إلى أهل «بِهَار» (٣٦٧أ) وأذنا له. وعينا الخوجه مرشد العراقي ديوانًا على رأس أمور «بِهَار». وأرْسَلْناه مع تردي مُحَمَّد.

وفِي اليَومِ التَّالِي، وافق مُحَمَّد زمان مِيرْزا على الذهاب إلى «بِهَار»، وقد التمس عن طريق الشَّيْخ زين، ويونس على، عددًا مِن الرِجَال مساعدين له، فكلفنا بعض الفتية بالعمل مساعدين لمُحَمَّد زمان مِيرْزا، وأعطيناه بعضًا منهم لخدمته.

وفِي يَوم الجمعةِ غُرة شعبان، تحَرَّكْنَا مِن هَذَا المنزل الذي توقفنا فيه هَذِهِ الأَيَّام الثلاثة أوالأربعة. وفِي ذَلِكَ اليوم ركبتُ الجواد، وتفرجتُ على «بوجپور وبهية»، ثُمَّ رجعتُ إلى الجَيْش.

مقتل السُلْطَان محمود اللودى:

وجاءنا خبر عن من أرسلتهم بقيادة مُحَمَّد علي [لتقصي الأخبار]، فقد هاجموا أثناء

الطريق عددا مِن الكُفّار، ووصلوا مَوْضِع السُلْطَان محمود، وكان معه ما يناهز ألفي رجل. وعندما علم بأمرهم، اضطرب وقتل فيليه ومضى. وكان قد وضع أحد أفياله في المُقَدِّمَة، فأدركه زهاء عشرين مِن هؤلاء الفتية، فهَرَبَ دون أن يواجهم. فقتلوا عددا مِن رِجَاله، ثُمَّ قطع أحدهم رأس [السُلْطَان محمود] وجاءوا بها، كما جاءوا أيضًا باثنين مِن رِجَاله أحياء.

وتحركتُ بالسفينة فِي اليوم التَّالِي وقد توقفنا هُنَاكَ يومين أو ثلاثة حَتَّى يتجاوز مُحَمَّد زمان مِيرْزا النَّهْر ونشيّعه. (٣٦٧ب).

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الرابع مِن الشهر، أحسنا على مُحَمَّد زمان مِيرْزا بكسوة خاصة كاملة، وسيف ذي حزام، وفرس أصيل، ومظلة كما أحسنا عَلَيْهِ بولاية «بهَار». وجعلنا مِن «بهَار» خاصةً ريعها مائة وخمس وعشرين مائة ألف، وأسندنا ديوانها إلى مرشد العراقي.

وفِي يَومِ الخميس، تحَرَّكْنَا بالسفينة مِن مقامنا هَذَا. وقد توقفت كل السفن لحين حضوري. وبعد ذَلِكَ أمرتُ بإبحارها، وربطها ببعضها صفا واحدا. ولما كانت كل السفن لم تصل بعد، لذا لم نسد عرض النَّهْر. ولم يمكننا الإبحار بالسفن طويلًا إذ كانت بعض مواضع النَّهْر ضحلة، وبعضها الآخر عميقا، والبعض متدفقا، والبعض الآخر ساكنا. وقد ظهر تمساح فِي صف السفن، ففزعت مِنْهُ سمكة وقفزت عاليًا وسقطت داخل إحدي السفن، فأمسكوا بها وأحضروها.

وعندما وصلنا إلى مستقرنا، أطلقنا أسماءً على السفن، فأطلقنا على السفينة الكبيرة التي بنيت فِي «أَكْرا» قبيل حرب سنكا اسم أسايش. وكان أرايش خان قد أمر قبيل الخروج للحملة هَذَا العام (٣٦٨أ) بِبَنَاء سفينة وقدمها هدية. ولدى مجيئنا هَذِهِ المرة، أمرتُ بعمل مرساة لها، وقد أطلقنا على هَذَا السفينة اسم أرايش. وأمرتُ بعمل مرساة أخرى كبيرة للسفينة الكبيرة التي أهداها السُلْطَان جلال الدين. وأطلقتُ عَلَيْهَا اسم كنجه يش. وقد عملوا [فِي هَذِهِ المرساة] مرفأ به زورق صغير كانوا يرسلونه فِي المهام المختلفة، وقد أطلقنا على هَذَا الزورق اسم فرمايش.

وفِي يَومِ الجمعةِ التَّالِي، لم نتحرك. وكان مُحَمَّد زمان مِيرْزا قد ابتعد عن الجَيْش لمسافة

فَرْسَخ أو اثنين لينتهي مِن استعداداته للذهاب إلى «بَهَار». وقد جاء فِي ذَلِكَ اليوم لطلب الإذن بالذهاب.

وجاء جاسوسان مِن جندِ البنكاله وقالا: إن البنكاله بقيادة مخدوم عالم، قسَّموا ضَفَّة نهر كندك[1] إلى أربع وعشرين قسما، ووضعوا المتاريس، وأنهم لم يسمحوا الأَفْغَان الذين تحت قيادة السُلْطَان محمود الراغبين فِي نقل عائلاتهم ومتاعهم بالمرور مِن هُنَاكَ، وأنهم انضموا إليهم. وعندما علمنا بهذا الأمر، منعنا مُحَمَّد زمان مِيرْزا مِن الذهاب لاحتمال أن تنشب الحرب، وأرْسَلْنا شاه سكندر إلى «بَهَار» ومعه ثلاثمائة أو أربعمائة رجل.

وفِي يَومِ السبت، جاء رجل مِن عِنْدَ [السَيِّدة] دودو[2] وابنها جلال خان ابن حاكم «بَهَار» (٣٦٨ب). وكان البنكالى يحافظ عَلَيْهما كبؤبؤ العين.[ليعلمنا] إنهم حاربوا البنكاله وتخلصوا منهم بِصُعُوبَةٍ، ثُمَّ عبروا النَّهْر وجاءوا إلى أنحية «بَهَار»، وإنهم فِي الطريق ليلحقوا بنا.

وفِي ذاتِ اليَومِ، أرسلتُ مرسوما إلى إسماعيل متا سفير البنكاله، بخصوص تأخر الرد على النقاط الثلاث التي سبق أن أرْسَلْناها، وأنهم إن كانوا مخلصين ومتفقين معنا حقا، فليسرعوا فِي إرسال الرد.

وفِي مساءِ يَومِ الأحد، جاء رسول تردي مُحَمَّد و چَنْكِچَنْك [لِيُنْهِي إلينا أنه] عِنْدَمَا صارت مُقَدِّمَة [جيشها] على مَقْرُبَةٍ مِن «بَهَار» فِي صباح يوم الأربعاء الخامس مِن شهر شعبان، خرج عامل «بَهَار»مِن البابِ الآخر وهَرَبَ.

وفِي يَومِ الأحد[3]، تَحَرَّكْنَا مِن مكاننا هَذَا، ووصلنا مقاطعة «آري». وهُنَاكَ بلغنا خبر استقرار جُنُود «خَرِيد»[4] على الضفة المقابلة مِن «نهر سَرْو» فِي مَوْضِع اتصال [نهرى] «سَرْو» و«كُنَك» ومعهم مائه أو مائه وخمسين سفينة. ولأن لنا مع البنكالى ما يشبه الصُّلح،

(١) جاءت فِي التركية نهر كنك = الجانج.
(٢) زوجة بهار خان.
(٣) فِي الانجليزية [وفي صباح يوم الأحد].
(٤) فِي الفارسية فريد.

فقد جنحتُ إلى الصُّلح مِن باب التيَمُّنِ بمثْلِ هَذهِ الأعمال. ورغم أنهم أتوا بتصرفات تخلو مِن الأدب وحادوا عن سبيلنا، فقد قررنا مراعاة القاعدة القديمة والسماح بذهاب إسماعيل متا سفير البنكالى مع المُلَّا مُحَمَّد مذهب (٣٦٩أ) ليبلغهم ثلاثة وعود.

وفي يَومِ الاثنين، جاء سفير البنكالى للملازمة فأذنا له، وأبلغناه: إننا متوجهون إلى هنا وهُنَاكَ لدفع العدو. ولن يصيب الأماكن أو المياه التي تخصكم ضرر أو خسارة. ولاسيما أن هَذَا كان أحد الوعود الثلاثة. وليبلغ عَسْكَر «خَريد» أن يخلو الطريق، ويذهبوا إلى «خَرِيد» لاستمالة أهلها وليعيدوهم إلى أماكنهم، وليذهب معهم عدد مِن الترك. وليعلموا أنهم إن لم يبتعدوا عن الطريق، ويتخلوا عن هَذَا الادعاء الغريب، فعَلَيْهِم سوء العاقبة، وأن كل ما سيحل بهم أنما هو مِن أنفسهم ومن أعمالَهُم.

وفي يَومِ الأربعاء، خلعنا على إسماعيل متا مبعوث البنكالى خلعة معتادة، وأذنا له.

وفي يَومِ الخميس، أرسلتُ الشَّيْخ جمال إلى دودو وأبنها جلال خان بمراسيم الاستمالة وكلمات العناية. وفي ذَلِكَ اليوم، جاء خادم [السَّيِّدة] ماهيم وأحضر معه رسائل. وكان قد انفصل عنهم أثناء مرورهم مِن خلف «باغ صفا»[1].

وفي يَومِ السبت، استقبلتُ مراد القورچى قجر سفير العراق.

ويَومُ الأحدِ، سلمتُ المُلَّا مُحَمَّد مذهب الهدايا المعتادة وأذنا له.

ويومُ الاثنينِ، أرْسَلْنا خليفة وبعض الأُمَرَاء للبحث عن المكان الذي يمكن عبور النَّهر مِنْهُ. (٣٦٩ب)

وفي يَوم الأربعاء، أرْسَلْنا خليفة مرة أخري لرؤية ما بين النَّهْرين. وذهبتُ للفرجة على زهور النيلوفر[2] قريبا مِن الطرف الجَنُوبِيّ لمقاطعة آري. وأثناء مشاهدتى لها، أحضر الشَّيْخ كوران بعض مِن بذور لنيلوفر الطازجة، وهي طيبة المذاق وتشبه الفستق، ويطلق الهنود على

(١) جاءت فيالانجليزية الذى انفصل عنهم عند والعلى الجانب الآخر من باغ صفا.

(٢) هى زهور اللوتس.

زهور النيلوفر اسم كول ككرى، وعلى بذورها اسم دوده.

وقالوا إن «سون» قريبة مِن هَذَا المكان. فذهبنا وتفرجنا عَلَيْها. وشاهدنا أشجارا كثيفة على نهر «سون». وقالوا إن هَذَا المكان يسمى «منير»، و بِهِ مزار الشَّيْخ يحي ابو الشَّيْخ شرف الدين المنيري. ولأننا كنا على مقربة مِنْهُ، فقد عبرنا [نهر] «سون»، واتجهنا لأسفل مَسَافَة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ، وتفرجنا على منيرثم جاوزنا حدائقها وطوفنا بالمزار، ثُمَّ رجعنا إلى ضِفَّة «نهر سون» ، واغتسلنا فيه، وصلينا الظهر قبيل وقته، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا فِي اتجاه معَسْكَر الجَيْش مباشرة.

ونظرًا لأن الخيول أصابها المرض، فقد تخلف بعضها، وأصاب التعب البعض الآخر، وأمرتُ بأن يتخلف عنا البعض ليجمعوا الخيول المريضة، ويقدموا لها الماء والعلف، ويأتون بها على مهل. ولولا هَذَا، لنفق الكثير مِن الخيل.

وأثناء العودة مِن منير، طلبتُ أن يحصي كل رجل عدد خطوات جواده مِن ضِفَّة «سون» إلى المعَسْكَر. وقد أحصيناها مِن « منير » إلى «سون» فوجدناها ثلاثة وعشرين ألف (٢٣٧٠أ) ومائه خطوة، وهي تعادل ست وأربعين ألف ومائتي قدم، أو أحد عشر فَرْسَخا ونصف. [فضلا عن] نصف فَرْسَخ آخر. وهكذا نكون قد قطعنا فِي العودة اثني عشر فَرْسَخا. وفِي الذهاب كانت المسافة خمسة عشر أو ستة عشر فَرْسَخا لأننا توجهنا للتفرج على كل مكان [فِي طريقنا].

وبهذا نكون قد قطعنا ثلاثين فَرْسَخا فِي المشاهدة والتفرج فِي يَومٍ واحدٍ. ورجعنا إلى المعَسْكَر بعد الجزء السادس مِن الفترة الأولى مِن الليل[1].

وفِي يَومِ الخَمِيسِ التَّالِي، جاء مِن «جونپور» السُلْطَان جُنَيْد برلاس والفتيان الذين فِي جونپور. ولم أستقبلَهُم عتابًا لَهُم بسبب تأخرهم. واستدعيتُ القاض جيا، وقابلته.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية أنها تساوي الساعة الثامنة والربع مساءً.

التخطيط للحرب مع [نصرت شاه] البنكالي:

وفِي ذَلِكَ اليوم، دعوتُ أمراء الترك، و«الهِنْد» للمشاورة، وتكلمنا بشأن عبور النَّهر، وقررنا الآتي: أن يضع الأستاذ عليقُلي [مدافع] القازان، والفرنكى، والضربزن[1] فِي مَوْضِع مرتفع بين «نهرى كُنك»، و«سرو»، ويبدأ القِتَال مِن مكانه هَذَا مع بعض مِن رُماة البنادق. وفِي الجزيرة الواقعة فِي الجنوب قليلا مِن مَوْضِع اتصال النَّهْرين، نزل البنكالى ومعه فيل وعدد كبير مِن السفن. وفي الجهة المقابلة ناحية «بهَار» مِن «نهر كُنك»، يقوم مصطفي باستكمال الآلات والأدوات[اللازمة للقتال] ويقاتل مِن هُنَاكَ. ويتواجد معه عدد كبير مِن رُماة البنادق. ويعاونه مُحَمَّد زمان مِيرْزا والعساكر التي مع مصطفي. (٣٧٠ب) كما يعين مع الأستاذ عليقُلي ومصطفي عدد كبير مِن المختصين بالاستحكامات والعمال وجاوشيه، لاختيار المكان وتهيئته لإطلاق [مدفع] الضربزن ووضع [مدفع] القازان.

فجمعوا الأدوات واللوازم، وانشغلوا بالاستعداد [للقتال]. وانطلق السلاطين والأمراء والخانات[2] بسرعة، فاجتازوا «سَرْو» مِن مَخَاضَة «هَلْدي»، ومِن مكانهم هَذَا أصبحوا مُسْتَعِدِّين للسير إلى العدو فِي الوقت المحدد. وفي هَذهِ الأثناء، عرض [عَلَيْنَا] السُلْطَان جُنَيْد والقاض جيا أن هُنَاكَ مَخَاضَة على مَسَافَة ثمانية فَرَاسِخ جهة الشمال. أمرتُ واحدا أو اثنين مِن االبحارة بالذهاب مع رِجَال السُلْطَان جُنَيْد، ومحمود خان، والقاض جيا للبحث عن هَذهِ المَخَاضَة، واجتيازها فِي حال الوصول إليها. فقد كان يتردد بين النَّاس أن البنكالي يفكر فِي تعيين رجل عِنْدَ مَخَاضَة «دِهْلي».

وجاءت عريضة محمود خان عاملنا على «سكندرپور»، يعلمنا أن هُنَاكَ زهاء خمسين مركبا متجمعة عِنْدَ مَخَاضَة «هَلْدي» فِي حوزة القباطنة، لكنهم وَجِلون مِن خبر مجيئ البنكاله.

---

(١) أنواع من المدافع.

(٢) جاءت في الانجليزية سار عسكرى [ميرزا] والسلاطين، وجاءت فِي الفارسية عسكرى وهؤلاء الخانات والسلاطين.

تخطيط بابُر للقتال مع البنكاله:

ونظرًا لضيق الوقت للبحث عن مَخَاضَة «نهر سَرْو»، فقد دعوتُ الأُمَرَاء فِي يَوم السبت لتداول الأمر دون انتظار مِن ذهبوا للبحث عن مَخَاضَة، وقلتُ لَهُم:

هناك مخاوض لنهر سَرْو فِي كل مَوْضِع فِي «سكندر پور» مِن «چترموك» حَتَّى «أود» وبهرايج. وإذا كان لابد لنا مِن الانتظار، فلنعين فوجا كثيفا [بقيادة عَسْكَري [مِيرْزا] يجاوز مَخَاضَة «هَلْدي» (٣٧١أ) بالسفن ويهاجم العدو. وإلى أن يصلوا هؤلاء، ينشغل الأستاذ عليقُلي، ومصطفي بإطلاق المدفع والبنادق والضربزن، والأفرنجي للتمويه على العدو. بَيْنَمَا نعبر نَحْنُ «نهر كُنَك». ويجب أن يتم تيعين مساعدين للمُعَلِّم عليقُلي، ونكون نَحْنُ على أُهْبَة الاستعداد. وعندما يقترب ذَلِكَ الفوج بقيادة عَسْكَري [مِيرْزا]، نعبر بدورنا للقتال فِي المنطقة التي سيفضى إليها الدَرْب ونهاجم. وينشغل مُحَمَّد زمان مِيرْزا والذين معه بالقِتَال بجانب مصطفي فِي ناحية «بهَار» مِن «نهر كُنَك». وهذا ما قررناه. وقسمنا الجُنْد الموجدين فِي شمال كُنَك إلى أربعة أفواج، وأرْسَلْناهم تحت قيادة عَسْكَري [مِيرْزا] صوب مَخَاضَة «هَلْدي» فوج مِن رِجَال عَسْكَري [مِيرْزا] وتحت قيادته، وفوج مع السُلْطَان جلال الدين شرقي، وفوج مِن سلاطين الأُزْبَك؛ قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، وتانكاتمش سُلْطَان، ومحمود خان نوحاني، وغازي يوري، كوكي بابا قاشقة، تولميش أوزبك، وقربان جرخي، وأمراء الإقطاعات بقيادة حُسَيْن خان. وفوج مكون مِن موسي سُلْطَان، وسُلْطَان جُنَيْد، وجند جونپور وعددهم تخمينا يناهز العشرين ألفا. وفِي مساء ذات اليوم الأحد (٣٧١ب) عينا الجاوشية لسوق الجَيْش.

وفِي صباح الأحد، بدأ الجَيْش فِي اجتياز «نهر كُنَك» إلى الطرف الآخر. ومع الطرقة الأولي[1] ركبتُ السفينة. ومع الفترة الثالثة، رجع مَن ذهبوا للبحث عن مَخَاضَة [النَّهر]. ولم يكونوا قد اهتدوا إليها بعد. وقالوا إنهم صادفوا فِي الطريق السفن والأفواج التي تم تعيينها.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية أنها تقابل الساعة السادسة صباحا.

تجربة إطلاق المدافع:

وفِي يَوِمِ الثلاثاء، نهضنا مِن المكان الذين عبرنا مِنْهُ النَّهْر، وتوقفنا على مَسَافَة فَرْسَخ تقريبا مِن مَوْضِع اتصال الأنهار ببعضها، حيث ميدان المَعْرَكَة. وذهبتُ بنفسي، وتفرجتُ على إطلاق الأستاذ عليقُلي للإفرنجي، والضربزن، وفِي ذَلِكَ اليوم، رمى الأستاذ على قُلي السفن بحجارة الإفرنجي فكسرها وأغرقها. ومن الجهة الأخرى رمى مصطفي [الرومى] سفينتين بحجارة [الإفرنجي] فأغرقها. وأحضرنا المدفع الكبير إلى ميدان القِتَال، وكلفنا مجموعة مِن الفتية المختارين والقُوَاسين[1] والجاوشية مع المُلَّا غلام ليكونوا مساعدين له. ثُمَّ رجعنا إلى جزيرةٍ قُبَالَة الجَيْش وأكلنا المعجون. وبعد أن أكلتُ المعجون، أمرتُ أن يسحبوا السفينة قريبا مِن الخيمة، وغفوتُ بها.

وفِي ذَلِكَ المساء، وقع حادث غريب، فعند الطرقة الثالثة مِن الليلة، تعالت فِي السفينة زيطة وجلبة، وأخذ كل واحد مِن الأُمَرَاء وغيرهم قطعة مِن خشب، وأخذوا يتصايحون "إنها الحرب، الحرب، الحرب!". وكان سبب هَذهِ الزَّيْطَة أن السفينة فرمايش كانت بجوار السفينة «آسايش» التي أنام بها (٣٧٢أ) وعَلَيْها أحد الحراس، وعندما استيقظ مِن نومه ونظر، رأى رجلا يتسلق السفينة «أسايش» فألقى بنفسه عَلَيْهِ، وأسقطه فِي النَّهْر، وعندما خرج مرة ثانية، ضرب رأس الحارس بالسيف فأصابه ببعض الجروح، ثُمَّ ألقى بنفسه إلى النَّهْر ليهَرَب.

كذَلِكَ فِي اللَيْلِة التي أتينا فيها مِن «منير»، تشاجر واحد أو اثنان مِن الحرس المَوْجُودِين قُرب السفينة مع بعض الهنود، وكان معهم سيفًا أو اثنين وخنجرا. لكن الله ستر.

لو أن كل سيوف الدنيا أُشهِرَت،

فلن تقطع عِرْقا إلا بمشيئة الله.

---

(١) فِي الأصل يساول. ولها عدة معانٍ، منها حاملو الأوامر، والحرس، وقوات الاعتراض.، وقد اخترنا من بينها هَذَا المعنى. حامل الأقواس لتناسبه مع ساحة القِتَال،

وفِي يَومِ الأربعاء التَّالِي، ركبْتُ [السفينة] غنجايش، واقتربتُ مِن مَوْضِع إطلاق الحجارة وحددتُ لِكُلِّ سفينة مهمة مختلفة.

وقد أرْسَلْنا ما يناهز الألف مِن الفتيان بقيادة أوغان بيردي المُغُولي لمسافة فَرْسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ إلى أعلى ليعبروا النَّهْر بأية طريقة. وأثناء ذهابهم عبر البنكاله النَّهْر بعشرين أو ثلاثين سفينة قُبَالَة موقع جيش عَسْكَري [مِيرْزا]، وخرجوا مشاة وأفواجا، وهم يتوهمون، أن [بمقدورهم أن] يشنوا هجوما. فهجم عَلَيْهِم جند عَسْكَري [مِيرْزا] بخيلَهُم، فدفعوهم للفرار. وقتلوا بعضهم وقطعوا رؤوسهم، ورموا الكثير منهم بالسهام، وغنموا منهم سبع أو ثمان سُفُن.

وفِي اليوم نفسه، كان البنكاله يعبرون النَّهْر ببضع مراكب مِن ناحية مُحَمَّد زمان مِيرْزا (٣٧٢ب) لقتاله. فشدد عَلَيْهِم الهجوم فلاذ البنكاله بالفرار، وغرق منهم رِجَال ثلاث سفن وغنموا سفينة، وجاءوا بها عندنا. وقد أحسن بابا چهرة التصرف هُنَاكَ، وقهر العدو.

وقد أصدرتُ أمرًا إلى أوغان بردي بسحب سبع أو ثمان مِن السفن التي استولينا عَلَيْهَا إلى الشمال فِي عتمة الليل، وأن ينقل بها مُحَمَّد سُلْطَان الذي تقرر نقله سلفا والخوجه يكه، ويونس على أوغان بردي ورِجَالَهُم.

وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء رسول عَسْكَري [مِيرْزا]، وأبلغنا أنهم جاوزوا النَّهْر جميعًا وسيتوجهون إلى العدو فِي صباح اليوم الثاني الموافق يوم الخَمِيس.

وأصدرتُ أمرًا إليهم بأن ينضموا إلى عَسْكَري [مِيرْزا] ويهاجموا العدو. وعند الظهر، أتى رجل مِن عِنْدَ الأستاذ [عليقُلي]، وأبلغنا أنه أعَدَّ الحِجَارة. وقد أمرتُ بإطلاق تِلْكَ الحِجَارة، وتَجْهيز حِجَارة أخري لحين مجيئى. وعند صلاة العصر، ذهبتُ بزورق بنكالي صغير إلى مكان المدافع. وقد أطلق الأستاذ على قُلي حجرًا كبيرًا، وعددا مِن [المدافع] الأفرنجي.

والبنكال مشهورون بإطلاق النار. فقد اتخذوا مكانًا للتصويب، ولم [يحسنوه] بل كانوا يُطْلِقُون [النار]على غير هدى. لكن تجربتنا هَذِهِ المرة كانت جيدة.

وعند صلاةِ العصر. أصدرتُ أمرًا بسحب بضع سُفُن عبر «نهر سَرْو» إلى الطرف

الآخر، وقام رِجَال سحب السُّفُن، بسحب عدد مِنْها بلا خوف أوخفاء. (٣٧٣أ) وأصدرنا الأمر إلى ايسن تيمور سُلْطَان، وتوخته بوغه سُلْطَان، وبابا سُلْطَان، وأرايش خان، والشَّيْخ كوراني أن يرابطوا فِي المكان الذي ستنقل إليه السفن، وأن يحافظوا عَلَيْهَا.

ورجعتُ مِن هُنَاكَ، فبلغتُ معَسْكَر الجَيْش فِي الفترة الأولى [مِن الليل]. وقبيل منتصف الليل جاء خبر مِن السفينة التي سحبناها إلى أعلى بأن المجموعات المُكَلَّفة بسحب السُّفُن قد تقدمت كثيرًا إلى الأمام، فشعر البنكاله بهم، ودارت المَعْرَكَة. وقد أُصيب قدم أحد البحارة بحجر فانكسرت ولم نتمكن مِن اجتياز [النَّهْر].

وفِي صباحِ يومِ الخميس، جاء خبر مِن الذين فِي الخندق [يقول] جاء الجميع مِن ناحية أعلى [النَّهْر] فامتطى فرسان العدو خيولَهُم، وتحركوا ضدهم. وعلى الفور، امتطيتُ الجواد، وانطلقتُ إلى السفن التي نقلناها إلى ذَلِكَ الجانب مِن النَّهْر، فوصلتُ مساءً. وأرسلتُ رجلًا إلى مَن تقرر أن يعبروا النَّهْر تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا ليعبروه فورًا، وينضموا إلى عَسْكَرِي [مِيرْزا].

وكان أيسن تيمور سُلْطَان، و توخته بوغه سُلْطَان، فِي هَذِهِ السفن. وقد أمرتهم أن يبدأوا فِي عبور [النَّهْر]. ولم يَكُنْ بابا سُلْطَان قد وصل بعد إلى المكان المحدد. وعلى الفور ركب أيسن تيمور سفينة ومعه ثلاثين أو أربعين مِن رِجَاله، ووضعوا خيولَهُم فِي جانب السفينة احتياطيًا، (٣٧٣ب) وجاوزوا [النَّهْر] وتبعتهم سفينة أخرى. وتقدمت إليهم مجموعة كبيرة مِن البنكاله الذين شاهدوهم وهم يعبرون، فانطلق سبعة أوثمانية مِن رِجَال ايسن تيمور سُلْطَان بخيولَهُم، وتصدوا لهذا الحشد مِن المشاة واستدرجوهم إلى ناحية أخرى. واشتبكوا معهم[1]، إلى أن يمتطى [أيسن تيمور] سُلْطَان جواده. وعبرت السفينة الثانية، وتعارك ثلاثون أو خمس وثلاثين فارسا مع المشاة المحتشدين، وهزموهم هزيمة منكرة.

وكان أداء [ايسن تيمور سُلْطَان] مميزا. فقد عبر أولًا وقبل الجميع بلا وجل، ثُمَّ تقدم بعدد

(١) جاءت فِي الانجليزية وأطلقوا عليهم السهام. وجاءت فِي التركية،وتبارزوا معهم سيفا بسيف

محدود مِن الرِجَال لمواجهة المشاه المحتشدين وهزمهم. كما عبر توختته بوغه سُلْطَان، ولحق به الآخرون تباعًا. كما بدأ أهل «لاهور» والهنود فِي اجتياز النَّهْر بطريقتهم الخاصة، فمنهم مَن عبر مستخدما لوحاً [(١)] ، ومنهم مَن عبر مستخدما حزمة مِن خيزران. وما أن رأت سفن البنكاله المتجمعة قُبَالَة الخندق هَذَا، حَتَّى بدأت فِي الانسحاب صوب أسفل النَّهْر. وعبر درويش مُحَمَّد ساربان، ودوست أشيك أغا [(٢)] ، وبعض الفتية الآخرون، مِن أمام الخندق [إلى الجهة المقابلة]. وأرسلتُ رجلًا إلى السلاطين، ليبلغهم أمرنا بأن يتجمع الذين عبروا، ويقتربوا مِن مجموعه [ألْقُوات] التي فِي ذَلِكَ الطرف، ويسيروا مِن جنبهم ويهاجموا العدو. (٣٧٤أ) وضم السلاطين إليهم [أولئك] الذين عبروا، وقسّموهم إلى ثلاث أو أربع مجموعات وتوجهوا إلى العدو.

ولدى اقترابهم، ضم العدو مشاتَهُ إلى المُقَدِّمَة، وحثوا الخطى بصفوف منظمة. وجاء كوكى [(٣)] مِن الفَوْجِ الذي تقدم مع عَسْكَري [مِيرْزا] وأدركهم. فلحقهم كوكى مِن ناحية والسلاطين مِن الناحية الأخرى، وشنوا الهجومَ على العَدُوِّ، وضربوه وهزموه. وأدْرَكَ رِجَال كوكى، أحدَ الكُفَّار المُعْتَبَرين ويدعي بسنت راو، فقطعوا رأسه، كما وقع فِي يدهم عشرة أو خمسة عشر رجل مِن رِجَاله فمزقوهم إربا [(٤)] . وجاء توختته بوغه سُلْطَان، فِي مواجهة العدو، وأعمل فيهم السيف، وقاتلَهُم. كما التحم عبد الوهاب مُغُول وأخوه الصغير، بالسيف مع العدو. ولما كان [عبد الوهاب] المُغُولي لا يعرف السباحة، فقد اجتازَ النَّهْر بدرعه، وممسكا بعرف فرسه.

وكانت سفننا وراءنا، فأرسلتُ رجلًا إليها. وتقدمت السفينة «فرمايش» إلى الأمام قليلا. فركبْتُها وجاوزتُ النَّهْر، وتفرجتُ على أماكن البنكاله. ثُمَّ ركبتُ السفينة كنجه يش، واستفسرتُ عن الطرف العلوى [للنهر]. وقد عرض مير مُحَمَّد جاله بان أن اجتياز «نهر سَرْو» يكون

(١) جاءت فِي الانجليزية سباحة.
(٢) أضافت الانجليزية ونور بِك.
(٣) أحد القواد الذين عملوا مع بابُر واسمه كوكى بابا قاشقه.
(٤) الجملة من أول كما وقع فِي يدهم. إلى نهايتها أغفلتها الترجمة التركية.

أَفْضَل مِن الشمالِ قليلا. وقد أمرتُ أن يبدأ الجُنْد في اجتياز النَّهْر مِن المكانِ الذي أشار به. كما أصْدَرْنَا الأمر إلى أولئك المَوْجُودِينَ تحت قيادة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا (٣٧٤ب) باجتياز النَّهْر. وأثناء اجتياز النَّهْر، غرقت سفينة الخوجه يكه، وانتقل إلى رحمة الله. وقد أحسنا على أخيه الأَصْغَر الخوجه قاسم برِجَاله وولايته.

وأثناء الاغتسالِ قبل الصلاة، جاء السلاطين، فأظهرتُ لَهُم حَسَن القبول، وبعثنا فيهم الأمل فِي عنايتنا وشفقتنا. وفِي تلك الأثناء، جاء أيضًا عَسْكَري [مِيرْزا]. وكان هَذَا أول أمر يضطلع به عَسْكَري [مِيرْزا]. وكان موفقا فيه.

وفِي ذَلِكَ المساء، نمت فِي السفينة «كنجه يش» عِنْدَ إحدى الجزر حيث أن مَعْسْكَر الجَيْش لم يَكُنْ قد انتقل بعد.

وفِي يَومِ الجمعة، وصلنا قرية «كندبه» بمقاطعة «نرهن»مِنتوابع «خَريد» فِي شمال «نهرسَرْو».

وفِي يَومِ الأحد، أرسلتُ كوكي ورِجَاله إلى «حاجي پور» لتقصي الأخبار.

كما أحسن الشاه مُحَمَّد معروف الذي أَظْهَرْنَا له رعاية كبيرة لدى مجيئه السنة الماضية، وأعطيناه ولاية سارن، التصرف أكثر مِن مرة، وقاتل والده معروف مرتين وهزمه وأسره. وعندما استولي السُلْطَان محمود [اللودي] على «بهَار»غدراً، اضطّر إلى الانْضِمام إليه، وسار ضد بِبَن والشَّيْخ بايزيد. وفِي تلك الأَيَّام. تَوالَت عرائضه إلينا، وخاضت الألسن فِي حقه كثيرا. وبمجرد اجتياز عَسْكَري [مِيرْزا] مَخَاضَة «هَلْدي»، جاء مع رِجَاله، وقابله (٣٧٥أ) وسار معه ضد البنكاله. وقد جاء أثناء وجودنا فِي هَذَا المكان والتزم.

وفِي تلك الأَيَّام، كانت الأخبار تَتْرى عن الشَّيْخ بايزيد، وبِبَن. وقد حزما أمرهما على عبور«نهرسَرْو». وفِي تلك الأثناء، بلغنا خبر غريب عن سُنْبُل ، وكان بها على يوسف الذي أحسن الضبط والربط فيها، فقد انتقل إلى رحمة الله هو وطبيبه المصاحب له فِي ذات اليوم. فقررنا إرسال عبد الله إلى هُنَاكَ لتنظيم شئونها وإدارتها، وسمحنا له بالذهاب إلى هُنَاكَ فِي يَوم

الجمعة الخامس مِن شهر رمضان، سُنْبُل .

وفي تلك الأَيَّام، وصلت عريضة مِن چين تيمور سُلْطَان بأن الأُمَرَاء المكلفين لم يتمكنوا مِن الانضمام إليه بسبب مجيء العائلة مِن «كابُل». وأن مُحَمَّدي وآخرين رافقوه مَسَافَة مائه فَرْسَخ. وهزموا البلوج هزيمة جيدة. وأرسلتُ المراسيم مع عبد الله إلى چين تيمور سُلْطَان، والسُلْطَان مُحَمَّد دُلداي ومُحَمَّدى وبعض الأُمَرَاء الأخرين هُنَاكَ، أمرهم بالتجمع فِي «أكرا» مع چين تيمور سُلْطَان، وأن يكونوا علىأُهْبَة الاستعداد،ويتحركوا إلى حيثما يولىالمخالفين وجوههم.

وفِي يَومِ الاثنينِ الثامنِ مِن الشهر، جاء جلال خان حفيد دريا خان الذي أرْسَلْنا إليه شيخ جمالي (٣٧٥ب) ومعه كل الأُمَرَاء المعتبرين، والتزموا.

وكان يحي النوحاني قد أرسلَ أخاه الأَصْغَر وأظهر الخضوع والطاعة، وقد تلقى مرسوما بقبوله. وقد جاء بدوره فِي ذات اليوم والتزم. ولأن سبعة أو ثمانية آلاف نوحاني وأفغاني جاءوا تحدوهم بعض الآمال، فلم أشأ أن أخيب آمالَهُم، وجعلتُ مائة مائة ألف مِن «بهار» ملكا خاصا، وأحسنتُ على محمود خان النوحاني بخمسين مائة ألف مِن «بهَار»، وسلمتُ الباقى إلى جلال خان على أن يقدم مائة مائة ألف رمزا للتبعية. وأرْسَلْنا المُلَّا غلام يساوول لتحصيل هَذهِ الأموال. وأعطينا ولاية «جونپور» إلى مُحَمَّد زمان مِيرْزا .

وفِي مساءِ الخَمِيس، جاء خادم خليفة، واسمه غلام على ومعه رجل مِن عِنْدَ الشاهزاده منكير اسمه ابو الفتح، جاءوا قبل إسماعيل متا لنقل الشروط الثلاث المار ذكرها. وقد أحضر غلام على وأبو الفتح هَذَا، إلى خليفة الرسائل التي كتبها الشاهزاده منكير ووزير حَسَن خان لنكر. وقد قبل الشروط الثلاثة آخذين على عاتقهم مسألة نصرت شاه، وعرضوا التوسط بيننا فِي الصُّلح. ولما كانت هَذهِ الحملة مِن أَجْلِ دفع الأَفْغَان الأعداء، فقد انصرف بعضهم وجاء بعضهم الآخر وقبلوا الدخول فِي الخدمة والعبودية. (٣٧٦أ) والقسم المتبقي منهم الذي يساعد [نصرت شاه] البنكالى فقد أخذهم على عهدته. ولماكان فصلُ المطر قد أوشك، لذا، أبلغناه أننا فِي المقابل قبلنا الصُّلح، بالشروط المذكورة.

وفِي يَومِ السبت، جاء إسماعيل الجلواني، وعلاول خان النوحاني، وأوليا خان الإسترانى

وخمسة أو ستة أمراء، والتزموا. وفِي اليوم نفسه، أحسننا على ايسن تيمور سُلْطَان، وتوخته بوغه سُلْطَان بسيف ذى حزام، وخنجر ذى حزام، وجُبَاب، وخِلَع، وخيول أصيلة، وأحسننا على ايسن تيمور سُلْطَان بثلاثين مائة ألف مِن مقاطعة نارنول، وعلى توخته بوغه سُلْطَان، بثلاثين مائة ألف مِن مقاطعة «شمس آباد».

وفِي يَومِ الاثنينِ الخامسِ عشر مِن الشهر، وبعد تهدئة نواحي «بهَار» والبنكاله، تحَرَّكْنَا مِن منزل بأنحية «كونديه» على ضَفَّة «نهر سَرْو»، عازمين أمرنا على دفع شر[1] الخائنين بِبَن، والشَّيْخ بايزيد، وبعد منزلين، جاوزنا فِي يَومِ الأربعاء مَخَاضَة «جوباره» إحدى مخاوض «چترموك سكندر پور». وبدءً مِن ذَلِكَ اليوم، انشغل العَسْكَر فِي اجتيـازها. وبدأت الأخبار تتواتر بشأن هذين الخائنين، واجتيازهما نهرى سَرْو وككر، وتحركهما صوب «لكنو». فعيننا على خان القَرمُلي، و ترديكة وناظم خان البياني مِن أمراء الترك و«الهِنْد». ومن الطولمش والأُزبك، قوربان جرحي وحسين خان دريا خاني(٣٧٦ب) بقيادة السُلْطَان جلال الدين شرقي لمنع تقدمهم، ورخصنا لَهُم بالذهاب مساء يوم الخميس.

أمطار الشتاء وأوراق بَابُر:

وفِي مساءِ ذَلِكَ اليوم [الخميس]. وبعد صلاة التراويح، عِنْدَ الطرقةِ الخامسة مِن الجزءِ الأول [مِن الليل] أفرغَت سُحُب الشتاءِ ماءها، فكان ما يشبه الطوفان فِي لحظة واحدة، وهبّت عاصفة عاتيةفلم يبقى فِي الخَيْمَةِ شيء إلا واقتلع مِن مكانه. وكنتُ أكتبُ داخل الخيمة، ولم يتسع الوقت لأجمع أوراقي وكتبي. وانهار سقف الخيمة فوق رأسي وتمزقت نافذة الخيمة قطعًا. وبحفظ الله لم يلحقنى ضرر. وغرقت الكتب وما كتبته، وأمكن جمعها بِصُعُوبَةٍ. وقمنا بلفها فِي بساط. ووضعتها أسفل الأريكة، وغطيتها بالبساط، وبعد جزئين مِن الوقت سكن المطر. وأقاموا لى خيمة للنوم، وأحضروا الشمع، وأوقدت النار بِصُعُوبَةٍ، وانشغلت حَتَّى الصباح بدون نوم فِي تجفيف الأوراق والكتب.

---

(١) جاءت فِي الانجليزية لسحق.

وفي يومِ الخميس، جاوزتُ النَّهْر.

وفي يومِ الجمعة، تفرجنا على «خَرِيد» و«سكندر پور» على ظهور الخيل. وفي ذَلِكَ اليوم، كتب عبد الله وباقي عن استيلاء العدو على «لكنور».

وفي يَومِ السبت، أرسلتُ كوكى وجماعته ليذهب ويلحق بباقي.

وفي يَومِ الأحد، أعطيتُ الرخصة إلى السُلْطَان جُنَيْد برلاس، وحسن خليفة وجماعة المُلّا آپاق، وأخوة مؤمن أتكه الكبار والصغار، للانضمام إلى باقي، و[وأمرتُهم] ألا يقصروا فيما يمكن أن ينجزوه إلى أن أدركهم.

وعند عصر ذَلِكَ اليوم، أحسنا على شاه مُحَمَّد معروف بخلعة وجواد أصيل. ورخصنا له [بالذهاب]. وكنا تبعًا لما كان مرعيًا قد أحسنا عَلَيْهِ فِي العام الماضي بسارن كمخصصات له، وراتبا لرُماة السهام فِي كُندله[1]. وفِي ذَلِكَ اليوم، أحسننا على إسماعيل الجلواني باثنين وستين مائة ألف مِن سروار، وخلعة خاصة، وجواد أصيل، ورخصنا له [بالذهاب]. كما حددتُ مخصصات مِن سروار إلى مَن جاءوا معه وعلى رأسهم علاول خان النوحاني، وقررنا أن يلتزم دَوْما فِي «أَكْرا» الأخ الأَصْغَر لِكُلِّ واحد منهم أو ابنه.

وقد عهدنا إلى البنكاله بسفينتين اخترناهم مِن سفنهم التي غنمناها فِي حملتنا هَذهِ. وهما السفينتين «كنجه يش» و« أرايش» ليوصلوهما إلى غازيپور عن طريق «ترمهانى»، وأن ينقلوا الجَيْش معهم كذَلِكَ بالسفينتين «أرايش» و«فرمايش» فِي اتجاه أعلى «نهر سَرْو».

وبعد إعادة الهدوء والسكينه إلى مناطق «بهَار» و«سروار»، تحَرَّكْنا يوم الاثنين فِي اتجاه منطقة «أود» عبر دَرْب «جوباره» فِي «چترمومك» بمحاذة حافة «نهر سَرْو». وتقدمنا عشرة فَرَاسِخ، ثُمَّ نزلنا بضِّفَّة «سرو» بجوار قرية اسمها «كليهره» مِن مُلْحَقَات مقاطعة «فتحپور». (٣٧٧ب)

وقد وصل الذين تحركوا مبكرًا إلى «بحيرة فتحپور» الكبيرة بعد أن ضلوا الطريق. وقد

---

(١) موضع فِي الهِنْد يمثل نقطة اتصال بين عدة ولايات.

أمرنا بضع رِجَال بالإسراع لكي يعيدوا الجُنُود القريبين. وبعد أن عَسْكَرنا على ساحل البحيرة، أَرْسَلْنا رسالة إلى الخوجه كيچيك لكي يعيد الجُنْد الذين نزلوا هُنَاكَ إلى المَعَسْكَر فِي اليوم التَّالِي.

وفِي اليوم الثاني، تَحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ، وفِي منتصف الطريق، ركبتُ السفينة «أسايش»، وأمرتُ بسحب السفينة إلى أعلى حيث المنزل الذي ذهبتُ إليه.

وفِي الطريق، جاء ابن الشاه مُحَمَّد ديوانه مِن عِنْدَ باقي لاستقبالنا. وجاء معه خليفة. وتحققنا مِن خبر «لكنو». ففي يَومِ السبت الثالث عشر مِن شهر رمضان، بدأ [المخالفون لنا] القِتَال. لَكِنَّهُ لم يظفروا بشيء. وأثناء القِتَال، اشتعلت النار فِي سقيفة مصنوعة مِن الخيزران والعشب الجاف المخزون مُنْذُ فترة، واخترقت داخل الحِصْن مثل التنور. ولم يَسْتَطِيعوا أن يعتلوا الجِدَار، وهكذا استولى [العدو] على الحِصْن.

وبعد يومين أو ثلاث، بلغهم خبر عودتنا، فتحركوا إلى ناحية «دلمور».

فِي ذَلِكَ اليوم أيضًا، قطعنا مِن الطريق مَسَافَة عشرة فَرَاسِخ، ونزلنا بضَفَّة «نهر سَرْو» إلى جوار قرية اسمها «جَليسِر» مِن مُقَاطَعات «سِكْري».

وفِي يَومِ الأربعاء، توقفنا فِي ذَلِكَ المنزل لراحة الخيل.

وقال بعضهم: إن الشَّيْخ بايزيد، وبَن يفكران فِي عبور « كُنْك »، (٣٧٨أ) والانضمام إلى فرسانهم فِي نواحي «چِنَار» و«جون». فاستدعيتُ الأُمَرَاء لتداول الأمر، وقررنا أن يذهب مُحَمَّد زمان مِيرْزا الذي أخذ «چِنَار» وبعض المقاطعات الأخرى عوضا عن «جونپور» وبعض المقاطعات، والسُلْطَان جُنَيْد برلاس، ومعهم محمود خان النوحاني، وقاضي جيا، وتاج خان السارَنْكخاني ويقطعوا الطريق على المخالفين فِي «چِنَار».

وفِي يَومِ الخميس التَّالِي، تَحَرَّكْنا مبكرا، ففارقنا «نهر سَرْو»، وتقدمنا مَسَافَة أحد عشر فَرْسَخا، ثُمَّ اجتزنا «نهر سَرْو» وعَسْكَرنا على شاطئه. واستدعيتُ الأُمَرَاء للمشورة، وقررنا أن ينفصل كل مِن ايسن تيمور سُلْطَان، و مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، و توخته بوغه سُلْطَان، وقاسم حُسَيْن سُلْطَان، وبيخوب سُلْطَان، ومُظَفَّر حُسَيْن سُلْطَان، والخوجه قاسم، والخوجه جعفر،

والخوجه زاهد، وجان بِك، عن الجَيْش ومعهم رِجَال عَسْكَري [مِيرْزا]. والخوجه كيچيك، ومن أمراء «الهِنْد» عالِم خان الكَالْپِي، وملك داد كراني ومن هم تحت قيادة راووى السرواني، ويسرعوا إلى «دلمو» وراء بيازيد وبِبَن.

وبينما أغتسل فِي «نهر بُرسرو» هَذَا، تجمعت أسماك كَثِيرَة على ضوء الشموع، وطفت على سطح النَّهر، وقد أمسكتُ ومن معى الكثير مِنْها بأيدينا.

وفِي يَومِ الجمعة، نزلتُ عِنْدَ مبدأ أحد فروع «نهر بُرسرو» وكان ضيقا جدًا. وقد أمرتُ بإغلاق طرفه العلوي، وعمل حوض كبير للاغتسال، وذَلِكَ حَتَّى لا يتغير الماء مِن أثرِ مرور الجَيْش وعبوره. (٣٧٨ب)

وأمضينا الليلة السابعة والعشرين مِن الشهر فِي هَذَا المنزل.وفِي اليومِ التَّالِي، فارقنا هَذَا النَّهر، واجتزنا «نهر توس»، ثُمَّ نزلنا.وأقمنا بضَفَّة هَذَا النَّهر بومى الأحد والاثنين التاسع والعشرين مِن الشهر. وفِي ذَلِكَ المساء، رغم عدم صفاء الجو تماما، فإن كثيرا مِن الرِجَال رأوا الهلال، وشهدوا بهذا أمام القاضي، وثبت مطلع الشهر.

وفِي صباح يوم الثلاثاء، صَلَّيْنا العيد، ثُمَّ تحَرَّكْنا وتقَدَّمْنا مَسافَة عشرةِ فَرَاسِخ، ونَزَلْنَا بضَفَّة «نهر كوي» على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «طايك».وقبيل الظهر، أكلتُ المعجون، وأرسلتُ هَذَا البَيت [مِن الشعر] إلى الشَّيْخ زين، والمُلَّا شهاب، وخواندامير وقلنا فيه:

الشَّيْخ والمُلَّا شهاب وخواندامير. تعالوا، ثلاث، أومثنى، أو فرادى.

وكان هُنَاكَ أيضا درويش مُحَمَّد، ويونس على، وعبد الله، وعقب صلاة العصرتصارع المصارعون.

وتوقفنا فِي هَذَا المنزل يوم الأربعاء، وقبيل الظهر، أكلنا المعجون. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء ملك شرق الذي كان قد ذهب لإخراج تاج خان مِن «چِنَار». كما تصارع المتصارعونفي ذَلِكَ اليوم. وتصارعَ المصارع الأودي الذي جاء مِن قبل، مع هندي جاء فِي تلك الأثناء، (٣٧٩أ) وهزمه.

وأعطينا إلى يحي النوحاني مكانا مِن سروار ريعه خمس عشرة مائة ألف، وكسوناه مِن رأسه إلى قدميه. ثُمَّ أذنا له.

وفِي اليوم التَّالِي، تقدمنا أحد عشر فَرْسَخا، واجتزنا نهر كوي، ونزلنا بضفته، وبلَغنا أن السُلْطَان والأمراء الذين ذهبوا للغارة قد وصلوا «دلمود»، لكنهم لم يجتازوا «نهر كُنَك» بعد. فغضبتُ، وأرسلتُ المراسيم أقول فيها: أعبروا «نهر كُنَك» فورًا، وتعقبوا العدو، واعبروا [نهر] «جون»، وضموا إليكم عالِم خان، وابذلوا جهدكم وهاجموا المتمردين على وجه السرعة.

وبعد مرحلتين[1] مِن هَذَا النَّهْر بلغنا دلمود. وفِي اليوم نفسه، عبر قسم كبير مِن الجَيْش مَخَاضَة «نهر كُنَك». وبعد أن عبر الجَيْش، أكلنا المعجون فِي الجزيرة الواقعة أسفل المَخَاضَة. وبسبب تأخر الجُنْد، جاوزنا النَّهْر، ثُمَّ توقفنا ليوم واحد فِي المكان الذي نزلنا فيه، وجاء باقي التاشكَنْدي مع جند «أود» والتزم. وتحركنا مِن عِنْدَ «نهر كُنَك»، وبعد أن استرحنا بضع مرات، نزلنا بضَفَّة نهر ارند بجوار «كورره». ومن «دلمود» إلى «كورره» اثنين وعشرين فَرْسَخا.

وفِي يَومِ الخميس، تحَرَّكْنا مِن هَذَا المنزل، ونزلنا أمامَ مقاطعةِ «آدمپور». وأرْسَلْنا واحدا أو اثنين مِن البحاره، لإحضار السفن مِن «كالْپي» (٣٧٩ب). لنتمكن مِن عبور النَّهْر وتَعَقُّبِ المخالفين.

وقد وصل عددٌ مِن السفنِ ليلة توقفنا هُنَاكَ. وكان بالنَّهْر مَخَاضَة. وأقمْتُ فِي الجزيرة عدة أيَّام بليلها ونهارها بسبب الغُبار فِي هَذَا المكان.ولأنه لم يأتنا الخَبَر اليقين عن المخالفين، فقد أرسلتُ باقي شغاول مع الفتية الذين فِي «أود»، ليجتازوا النَّهْر ويرجعوا لنا بخبر عنهم.

وعقب العصر مِن يوم الجمعة التَّالِي، جاء رجلٌ مِن عِنْدَ باقي بك. و[أبلغنا أن] باقي [بك] هَزَمَ جماعةَ الشَّيْخ بايزيد، وبَبن، وقتل رجلا ممتازا منهم يُدعى مبارك خان الجلواني وعددًا آخر مِن الرِجَال. وأرسل عددا مِن الأسرى ورؤوس [القتلى].

(١) جاءت فِي الترجمة التركية بعد منزل واحد.

وفِي الصباح، جاءنا شاه حُسَيْن بَخْشي[1] الذي ذهب مع باقي بخبرٍ عن هزيمة مُقَدِّمَة العدو، وعَرَض أخبارَهم بالتفصيل.

وفِي تلك الليلة، ليلة الأحد الثالث عشر مِن الشهر، ارتفع «نهر جون»، وعند الصباح، كانت المياة قد غطت هَذهِ الجزيرة تمامًا. وانتقلتُ إلى جزيرة أخرى أسفل قليلًا على مرمى سهم، وأقمتُ خيمة آويتُ إليها.

وفِي يَومِ الاثنين، جاء جلال التاشْكَنْدي مِن عِنْدَ السلاطين والأمراء الذين ذهبوا للغارة. [وأبلغنا أن] الشَّيْخ بايزيد وبِبَن هَرَبَا مِن مقاطعة «مهوبه» عِنْدَمَا علما بالغارة. (٣٨٠أ)

وكان فصلُ المطرِ على الأبواب. وأصاب الإرهاق الجُنْد والخيل الذين لم ينقطعوا عن الغارات لمدة خمسة أشهر أو ستة. لذا أصدرتُ أمرًا إلى السُلْطَان والأمراء الذين ذهبوا للغارة بالبقاء فِي مكانهم لحين مجيء قوات جديدة وقوية مِن «أَكْرا» ونواحيها. وعقب عصر ذَلِكَ اليوم، سمحنا لباقِي شيغاول وجند «أود» [بالذهاب]. وقد خصصنا مقاطعة «امرهار» وريعها ثلاثين مائة ألف لموسي معروف الفَرمُلي الذي انفصل عن الجَيْش عِنْدَمَا اجتاز «نهر سَرُو» وانتظرنا. كما أحسنا عَلَيْهِ بطاقم ملابس، وجواد مسروج، وسمحنا له بالذهاب إلى «امرهار».

عودة بابُر إلى أَكْرا:

وبعد أن هدأ البال بشأن هَذهِ المناطق. تَحَرَّكْنَا مع الطَرْقة الثالثة مِن الفترةِ الأولى مِن ليلة الثلاثاء[2] حاثين الخطى إلى «أَكْرا».

وفِي اليوم التَّالِي، قطعنا مِن الطريق ستة عشر فَرْسَخا، وقبيل الظهر، تناولنا الطَّعَام فِي مقاطعة «بيلاور» مِن أعمال «كالْپِي». وعلفنا الجياد، ثُمَّ حركنا مِن هُنَاكَ عقب صلاة العشاء. وسرنا فِي تلك الليلة ثلاثة عشر فَرْسَخا، فوصلنا عِنْدَ قبر بَهادِر خان السرواني فِي «سوكندپور» مِن مُقاطَعات «كالْپِي»، فِي الطرقة الثالثة مِن الليل، حيث غفونا هُنَاكَ، ثُمَّ

(١) أحد رِجَال بابُر.
(٢) ٢١ يونيو ١٥٢٨م.

استأنفنا السَّيْر مِن هُنَاكَ بعد أن صلينا الصبح. وقطعنا ستة عشر فَرْسَخا، فبلغنا «اتاوه» وقت الظهر. وجاء الخوجه مهدي لمقابلتنا، وفِي الفترة الأولى مِن الليل تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وبعد أن نمنا بعض الوقت فِي الطريق، قطعنا مِن الطريق ستة عشر فَرْسَخا (٣٨٠ب). ونزلنا فتحپور ثُمَّ تَحَرَّكْنَا مِنْها قبيل صلاة الظهر، فقطعنا مِن الطريق سبعة عشر فَرْسَخا، ونزلنا حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت فِي «أَكْرا» فِي الفترة الثانية مِن الليل.

وفِي يَومِ الجمعة التَّالِي، جاء مُحَمَّد بَخْش وبعض الرِجَال والتزموا. والتزم أيضا الخوجه عبد الحق، وقبيل الظهر اجتزنا «جون»، وذهبت إلى القَلْعَة، وقابلتُ السَيِّدات عماتي.

وتركنا هُنَاكَ بستاني مِن «بَلْخ» لزراعة البطيخ الأصفر. وقد أحضر بضع ثمرات مِنْهُ. وكانت طيبة المذاق للغاية. وكنتُ قد غرست شجرة أو اثنتين مِن أشجار العنب فِي حَدِيقَة هَشْت بِهَشْت، أثمرت عنبًا طيبًا. وأحضر الشَّيْخ كورن أيضًا سلة مِن العنب ولم يَكُنْ سيئًا. وقد سُررتُ كثيرا مِن زراعة البطيخ والعنب فِي «الهِنْد» بِشَكْلٍ عام.

وفِي الطرقة الثانية مِن مساء يوم الأحد، جاءت [زوجتى السَيِّدة] ماهيم وكنا قد خرجنا فِي حملة فِي العاشر مِن شهر جمادى الأول. وتصادف أنها تحركت مِن «كَابُل» فِي اليوم نفسه.

وفِي يَومِ الخَمِيسِ غُرة شهر ذى القعدة[1]، وأثناء انعقاد الديوان فِي مقره، أحضروا هدايا هُمايون، وماهيم. وفِي ذَلِكَ اليوم أرسَلْنا مائه وخمسين رجلًا تحت إمرة أحد رِجَال مغفور ديوان إلى «كَابُل» ليحضر البطيخ والعنب (٣٨١أ) والفاكهة.

وفِي يَومِ السبتِ الثالثِ مِن الشهر، جاء هندو بِكَ مِن «كَابُل» بوصفه حاميا [لها]، لنرسله إلى «سُنْبُل» بعد وفاة على يوسف، والتزم. كما جاء فِي ذات اليوم حسام الدين على خليفة مِن «أَلْوَر» والتزم. وقد سمعنا مِن القادمين مِن «كَابُل» أن الشَّيْخ شريف القراباغي بتحريض مِن عبد العزيز، أو بسبب ارتباطه به،كتب مكاتبات رسمية، تحتوى على مظالم وبدع ونسبها إلينا، وأجبر أئمة «لاهور» على التوقيع عَلَيْها، وأرسل نسخ مِنْها إلى سائر المدن لإثارتها.

(١) ٧ يوليو ١٥٢٨م.

كما أن عبد العزيز لم يمتثل للعديد مِن الأوامر، وإنه يتقول بكلام لا مجال له ويُظهر العصيان. ولهذا قمنا في يَومِ الأحد الحادي عشر مِن الشهر، بإرسال قنبر على ارغون إلى « لاهور » ليحضر إلينا الشَّيْخ عبد العزيز وأئمة «لاهور» المتنفذين.

وفي يَومِ الأربعاءِ الخامسِ عشر مِن الشهر، جاء چين تيمور سُلْطَان، مِن «تجاره» والتزم. وفي ذَلِكَ اليوم، تصارع المصارع صادق مع مصارع كبير مِن «أود». (٣٨١ب) وتعادل صادق، ومصارع «أود»، بِصُعُوبَةٍ كبيرة.

وفي يَومِ الاثنين التاسع عشر مِن الشهر، خلعنا على مراد القورچي سفير القِزِلْباش خلعة مناسبة، وخنجر ذو حزام مرصع، وأحسننا عَلَيْهِ بمائتى ألف، وأذنا له.

وفي تلك الأَيَّام، جاء مِن «كواليار»، سَيِّد المشهدي، وعرض أمر الفتنة التي أحدثها رحيم داد. وكتبنا كلمات نصح كَثِيرَة، وأرْسَلْنا جامع شاه مُحَمَّد المهردار. فرجع بعد بضعة أَيَّام ومعه ابنه[1]. والواقع أن ابنه جاء لكن لم يَكُنْ [رحيم داد] ينوى المجيئ. ولكي نُذهب عنه الخوف أرْسَلْنا نور بِك إلى «كواليار» فِي اليومِ الخامسِ مِن شهر ذي الحجة. وبعد بضعة أَيَّام، جاء نور بِك، وعرض طلبات رحيمداد. وجهزنا المراسيم حسبما أراد، وبينما نَحْنُ على وشك إرسالها جاء رجل وعرض قائلًا: لقد أرسلني [رحيمداد] مِن أَجْلِ تهريب ابنه، ولَيْسَت لديه النية للحضور. فلما علمنا بهذا الخَبَر، رغبنا فِي التَحَرُّكِ فورًا إلى «كواليار».

وعرض خليفة قائلا: دعنى أكتب إليه رسائل نصح مرة أخرى، لعله يأتي للإصلاح وقد أرسلَ شهاب الدين خُسْرو لهذا الأمر.

وفِي يَومِ الأربعاءِ السابعِ عشر مِن الشهر، (٣٨٢أ) جاء الخوجه مهدي مِن «أتاوا» ، وفِي يَومِ العيد، أحسننا على هندو بِك بطاقم ملابس، وسيف ذى حزام مرصع، وجواد أصيل. كما أحسننا على حَسَن المشهور بين التُرْكُمان باسم چَغْتَايْ بطاقم ملابس، وخنجر ذى حزام مرصع، ومقاطعةعها سبعمائة ألف.

(١) يقصد ابن رحيمداد.

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وست وثلاثين

فِي يَومِ الثلاثاءِ الثالثِ مِن شهرِ المحرم، جاء الشَّيْخ مُحَمَّد غوث مِن «كواليار» برفقة شهاب الدين خُسْرو ليَتَشَفَّعَ لرحيم داد. ولأنه رجل وعزيز، فقد تجاوزتُ عما اقتَرَفَهُ رحيم داد مراعاةً لخاطِرِه، وسلَّمتُ «كواليار» إلى الشَّيْخ الكوراني ونور بِك، وأرْسَلْناهما إلى هُنَاكَ.

***

ملحق [1]

لم تَكُن فد رأيْنَا مُحَمَّد هُمايون الموجود فِي «بَدَخْشان» مُنذُ عام. وقد اشتاق إلينا، فَسَلَّم أمر «بَدَخْشان» إلى صِهره مِيرْزا سُلَيْمان، وجاء إلى «كَابُل». وكان كمران مِيرْزا قد جاء أيضًا مِن «قَنْدَهار» إلى «كَابُل». وتقابلا فِي ميدانِ العيد، وسألنا مُحَمَّد هُمايون بِدَهْشَةٍ عن سببِ مجيئِهِ هَذَا. فقال: إنما هو الشوقُ لرؤيَتِكُم. كما رجع هِندال مِيرْزا بعد أن أرْسَلْناه مِن «كَابُل» إلى «بَدَخْشان». فجاء بسرعةٍ فِي بضعةِ أيَّامٍ إلى مقرِّ الخلافةِ فِي «أَكْرا».فأثناء الحديثِ مع أمِّهِ بشأنه، رأيناه مُقْبِلا عَلَيْنَا. وتَفَتَّحَت القلوبُ كالزهور، ولَمَعَت العيونُ كالضياء. وكانت الولائم تقام يوميًا لكن جهزنا وليمه كبيرة خاصة علَى شَرَفِه، ورتَّبْنَا وسائل التسلية. وقد بَقِينا وقتًا طويلًا معًا، وتَوَثقت علاقتنا. والحقيقة، إنه كان إنسانًا نادرَ المثالِ فِي الصُّحْبَة، وإنسانًا بمعنى الكلمة.

ولما غادَرَ مُحَمَّد هُمايون «بَدَخْشان» قادما الينا، فإن السُلْطَان سعيد خان - وهو أحد خانات «كاشْغَر» وقريب لنا - تَرَكَ رشيد خان فِي «يارقند». وسَاقَتْهُ أوهامُهُ إلى التحرك صوبَ «بَدَخْشان». وقَبْلَ أن يُدْرِكها، جاء مِيرْزا هِندال، ودَخَلَ قلعة الظفر. وبعد أن حاصَرَ السُلْطَان سعيد خان مدةَ ثلاثة شهور، عاد دون إنجازِ شيءٍ قط.

أما بالنسبةِ لنا، فقد عَلِمْنَا بمجيء الكاشْغَريين وأخْذِهِم «بَدَخْشان». فأمَرْنَا الخوجه خليفة بالتوجهِ إلى «بَدَخْشان»، وعَمَلِ ما يراه مناسبًا. لَكِنَّهُ امتنع بسببِ ضيقِ أُفُقِه. فقلنا إلى مُحَمَّد هُمايون: وماذا عن ذهابِكَ أنت. فأجاب قائلًا: سَمْعًا وطاعة، لكنني وَعَدْتُ ألا أغادِرُكم برغبتي. فأعطينا الإذن إلى مِيرْزا سُلَيْمان بالذهابِ إلى «بَدَخْشان». وكتبنا إلى السُلْطَان سعيد: لقد جاء تصرفكم على هَذَا غريبًا مع كبير حقنا عليكم. والآن استَدْعَيْنَا مِيرْزا هِندال، وأرْسَلْنا مِيرْزا سُلَيْمان. فإذا كنتَ ترعى حقوقنا، فعليك بتسليم «بَدَخْشان» إلى أبننا المِيرْزا، ويكون هَذَا أمرا حسنا، وإلا فقد بلغنا مِن لدنك عذرا، واعلموا أننا سوف نُسَلِّمَ الإرث لوارثه.

---

(1) مضمون هَذَا الملحق ورد فِي كتاب منجم باشى جامع الدول بمعناه. ويبدو أن الترجمة التركية أضافته على النص الأصلي نقلا عن جامع الدول.

وقَبْلَ أن يَصِلَ مِيرْزا سُلَيْمان إلى «كابُل»، رفَعَ العَدُو يده عن «بَدَخْشان»، واسْتَتَبَّت السكينه. وبعد أن وصل مِيرْزا سُلَيْمان إلى «بَدَخْشان»، سَلَّمَها له هِندال مِيرْزا، وتَحَرَّكإلى «الهِنْد».

وسمحنا لمُحَمَّد هُمايون بالذهابِ إلى مَقرِّهِ فِي سُنْبُل. وأقام بها ستةَّ أشهر، وقد تبيَّنَ أن ماءَ تلك المنطقةِ وهواءَها غير مناسبين له، فقد أصابَهُ داء الملاريا. وشيئًا فشيئًا طال مرضه. وعندما بَلَغَنِي هَذَا، استدعيتُ أمهرَ الأطباءِ، وأمرتُ بنقلَهَ بسفينةٍ مِن سُنْبُل إلى «دِهْلي» لمداواته. وقد جاءوا به بطريقِ النَّهْر فِي بضعةِ أَيَّام. ولم يتحسن رغْمَ علاجِ الأطباء. وعرض مير ابو القاسم وهو مِن ذوي الاعتبار قائلًا: للشفاء مِن مثل هَذهِ الأدواء ينبغى أن يُنذر المرء لله شيئا نفيسا لينعم عَلَيْهِ بالصحة. فجال بخاطري وقلت: لا فداء لمُحَمَّد هُمايون سوى نفسي، فلأنذر نفسي فداءً له، وأدعو الله أن يقبلها.

فقال خليفة وجميع المقربين: إن مُحَمَّد هُمايون سيشفي [بإذن الله]، إنما القصد أن تنْذِرَ شيئا مِن متاعِ الدنيا، كأن تنْذِرِ الماسة التي حَصَلْتَ عَلَيْها فِي معركتِك مع ابراهيم، والتي أحسنتَ بها على مُحَمَّد هُمايون. فقلتُ:" إن مال الدنيا لا يعادل أى مرض عضال، ونفسي فداءٌ له". وفاق الأمر قدرتى على الاحتمال. وكررتُ وعدى عِنْدَ رأسه ثلاث مرات، متضرعا [إلى الله]: فداك نفسى؛ إخلع عليَّ كل آلآمك لأحملها عنك. فأصابني الوهن. وتحَسَّنَت حالته، واسْتَرَد صحته، وبرأ مِن مرضه. أما أنا فقد مَرِضْتُ، وساءت حالتي، وجعلتُ هُمايون وليًا للعهد، واستدعيتُ أعيانَ الدولةِ وأركانَ المملكة، ومدوا أيديهم له بالبيعة، وتنازلتُ له عن العرش. وصدّق الخوجه خليفة وقنبرعلى بِك، تردي بِك وهندو بِك وسائر الحاضرين على هَذا القرار والتزموا به.

وفاة بابُر:

وفِي السادس مِن شهرِ جمادى الأول مِن عام ٩٣٧هـ، ودَّع [ظهير الدين مُحَمَّد بابُر] هَذهِ الدنيا الفانية فِي چارباغ التي أنْشَأها بيده، وسجل مولانا شهاب الدين معمائي وهو مِن كبارِ

المعاصرين الذين نظموا الأشعارَ والقصائدَ والمراثي، هَذَا التاريخ بحسابِ الجُمَّل وقال: " أصبح هُمايون وارثًا للمُلْك". ويعجز اللسان عن وصفِ أو تسجيلِ محاسن ذَلِكَ السُلْطَان القدير.

لَكِنَّهُ باختصار، كانشخصيةٌ تتميزُ بثمانِ صفاتٍ أصيله هى؛ قضاء رفيع،و هِمَّةٌ نادرة، والغزو، وحُسْن الإدارة، وحُب العُمْران، ورفاهية عبادة الله، وكَسْب محبة الجُنْد،وإقامَة العدل.

ولا ينقصه مِن الفضائلِ شيء. كان نسيج وحدة فِي التركيَة والفارسية نظمًا ونثرًا. وتضمن ديوانه التركي مضامين جديدة. إحدها كتاب على نسق المثنوى باسم مُبَيِّن[1]. ليس هُنَاكَ بين العارفين باللغة مَن يُدَانِيه فِي رقته. كما نظم رسالة الوالديه للخوجه أحرار. وأمر مِيرْزا خان بن بيرام خان بترجمة كتابه المسمى بَابُريه[2] مِن التركية إلى الفارسية ليكون سَهْلا على مَن لا يعرفون التركية. كما كان عارفا بعلم الموسيقى.

وقد نَظَمَ هَذهِ الرباعية بالفارسية.

رغم انى ليس لى بالدراويش قربى
فإنى مرتبط بهم بالروح والقلب،
فلا تقل إن السَّلْطَنَة لا تمت للتصوف قط،
فأنا سُلْطَان لكنني للمتصوفه عبد

كما قَالَ هَذَا المطلع بالفارسية:

أعرف، إن هلاكى فِي البعد عنك
وإلا لفارقتُ هَذهِ المدينة

وله أيضا هَذَا المطلع.:

مُنْذُ أن تعلق القلب بذؤابتك السوداء

(١) كتاب فِي الفقه.
(٢) أحد أسماء كتاب وقائع بابُر الذى نَحْنُ بصدده.

نجوتُ مِن شتات الدنيا

وله رسائل عن الوزن والقافية. واحدة مِنْها، باسم المُفَصَّل، وهي فِي شرح هَذَا الفن، وهو عمل جيد للغاية.

وقد أنْعَمَ الله عَلَى ذَلِكَ السُلْطَان بأربعةِ أبناءٍ ذكور وثلاث إناث، وأبناؤه هم السُلْطَان مُحَمَّد هُمايون، وكمران مِيرْزا، وعَسْكَري [مِيرْزا]، وهِندال مِرْزا. وبناته هن البيجوم كُل رنك، البيجوم كُل چهره، والبيجوم كُل بَدَن. وهن مِن أم واحدة.

ومن أهلِ الذوقِ الذين لم يَبْرَحُوا مَجْلِسَه قط؛

ابو البقاء، وكان نسيج وحده فِي علم الحكمة.

والشَّيْخ زين صدر، حفيد زين الدين خافي[1]. وكان ذا ذكاءٍ فذ. وسليقةٍ فِي النَّظْمِ والإنشاء. وصار أميرًا فِي زمنِ السُلْطَان هُمايون.

والشَّيْخ أبو الواحد الفارغي، عم الشَّيْخ زين الدين الخافي. وكان صاحب ذوق. ويَقْرِضُ الشعر.

والسُلْطَان مُحَمَّد كوسه، مِن المصاحبين لمير عَليشِير[نوائى]. وكان له الاعتبار فِي صحبةِ السُلْطَان. وقد عَلَا شأنه.

ومولانا شهاب معمائي، ومخلصه فقيري. وكان له حظ مِن الموهبةِ والشعر.

ومولانا يوسف، وكان طبيبًا. وقد استدعوه مِن «خُراسان»، وكان عَمَلُه أن يقيس النبضَ ويضعَ التشخيص [للمريض].

وسُرخ وداعي، وكان يَنْظم بالفارسية والتركية.

---

(١) رسمها فِي الأصل خوافي.

والمُلّا بقائي، كان ذا فطنةٍ كبيرة. نَظَم مثنوى باسم السُلْطَان علَى وَزْنِ مخزن الأسرار[1].

والخوجه نظام الدين علِي خليفة، وكان ذا عقلٍ وتدبيرٍ فِي العملِ والصداقةِ والوزارة. حَظِيَ بالاحترامِ والمكانةِ عِنْدَ السُلْطَان حَتَّى أصبحَ أكثر رأيه مقبولًا لديه. كما أن له دراية بالطب.

ومير درويش مُحَمَّد ساربان، مِن مُريدي الخوجه أحرار. وكان طَيِّبَ الصُّحْبَة وبسببِ حَسَن أخلاقه ومزاياه، صار مُقَرَّبا ومُعتبرا لدى [السُلْطَان].

وخواندامير، كان مؤرخًا ورجلًا ممتازًا. وآثارهُ مشهورةٌ بين النَّاس. ومنها حبيب السَّيْر، وخُلاصَةِ الأخبار، ودستورِ الأنوارِ وأعمال أخري.

والخوجه كلان بِك، مِن الأُمَرَاء، وعمل فِي الخدمةِ الخاصةِ للسُلْطَان. وقد عُرِفَ بمزاياه ومهارته العالية.

وأخيه الصغير الخوجه كيچيك، كان حاملَ الختمِ ومن المقربين. وعمل أيضا فِي خدمةِ السُلْطَان الخاصة.

السُلْطَان مُحَمَّد دالدي، مِن الأُمَرَاء الكبار، وكان حَسَن السجايا. والله بكل شيء عليم.

---

(1) منظومة فِي التصوف لعبد الرحمن الجامى.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: مراجع باللغة العربية:

* أحْمَد محمود الساداتى، تاريخ المسلمين فِي شبه القارة الهِنْدية وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧.
* ــــــــــــــ، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي «الهِنْد»ستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٤.
* حربى أمين سُلَيْمان، المؤرخ الإيرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فِي كتابه دستور الوزراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.
* حُسَيْن مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركي،ط١،دار الفكرة،القاهرة ١٩٠١.
* خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة وتعليق، على حسنى الخربوطلى، بدون تاريخ طبع.
* زكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد. بدون تاريخ طبع.
* سَيّد سابق، فقه السنة دار التراث، القاهرة، ج١.
* عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فِي «الهِنْد»،ط٣، القاهرة ١٩٩٠.
* عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية،ط١، القاهرة ١٩٧٠.
* عبد النعيم حسنين، نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره، مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٥٤.
* فؤاد عبد المعطى الصياد، المُغُول فِي التاريخ، القاهرة ١٩٨٠.
* يحيى داود عباس، «سَمَرْقَنْد» تاريخها وحضارتها، القاهرة ١٩٩٥.

ثانيا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة العربية:

* ارمينيوس فامبرى، تاريخ «بُخَارا»، ترجمة أحْمَد محمود الساداتى القاهرة.
* بارتولد، تاريخ الترك فِي آسيا الوسطى، ترجمة أحْمَد السعيد سُلَيْمان، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.
* عبد الرشيد ابراهيم، عالم الإسلام، ترجمة،أحْمَد فؤاد متولى وهويدا مُحَمَّد فهمى، ط١.

* غوستاف لوبون، حضارات «الهِنْد»، ط١، ١٩٤٨.
* فاسيلي فلاديميروفتس بارتولد، تُركِسْتَان مِن الفتح العربي إلى الغزو المُغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١.

ثالثا: مصادر مخطوطة باللغة العربية:

* منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع بمكتبة أسعد أفندى تحت رقم٢١٠٣

رابعا: مصادرمطبوعة باللغة العربية:

* ابن اسحاق ابراهيم بن مُحَمَّد الفارسى الإصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق مُحَمَّد جابر عبد العال الحينى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦١.
* الشريف الأدريسى، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.بدون تاريخ طبع.
*كاتب جلبى، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ج٢.

خامسا: مراجع باللغة التركية الحديثة:

* Anıl Çeçen, Türk Devletleri, inkilap kitapevi,Istanbul 1986
* Bilâl Yücel,BâburDivâni, Atatürk kültür Merkezi Yayını,sayı:81,ankara 1995
* Halis Bıyıktay, Timurlular Zamanında Hindistan Türk Imparatorluğu, Istanbul 1941
* Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi,ötüken Yayınevi,Istanbul 1985
* Hans R. Roemer, Timurlular maddesi,I.A., Istanbul 1979,,c.12
* Y.Hikmet Bayur,Hindistan Tarihi,c.2, Ankara1947

سادسا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة التركيَّة:

* Fernand Grenard,Babur, devlet Kitapları, Istanbul 1971.

سابعا: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة التركيَّة:

- Gazi Zahirüddin Muhammed Babur,Vekayı, Doğu türkçesiden çeviren,izahlı indeksi ve notları hazırlayan,Reşit Rahmeti Arat,önsözü ve tarihi özeti yazan Y.Hikmet Bayur,Türk Tarih Kurumu Basımevi,Ankara 1943-1946.
- Gülbeden, Hümayunnâme, farçadan ?eviren Abdürrab Yelgar,Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1987

ثامنا: مصادر باللغة التركيَّة في لهجتها الجِغَتائِيَّة:

* ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر، بَابُرنامه، نشرته السَيِّدة أ.س. بفريدج نشرا مصورا عن نسخة حيدر آباد، في لندن ١٩٠٥.

تاسعا: مراجع باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* منوجهر بارسادوست، شاه إسماعيل اوّل، جاب اول ١٣٧٥،
* عبد الحسين نوائى، شاه إسماعيل صفوى، اسناد ومكاتبات تاريخى همراه باياد داشتهاي تفصيلى، انتشارات بِبَنياد فرهنك ايران، (٥٠)، جاب شد، ١٣٦٧.

عاشرا: مراجع مترجمة إلى اللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* فاروق سومر، قراقوينلو، ترجمة وهاب ولى، تهران١٣٦٩.

حادى عشر: مصادر باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* بَابُر نامه موسوم به توزك بَابُرى وفتوحات بَابُرى، نسخة عن الترجمة التي تمت في عهد أكبر شاه تم نسخها سنة ١٣٠٨هـ وتملَّكها مِيرْزا مُحَمَّد شيرازى، مودعة بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم١٢٢٥٠.

* مُحَمَّد حيدر دوغلات، تاريخ رشيدى، طبع هارفارد١٩٩٦

ثانى عشر: مراجع باللغة الإنجليزية:

* Edward G. Browne, A Litrary History Of Persia, vol.3,Cambridge,1928
* Stanley Lane - poole,Rulers of India, Babar, Oxford 1899
* Michael Edwardes, A History of India, farrar, Straus and Cuddahy,New York,

ثالث عشر: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة الإنجليزية:

* Annetta Susannah Beveridge, BaburÜ Nama (Memoirs of Babur) Translated from the Orriginal Text, Delhi, 1970.

رابع عشر: مصادر مترجمة إلى اللُّغَة الفرنسية:

* Le Livre De BABUR,Memoires du premier Grand Mogol des Indes, presente et traduit du turc tchagatay par JeanÜ Louis BACQEÜ GRAMMONT,paris 1985.

خامس عشر: ألقواميس والمعاجم ودوائر المعارف:

١- باللغة العربية:

* أحْمَد السعيد سُلَيْمان، تاريخ الأسر الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعرف بمصر ١٩٦٩.
* الأطلس العربى، أصدار وزارة التربية والتعليم المصرية، ط١، سنة ١٩٦٥
* المعجم الوجيز، مجمع اللُّغَة العربية، دار التحرير للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م.
* المعجم الوسبط، مجمع اللُّغَة العربية، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٧٢.
* منجم العمران فِي المستدرك على معجم البلدان، جمعه ورتبه السَّيّد مُحَمَّد أمين الخانجى، ط١، القاهرة ١٩٠٧، ج٩.

* ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، ط١، القاهرة ١٩٠٦

٢- باللغة التركية:

* Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:
-mer Faruk Akün,Babur nâme Maddesi, I. A.T. D. V.,.,c.4.
-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979., c.2*
* Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.
* Ziya üSkün, Farsça- Türkçe Lüðat, Istanbul, 1984,

٣- باللغة العثمانية:

* سُلَيْمان أفندى البخارى، لغت جغتاي وتركي عثماني، استانبول ١٢٩٨هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس الأعلام شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافهٔ اسماء خاصه يى جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس تركى.

٤- باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

* على أكبر دهخدا، لغت نامه، جاب سيروس، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى.

سادس عشر: الرسائل العلمية:

* أَحْمَد محمود الساداتى، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي الهِنْدستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٤

* ياقوت بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، ط١، القاهرة ١٩٠٦

٢- باللغة التركية:

* Türk Dianet Vakfi ,Islam Ansilopedisi, Istanbul, 1989:
-mer Faruk Akün,Babur nâme Maddesi, I. A.T. D. V.,.,c.4.
-M.F.Köprülü,Babur maddesi, I.A., Istanbul, 1979., c.2*
* Faik Reşit Unat, Hicri Tarihleri Milâdi Tarihe Çevirme Kılavuzu, Ankara 1974,s.61.
* Ziya üSkün, Farsça- Türkçe Lüðat, Istanbul, 1984,

٣- باللغة العثمانية:

* سُلَيْمان أفندى البخارى، لغت جغتاي وتركي عثماني، استانبول ١٢٩٨هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس الأعلام شمس الدين سامى، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافهٔ اسماء خاصه يي جامعدر، معارف نظارت جليلة سى طرفندن تقدير وتحسين اولنه رق طبع اولنمشدر، استانبول ١٣٠٦هـ.
* شمس الدين سامى، قاموس تركى.

٤- باللُّغَة الفَارِسِيَّة:

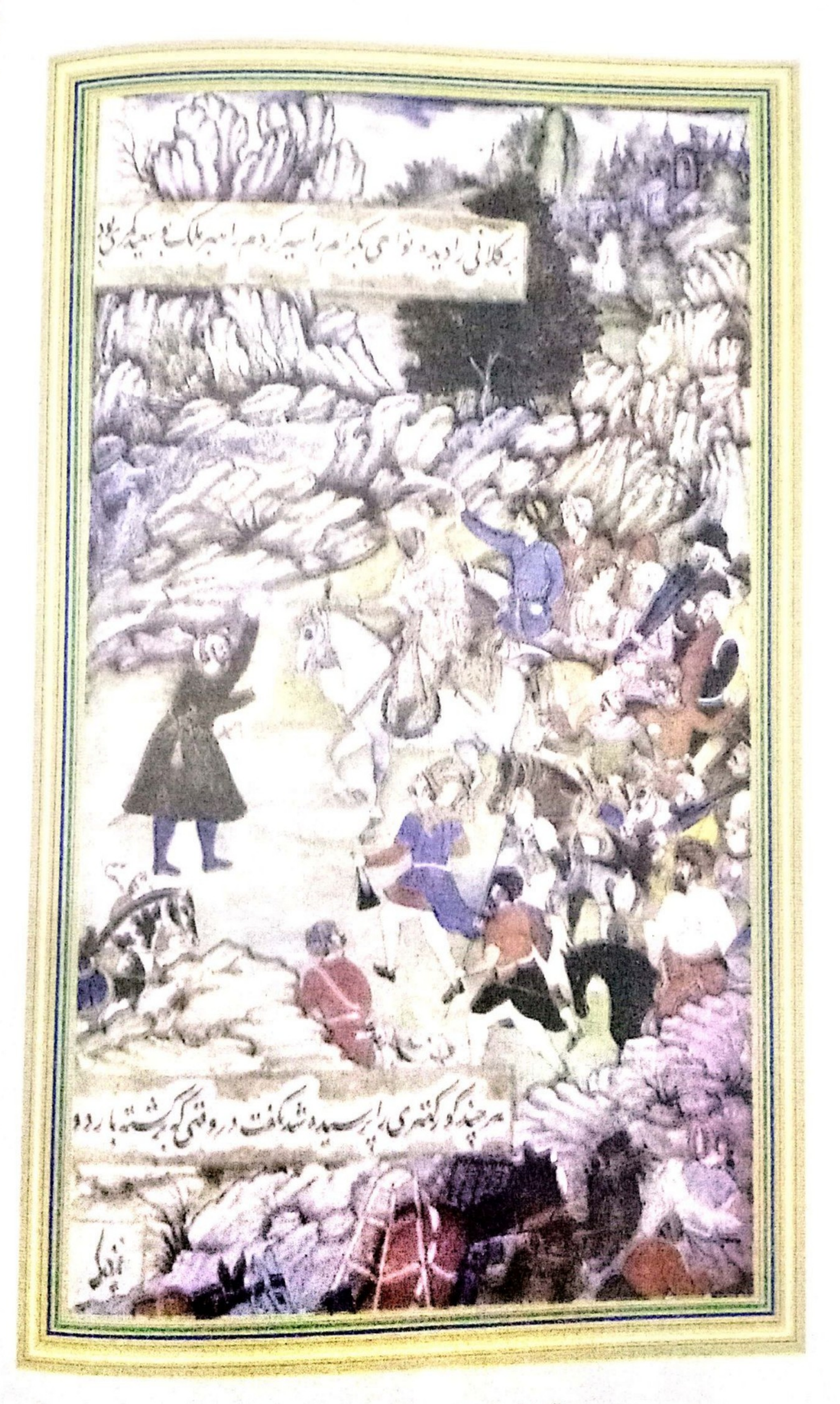
* على أكبر دهخدا، لغت نامه، جاب سيروش، تهران ١٣٣٦هجرى شمسى.

سادس عشر: الرسائل العلمية:

* أَحْمَد محمود الساداتى، ظهير الدين مُحَمَّد بَابُر مؤسس الدولة المُغُولية فِي الهِنْدستان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٥٣ـ١٩٥٤



اعتلاء بابر عرش فرغانة



تهنئة بابر بفتح بكرام



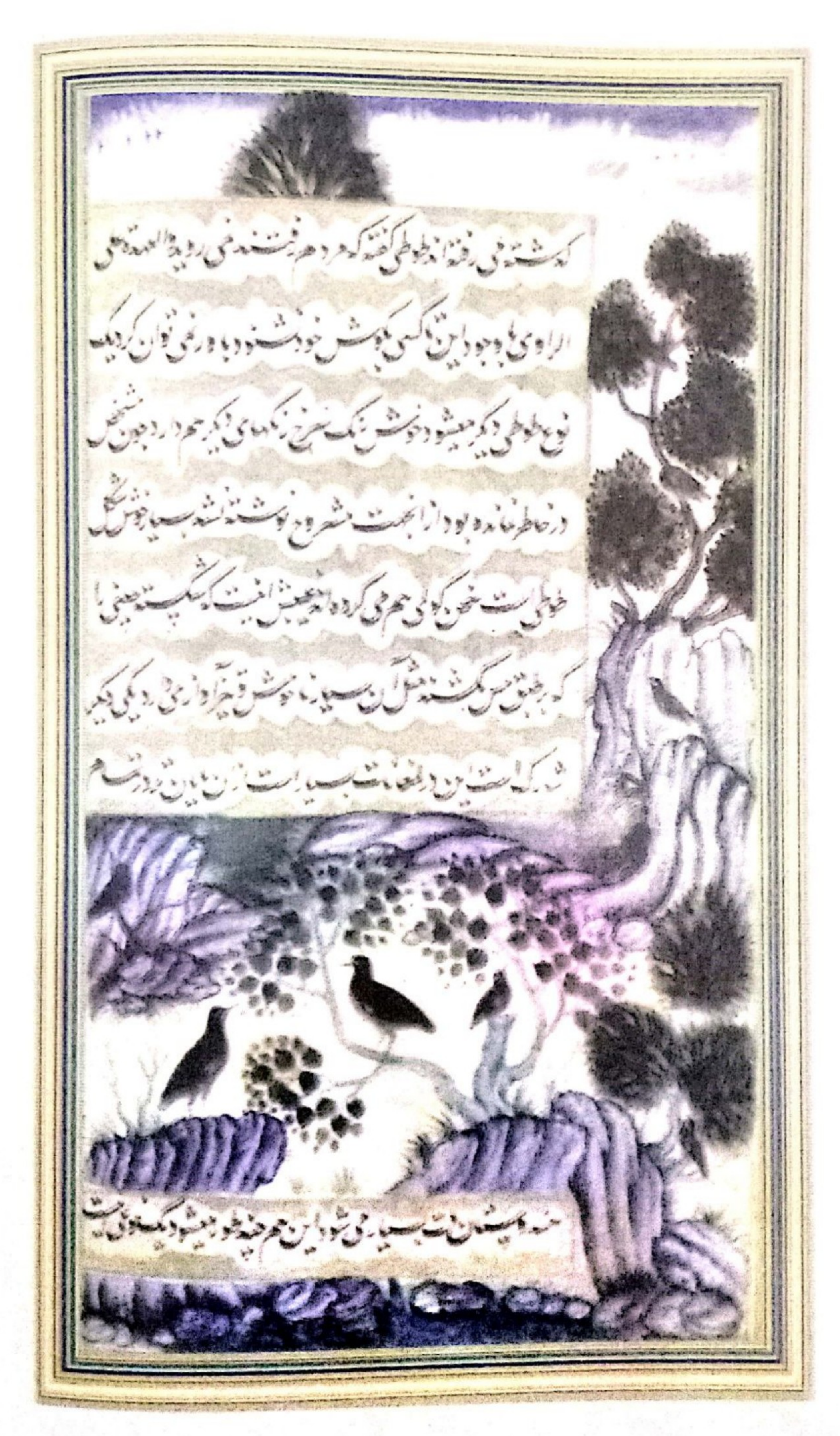
بابر فی مجلس بدیع الزمان میرزا



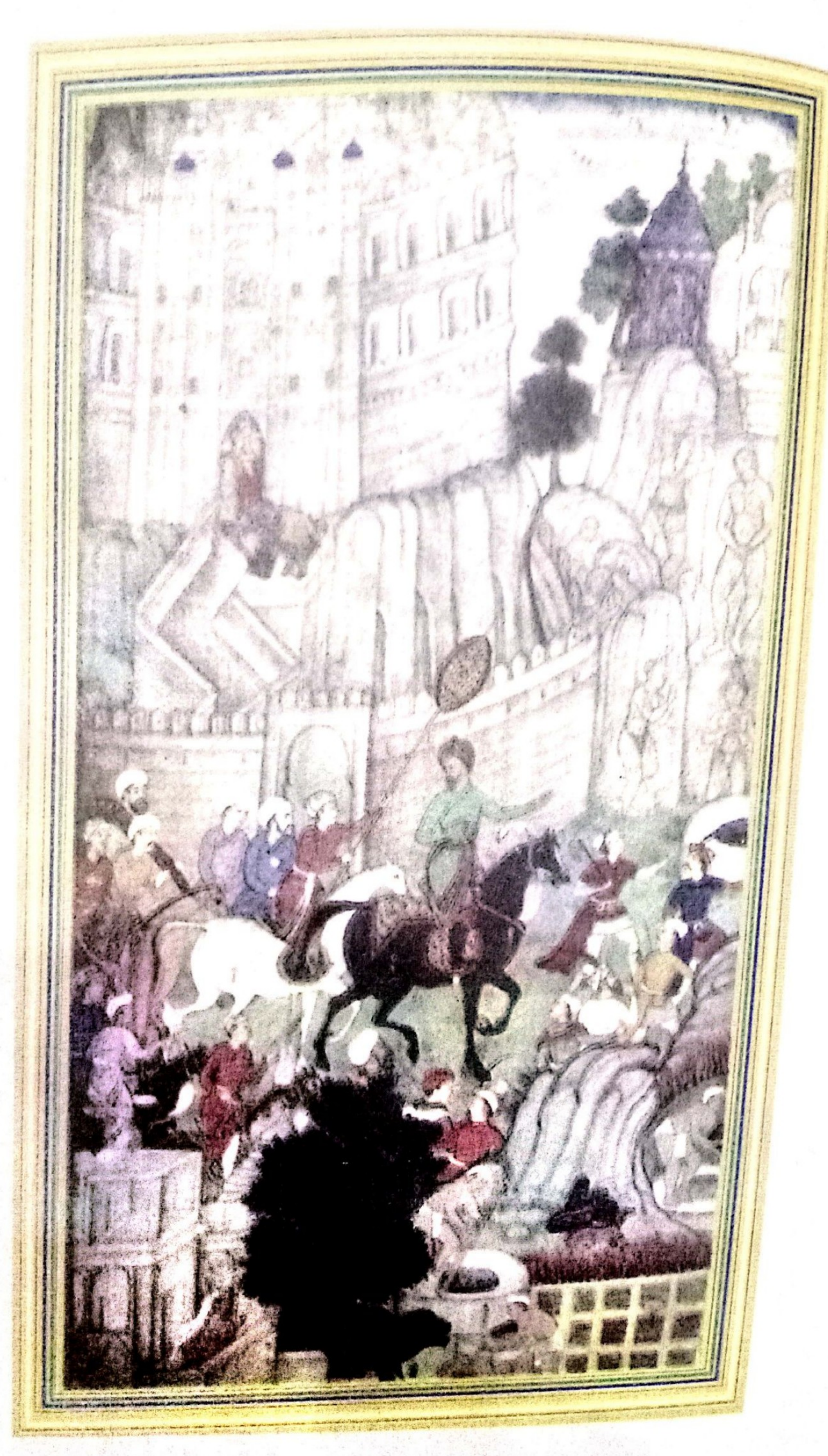
بابر فى رحلـة صيــد فى كابل



بابر فى إحدى المعارك فى كابل



بعض طيور الهند



بابر يتفقد إحدى قلاع الهند

كَابُل

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وعشر[(1)]

فِي شهرِ المحرم، غادرتُ ولاية «فَرْغَانَه» عاقدا العزم على الذهابِ إلى «خُراسان». ونزلتُ فِي «ايلاك» أحد مصائف ولاية «حِصار»، وهُنَاكَ، بلغتُ الثالثة والعشرين من عمري، وحَلَقتُ للمرة الأولى.

كان عدَدُ مَن كان معي كبيرهم وصغيرهم، يتراوح بين المائتين والثلاثمائة، تَحْدوهم الآمال الكبار. كان أَكْثرهم من المشاة؛ العصى فِي أيديهم، والنعال فِي أرجلَهُم، ولا يستر أجسادهم سوى الوَبَر. وبلغ بنا العُسر حدَّه، فلم يَكُنْ بحوزتنا سوى خيمتين فقط. جعلتُ إحداهما لوالدتي. أما أنا فكانوا يعدون لي خيمة غجرية أقيم فيها أينما نحل. وحقيقة الأمر، إننا خرجنا قاصدين «خُراسان»، لكننا والحال هكذا، تعلقت آمالنا بهذه الولاية[(2)] وبرِجَال خُسْرو شاه.

بعدَ عِدةِ أَيَّام، جاء أحدُهم ومعه أخبار من الولاية ومن أهلها جددت آمالنا. كما جاء المولى بابا پَشَاغَرى الذي أرْسَلْناه سفيرا إلى خُسْرو شاه ورغم أنه لم يأت من عِنْدَ خُسْرو شاه بما يطمئن قلوبنا، فإن الرسائل التي حملها إلينا من الأهالي (١٢٠ب) بعثت فينا الأمل.

اسْتَرَحْنا فِي «ايلاك» فِي ثلاثةِ أو أربعةِ منازل[(3)]، ثُمَّ غادرناها إلى المكان المسمى «خوجه عماد» بنواحي «حِصار». وهُنَاكَ، جاء محب على القورچي، سفيرا من عِنْدَ خُسْرو شاه. ورغم ما اشتُهر به خُسْرو شاه من كرمٍ وسخاء، فإننا اجْتَزْنا ولايته مرتين، لم نلمس فيهما من المروءة ما أبداه للآخرين.

---

(١) تقابل الفترة من ١٤ يونيو ١٥٠٤- ٤يونيو ١٥٠٥م.

(٢) ولاية حصار.

(٣) المسافة التي يقطعها السائر بين منزلين تسمى مرحلة. المعجم الوجيزص١/٢٥٩. وقد ذكر الإدريسى أن المرحلة هي واحد وعشرين ميلا. انظر، الشريف الأدريسى، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ج١، ص٥٠١.

ولأن آمالَنا معقودةٌ على أهلِ الولاية، فقد تمهلنا فترة فِي «كَابُل». فِي ذَلِكَ الوقت، كان شيريم طغائي- وهو أكبر رِجَالنا- ينوى عدم الذهاب معنا إلى «خُراسان». فلما رجعنا إلى «سَمَرْقَنْد» بعد هزيمتنا فِي سرِبُل[1]، نَقَل عائلته إلى مكان بعيد، وبقي فِي القَلْعَة يدافع عنها بمفرده. فكم كان رجلا وضيعا، وكثيرا ما بدرت مِنْهُ مثل هَذهِ الأفعال.

تحالف باقي چِغَانْيَاني شقيق خُسْرو شاه مع بَابُر:

عِنْدَمَا وِصَلْنَا «قُبَاديان»[2]، أرسلَ باقي چِغَانْيَاني، وهو الأخ الأَصْغَر لخُسْرو شاه، رسالة أعلن فيها مؤازرته لي، وأنه اتخذ الاحتياطات اللازمة فِي المناطق التي تحت يده وهي «چِغَانْيَان»، و«شهرِ صفا»، و«تِرْمِذ»، وأعرب عن رغبتِهِ فِي الانضمامِ إلينا[3]. فلما عبرنا مَخَاضَة «اوياج» من «نهر آمو» ، لحِقَ بنا هُنَاكَ، وأخذ يرجونا أن نتوجه صوب «تِرْمِذ»، فذهبنا، وجاء بأهْلِهِ من آمو، وانضم إلينا. ثُمَّ اتجهنا إلى أطراف «بَامْيَان»، و«كَهْمَرْد»[4]، وكانت فِي يد أَحْمَد قاسم ابن باقي [چِغَانْيَاني]. وكان مطلبنا هو تأمين رِجَالنا وعائلاتنا داخل قلعة «كَهْمَرْد» المسماة «آجر»، (١٢١أ) ثُمَّ التحرك حسب مقتضيات الموقف.

رغبة مغول خُسْرو شاه فِي الانضمام إلى بَابُر:

عِنْدَمَا جِئْنَا إلى« ايبك » ، هَرَبَ يارعلي بلال من عِنْدَ خُسْرو شاه وكان يَعْمَل معى من قبل، ويجيد استخدام السيف، لكِنَّهُ انفصل عنى مع عدد من الفتية أثناء هَذهِ الفتن، وقد جاء هَذهِ المرة ليبلغنا رغبة المُغُول الذين مع خُسْرو شاه فِي عقد أواصر الصداقة معنا. ولما وصلنا «دروء زندان » هَرَبَ أيضا قُنْبُر علي بِك المعروف باسم علي السلأَخ [من عِنْدَ خُسْرو شاه].

---

(١) انهزم بابر أمام شَيْبَاق خان الأُزبكي فِي سربول عند شواطئ زرفشان بين بخارى و سَمَرْقَنْد سنة ١٥٠٠م =٩٠٦هـ.

(٢) تقع فِي الشمال الشرقي من ترمذ على أحد أفرع نهر جيحون (أمودريا).

(٣) وزادت الترجمة الفارسية: أن الحرب كان قد تم الإعداد لها بمساعدة من الشاه اسماعيل الصفوي، وكان سفاكا ولكن أعماله الطيبة لم تتوقف. ولم يقدر له فتح مملكة توران.

(٤) قع فِي المنطقة الجبلية بين بَلْخ و كَابُل.

وبَلَغْنَا «كَهْمَرْد » بعد ثلاثةِ منازلٍ أو أربعة، وأسْكنَّا أهلنا وعائلاتنا «قلعة آجر» . وهُنَاكَ عِقَدْنَا زواج [أخى الصغير] جِهانْكير مِيرْزا بابنة السُلْطَان محمود ميرْزا والبيجوم خانزاده. وكان جِهانْكير ميرْزا قد أرادها عِنْدَمَا كان فِي وضعٍ أَفْضَل من سائرِ الأُمَرَاء. وفِي هَذَا الأثناء، كان باقِي بِكْ يُرَدِّد على مسامعى دَوْما: إن وجود سُلْطَانين فِي ولايةِ واحدة، وقائدين لجيشٍ واحدٍ، يكون مَدْعَاةً للتخبُّط، وسببا للفِتْنَة والاختلاف، لاسيما أنهم قالوا [قديما]:

إن بساطا واحدا يتسع لعشرة دراويش،

ولا يتسع إقليم واحد لسُلْطَانين

وقالوا أيضا:

ذو الدين يأكل نصف الرغيف،

ويترك نصفه الآخر للفقراء.

بَيْنَما السُلْطَان يحكم إقليما،

وعينه على بلاد الآخرين.

إن كلَّ أتباعِ خُسْرو شاه وفرسانه سيأتون اليوم أو غدا ويبايعونى سُلْطَانا. لكن كما يُوجَد بين أمرائِنا مَن هم مثل أيوب [صابرون]، كان بينهم أيضا مفسدون (١٢١ب) يحركون الفِتَنَ والفسادَ بين الأُمَرَاء. ولو أذنتُ لجهانكير ميرْزاطوعا وإحسانا، بالذهاب إلى «خُراسان» فِي هَذَا الوقت، ألن يكون هَذَا مدعاة للندم مستقبلا؟ فليس من طبعي إيذاء ذى القربى وإن بدا منهم سوء الأدب. وكثرة النزاعات والخلافات بيننا وبين جِهانْكير مِيرْزا فيما مضى، إنما كانت بسبب المُلك والسلطنة والرِجَال، لَكِنَّهُ هَذِهِ المرة جاء معى من ولايته، وكان نِعم الأخ والتابع، ولم يبدر مِنْهُ إلى الآن ما يثير غضبى. ورغم إلحاح [باقي بِك] فِي عرضه لم أوافقه [الرأي]. وفِي النهاية، حدث ما توقعه باقي بِك، فقد هَرَبَ من عندى مثيرو الفتن أمثال يوسف أيوب وبهلول أيوب [وغيرهم]، وذهبوا إلى جِهانْكير مِيرْزا، وسعوا بيننا بالفتنة والفساد، وفَرَّقوا بيني وبينه، واصطحبوه إلى «خُراسان».

فِي تلك الأثناء، وصلت رسائل مطولة من السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، إلى بديع الزمان ميرْزا، وإلينا، وكذا إلى خُسْرو شاه وذوالنون بِك، (١٢٢أ) وكلها تحمل معنى واحدا، وهي عندى الآن. وفحواها أنه:

عِنْدَمَا اتحد الإخوة الثلاثة، السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا والسُلْطَان محمود ميرْزا وأُلُغْ بِك مِيرْزا، وتحركوا ضدنا[1]، تحصنّا بضِفّة «مُرغاب». واقتربوا ثُمَّ انسحبوا بدون أن ينجزوا شيئا. أما إذا تحرك الأُزْبَك ضدنا الآن، فيجب عَلَيْنَا [عندئذ] أن نسيطر على ضّفَّة « مُرغاب». [لذا] ينبغي أن يترك بديع الزمان مِيرْزا رِجَاله الأكفاء فِي قِلاع «بَلْخ»، و«شَبُرغان» و«اندخود»، ويتوجه للسيطرة على «كرزوان» و« دَرَه زنك»[2]، وتلك المنطقة الجبلية.

ولِعِلْمِهِ بأمرِ خروجِنا إلى تلك الناحية [أي إلى كَهْمَرْد]، فقد كَتَبَ إلينا [يقول]: ينبغي عليك أن تستولي على «كَهْمَرْد» وآجر وسفوح ذَلِكَ الجبل. وأن يترك خُسْرو شاه رِجَاله الثقاة فِي قِلاع «حِصار» وقُندز، ويستولي هو وأخوه الأَصْغَر ولي على جِبَال «بَدَخْشان» و«تلانخ». وبذَلِكَ يعجز الأُزْبَك عن إنجاز شيء، فيتراجعوا.

رأي بَابُر فِي السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا:

أَصَابَتْنَا رسائل السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا هَذهِ باليأس. فليس فِي بلادِ التَّيْمُورِيين مَنْ هو أكبر مِنْهُ سِنًا ومُلكا و[أكثر مِنْهُ] جندا. وكان المأمول والأمر كذَلِكَ، ألا تنقطع عنا الرسُل برسائل تحمل أوامر حاسمة، مثل افعلوا كذا بالسفن التي فِي دروب «تِرمِذ» و«كِلِف» و«كركى» (١٢٢ب)، وأعدوا ذَلِكَ القدر من مستلزمات الجسور، وحافظوا جيدا على دروب «طقوز اولوم» العلوية، فيحيا بذَلِكَ الأمل والعزم فِي قلوب المقهورين من جور الأُزْبَك مُنْذُ بضع سنين، ويبعثهم على التفاؤل. لكن أي أمل يبقى فِي قلوب النَّاس، وحاكم كبير مثل

---

(١) أي ضد حسين ميرزا بايقرا.

(٢) دَرْب رئيسى بين بَلْخ وهراة.

السُلْطان حُسَيْن ميرْزا يتبوأ عرش الأمير تيمور، ثُمَّ يتكلم عن التصدي للهجوم [المرتقب]، بدلا من أن يتكلم عن التحرك لمواجهة العدو.

انضمام المُغُول إلى بابُر:

تَرَكْنا في «آجر» عائلات الرجال الذين جاءوا معنا، وفرسان باقي چَغَانْيَاني وابنه مُحَمَّد قاسم وكل متاع العَشَائِر، وخرجنا بالجند. وجاء الرجَال من عِنْدَ مغول خُسْرو شاه واحدا تلو الآخر، يقولون: إن كل المُغُول انضموا إلى السُلْطان، ونحن على وشكِ مغادرةِ طالقان في اتجاهِ «اشكمش وفلول».[لذا نرى] أن ينتهز السُلْطان الفرصة ويأت بأسرعِ ما يمكن. فأكثر رِجَال خُسْرو شاه متذمرين ومُسْتَعِدّين للدخول في خدمته.

وبعد ذَلِكَ، عَلِمْنَا أن شَيْبَاق خان استولى على «أَنْدِجان»، وأنه في الطريق إلى «حِصار» و«قُنْدُز». فلم يَطِق خُسْرو شاه البقاء في «قُنْدُز» ، وذهب برِجَالهِ إلى «كَابُل». وبمجرد خروجهِ مِن « قُنْدُز »، قام أحدُ رِجَالهِ المعتبرين ويدعى المُلّا مُحَمَّد التُرْكِسْتَاني بتحصين «قُنْدُز» لشَيْبَاق خان.

وبينما نَحْنُ في طريقِ « سمتو»، بالقربِ من « قيزيل سو» ، جاء ثلاثةُ أو أربعةُ آلافٍ من أتباعِ خُسْرو شاه من رؤساء المُغُول في «قُنْدُز»، و«حِصار»، وعشائرهم وانضموا إلينا.

كان قُنْبُر علي المُغُولي المار ذِكره رجلا ثرثارا، لا تروق تصرفاته لباقي بِك، فسمحنا له بالانصراف مراعاة لباقي بِك، بَيْنَما ظل ابنه عبد الشكور، في خدمة جهانكير مِيرْزا.

لجوء خُسْرو شاه إلى بابُر:

لما عَلِمَ خُسْرو شاه بانضمام شعبِالمُغُولِ إلينا، اعتراه القلق. ولما أعجزه الأمر، أرسلَ صِهرَه يعقوب أيوب ليبلغنا صداقته وخضوعه لنا، وأنه قادم ليكون في خدمتنا إذا عقدنا معه عهدا وميثاقا.

كان باقي چَغَانْيَاني صاحب رأي[1]، ومخلصا لي دوما، لَكِنَّهُ في ذات الوقت لا يمكنه

(١) جاءت في الترجمة التركية صاحب نفوذ وفي الترجمة الفارسية كبيرالحجاب.

التخلي عن أخيه الأكبر. لذا توسط بيننا، وعقد الميثاق على أن تكون حياة خُسْرو شاه مصانة، وله حرية التصرف فِي أمواله، ولا يتعرض لأي نوع من الضغوط فِي هَذَا.

بعد السماحِ ليعقوب أيوب بالانصراف، اجتزنا «نهر قيزيل سو»، ونزلنا بمكان قريب من مجمع «نهر اندرآب». (١٢٣ب)

وفِي اليومِ التَّالِي، وكان منتصف شهر ربيع الأول، عبرتُ النَّهْر مع بعض رِجَالي، وانتظرتُ أسفل شجرة كبيرة فِي نواحي «دوشي» وجاء خُسْرو شاه من الناحية الأخرى وسط حشد كبير من أتباعه تحدوه مظاهر العظمة والفخامة، وتبعا للأصول والآداب المرعية، ترجل عن جواده، وتقدم ناحيتى، ثُمَّ انحنى أمامي ثلاث مرات احتراما وتعظيما، ثُمَّ انحنى ثلاث مرات أخرى عِنْدَ الاستئذان، و[انحنى] مرة عِنْدَمَا سأل عن صحتي، ومرة أخرى عِنْدَمَا عرض طاعته[1]، وهذا ما فعله أيضا مع جهانكير مِيرْزا وميرْزاخان.

رأي بَابُر فِي خُسْروشاه:

إن خُسْرو شاه ذَلِكَ الشَّيْخ الكبير، قاعد الهِمة، صَالَ وجَالَ لسنواتٍ مُتَّبِعا هواه، ولم تُقرأ خطبةٌ باسمِهِ أبدا. وها هو ذا يكرر الانحناء لنا خمس أو ست وعشرين مرة متتالية تعظيما، وقد جاء وانصرف وهو يكاد يسقط من فرط التعب. ورغم أنه تبوأ الإمارة والسلطنة لسنوات، فقد جاء إلينا رغم أنفه. وظل لمدة جزء أو اثنين[2] [من الوقت] يتكلم فِي أمور عدة، فكان غث الحديث، مجافيا للذوق فضلا عن وضاعته وعقوقه. وكان أَفْضَل رِجَاله المعتبرين، يأتون إلينا أمام عينيه زرافات، ليدخلوا فِي خدمتنا. وبلغ به الأمر أن يأتي إلينا وهو صاحب سلطنة، ليتفاوض معنا مرغما ذليلا.

وأثناءَ الحديث، بَدَرَت مِنْهُ كلمتان غريبتان، الأولى أثناء مواساتنا له بسببِ تخلي رِجَاله عنه، فكان جوابه: إنهم فعلوا الشيء نفسه أربع مرات من قبل، ثُمَّ عادوا مرة أخرى. والكلمة

---

(١) الجملة من أول ثُمَّ انحنى ثلاث مرات أخرى.... سقطت من الترجمة التركية.

(٢) الجزء من الوقت (كرى) يساوى أربع وعشرين دقيقة.

الثانية عِنْدَما سألته عن أخيه الأصْغَر ولي متى سيأتي وعَبْر أي من مخاوض « آمودريا » [١]، فكان جوابه: في حال وجود المَخاضَة، سيأتي بسرعة، لكن عِنْدَما يرتفع الماء تتغير المعابر. والمثل يقول: غشى الماء تلك المَخاضَة، وقد أجرى الله هذ القول على لسانه، بعد أن خسر الدولة والرِجَال.

وبعد فترة أو اثنتين [٢]، ركبتُ الجواد إلى مركز القيادة، وذهب خُسْرو شاه إلى حيث يقيم. ومنذ ذَلِكَ اليوم، انفض عنه الكبير مِن رجَاله والصغير، والفتى منهم والشَّيْخ، وأمراؤه وفتيانه، وانضموا إلينا بعائلاتهم ومتاعهم. وعند صلاة الظهر أو العصر من اليوم التَّالِي، لم يبق معه أحد قط مِن رجَاله:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣].

إن الله لَقَوِي قدير. فهذا الرجلُ كان له من الأتباعِ عشرون أو ثلاثون ألفا، وكانت ولاياتُ السُلْطَان محمود ميرْزا الممتدة من « قهلغه» المعروفة باسم «دَرْبَنْد آهَنين» حَتَّى «جِبَال هندكوش»، كلها تحت تصرفه. (١٢٤ب) وكان له جامع ضرائب يدعى حَسَن برلاس، يجمع الضرائب من «ايلاك» إلى «اوياج» بطريقة فظة، تدفعنا للارتحال مِن مكان إلى آخر. ها هو ذا في يَومٍ ونصف اليوم، يصبح ذليلا حقيرا عاجزا أمام مائتين أو مائتين وخمسين رجلا بسطاء مساكين مثلنا، ولا سُلْطَان له على رِجَاله وماله ونفسه.

بعدما قابلتُ خُسْرو شاه في تلك الليلة، جاء ميرْزاخان، ومثُل أمامي، وطالب بدماء أخويه الكبيرين [٤] [قصاصا من خُسْرو شاه]. وكان بيننا من يؤيد هَذَا الرأي.

---

(١) يعرفه الجغرافيون العرب باسم نهر جيحون.
(٢) حسبما ورد في تاريخ بابر أن الفترة من الوقت في بلاد الهِند تسمى بهره وتساوي ثلاث ساعات.
(٣) الآية ٢٦ آل عمران.
(٤) يقصد باى سنقر ميرزا وبديع الزمان ميرزا فقد قتل خُسْرو شاه أحدهما، وسمل عينى الثاني .

والحق، أنه بمقتضى الشرع والعُرف، يجب معاقبة خُسْرو شاه ومن هم على شاكلته، لكننا قضينا برحيلهِ خُسْرو شاه بما يَسْتطِيع حمله [من متاع]. فأخذ المجوهرات والذهب والفضة وكل ثمين، وحملها فوق أربعة من البغال والإبل. وأرسَلْنا شريم طغائي لمرافقته حَتَّى يبلغه «خُراسان» عن طريق «خورى» و«دهانه»، ثُمَّ يذهب إلى «كَهْمَرْد» ليأتي بأتباعنا المهاجرين، ويلحقوا بنا فِي «كَابُل».

الطريق إلى كَابُل:

تحَرَّكْنَا مِن مكانِنَا هَذَا قاصدين «كَابُل». ونزلنا عِنْدَ «خوجه زيد». وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء مهاجمو الأُزْبَك وعَلَى رأسهِم حمزة بي منكغيت، وأغاروا على «دوشي» ، فأرْسَلْنا السَيِّد قاسم الحاجب وأحمد قاسم كهبر (١٢٥أ) ومعهما بعض الفتية، لدفعه. فذهبوا وأنزلوا بمهاجمي الأُزْبَك هزيمة منكرة، وأتوا برؤوس بعضهم.

وأثناء وجودِنَا فِي هَذَا المكان، وزَّعْنا السلاح الذي كان فِي حَوْزَةِ خُسْرو شاه. وكان حوالي سبعمائة أو ثمانمائة طاقم دروع وسروج. وهذا كل ما تركه خُسْرو شاه وراءه. وحصلنا أيضا على الكثير من القِطَع الصينى. ولم يَكُنْ ثَمَة شيء ذى بالٍ سوى هَذَا.

غادَرْنَا «خوجه زيد»، وبلغنا «غوربَنْد» بعد أربعةِ أو خمسةِ منازل. فلما نزلنا «أشتر شهر» علمنا أن شيرك أرغون، وهو أميرٌ كبيرٌ من أمراءِ مُقيم [1]، موجود عِنْدَ ضَفَّة «باران» ولا علم له بمجيئنا، إنما جاء لكى يقطع طريق «بنچهير» أمام من يوَدّون اللحاق بعبد الرازق ميرْزا، الذي هَرَبَ فِي تلك الأثناء من «كَابُل»، والموجود الآن مع «أفغان تركلاني» [2] عِنْدَ «لَمغَان».

عِنْدَمَا علمنا بهذا الخَبَر، غادرنا مكاننا بعد الظهر، وواصلنا السَّيْر ليل نهار، واجتزنا «دَرْب هوبيان» فِي الصباح. ولم أكن قد رأيتُ [النجم] السُّهيلي [3] من قبل أبدا. فبمجرد

---

(١) محمد مقيم أرغون ابن ذو النون أرغون، أحد أمراء حسين ميرزا (بايقرا).

(٢) اسم جماعة من الأفغان يقطنون بجوار لَمغَان.

(٣) السهيلي، اسم نجم، وهوأكثر النجوم شهرة لدى الأفغان. وأطلقوا اسمه على اتجاه الجنوب، فيقولون سهيل بدلا من الجنوب.

خروجنا مِن الدَرْب، رأيتُ نجما لامعا ناحية الجنوب، فسألتُ أليس هَذَا السهيلي؟ فقالوا بلى. وأنشد باقي چِغَانْيَاني البيت التَّالي:

أيها السُّهيلي، إنك تنشر نورك أينما تظهر

وإنها لعلامة السعد، لمن تتلألأ فِي عينيه.

عِنْدَمَا صارَتِ الشمس على ارتفاعِ مزراق، نزلنا سفح وادي«سنجد»، واشتبك فتيانُنا المتقدمون مع شيركه قرب «ايكري يار» عِنْدَ سفح «قراباغ» (١٢٥ب) فقاومهم قَدْرَ استطاعته، لَكِنَّهُ سرعان ما انهزم، وصارت اليد العليا لرِجَالنا، فوقع فِي قبضة فتياننا وأتوا به وسبعين أو ثمانين من فتيانه. وعفونا عنه، وجعلناه ضمِن رِجَالنا.

بعدَ خروجِ خُسْرو شاه من «قُنْدُز» قاصدا «كَابُل» غير مكترث بأهله، انقسمت القَبَائِل والعَشَائِر التابعة له إلى خمس أو ست فرق؛ فرقة فِي «بَدَخْشان» تحت إمرة سَيِّديم علي دَزبان وكانت معه [قبيلة] هزارة روستا[1]. وقد عَبَروا طريقَ «بنجهير»، وانضموا إلينا أثناء وجودنا هُنَاكَ.

وفرقةٌ تحت قيادة يوسف أيوب و بهلول أيوب، وهؤلاء أيضا دخلوا فِي خدمتنا [ونحن] فِي ذات المكان.

وفرقةٌ فِي «خُتلان» تحت إمرة ولي الأخ الأَصْغَر [لخُسْرو شاه].

وفرقةٌ عبارة عن قبائلِ [الأُزْبَك] التي تستوطن ولايات «ييلانچوق»، و«نكدري»، و«قاقشال»، و«قُنْدُز»، وقد جاءت [هاتان]الفرقتان واحدة عن طريق «اندراب»، والأخرى عن طريق «سِراب»، وكانت تفكر فِي اجتياز «پنجهير» . وبلغَت القَبَائِل «سِرآب» قبلَ وصولِ ولي اليها بعدهم. فسيطرَت على الطريق، وانتصرَت على ولي، ففر هاربا ولجأ إلى الأُزْبَك. وأمر شَيْبَاق خان بضرب عنقه فِي سوق «سَمَرْقَنْد». وجاء أتباعه إلينا مع رِجَال القَبَائِل، منهوبين والتحقوا بخدمتنا، وجاء معهم أيضا السَيِّد يوسف بِك الاوغلاقجي. (١٢٦أ)

(١) اسم أحد قبائل الهزارة.

وَغَادَرْنَا مكاننا هَذَا، ونَزَلْنا بسهل «آقسراي» بجوارِ «قراباغ» . ولأن الظلمَ والعصيانَ من شِيَمِ رِجَال خُسْرو شاه، فقد أخذوا فِي إنزالِ الظلمِ بالأهالي. وفِي النهاية، أتيتُ بِواحِدٍ مِن رِجَال "سَيِّديم علي دَرْبان" المُمَيَّزِين لديه، لأنه اغتصب قِدر زيت مِن رَجُلٍ عنوة، وأمرتُ بجلده بالسياط حَتَّى فاضت روحه تحت وطأة السياط. وبهذه الطريقة، انصاع الباقون.

وأثناء وجودِنا فِي مكاننا هَذَا، تشاوَرْنا بشأنِ السَّيْر فورا إلى «كَابُل» مِن عَدَمُه. ورأي السَّيِّد يوسف وآخرون أن الشتاءَ على الأبواب، ومن الأَفْضَلِ التوَجُّهِ فورا إلى «لَمْغَان»، ثُمَّ نُقَرِّر بعد ذَلِكَ ما ينبغي عمله على ضوء ما نراه. بَيْنَما رأي باقى چِغَانْيَاني وآخرون، ضرورة السَّيْر فورا إلى «كَابُل». واتخذنا قرارنا حسب الرأي الأخير.

هروب خُسْرو شاه إلى خُراسان:

غادَرْنَا مكانَنَا، ونزلنا مَرعى آبا. وهُنَاكَ، لَحِقَت بنا السَّيِّدة والدتي وأقاربى الذين كانوا فِي «كَهْمَرْد»، بعد أن تَعَرَّضوا لبعضِ الصعابِ والمخاطر. وتفاصيل ذَلِكَ على النحوالتَّالِي:

كنا قد أرْسَلْنا شيريم طغائي برفقةِ خُسْرو شاه [ليصل به] إلى ناحيةِ «خُراسان»، ثُمَّ يأتي بعائلتي. وعندما وصل به إلى «دهانه»، فَقَدَ شيريم طغائي سيطرته على الموقف، وحَمَلَهُ خُسْرو شاه إلى «كَهْمَرْد» وكان فيها أَحْمَد قاسم ابن أخت [خُسْرو شاه]. واتفق أَحْمَد قاسم مع خُسْرو شاه، (١٢٦ب) وأضمرا السوء بأهلي وأقاربي فِي «كَهْمَرْد». ودبر بعض المُغُول [من أتباع] باقي چِغَانْيَاني - ممن كانوا هُنَاكَ بعائلاتهم سرا مع شيريم [طغائي] للقبض على خُسْرو شاه وأحمد قاسم. لكنهما[1] هَرَبَا عَبْر الطريق المجاور لوادي «آجر» وذهبا إلى «خُراسان». وكان المُغُول يرمون مِن هَذَا الاتفاق إلى الخلاص منهما. فلما نجوامن خطر خُسْرو شاه، خرجوا بأهلَهُم من «آجر»، وعند «كَهْمَرْد»، قطعت قبيلة سيقانجي الطريق عَلَيْهِم كَأَنَّهُم أعداء، ونهبوا عددا كبيرا من اتباع باقي چِغَانْيَاني وذراريهم. وقبضوا على تيزك إبن بايزيد [بكاول] وكان لايزال

(١) خُسْرو شاه وأحمد قاسم.

صغيرا، وقد لحق بنا فِي «كَابُل» بعد ثلاث أو أربع سنين، ثُمَّ عبر هؤلاء المنهوبين طريق قيبچاق، ولحقوا بنا فِي مَرْعَى «آبا».

فتح كَابُل:

غادَرْنا «آبا»، وبعد منزلٍ[1] واحد، نزلنا سهل «چالاك»، وبعد التشاور، قررنا محاصرة «كَابُل». فتوجهتُ مع كل رِجَال القلب إلى المنطقة الواقعة بين حَدِيقَة حيدر تاقي، ومرقد قُل بايزيد بكاول. ونزل جِهانْكير مِيرْزا ورِجَال المَيْمَنَة فِي «چارباغ» كبرى حدائقنا. ونزل ناصِر ميرْزا ورِجَال المَيْسَرَة فِي السهل الواقع خلف مرقد قُتْلُقْقَدَم، (١٢٧أ) وكان رِجَالنا يترددون دائما على مُقيم للتفاوض معه. لَكِنَّهُ كان يتعلل بالأعذارِ تارة، ويقول كلاما لَيّنا تارة أخرى. وبمجردِ أنْ استولَيْنَا على شيركه، أرسلَ رسولا إلى أبيه [ذو النون أرغون] وأخيه الكبير [شاه شجاع أرغون][2]؛ فقد كان يماطل فِي الأمر على أمل أن تصله مساعدة منهما.

وذات يوم، أَصْدَرْنَا الأمرَ لجُنُود القلبِ بلبسِ الدروع، وتجهيزِ الجيادِ بها، والتسلحِ بأسلحتِهِم، والاقتراب [من كَابُل]؛ لترهيب من فيها. وتقدم جِهانْكير مِيرْزا مِن مكانه برِجَال المَيْمَنَة وسلك طريق «كوجه باغ» . ونظرا لوجود الماء أمام موقعنا، فقد تقدمتُ وجُنُود القلب من ناحية مرقد قُتْلُقْقَدَم، وارتقيتُ التل الذي أمامنا. بَيْنَمَا ملأت طلائع الجَيْش أعلى «جسر قُتْلُقْقَدَم». وفِي ذَلِكَ الحين، لم يَكُنْ هُنَاكَ جسر آخر سواه. وبحيلة ما استطاع الفتية الأكفاء أن يتقدموا إلى "باب جرم كرلار"، فإذ بعدد من الرِجَال يخرجون[مِن البابِ]، ويولون الأدبار بغير قتال، ويدخلون الحِصْن. وكان سور القَلْعَة الخارجية، شاهق الارتفاع. وقد اعتلاه جمع غفير من أهل «كَابُل» للفرجة، فلما هَرَبَ أولئك الرِجَال، سارعوا بالنزولِ مِنْ فَوْقِ السور، وانسحبوا إلى. وكانوا قد أعدوا عددا من الحفرِ فوق الربوةِ العاليةِ بين الجسرِ والباب، وحجبوها.

---

(١) المنزل هومسيرة يوم وتساوي ٢١ ميلا.

(٢) عِنْدَمَا طرده بابر من كَابُل وغزنة، استولى على المنطقة الواقعة جنوب سيستان، ثُمَّ استولى على السِّنْد بعد ذلك وأقام هُناك دولة، وتُوفي عام ١٥٢٤م.

(١٢٧ب) فلما هجم سُلْطَان قُلي چناق وبعضُ الفتية سقطوا فيها. وبين تلال «كوچه باغ» تبارز واحد أو اثنان مِن رِجَال المَيْمَنَة، مع من خرجوا من الحِصْن[١]. ولأن الأمر بالحرب لم يصدر بعد، فقد اكتفوا بهذا، وعادوا أدراجهم.

وفزع كل من فِي القَلْعَة. وعرض مُقيم من خلال أمرائه، أن يأتي إلينا مذعنا، ويسلم «كَابُل». وكان باقي چَغَانْيَاني هو الوسيط، فجاء به إلينا ولازمنا. وبدورنا أبدينا له مظاهر الشفقة والرِّعَايَة، وأزلنا من خاطره الخوف والقلق. وتقرر أن يغادر رِجَاله الحِصْن فِي اليوم التَّالِي بأموالَهُم ومتاعِهِم، ويسلموه لنا. وكان أتباع خُسْرو شاه، رِجَال عصيان ونهب. لذا كلفنا جهانكير مِيرْزا، وناصر ميرْزا وبعض الأُمَرَاء الكبار والخَوَاص، بإخراج مُقيم وأتباعه من «كَابُل» ومعهم متاعهم وأموالَهُم. واخترنا تيبه[٢] لتكون مقاما له.

وفِي صباحِ اليومِ التَّالِي، ذهب الأُمَرَاءُ وأمراءُ الجُنْد إلى أبوابِ [كَابُل]، فوجدوا الهياج مُسْتَعِرا بين النَّاس، فأرسلوا فِي طلبي، وقالوا: مالم تأت، فلن يستطع أحد كبح جماح النَّاس. فذهبتُ بنفسي، وأصبتُ أربعة أو خمسة منهم بالسهام، ومزقتُ واحدا أو اثنين منهم إربا إربا(١٢٨أ). وبذَلِكَ أخمدتُ هياجهم. وتوجه مُقيم برِجَاله سالمين إلى تيبه. وبفضل الله وكرمه، سخَّر لنا مُلك «كَابُل»، و «غَزْنَة» والولاية [التابعة لها] فِي أواخر شهر ربيع الأول دون حرب أو قتال.

ولاية كَابُل:

«كَابُل» من الإقليمِ الرابع[٣]. وتقع وسطَ المعمورة. فِي شرقِها «لَمْغَانات» و«پِرْشَاوَر» و«هَشْتَغَر»[٤]، وبعض ولايات «الهِنْد». وفِي غربها المنطقة الجبلية التي تضم «كرنو»، و«غور».

---

(١) فِي الترجمة الإنجليزية "مدينة" بدلا من "حصن" التي فِي التركية.

(٢)على مَسَافَة تسعة كيلومترات شمال كَابُل على الطريق إلى آق سراي.

(٣) قسم الجغرافيون القدماء الأرض سبعة اقاليم لِكُلِّ إقليم منها شروط وضعوها، فِي تفصيل ذلك انظر، ياقوت الحموى معجم البلدان، ج١.

(٤) فِي الترجمة الفارسية (وكاشْغر).

وهذه الجِبَال الآن ملاذ جماعات الهزاره، ونكدري[1] ومستقرها. وفي الشمالِ ولايات « قُنْدُز»، و«اندرآب» ، وتتوسطها «جِبَال هندكوش». وفي الجنوبِ «فَرمُل»، و«نغر»، و«بن»، و«أفغانستان».

و«كَابُل» ولايةٌ صغيرةٌ لكنها مترامية، وتمتد من الشرقِ إلى الغرب، وتحيطُ بها وتجاوزُها مناطق جبلية. وقلعتها ملاصقة للجبل. وفي جنوب غرب القَلْعَة، جبل صغير يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم جبل شاه «كَابُل» ذَلِكَ لأن شاه «كَابُل» شيد قصرا على رأس هَذَا الجبل الذي يبدأ مِن «دَرْب ديورين» وينتهي عِنْدَ «دَرْب ده يعقوب». وسفحه تكسوه الحدائق وتحيط به لمسافة ميلين. فِي زمن عمي أُلُغْ بِك ميرْزا، شق اويس اتكه الوصي على الميرْزاقناة فِي سفح هَذَا الجبل، تُروى مِنْها كل الحدائق التي فِي السفح. وفي الطرف الجَنُوبِيّ لهذا الماء، حي اسمه «كُلْكِنَه»، وهو مكان منعزل كثيرا ما لهونا فيه. وكنا أحيانا (١٢٨ب) على سبيل المزاح نحرِّف بيتا للخوجه حافظ[2]،ونقرأه على النحوالتَّالي:

كم كان ذَلِكَ الزمان سعيدا، عِنْدَمَا أَقَمْنَا بضعة أَيَّام فِي كُلكِنه
بكامل حريتنا مع سيئ السمعة

وفي جنوب القَلْعَة شرق «جبل شاه كَابُل»، بحيرة كبيرة محيطها ميلان، وفي اتجاه «كَابُل» مِن هَذَا الجبل تنبثق ثلاثة ينابيع صغيرة بعض الشئ. اثنان مِنْها بجوار «كُلْكِنَه»، وعند أحدها قبر الخوجهِ شمو - هو الخوجه أَحْمَد شمس الدين جانباز، وينطق العوام اسمه اختصارا خوجه شمو[3] - وعند الأخر « قدم كاه الخوجه خضر» . وهذان هما مكان نزهة أهل «كَابُل». أما النبع الثالث، فيقع أمام [مَوْضِع يسمى] الخوجه عبد الصمد الذي يُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم الخوجه روشناي. وينفصل ذراع من جبل شاه «كَابُل» يسمونه عقابين، فضلا عن جبل آخر صغير،

(١) من القبائل التي تسكن جبال غزنة، والجملة من أول (وهذه الجبال...) إلى آخرها لَيْسَت فِي الترجمة الفارسية.
(٢) حافظ الشيرازى واحد من أظهر شعراء الفارسية.
(٣) الجملة الاعتراضية وردت على هامش النص الجغتائي، وأغفلها النص الفارسى والتركى، وأوردتها الإنكليزى في الحاشية.

وفوق هَذَا الجبل يقع الحِصْن الخارجي لقلعة «كابُل»، بَيْنَما تقع القَلْعَة الكبيرة شمال هَذَا الحِصْن. والحِصْن مقام على ارتفاع كبير في مكان طيب الهواء، تحيط به بحيرة كبيرة وثلاثة مروج اسمها «سيه سنك»، و«سونك قرغان»، و«جالاك». وكلها تبدو أسفل مِنْهُ. وتبدو هَذِهِ المروج أجمل ما تكون عِنْدَمَا تكتسى بالخضرة. وتفتح بيوت الحِصْن نوافذها ناحية الشمال؛ لتصبح جيدة التهوية بتأثير رياح الشمال التي تهب على «كابُل» في فصل الصيف ويُطْلِقُون عَلَيْهَا اسم رياح پَرْوَان.

ويقول المولى مُحَمَّد طالب معمائي[1]، (١٢٩أ) بيتا من الشعر في وصف حصن «كابُل»، قَرَنه باسم بديع الزمان ميرْزا، قَالَ فيه:

اشرب الخمر في حصن كابُل، ودر بالأقداح تباعا،

فهُنَاكَ الوادي والجبل، والبيد والحَضَر.

التجارة في كابُل:

يطلق العرب على أي مكان خارج ديارهم اسم العجم،كذَلِكَ يطلق الهنود على كل مكان خارج «الهِنْد» اسم «خُراسان». ويُوجَد مركزان تجاريان على الطريق البرى بين «الهِنْد»، و«خُراسان». أحدهما «كابُل» والآخر «قَنْدَهار» . وتأتى ألْقُوافل من «فَرْغَانَه» وتُركِسْتَان، و«سَمَرْقَنْد»، وبخارى، و«بَلْخ»، و«حِصار»، و«بَدَخْشان» إلى «كابُل»، ومن «خُراسان» إلى «قَنْدَهار».

والطريقُ بين «الهِنْد» و«خُراسان» يمرُ مِن «كابُل». و«كابُل» مركزٌ تجاريٌ ممتازٌ. يمكنُ للتجارِ فيه أن يحققوا ربحا يُماثِلُ ما [يحققوه] لو ارتحلوا إلى الخَطا[2] أو إلى [بلادِ] الروم[3]. ويرِدِ

---

(١) كان مع بديع الزمان ميرزا قبل أن ينضم إلى بابر. تُوفي سنة ٩١٨هـ (١٥١٢م) في معركة قولى ملك، التي انهزم فيها بابر أمام الأُزبك.

(٢) تصرفت الترجمة التركية وجعلتها الصين وبلاد الخطا هي من تُركِسْتَان الشرقية.

(٣) يقصد ببلاد الروم منطقة الأناضول، وكانت ضمن الأراضى العثمانية آنذاك.

إلى «كَابُل» فِي كلِ عامٍ حوالي سبعة أو ثمانية أو عشرة آلاف جوادٍ. كما تأتي القافلةُ من «الهِنْد» فيها حوالي عشرة أو خمسة عشر أو عشرين ألف رجلٍ يحملون الملابسَ البيضاء والسكرَ الخام، والسكرَ والعقاقيرَ[1]. ولا يقبلُ التجارُ فيها أرباحا تقل عن ثلاثين أو أربعين [مِثل]. وتوجد فِي «كَابُل» بضائعَ «خُراسان»، والعراق، والروم، والصين، فهي السوقُ الرائجُ لبلادِ «الهِنْد».

مناخ كَابُل:

فِي «كَابُل» تتقاربُ المناطق الحارة والباردة. فمسيرةُ يومٍ واحدٍ من «كَابُل» تنقلُ الإنسانَ إلى مكانٍ لم يشهدُ الثلجَ أبدا، وإذا سارَ فِي طريقٍ آخر مَسَافَة ساعتين فلكيتين، يمكن أن يصلَ إلى مكانٍ لا ينقطعُ عنه الثلج أبدا. ولكن من حينٍ لآخر يأتي صيفٌ لا أثرَ للثلجِ فيه.(١٢٩ب)

فواكهُ كَابُل:

تتوافرُ فواكهُ الأقاليم الحارة والأقاليم الباردة فِي الأماكنِ القريبةُ التابعةُ لكَابُل. فمن فواكهِ الأقاليمِ الباردة فِي «كَابُل» وقراها يُوجَد العنب، والرمان، والمشمش، والتفاح، والسفرجل، والكمثرى، والخوخ، والبرقوق، والعناب، واللوز، والجوز. وقد أخذتُ غصنا من الوِشنه وزرعتُه، فأثمَرَ ثمرا جيدا. وقد تحسَّن ثمره الآن. ومن فواكهِ الأقاليم الحارة، البرتقال، واللارنج، والأملوق[2]، وقصب السكر، ويجلبونها من ««لَمْغَانات» وقد أحضرتُ قصب السكر وزرعتُه [فِي الهِنْد]. ويجلبون الجيلقوزة[3] من نجراو. ويتوافر العسل بكثرة فِي المناطق الجبلية المحيطة بكَابُل حيث توجد خلايا النحل باستثناء الجِبَال المحيطة بغَزْنَة[4]، فلا يُجمع مِنْها عسل قط[5].

---

(١) تصرفت الترجمة التركية وكتبتها (البهارات) وأضافت الترجمة الإنكليزية كلمة العبيد.

(٢) الياميش الأسود.

(٣) نوع من الفستق.

(٤) وتكتب أيضا غزنى بالألف اللينة .

(٥) هذهِ الجملة الأخيرة غير واردة فِي الترجمة الإنجليزية.

وراوند «كَابُل» جيد،كذَلِكَ السفرجل، والبرقوق، والبادرنج[1]. وبها نوع من الكروم طيب جدا يسمونه آبِ انكور يصنعون مِنْهُ شرابا قويا جدا. ويشتهر شراب سفح « جبل خوجه خاوند سعيد » بقوة تأثيره، ويمكن أن أصف تأثيره على الآخرين حسبما سمعتُ بأنه يعرف لذة الخمر شاربها، ويلحظ لذتها من لم يشربها.

و«كَابُل» لَيْسَت جيدةُ الخصوبة، وزراعةُ الجيد مِنْها يعطى أربعة أو خمسة أضعاف.كما أن شمامها غير جيد إلا إذا كانت البذور من «خُراسان».

هواء كَابُل:

«كَابُل»؛ هواؤها عليل، وليس فِي الدنيا هواء يشبه هواء «كَابُل»، حَتَّى إن النوم فِي الصيف بدون غطاء أمر غير ممكن. ويغلب الثلج على شتائها لَكِنَّهُ معتدل البرودة. كما تشتهر «سَمَرْقَنْد» و« تَبْرِيز» بطيب هوائها (١٣٠أ)، لكن البرودة فيهما شديدة.

جغرافية كَابُل وطرقها:

يحيطُ بكَابُل أربعةُ سهول. سهلُ «سونك قورغان» فِي الشمالِ الشرقي على مَسَافَة فَرْسَخَيْن مِنْها. وهو سهلٌ طيبٌ قليل الذباب، وعُشبُه مناسبٌ للخيل. وفِي الشمالِ الغربي على مَسَافَة ميلين من «كَابُل» يقع سهل «چالاك»، وهو سهل واسع وذباب الصيف فيه مزعج للخيل. وفِي الجانِبِ الغربي يقع «سهل ديوارين»، وهو عبارة عن سهلين هما: «تيبه» ، و«قوش ناور»، وبهذا يكون عددها خمسة سهول. ويبعد كل واحد مِنْها عن «كَابُل» حوالي ميلين. وهي سهول صغيرة، لكن عُشبها مناسب للخيل، وتخلو من الذباب. وليس بكَابُل سهول أخرى طيبة. وفِي الشرق مِنْها سهل «سياه سنك» وبه قبر قُتُلُقْقَدَم، فيما بين «باب الدباغين» والسهل. لَكِنَّهُ سهل لا قيمة له بسبب كثرة ذبابه صيفا. وسهل آخر مجاور له هو سهل «كمري». وبذَلِكَ يُحِيط بكَابُل ستة سهول، يشتهر مِنْها أربعة فقط.

---

(١) البادرنج، فاكهة كبيرة خضراء تبدومثل النارنج. وأيضا نوع كبير من الكوساء(الترجمة الإنكليزية نقلا عن ارسكينه) وأظن أنه ما يعرف فِي ريفنا باسم السرت وهو الشمام الأخضر الصغير القاسي.

الطرق المؤدية إلى كابُل:

«كابُل» ولايةٌ محفوظةٌ يستعصي عَلَى العدو الدخول إليها. وتقع « جبال هندكوش» التي تفصلها عن «بَلْخ»، و«قُنْدُز»، و«بَدَخْشان»، عَلَى رأسِ سبعة طرق؛ ثلاثة مِنْها تؤدي إلى «پنچهير». ويعلوها قليلا «دَرْب جواك». وأسفلها قليلا دَرْبا «بازارك»، و«طول». وهذا الأخير، هو أفْضَل الدروبِ الثلاثة. لكِنَّهُ طويلٌ بعضَ الشيء(١٣٠ب) والأغلب أنهم يُطْلِقُون عَلَيْهِ هَذَا الاسم لهذا السبب. أما أكثرها استقامة فهو دَرْب بازارك. وهذان الممران يؤديان إلى سيرآب. ويطلق أهلها على دَرْب بازارك اسم بارندي لأنه يفضى إلى قرية تحمل هَذَا الاسم. والآخر هو الطريق المؤدى إلى « پَرْوَان »، وبه سبعة دروب تعرف باسم «هَفْت بجه» تقع بين«پَرْوَان» والدَرْب الكبير. ويجتمع فِي هَذَا الدَرْب الطريقان القادمان من ناحية «اندرآب» ، ويمتد إلى «پَرْوَان». وهو طريق وعر للغاية.

وتخرج من «غوربَنْد» ثلاثةِ طرق. أحدها دَرْب «يانكى يول»، وهو الأقرب إلى طريق «پَرْوَان»، ويمر من «وليان» إلى «خنجان». وطريق آخر هو «دَرْب القپچاق». ويصل إلى حيث يلتقى نهر «اندرآب» مع قزيل سو وهذا أيضا طريق ممهد. [والثالث] «دَرْب شپرتو» ويعبرون مِنْهُ فِي الصيف عِنْدَمَا ترتفع المياه [فِي الأنهار]، مرورا مِنْ فَوْقِ «بَامْيَان» و«صايقان». أما فِي الشتاء، فيعبرون مِنْ فَوْقِ«آب دره». وعندما تغلق كل الطرق [فِي جِبَالِ هندكوش] فِي الشتاء لمدة أربعة إلى خمسة شهور[1] باستثناء شپرتو، فإنهم يعبرون من [شپرتو] مرورا من آب دره، فلما يأتي الصيف وتفيض الأنهار، تعود هَذهِ الطرق إلى ما كانت عَلَيْهِ فِي الشتاء. إذ يحول الفيضان دون السَّيْر فِي هَذهِ الطرق لوقوعها على حافة النَّهْر. ومن يرغب فِي اجتياز جبل [هندكوش]، يجد مشقة بالغة. إذ لا يمكن السَّيْر على هَذهِ الدروب إلا لمدةِ ثلاثة أو أربعة شهور[2] بعدما تقل الثلوج (١٣١أ)، وتنحسر المياه، ويقل قُطَّاع الطرق الكُفَّار فِي الجبل والدروب.

---

(١) جاءت فِي الترجمة الإنجليزية، ثلاثة أو أربعة شهور.

(٢) فِي الترجمة الإنجليزية (الخريف).

والطريقُ الواصلِ [إلى كَابُل] من ناحيةِ «خُراسان» يمر مِن «قَنْدَهار»، وهو طريقٌ مستو تماما يخلو من الدروب. وهُنَاكَ أربعة طرق تأتى من ناحية «الهِنْد». واحد مِنْها يأتي من «لَمْغَانات» وفيه دروب قليلة عبر جِبَال «خَيْبَر». وآخر يأتي من «بنكش». والثالث يأتي من نغر، والرابع يأتي من «فرمُل»، والدروب فِي هَذهِ الطرق [الثلاثة الأخيرة] قليلة. والقادمون مِن هَذهِ الطرق، يعبرون ثلاث مخاوض لنهر السِّنْد. والقادمون من ناحية «لَمْغَانات» يجتازون مَخَاضَة «نيلآب»، وفي الشتاء يعبرون «نهر السِّنْد» عِنْدَ اتصاله بنهر «كَابُل». وكنتُ أسلكُ هَذهِ الدروب فِي أغلب حملاتنا على «الهِنْد». وذات مرة[1]، عِنْدَمَا هزمتُ السُلْطَان ابراهيم [اللودهي] وفتحتُ بلاد «الهِنْد»، جاوزتُ بالسفينة «مَخَاضَة نيلآب». ولا يمكن عبور «نهر السِّنْد» بدون سفينة، سوى مِن هَذَا المكان. والذين يجتازون «دَرْب دينكوت»، يأتون عبر «بنكش». أما من يسلكون «دَرْب جوباره»، فإنهم إذا سلكوا الطريق القادم من «فَرمُل»، يذهبون إلى «غَزْنَة»، وإذا سلكوا الطريق القادم من «دَشْت»، فإنهم يذهبون إلى «قَنْدَهار».

سكان كابل:

تعيش فِي «كَابُل» شعوبٌ عدة. فالترك، والإيماق [أى العَشَائِر]، والعرب يسكنون السهول والوديان، والسارت[2] يسكنون المدينة وأكثر قراها. والبشائي، والبراجي، والتاجيك، والبركي، والأَفْغَان يسكنون القرى خارج مركز ولايتها. وتسكن الهزاره، والنكدري جِبَال «غَزْنَة»[3]. وبعض قبائل الهزارة، والنكدارى يتكلمون لغة المُغُول. والمناطق الجبلية الواقعة فِي الشمال الشرقي هي «كافرستان»[4] مثل«كتور» و«كبرك»، أما المناطق الجَنُوبِيّة فهي «أفغانستان»[5].

(١) فِي الترجمة الإنجليزية (فِي هَذهِ المرة الأخيرة).

(٢) فِي الفارسية (التاجيك).

(٣) جاءت فِي الترجمة الإنجليزية(الجبال الغربية).

(٤) وتعنى، بلاد الكفار، وتطلق على المنطقة الجبلية الواقعة شمال شرق كَابُل.

(٥) وتعنى بلاد الأفغان.

اللغات في كَابُل:

ويتكلمون فِي ولايةِ «كَابُل» ما بين إحدى عشرة واثنتى عشرة لغة هي: العربية، والفارسية، والتركِية، والمُغُولية، والهِنْدية، والأَفْغَانية، والبشائية، والبراجية، والكبرية، والبركِية، واللَمْغَانية. ولا تُعرف ولاية قط تضم مثل هَذَا القدر من الأجناس المختلفة، وهذا العدد من الألسنة.

مُقاطَعات كَابُل:

وتتكون ولاية «كَابُل» من أربعة عشر مُقَاطَعَة[١]. وفي «سَمَرْقَنْد» وبُخارى وهذه النواحي يقولون عن الولاية الصغيرة التي تتبع ولاية كبيرة «تومن»، وفِي «أَنْدِجان»، و«كاشْغَر» وماحولها يُطْلِقُون عَلَيْهَا «اورجين». أما فِي «الهِنْد» فيسمونها «پركنه »[٢].

وكانت «بَجُور» و«سواد» و«پُرشادر» و«هَشْنَغَر» من قبل تابعة لكَابُل. أما الآن، فقد فَسَدَ بعضها بسبب الأَفْغَان،كما خضع بعضها لَهُم، لذا لم تعد ضمن الولاية. وشرقها «لَمْغَانات» وهي ولايةٌ تتكون من خمسةِ مُقاطَعات وبلوكين[٣]. و«نيكنهار»، هي أكبر مُقاطَعات «لَمْغَان». وتُكتبُ فِي بعض كتب التاريخ «نكرهار». ومركزها «آدينه پور». وتقع على مَسَافَة ثلاثة عشر فَرْسَخا[٤] فِي اتجاه الشرق من «كَابُل». والطريق بين «نيكنهار» و«كَابُل» وَعِرٌ وسيئٌ جدا، به دروب صغيرة فِي ثلاثة أو أربعة مواضع مِنْهُ (١٣٢أ). وبه أيضا دروب فِي مَوْضِعين أو ثلاثة[٥] مواضع أخرى. كان الطريق بين هاتين المدينتين، قفر وغير آمن بسبب الخرلجية[٦] وجميع قُطَّاع

(١) وتسمى تومن أي منطقة خراج، أومقاطعة وهى أصغر من الولاية.

(٢) أغفلت الترجمة الانجليزية الجملة من أول فِي سَمَرْقَنْد إلى آخر الفقرة.

(٣) البلوك هوالجزء من الأرض. وأشار بها بابر هنا إلى الإقليم الإدارى الصغير الذى يتبع ولاية.

(٤) الفَرْسَخ مَسَافَة تساوي مسيرة منزل، وتعادل ستة كيلومترات أي انها تقع على مَسَافَة ٧٨ ك.م. تقريبا.

(٥) فِي الترجمة الإنجليزية (ثلاثة أو أربعة).

(٦) نسبة إلى منطقة خرلجى من أعمال بركش فِي غزنى.

الطرق الأَفْغَان. وقد أصبح هَذَا الطريق آمنا الآن بعد عمران «قراتو» الواقعة فى الطرف السفلي من «قورق ساي».

ودَرْب «بادام چَشْمه» [١] هو الحد الفاصل بين المنطقة الحارة والمنطقة الباردة. حيث تنزل الثلوج فِي ناحية «كَابُل» مِن هَذَا الدَرْب، أما فِي الجانِب ناحية « قوروقساي». و«لَمْغَانات» فلا ثلوج. وعند السَّيْر فِي هَذَا الدَرْب يخال المرء أنه فِي دنيا ثانية. فالأشجار، والعشب، والحيوانات، والأعراف، والعادات لا تشبه شيئا مما اعتاده النَّاس.

وتجرى فِي نيكنهار تسعة أنهار. والأرز، والقمح فيها جيدان. كما أن البرتقال، واللارنج، والرمان، متوفرة طيبة. وفِي سنة ٩١٤هـ [٢] أنشأتُ الحدائق الأربع المعروفة باسم باغِ وفا [٣] فِي الطرف الجَنُوبِيّ من المرتفع الموجود أسفل قلعة «آدينه پور»، وتشرف على الماء الجارى بين القَلْعَة والحَدِيقَة، ويكثر فيها البرتقال، واللارنج، والرمان.

وفِي السنة التي هزمتُ فيها بهَار خان [٤]، وأخذتُ «لاهور»، و«ديپالپور»، جلبتُ الموز وزرعتُه وقد أثمر جيدا. وقبل ذَلِكَ بعام غرستُ قصب السكر، ونما أيضا بِشَكْلٍ جيد. وأرسلتُ بعضا مِنْهُ إلى «بَدَخْشان»، وبُخارى.

حَدِيقَة باغ وفا:

تقع «حَدِيقَة باغ وفا» فِي مكان مرتفع يجري فيه الماء وفيرا، وهواؤه معتدل فِي الشتاء. وتتوسطه ربوة صغيرة (١٣٢ب) تتوسطها أربعة حدائق، يتدفق الماء من وسطها بما يكفي لتشغيل ساقية.كما يُوجَد أيضا فوق ذات الربوة خميلة كبيرة. وفِي الجنوب الغربي للحَدِيقَة، حوض ماءكبير، تحيط به أشجار البرتقال والرمان. وأطراف هَذَا الحوض تكسوه المروج، فتبدو الحَدِيقَة غاية فِي البهاء. والواقع أنها حَدِيقَة رائعة.

---

(١) بمعنى عين اللوز.

(٢) يقابل عامى ١٥٠٨-١٥٠٩م.

(٣) بمعنى حديقة الوفاء.

(٤) كان هَذَا فِي عام ٩٣٠هـ = ١٥٢٤م.

جبل كوه سفيد:

ويقع «جبل كوه سفيد» فِي جنوبِ «نيكنهار» ويفصلها عن «بنكش». ولا يَسْتطِيع المرء أن يجتازَه بجوادِه. ويخرج مِن هَذَا الجبل تسعة أنهار، وهو جبلٌ لا ينقطع عنه الثلج أبدا، وربما أطلقوا عَلَيْهِ اسم كوه سفيد لهذا السبب، فِي حين لا ينزل الثلج أبدا فِي الوادي السفلي. ويفصل بينهما طريق يُقطع فِي مسيرةِ نصف يوم. وفِي سفحِ هَذَا الجبل أماكن ذاتَ هواءٍ صحو، ومياهٍ باردةٍ لاتحتاج للثلج.

ويقع «سُرخ رود» فِي الطرفِ الجَنُوبِيّ لقلعةِ «آدينه پور» . فِي مكانٍ شديدِ الانحدار، يرتفعُ عن طرفِ الوادي بأربعين أو خمسين ذراعا. وفِي شمالِها جزء من جبل. وهي قلعةٌ منيعةٌ للغاية. ويقع هَذَا الجبل بين «نيكنهار» و«لَمْغَانات» وعندما يسقط الثلج على «كَابُل»، فإنه يسقط فوق قمّةِ هَذَا الجبل. ومنه يعْرِفُ أهل لغمان أن الثلجَ قد سَقَطَ فِي «كَابُل».(١٣٣أ)
والذاهب من «كَابُل» إلى «لَمْغَانات» عن طريق «قورق سو»، يجتاز دَرْب «بردي»، ثُمَّ «نهر باران» فِي «بولان». أو يسلك طريقا آخر بأن يعبر «قوراتو» أسفل «قوروقساي». مجتازا «نهر باران» فِي « اولوق نور»، فيصل إلى «لَمْغَان» عبر «دَرْب باديج»،وإذا سار عبر «نجراو»، فإنه يجتاز «بدراو»، و«قرا نكر»، ليصل إلى « دَرْب باديج»،

والواقع أن «نيكنهار» واحدةٌ مِن مُقاطَعاتِ «لَمْغَان» الخمس؛ لكن أُطلِق على المقاطعات الثلاث الأصلية اسم «لَمْغَانات» وإحدى هَذهِ المقاطعات الثلاث هي مقاطعة « عليشَنْك » وهي [عبارة عن] جِبَال ذات ثلوج شديدة الوعورة ملاصقة لجِبَال «هندكوش». وهذا الجبل كله داخل «كافرستان»[1]. وميل هي أقرب مناطق الكُفَّار إلى « ليشَنْك»ع. ومنها يخرج «نهرعليشنك». وفِي هَذهِ المقاطعة يُوجَد قبر مهترلام والد سَيّدنا نوح [عَلَيْهِ السلام]. ويذكرون اسم مهترلام فِي بعض كتب التاريخ "لمك ولمكان". وأحيانا ينطق أهالي تلك المنطقة الكاف

(١) فِي الترجمة الإنجليزية مقاطعة عليشنك، فِي الشمال من الجبال الراسخة المتصلة بجبال هندكوش، ويسكنها الكفار فقط.

غينا، وربما نطقوا اسم هَذهِ المقاطعة «لَمْغَان» لهذا السبب.

النِكار:

ومن المقاطعات، مقاطعة النِكار[1]. وأقرب مناطق «كافرستان» إليها «كوار»، ومنها يخرج «نهر النِكار». ويمر هذان النَّهْران من «عليشَنْك»، و«النِكار»، ويجتمعان مع نهر «باران» أسفل «مندراور» وهي ثالث المقاطعات. (١٣٣ب)

دَرَهءِ نور[2]:

و«دَرَهءِ نور»، هو واحدٌ من البلوكين [الذين في لغمان]. وهو مكانٌ نادرُ المثال. تقع قلعتُه أمامَ الوادي، فوقَ مخرج يُحِيط النَّهْر بطرفيه. وتكثر فيه حقول الأرز، ولا يمكن السَّيْر فيه إلا مِن هَذَا الطريق. ويُوجَد فيه البرتقال، واللارنج وسائر فواكه الإقليم الحار، وبعضُ أشجارِ النخيل. وشاطئُ النَّهْر الذي يُحِيط بجانبي القَلْعَة مغطى تماما بالأشجار. وأغلبها أشجار الأملوق؛ وهي فاكهةٌ يسميها بعضُ التركِ اليامِيش الأسود. وتكثر هنا فِي «دره‌ء نور» ولا نجدها فِي مكانٍ آخر. ويُوجَد أيضا الكروم، وكله هنا فوق الأشجار. وشراب «دره‌ء نور» مشهور فِي «لَمْغَانات» ويُوجَد من الشراب[3] صنفان يسمونهما اره تاشي، وسوهان تاشي؛ أولَهُما يميل لونُه إلى الصفار، أما الآخر فلونُه أحمر قان، وهو لونٌ جميل. والواقع، أن النوعين جودتهما لَيْسَت كَشُهرَتِها. لكن أره تاشي أقوى تأثيرا. ويُوجَد الميمون[4] فِي الوديانِ التي فِي أعلى، و[أيضا] فِي أسفل الوادي على أطرافِ «الهِنْد» دون أعلاه. وكان أهلُ هَذَا المكانِ يربون الخنزير من قبل، وقد امتنعوا عن هَذَا فِي عهدنا.

مقاطعة كُنَر ونوركل:

ومن المقاطعاتِ أيضا «كُنَر» و«نوركل». وهذا المقاطعةُ تختلفُ قليلا عن «لَمْغَانات»

---

(١) فِي أفغانستان.

(٢) بمعنى وادى النور.

(٣) فِي الترجمة الإنجليزية من العنب.

(٤) جاءت فِي التركية، ويمو الليمون.

فهي حدودُ الولاية، وتقعُ داخلَ «كافرستان». والحقيقة، أنها تساوي من حيثُ المساحةِ مُقاطعات «لَمُغَان». لكنها قليلةُ الخَرَاجِ بسبب قِلّةِ محصولاتها. (١٣٤أ) ويخرج نهر «چغان سراي» من الشمالِ الشرقي من داخلِ «كافرستان»، ويجري بين هَذهِ الولايات ليَتّصِل بنهر «باران» فِي «بلوك كامه»، ثُمَّ يتدفق ناحية الشرق. و«نوركل» هي الجانب الغربي لهذا الماء، أما«كُنر»، فهي الجانب الشرقي مِنْهُ[١]. وقد طاف هنا الأمير السَيِّد علي الهُمداني -رحمه الله- وتوفي على مَسَافَة ميلين أعلى«كُنر». وقد حَمَلَ مريدوه جُثمانَه إلى «ختلان»، ومكان وفاته مزار الآن. وقد زُرْتُ هَذَا المكان عِنْدَمَا جِئْتُ إلى «چغان سراي» وأخذتها فِي سنة ٩٢٥هـ[٢].

وفِي هَذَا المكان تكثُر أشجارُ البرتقال، واللارنج، والأرز. ويجلبون الخمور القوية من «كافرستان». ويقول أهلُ هَذهِ المنطقة قولا عجيبا يصعب تصديقه، لَكِنَّهُ خبر متواتر سمعناه أكثر من مرة. ذَلِكَ أنهم يُطْلِقُون على القسم السفلي مِن هَذَا المقاطعة اسم « لمته كندي » والأماكن التي أسفل مِنْهُ تتبع « دره‌ء نور» و «اتر». فيقولون إن الشائع فِي القسم العلوى من«لمته كندى» وكل «كُهِسْتَان» -التي هي عبارة عن «كُن كُنر» و«نوركل»، و«بَجُور»، و«سواد» عِنْدَمَا تتوفي إمرأة، فإنهم يضعونها فوق محفَّة، ويمسكون بأطرافِ المحَفَّةِ من أربعِ جهات، ويرفعونها إلى أعلى، فإن كانت إمرأة سيئة، إهتز حاملو المحفة بشدة، حَتَّى أن جثمان المرأة يسقط على الأرض، مهما حرصوا ألا يسقط. أما إن كانت إمرأةً صالحة، فإن المحفة لا تهتز. وهذا القول لا يردِّدُهُ النَّاس هنا فحسب، بل يتَّفِقُ عَلَيهِ النَّاس فِي «بَجُور»، و«سواد» وكُل «كُهِسْتَان». (١٣٤ب) وكان حيدر علي البجوري سُلْطَان «بَجُور» الذي حكم هَذهِ الولاية، لم يبك أمه، ولم يقِم المأتم، ولم يرتدِ السواد قائلا: اذهبوا وضعوها فوق المحفة، فإن لم تهتز، فسوف أحرق جثمانها[٣] ففعلوا، وبعدها ارتدى السواد، وأقام المأتم.

(١) هَذهِ العبارة لَيْسَت فِي الترجمة الإنجليزية.
(٢) يقابل عام ١٥١٩م.
(٣) هَذَا ما اعتاده الهنادكة من إحراق جثامين موتاهم.

چغان سراي:

ومن البلوكات «چغان سراي». وهي قريةٌ صغيرةٌ فِي بدايةِ «كافرستان» . ورغم أن أهلَها مسلمون، إلا أنهم يتفقون مع الكُفَّار فِي عاداتهم بسبب اختلاطِهِم بهم. والنَّهْر الكبير المشهور باسم «نهر چغان سراي»، يأتي من الشمالِ الشرقي، من خلف «بَجُور». كما يأتي نهر آخر أَصْغَر مِنْهُ من غربِ كافرستان ويلتقى بذَلِكَ النَّهْر. وفِي «چغان سراي » نوعٌ قويٌ من الخمرِ لونه مائلٌ إلى الصُفرة، لكِنَّهُ لا يقارن بخمرِ «دره‌ء نور»، فهي خاليةٌ من الحدائقِ والكروم، وإنما يأتون به من كافرستان الواقعة فِي الطرفِ العلوى مِن النَّهْر، ومن منطقةِ نيج الكافرة. وعندما أخذتُ « چغان سراي »، أقبلَ كفار نيج لمساعدةِ أهلها. وينتشرُ الخمر فِي تلك المنطقةِ لدرجةِ أن كلَّ فاجرٍ منهم يُعَلِّقُ فِي عنقهِ قارورةَ خمرٍ يشربه عِوضا عن الماء.

كامه:

مكان لا يختلف عن سواه كثيرا، ويتبع «نيكنهار»، لكنهم يعتبرونه بلوك.

مقاطعة نجراو:

ومن المقاطعاتِ (١٣٥أ) مقاطعةُ «نجراو».وتقع فِي «كُهِسْتَان» شمال شرقِ «كَابُل»، وكل الجِبَال التي تليها يقطنها كفار. وهي زاويةٌ نائية. ويَنْبتُ فيها الكروم والفاكهة بوفرة،كذَلِكَ فإن شرابهَا وفير. وهم هنا يُسَخِّنون الخمر حَتَّى يغلي، ويُرَبُّون الدجاجَ فِي فصلِ الشتاء. وأهلها مدمنون للخمر، ولا يُصَلُّون أو يَتَّقون الله، وسَمْتُهُم يشبه الكُفَّار. وتكثُر فِي الجِبَال أشجارُ الصنوبر، والبلوط، والمصطكى، كما توجد أسفل نيجراو أشجار الصنوبر، والجيلكوزة، والبلوط لكنها لا توجد أعلاها، وهي من أشجارِ بلاد «الهِنْد». ويستخرجُ كل أهلِ «كُهِسْتَان» الزيت من شجرةِ الجيلكوزة هَذِهِ، وهو زيتٌ يحترقُ مثل الشمع، وهو أمرٌ غريبٌ جدا.كما يُوجَد فِي جِبَالِ نيجراو السنجاب الطيار، وهو حيوان أكبر قليلا من السنجاب، بين ذراعيهِ وعجزِهِ غشاءٌ يشبهُ جناحَ الخفاش. ويصطادونه دائما. ويقولون إنه يطير هابطا من شجرة إلى أخرى لمسافةِ رمية سهم، ولم أر طيرانه بنفسى. وذات مرة، وضعنا أحده فوق شجرة، فتسلقها لأعلى،

فطاردناه، فبسط جناحيه وكأنه يطير، ثُمَّ سقط على الأرض بدون أن يصيبه أذى.كما يُوجَد فِي هَذهِ الجِبَال أيضا طائر اللوجه ويسمونه أيضا الطائر الحرباء، حيث يُوجَد ما بين رأسه وذيله خمسة أو ستة ألوان مختلفة، وجسمه لامع ويشبه الحمام، وفِي حجمِ الحجل. وهذا الطائر هو الحجل فِي بلادِ «الهِنْد». وقد روى أهلُ هَذهِ المنطقة حكاياتا غريبة عنه. فيقولون إنه عِنْدَمَا يحِلُّ الشتاء، يهبط إلى سفوح الجِبَال، ومهما دفعوه للطيران (١٣٥ب) من كرمة إلى أخرى لا يطير، فيمسكون به ثانية. وفِي «نجراو» نوع من الفئران يسمونه فأر المسك، حيث تفوحُ مِنْهُ رائحة المسك، وإن كنت لم أشاهده بنفسى.

مقاطعة پنچهير:

ومن المقاطعاتِ، مقاطعةُ «پنچهير». وتقع على الطريقِ الذي يحمل اسمها. ولأنها قريبة جدا من «كافرستان»، فإن قُطَّاعَ الطرقِ الكُفَّار يَتمركزون عندها، ويأخذون مِنْها المكوس. ولما جئتُ إلى «الهِنْد» هَذهِ المرة فاتحا[1]، جاء الكُفَّار إلى «بنجهير» ودمَّرُوها وقتلوا فيها رِجَالا كثيرا.

مقاطعة غوربَنْد:

ومن المقاطعاتِ مقاطعةُ « غوربَنْد ». ولأنهم يقولون عن الدَرْب "بَنْد"، فقد أطلقوا عَلَيْهَا لهذا السببِ اسم «غوربند» [أى دَرْب الغور]. وقد استقر الهزارة على رؤوس الوادي به. وغوربند عبارة عن عدد من القرى، قليلة المحصول. ويقولون: إن فِي جِبَالِها معادن الفضة واللازورد. والقرى التي فِي سفحِ جبلِ « غوربند»، اثنتى عشرة أو ثلاثة عشرة قرية على رأسها «متة كچه» و« پَرْوَان » .

مقاطعة دورنامه:

وآخرُ [المقاطعات] «دورنامه». وهي قرى ذات فاكهة. وخمورها قوية مقارنة بخمور

(١) كان ذلك فِي عام ٩٣٢هـ=١٥٢٦م.

المناطق الأخرى. ولأن كل هَذهِ القرى فِي الجِبَال وسفوحِها، فإنهم يدفعون المكوس لكنهم غير ملتزمين بِدَفْعِ الخَرَاج.

وأسفل هَذهِ القرى منطقتان من السهولِ المستوية هما «كرَة التازيان»،و«برية الشَّيْخ»، وهما فِي السفحِ بين الجبلِ و«نهر باران». وعشبُ الذرةِ ينمو هنا بقوة.(١٣٦أ) وتأتى العَشَائِر والترك إلى هَذَا المكان فِي الصيف.

وتنمو فِي سفح هَذَا الجبل كلُّ أنواعِ الأقحوان بمختلف الألوان. وقد أَحْصَيْتُها ذات مرةٍ فوجدتها اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين نوعا مختلفا من قائق النعمان النادرة. وقد أطلقنا على أحدِها اسم اقحوان كلبوى [أي اقحوان رائحة الورد] لأنه تنبعث مِنْها رائحة تشبه رائحة الورد الأحمر.كما تنمو أيضا فِي مكان معين فِي برية الشَّيْخ دون سواه. ويُوجَد اقحوان صدبرك [أي الأقحوان ذو المائة ورقة] فِي سفح نفس الجبل، أسفل قليلا مِن «پَرْوَان»، وهذه أيضا تنمو فِي مكان معين فِي نهاية دَرْب غوربند. ويفصل بين هذين السهلين جبل صغير تكسوه الرمال من أعلاه إلى أدناه، ويُطْلِقُون عَلَيْهِ اسم «خوجه ريك روان». ويتحدثون بأن الدَرْب فِي هَذهِ الرمال تنبعث مِنْهُ أصوات الطبل فِي الصيف. وبخلاف هَذهِ القرى توجد قرى كَثِيرَة تابعة لكَابُل.

وعلى مَسَافَة ستةِ أميال جنوب غرب «كَابُل»، يقعُ جبلٌ كبيرٌ يكسوه الثلج، ويتراكم عَلَيْهِ عاما تلو العام. فإذا نفد الثلج لدى صانعيه فِي«كَابُل»، جلبوا الثلجَ مِن هَذَا الجبلِ ليبردوا به الماء ثُمَّ يشربونه. وهذا الجبلُ وجبل «بَامْيَان» من الجِبَال الوعرة. ومِن هَذَا الجبلِ تخرج أنهارُ «سرمند»، و«السِّنْد»،و«دوغابة قُنْدُز»، و«بَلْخ آب»، ويمكن أن تشرب مِن هَذهِ الأنهارِ الأربعةِ فِي يومٍ واحدٍ. وأكثر هَذهِ القرى تقع فِي سفحِ هَذَا الجبل.

والعنبُ كثيفٌ فِي الحدائقِ، وأنواعُ الفاكهةِ فيها كَثِيرَة. ولا يُوجَد بين هَذهِ القرى قرية تشبه قريتى «استاليف»، و«استرغج». وكان أُلُغْ بِك ميرْزا يسمى هاتين القريتين «خُراسان»، و«سَمَرْقَنْد» .

و«لَمْغَان»[1] أيضا واحدة مِن هَذهِ القرى. وإن كان كرومها وفاكهتها لا ترْق إلى ما في تلكما القريتين، لكن هواءَها لا يمكن مقارنتِهِ بهوائهما. وجبلُ الثلجِ هو جبل «لَمْغَان».

ولا نصادف قط قرية تشبه «استاليف». ويجري فِي وسطِ القرية نهرٌ كبيرٌ تَحُفّه الحدائق من جانِبَيْه، وهي حدائق خضراء ذات صفاء،كما أن ماءَه باردٌ يُغْني عن الثلج، ورقراق فِي أغلب الأوقات. وفِي هَذهِ القرية حَدِيقَة أخذها أُلُغْ بِك ميرْزا غَصْبا. وقد اشتريْتُها ودَفَعتُ ثمنها لأصحابِها. وتحيط بالحَدِيقَة أشجارُ الدُلَّب فتلقى على المكانِ ظلالا ذات صفاء. ويتدفق فِي وسطِ الحَدِيقَة نهرٌ جارٍ يكفي لتشغيل طاحونة. وتنتظم على ضفتى النَّهْر أشجار الدُّلَّب وأشجار أخرى. وكان مجرى الماء ملتويا، فأمرتُ بتقويمه على نحو مستقيم ومنتظم، فأصبح المكان غاية فِي الجمال.

وفِي سفحِ الجبلِ الواقعِ على مَسَافَة فَرْسَخ أو فَرْسَخ ونصف أسفل هَذهِ القرية، وفِي اتجاه أعلى الوادي، توجد عين ماء اسمها «خوجه سياران»، وقد غُرس حولها ثلاثة أنواع من الأشجار. ويتوسطها عددٌ كبيرٌ من أشجار الدُّلَّب بظلالها اللطيفة.كما تنمو أشجار البلوط بكثرة على جانبى عين الماء وفِي التلال سفح الجبل. ولا توجد أشجار البلوط فِي جِبَالِ الجانب الغربي من «كَابُل»، سوى فِي هذين المكانين. (١٣٧أ) وتمتد غابة أرجوانية كثيفة فِي طرف السهل الممتد أمام عين الماء، وليس فِي الولايـةِ غابة أرجوانية سواها. ويقولون: إن أنواع الأشجارِ الثلاثة التي حول عين الماء هَذهِ هي من كراماتِ ثلاثةٍ من الأولياء، ولهذا أطلقوا عَلَيْها هَذَا الاسم. وقد أمرتُ بإحاطةِ هَذهِ العين بالحجارة، وأنشأتُ حوضا كبيرا بالجير والجص. وأصبَحَت البقعة حولها رائعة الجمال، تطل من كل جانب على غابة الأرجوان. وعندما تتفتح الزهور الأرجوانية، يصبح المكان نادر المثال فِي الدنيا. ويكثر الأرجوان الأصفر، ويتفتح فِي سفحِ الجبلِ مع الأرجوان الأحمر. وفِي الجنوبِ الغربي من عينِ الماء هَذهِ ينسالُ الماءُ من الوادِي بلا انقطاع، ويكفي نصفه لتشغيل طاحونة. وقد قمتُ بِشق قناةٍ ليتدفق هَذَا الماءُ مِنْ فَوْقِ التل الواقع فِي جنوب غرب

---

(١) فِي الترجمة الإنجليزية بامغان.

«سياران». وأقمتُ فوقَ التل سدا مستديرا غرستُ حولَه أشجارَ الصفصافِ متجاورة، فصار المكانُ رائعا. كما أنشأتُ حَدِيقة كرومٍ إلى جوار التل أعلى هَذَا السد بقدر يسير. وتاريخُ هَذِهِ القناة جويي خوش [وتساوي] بحساب الجُمّل ٩٢٦هـ.

لهوكر:

ومِن المقاطعات، «مقاطعة لهوكر». وأكبر قراها قرية جرخ. وحضرة المولى يعقوب[١] من قرية جرخ هَذِهِ وأيضا المولى زاده مولي عثمان من جرخ.(١٣٧ب).

ومِن القرى أيضا قرية «سجاوند». ومنها خوجه أحْمَد وخوجه يونس. وحدائق جرخ كَثِيرَة وتنفرد بها دون سائر قرى « لهوكر». وأهلها يسمون اوغان شال[٢]، وهو خطأ شاعَ وذاعَ فِي «كَابُل». والأغلب أنه افغان شعار.

ولاية غَزْنَة:

ولايةٌ أخرى هي ولايةُ «غَزْنَة»، والبعض يقول إنها مقاطعة. وقد اتخذها سُبُكتكين، والسُلْطَان محمود[٣] وأبناؤه عاصمة لَهُم. والبعض يكتبها «غَزْنين». وكانت أيضا عاصمة للسُلْطَان شهاب الدين الغوري[٤]. وقد ذكروا هَذَا السُلْطَان فِي كتاب طبقات ناصري[٥]، وبعضُ تواريخِ «الهِنْد»، باسم مُعِزُ الدين.

و«غَزْنَة» من الإقليم الثالث. ويذكرون هَذِهِ الولاية أيضا باسم «زابلستان». وتقع فِي اتجاهِ

---

(١) زادت الترجمة الفارسية كلمة قدس سره.

(٢) هكذا، والمقصود أفغان شال. وشال، قصبة فِي شمال بلوجستان على حدود أفغانستان، وتقع على الطريق المؤدى من كلات إلى قَنْدَهار. تشتهر بخصوبة أراضيها. وأهلها من البلوج والأفغان .

(٣) يقصد محمود الغزنوي.

(٤) شهاب الدين الغورى (٥٥٨-٦٠٢هـ) أحد سلاطين دولة الغوريين تمكن من القضاء على الدولة الغزنوية. تولى حكم غزنة واتخذها نقطة انطلاق لفتح الهِند، وتمكن من فتح دهلى واتخذها عاصمة له فِي الهِند.

(٥) كتاب طبقات ناصرى تأليف القاضى صدر الدين أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجانى، المتوفى ٦٦٠هـ. ولد فى لاهور كان عالما فى الفقه والأصول والسير والتاريخ والشعر وكتابه هذا يؤرخ للدولتين الغورية فى الهند وباكستان، والشمسية فى الهند .، وطبقات الملوك فيها.

الغربِ من «كَابُل» على مَسَافَة أربعة عشر فَرْسَخا. ومن يقطعُ هَذَا الطريق سيرا على الأقدام، يتحركُ من «غَزْنَة» مع بزوغ الفجر، فيبلغ «كَابُل» بين الصلاتين، أو وقت صلاة العصر. وتقعُ «آدينه پور» على مَسَافَة ثلاثة عشر فَرْسَخا، ولا يمكن بلوغها فِي يَوم كاملٍ بسبب وعورة الطريق. وهي ولايةٌ صغيرة. وماءُ النَّهْر فيها يكفي لتشغيلِ أربعة أو خمسة طواحين. ترتوي مِن هَذَا الماء مدينة «غَزْنَة» وأربع أو خمس قرى أخرى. علاوة على أربع أو خمس قرى أخرى ترتوي من مياهِ باطنِ الأرض.

وكرومُ «غَزْنَة» أَفْضَل من كرومِ «كَابُل». وكذَلِكَ شمامها. وتفاحها أيضا جيد (١٣٨أ) وينقلونه إلى «الهِنْد». والزراعة هُنَاكَ مرهقة للغاية. لأنها تستوجب تغطية الأرض فِي كلِّ عامٍ بتربةٍ جديدةٍ تماما، لكنها تنتج محصولا أكثر من «كَابُل». ويزرعون فيها الفوة[1] ويصدرونه إلى كل أنحاء «الهِنْد». هَذَا النبات هو أَفْضَل ما يزرعه السكان. وقد استوطن الهزارة، والأَفْغَان «غَزْنَة»، وهي مكان رخيص الأسعار مقارنة بكَابُل.

وأهلُ «غَزْنَة» أحناف المذهب، وهم مسلمون أنقياءُ العقيدة مؤمنون. وأكثرُهم يصوم الشهور الثلاثة[2]. وأهلُوهم دينون، وعائلاتهم ونساؤهم محافظات جدا ومحجبات. والملاَّ عبد الرحمن من أعلامِ «غَزْنَة». وكان عالما واعظا، متين الدين، تقيا نقيا. وقد تُوفي فِي نفس السنة التي تُوفي فيها ناصِر ميرْزا[3]. ويقع قبر السُلْطَان محمود[4] فِي أحدِ الأحياءِ المجاورةِ لغَزْنَة، ولهذا السبب، يُطْلِقُون على هَذَا الحي اسم الروضة. وفِي هَذهِ الروضة ينبت أجود الكروم فِي «غَزْنَة». وفيها أيضا قبر ابنيه؛ السُلْطَان مسعود، والسُلْطَان ابراهيم. ومثل هَذهِ القبور المباركة، كَثِيرَة فِي «غَزْنَة».

---

(١) نبات أصفر الزهر تستخرج مِنهُ مادة للصبغ بالأحمر.

(٢) بعض المسلمين يصومون شهور رجب وشعبان ورمضان.

(٣) توفي عام ٩٢١هـ =١٥١٥م.

(٤) يقصد محمود الغزنوي.

وفي نفسِ السنةِ التي أخذتُ فيها «كَابُل» و«غَزْنَة»، غلبتُ على «كُهَت»، و«سهل بنو»، و«أفغانستان»، وقتلتُ فيهم مقتلة عظيمة[1]، ثُمَّ عبرتُ مِنْ فَوْقِ «ذُكى»، والتزمتُ ضَفَّة «آب ايستاده» حَتَّى وصلتُ «غَزْنَة»، وقالوا إن قبرا في إحدى قرى «غَزْنَة» يهتز عِنْدَ إقامة الصلاة. فذهبتُ إلى هُنَاكَ، وشعرتُ بهذا الاهتزاز.(١٣٨ب) ثُمَّ عرفتُ فيما بعد أنها حيلة من المجاورين لهذا القبر. فقد رفعوا سقفا فوق القبر يهتز عِنْدَمَا يلمسه أحد، فيشعر المرءُ أن القبرَ يهتز، وهو نفسُ ما يشعر به راكب السفينةِ لأولِ مرة عِنْدَ بدءِ تحركها من الضّفَّة. وأمرتُ بإقصاءِ المجاورين عن السقف، وأديتُ الصلاة، فلم أشعر بذَلِكَ الاهتزاز أبدا. فأمرتُ بهدم هَذَا السقف، وإنشاء قُبّة فوق القبر، وزَجْر المجاورين ومنعهم من القيام بمثل هَذَا.

و«غَزْنَة» مكانٌ غاية فِي التواضع. والمدهش فِي الأمر؛كيف اتَّخَذَ سلاطين «الهِنْد» و«خُراسان»، خاصة الخُراسانيون منهم، مكانا متواضعا كهذا عاصمة لَهُم.

سدود غَزْنَة:

فِي زمنِ السُلْطَان محمود [الغزنوي]، كان فِي «غَزْنَة» ثلاثة سدود أو أربعة. واحدٌ مِنْهَا فِي الطرفِ العلوى من نهرِ «غَزْنَة» على مَسَافَة ثلاثةِ فَرَاسِخ فِي اتجاهِ الشمال من «غَزْنَة». وهو سدٌ كبيرٌ أقامهُ السُلْطَان محمود. ويبلغ ارتفاعه حوالي أربعين أو خمسين ذراعا، وطوله ثلاثمائة ذراع تقريبا. فيتجمع الماء خلفه، ويأخذون مِنْهُ للزراعة حسب الحاجة. وعندما أغار علاء الدين الغورى[2] على هَذهِ الولاية[3]، هَدَم هَذَا السد، كما هدم قبورَ أبناءِ السُلْطَان محمود، وحرق مدينة «غَزْنَة»، وقتـل أهلها، ونهب أمـوالَهُم. وتركها خرابا يبابا.(١٣٩أ) وهذا السـد مهدم

---

(١) عبارة "وقتلت فيهم مقتلة عظيمة" غير موجودة فِي الترجمة الإنجليزية.

(٢) هو علاء الدين حَسَن غورى مؤسس دولة الغوريين. هاجم دولة الغزنويين واستولى على مناطق من غزنة وخُراسان واتخذ من هراة عاصمة له. وجعل ابن أخيه غياث الدين محمد واليا على غَزْنَة. كما أحرق غَزْنَة كلها وأعمل القتل فِي أهلها ولهذا اشتهر بلقب جهانسوز أي حارق العالم. وتوفي عام ٥٤٩هـ.

(٣)كان ذلك عام ٥٥٠هـ= ١١٥٢م.

مُنْذُ ذَلِكَ الحين. وفِي نفسِ السنةِ التي فتحت فيها «الهِنْد»، أرسلتْ "الخوجه كلان" بالأموال لإعمارِ هَذَا السد، والأمل قائم لتشغيله ثانية بإذن الله.

وسدٌ آخر هو سد «سَبْحان». ويقع فِي شرقِ «غَزْنَة» على مَسافة فرسَخَيْن أو ثلاثة فَرَاسِخ مِنْها، وهو أيضا متهدم مُنْذُ ذَلِكَ الحين، ويتعذر إصلاحه.

ومن السدودِ أيضا سد «سرديك»، وهذا السد مازال يَعْمَل. وقد وَرَدَ فِي الكتب أن فِي «غَزْنَة» عينَ ماءٍ يفيض الماء فيها ويموج، وعندما تلقى فيها القمامة، يسقط المطر وتعصف الثلوج. وجاء فِي كتاب من كتب التاريخ، أن سُبكتكين عِنْدَمَا حاصره أحد سلاطين «الهِنْد» فِي «غَزْنَة»، أمر بإلقاء القمامة والقاذورات فِي عين الماء هَذهِ، فحدث الموج والفيض وسقط المطر وهَبَتَّ عاصفة الثلج، وبهذا أمكن رد العدو. ولا يَسْتطِيع أحد فِي «غَزْنَة» أن يفيدنا بشئ عن عين الماء هَذهِ. وكما تشتهر العراقين وسُلْطَانية بين مدنِ «آذربيجان»، و«تَبْريز» ببرودتهما، كذَلِكَ تشتهر «غَزْنَة»، و«خوارزم» بين هَذهِ الولايات ببرودتهما.

مُقاطَعات غَزْنَة

زُرمت:

ومن المقاطعاتِ، مقاطعةُ «زُرمت»، وهي فِي الجنوبِ مِن «كَابُل»، والجنوبِ الشرقي من «غَزْنَة»، وتبعدُ عن كَابُل اثنى عشر أو ثلاثة عشر فَرْسَخا، وعن «غَزْنَة» سبعة أو ثمانية فَرَاسِخ. وتتكون من ثمانِ قرى، ومركزها «كرديز». وأكثر البيوتِ داخلَ «قلعة كرديز» ذات ثلاثةِ أو أربعةِ طوابق.(١٣٩ب)

كرديز:

وكرديز مكانٌ منيعٌ للغاية. وكان أهلها يناصبون ناصِر مِيرْزا العداء. وقد جرَت عَلَيْهِ مشاكل كَثِيرَة. وأهلُ «زُرمت» من الأوغان شال. ويشتغلون بالزرعِ والحرث. وليس بها غابات أشجار أو حدائق. وفِي الجنوبِ مِنْها يقع «جبل تُركِسْتان»، وفِي سفحِهِ ربوة بها عين ماء،

بجوارها قبر الشَّيْخ مُحَمَّد مسلمان[1].

فَرمُل:

ومن المقاطعاتِ مقاطعةُ «فَرمُل». وهي مكانٌ غير ذى أهمية، والتفاحُ فيه لا بأس به، وينقلونه إلى «مُلْتَان» و«الهِنْد». ومن «فَرمُل» أبناء الشَّيْخ مُحَمَّد مسلمان المشهور فِي «الهِنْد» فِي زمن الأَفْغَان، وهم المعروفون باسم أبناء الشَّيْخ.

بنكش:

ومن المقاطعاتِ أيضا مقاطعةُ «بنكش»، ويحيط بها من كلِّ جانبٍ قُطَّاعُ الطرقِ من الأَفْغَان، فمناطقُ «خوكيانى»[2]، و«خِرلجِى»، و« تورى»[3]، و«لندر» تقع على أطرافها، ولهذا يمتنع أهلها عن دفعِ المكوس طوعا. وبسبب انشغالنا لفترة بأعمالٍ جسام مثل فتح «قَنْدَهار»، و«بَلْخ»، و«بَدَخْشان»، و«الهِنْد»، لم تتسع لي الفرصة للسيطرة على «بنكش». وقررتُ إن شاء الله أن أسيطر عَلَيْهَا وعلى قُطّاع الطرق فيها متى سنحت لي فرصة بذَلِكَ.

ومن بلوكات «كَابُل» بلوك« الاساى ». ويقع على مَسَافَة اربعة أو ستة أميال من نِجراو. والطريق مستو فِي الشرق جهة «نِجراو»، ويهبط مِنْهُ دَرْب صغيرٌ بعض الشيء عِنْدَ مَوْضِع اسمه «كوره» فِي اتجاهِ «الاساى». و«دَرْب كوره» هو الحد الفاصل بين الإقليمِ الحار والباردِ فِي هَذهِ الناحية. وهو الدَرْب الذي تجتازه الطيور المهاجرة فِي الربيع. وأهلُ پِچْغَان، وهي من أعمالِ نجراو،(١٤٠أ) يمسكون بكثير مِن هَذهِ الطيور عِنْدَ هَذَا الدَرْب، فينشئون من الحجارةِ مخابئ فِي كل مكان ويختبئ فيه الصيادون. فينصبون شباكهم على مَسَافَة خمسة أو ستة أذرع من المخبأ، ويثبتون أحد أطرافها بالحجارة. ويربطون الطرفَ الآخر مِنْها حَتَّى منتصفِ الشبكةِ

---

(١) فِي الترجمة الفارسية الشيخ محمد سلطان.

(٢) فِي الترجمة الفارسية قوكبابى.

(٣) فِي الترجمة الفارسية بورى.

بشجرةٍ بطول ثلاثة أو أربعة أذرع،. ويمسك الصياد الجالس فِي المخبأ طرفَ الشجرةِ بيده، ويترَقَّبُ من فتحات المخبأ. وعندما تقتربُ الطيور، يرفعُ الصيادُ طرفَ الشبكةِ إلى أعلى، فتقع فيها الطيور فِي الحال. وبهذه الطريقة يصطادون طيورا كَثِيرَة، حَتَّى إنهم لا يجدون الوقت الكافي لذبحها. ولا يُوجَد فِي هَذهِ الولاية رمانا يفوق رمان «اله ساي»، وهم ينقلونه إلى كل أنحاء «الهِنْد»، كما أن كرومَها مقبول، أما خمرَها فأكثر قوة من خمر نجراو، ولونه أجمل.

ومن البلوكات بلوك «بدراو». ويقعُ بجوارِ «اله ساي». وأهلُه كفار يشتغلون بالزراعة، ولا توجد به فواكه. وكما سكن مهاجرو الترك والعَشائِر «خُراسان» و«سَمَرْقَنْد»، فقد استوطن مهاجرو الهزارة، والأَفْغَان ولاية [كَابُل]. وأكثر الهزارة هم هزارة سُلْطَان مسعودى، وأكثر الأَفْغَان هم أفغان «محمند».

ومعظم إيـراد «كَابُل» يأتي من الولايـة[1]، والجمارك والمكُوس التي تُجْبى من المهاجرين، ومجموعها ثمانية مائة ألف شاهرُخى[2].(١٤٠ب)

جِبَال كَابُل:

وفِي الشرقِ من «كَابُل» يقعُ جَبَلان، وفِي الغربِ مِنْها جبلان آخران. وسلاسـلُ جِبَال «اندرآب»، و«خواسـت»، و«بَدَخْشانات»، هي سلاسـلٌ مغلقةٌ ذات تـلالٍ ناعمـة، وغنيـةٌ بعيونِ الماء. أعشابها واحدة فِي الجِبَال والتلال والوديان. وأغلبها ينبت فيه عُشب اسمه بوتـه كه وهو مفيد جدا للجياد. ويسمون هَذَا العشب فِي ولايـة «أنْدِجان» بوتـه كه ولا أعـرف سـبب هَذهِ التسمية. ولعلَهُم أطلقوا عَلَيْهِ فِي هَـذهِ الـولايات هَـذَا الاسم لأنه ينبت فِي مجموعات. وكلُّ المراعى فِي «حِصار»، و«خُتلان»، و«سَمَرْقَنْد» و«فَرْغَانَه» و«مُغُولستان» على شـاكلةِ هَـذهِ

---

(١) في الترجمة الإنجليزية من الأراضى المنزرعة.

(٢) عملة من الذهب تزن عشرة دراهم وتزيد عن وزن اربعة قروش ونصف من الذهب كانت مستخدمة في ذلك الوقت.

المراعى. وإن كانت مراعى «فَرْغَانَه» و«مُغُولستان» لا تُقارن بهذه المراعى. لكنها تشبهها في جبَالِها ومراعيها. أما جبَال نجراو، و«لَمْغَانات» و«بَجُور»، و«سواد»، فتكسوها أشجار الصنوبر، والفستق، والبلوط، والزيتون، والمصطكي، وإن اختلف عشبها عما في الجِبَال، فإنه غيرَ مفيدٍ رغم وفرتِه وارتفاعِه، ولا يلائم الجياد والغنم. كما أنها لَيْست بارتفاعِ تلكَ الجِبَال. فتبدو قِمَمُها مستوية، لكن كل قممها وجِبَالها وعرة وذات أحجار، ولا يمكن اجتيازها أبدا من أي مكانٍ على ظهورِ الجياد.

وطيورُ «الهِنْد» وحيواناتها كَثِيرَة في هَـذهِ الجِبَال (١٤١أ) فيُوجَد مِنْها الببغاء، والطاووس، والزرزور، والميمون، واللوجه، والبقر الوحشى، والكوته باي، وأنواع مختلفة من الطيور والحيوانات التي لم نسمع عنها حَتَّى فِي «الهِنْد».

ومن جِبَال الجانبِ الغربي من «كَابُل»، جِبَال «دره‌ء زندان»،و«دره‌ء صوف»، و«كرزوان»، و«غُرجستان»، وهي أيضا جِبَال ذات قِممٍ متنوعة. وأغلبُ عشبها ينمو في الوديان. وتخلو مِنْهُ الجِبَال والتلال وما يشبهها. وليس فيها سوى أشجار الشربين، لكن عشبَها جيدٌ للجيادِ والغنم. وقِممُ هَذهِ الجِبَال مستويةٌ بما يسمحُ للجياد بالجرى فوقها وأرضُها غنيةٌ بالزراعة. كما تكثر فيها الغزلان. أما المياه فتوجد فِي الوديان الوعرة مِنْها، الغالب على تربةِ هَذهِ الجِبَال أنها صخرية. ويصعب نزولها إلا فِي مواضع بعينها. والمدهش أن الأماكن الوعرة فِي كل الجِبَال تكون فِي المرتفعات، إلا فِي هَذهِ الجِبَال فالأماكن الوعرة فِي سفوحها.

ومن الجِبَال أيضا جِبَال « الغور، وكزيو، والهزارة » وهي تشبهُ هَذهِ الجِبَال، فمراعيها في الوديان، وتندرُ فيها الأشجار، وتخلو تماما من أشجار الشربين. وعشبُها جيدٌ للجيادِ والغنم. وتكثر فيها الغزلان. وكما ذكرنا، فإن الجِبَال المشار إليها سلفا وعرةُ السفوح، على خلاف هَذهِ الجِبَال.

أما جِبَال «خوجه إسماعيل»، و« دَشْت دوكي»، و«أفغانستان »، فمن نفس نوع هَذهِ الجِبَال. وهي بصفة عامة جِبَال منخفضة، قليلةُ العشب، شحيحةُ المياه، تخلو من الشجر،

وكئيبة المنظر. (١٤١ب) فالجِبَال المنخفضة تلائم أهلها. ولاسيما وأنهم قالوا: [لن تعرف اليُسر ما لم تعرف العُسر] فهذه الجِبَال المنخفضة نادرة الوجود.

وفِي «كَابُل» يكثر سقوط الثلج فِي فصل الشتاء، ورغم هَذَا يُوجَد قريبا مِنْها حطب جيد يمكن جلبه فِي يَومٍ واحدٍ. ويمكن الحصول على الحطبِ من شجرِ المصطكي، والبلوط، واللوز المر، والقرقند[1]، وأحسنها حطب شجر المصطكي، فهو يحترق وله بريق، ورائحةُ دخانه عطرة، وحرارتُه تدوم. وحطبُ البَلُوطِ أيضا جيد. ورغم أنه يحترق ببطء قليلا، لَكِنَّهُ يحترق جيدا، وحرارته تدوم. ولشجرة البَلُّوط خاصية غريبة، فعندما تشعل النار فِي أوراقِها الخضراء فوق الغصون، تُحْدِثُ فرقعة قوية وتشتعل. وتنتقلُ الفرقعاتُ من طرفٍ إلى آخر فيفرقع ثُمَّ يشتعل فجأة، وإشعال هَذهِ الشجرة تسليةٌ جميلة. وأكثر هَذهِ الأشجار هو شجر اللوز المر، كما أنه أكثرها اشتعالا. والقرقند نوعٌ من الشجرِ ذو أشواكٍ قصيرة. كَذَلِكَ شجرُ المصطكى الجاف يحترق بنفسِ الطريقة، وهذا هو الحطبُ [الذي يستخدمه] جميعُ أهلِ «غَزْنَة».

فن الصيد فِي كَابُل:

تقع ولاية «كَابُل» بين الجِبَال، وبها جِبَال تُشْبِهُ السدود الضخمة. وتتخللها أَوْدِيَةٌ منبسطة، هي الأماكنُ المعمورةِ مِنْها. وقليلٌ فيها البقر الوحشى والغزلان. وبها مسالك محددة يسلكها الغَزَال الأحمر أي النعاج الداكنة فِي فصلي الربيعِ والخريفِ أثناء انتقالِه من المشاتى إلى المصائف. ويتربص الفتيةُ المُغْرَمون بالصيدِ بكلابهم بهذه الدروب لصيدِ الغَزَال. ويُوجَد أيضا الحمارُ البرى فِي ضواحى «كَابُل» الصغيرة وفى «سُرخ آب»، لكن لا أثر للغزال الأبيض. وتختص «غَزْنَة» بنوعٍ من الغَزَال الأبيضِ والحمارِ البرى. كما يُعْرَف الغَزَال الأبيض الغزنوى فِي أماكنٍ بعينها من «كَابُل».

---

(١) ذكرت بفريدج إنه لم يمكن التعرف على هَذَا النوع من الشجر فِي كتب النبات أوتعريف له فِي القواميس المتخصصة، ولعله اسم خاص ببلاد ما وراء النَّهر، ويحتمل أن يكون Haloxilon mmodendron. وذكر آرآت أنه نوع من الشجيرات ذات الشوك يستخدمه سكان غَزْنَة كحطب، وهو التعريف الذى ذكره بابر.

أماكن صيد الطيور في كَابُل في فصل الربيع:

أغلبُ هجرة الطيورِ تكون إلى ضَفَّة «باران»، حيث إن شرق «كَابُل» وغربها تحوطه الجِبَال. ولا سبيل إلى «جِبَال هندكوش» سوى الدَّرْب الكبير قُبَالَة ضَفَّة «باران»، وهو مسارُ كل الطيور المهاجرة. فإن كان في الجو رياح أو غَطَت السحبُ « جِبَال هندكوش »، فإن الطيورَ تعجز عن اجتيازه، وتهبط كلها بوادي «باران». عندئذ يصطاد أهالي تلك المناطق طيورا كَثِيرَة.

ويكثر البط في ضَفَّة «باران» في أواخرِ فصلِ الشتاء، ويكون سمينا أكثر من المعتاد. كما تكثر أيضا الحيوانات وطيور الكركى[1] وسائر الطيور الكبيرة الأخرى. فيلقون الحبال في ضَفَّة «باران»، ويمسكون عددا كبيرا من الحيوانات. كما يصطادون بالحبالِ طيورا كَثِيرَة مِنْها مالك الحزين والكركى والبجع. ولهذا المكان طريقة مخصوصة في صيدِ الطيور. وطريقةُ صيدها، أن يفكوا خيطا دقيقا بطولِ رميةِ سهم، ويربطوا في أحدِ طرفيه سهما، وفي الطرفِ الأخرِ حلقةً مصنوعةً من أحدِ الغصون. ويأتوا بقطعةٍ من الشجرِ بسُمكِ المعصم (١٤٢ب) وقطعة أخرى بطول شِبر. ويلفون عَلَيْهَا هَذَا الخيط كله بدءً بالطرف المربوطِ فيه السهم. وبعد أن يلفوا الخيط كله، يربطون الحلقةَ في آخره. ثُمَّ يُخْرِجون من وسط الخيط الملفوف، قطعةَ الشجرِ السميكة الأخرى. فتظهر فتحة في وسطِ الخيطِ الملفوف. ويمسكون الحلقةَ بأحدِ اليدين، ويقذفون بالسهمِ صَوْبَ الطائرِ وهو مقبل. وعندما يمس الخيطُ جناحَ الطائرِ أو رقبتِه، فيَعْلَقُ بالخيط، ويسقطُ أرضا.

وكل أهلِ «باران» يصطادون طيورا كَثِيرَة بهذه الطريقة. لكن صيدَ الطيورِ بهذه الطريقة مؤذٍ جدا. فالأمرُ يتطلبُ ليلا ممطرا حالك السواد، ففي ليالٍ كهذه لا تهدأ الطيور خوفا من السِباع، فتظل تطير طوال الليل بغير توقف وعلى مستوى منخفض. وفي هَذِهِ الليالي المظلمة، تسلك [الطيور] طريقَ الماء الجارى، لأنه يبدو لها في الظلامِ أبيض اللون. ولا تكف

(١) الكركى، طائر كبيرالحجم، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحيانا.

عن الغدوِ والرواح، تُحَلِّق وتَهْبِطُ حَتَّى الصباح. وفِي هَذِهِ الأثناء يطلق الصيادون الخيط. وذات مرة أطلقتُ خيطا فِي اللَّيْلِ، فانقطع ولم أجد الطائر. وفِي الصباح، جاءوا به وقد التف عَلَيْهِ الخيط المقطوع. ويصيد أهل «باران» كثيرا من ابو قردان بهذه الطريقة ويحصلون مِنْهُ على [الريش الذي يوضع فِي العمامة]، وينقل هَذَا الريش من «كَابُل» إلى «العراق » و«خُراسان»[1] حيث تَرُوج تجارته. وفضلا عن ذَلِكَ يُوجَد صيادون متفرغون للصيد. وهم قرابة المائتين أو الثلاثمائة أسرة. وقد جاء بهم أحدُ أبناءِ الأمير تيمور من جوارِ «مُلْتَان» (١٤٣أ) وأسكنهم هنا فِي «باران». ولا يشتغلون سوى بالصيد. فيحفرون البحيرات، ويغرسون الشراك الكَثِيرَة من الغصون فِي وسط البحيرة، ويصطادون كل أنواع الطيور. وليس الصيادون فقط، بل كل أهالي «باران» يصطادون بطريقة لَفِّ الخيطِ فينصبون الفخاخ، ويمسكون أعدادا كبيرة من كل أنواعِ الطيورِ بشتى الوسائل.

وفِي هَذَا الوقت من فصول السنة، تمر أسرابُ السمكِ فِي «نهرِ باران». فيربطون الشباك والسلال ويصطادون مِنْهُ كميات كبيرة. وفِي الخريف يأتون بحوالي عشر أو اثنى عشر حملا من نبات ذيل الوحش البرى وحوالي عشرين أو ثلاثين حملا من الجِذر ويسحقونها ويلقون بها فِي الماء فيتخدر السمك. ثُمَّ يلقون بأنفسهم فِي الماء ويبدأون فِي التقاط الأسماك المخدرة. وفِي مَوْضِع قريبٍ من أسفلِ هَذَا المكان، يربطون سلة على النحو التَّالِي: يقومون بعملِ سياجٍ من غصونِ الأشجارِ المغزولة بسُمكِ الإصبع، ويضعونه فِي اتجاهِ مجرى الماء فتتراكم الحجارة على طرفه. وعندما ينسال الماء ويتدفق فوق السياج، يحتجز السمك مِن الماء، فيقومون بجمعِ السمك المخدر مِنْ فَوْقِ السياج. ويصطادون بهذه الطريقة كمياتا كبيرة من الأسماكِ فِي مياهِ « كُلْبَهار » ، و«بروانه »، و« استاليف ».

أما فِي «لَمْغَانات» فيصيدون السمك فِي فصلِ الشتاءِ بطريقةٍ غريبة. (١٤٣ب) حيث يحفرون مَوْضِعا بحجمِ البيتِ به عدد من الفجواتِ عِنْدَ مصباتِ الأنهار، ويضعون فوقها حجارة

(١) جاءت فِي الترجمة الإنجليزية خُراسان، ولم تذكر العراق.

مثل أساس الموقد، فتتراكم فوقه الحجارة. ويتركون فتحة من أسفله. وحين يتدفق الماء فوق الحجارة المتراكمة تدخل الأسماك، وتحتجز بين الحجارة التي تسمح لدخولها، ولا يمكن لها أن تخرج إلا من تلك الفتحة. وتكون هَذهِ بمثابةِ جُحر للسمك. وعندما يحتاج الأهالي السمك في الشتاء، ينقبون إحدى هَذهِ الحفر، فيجدون فيها أربعين أو خمسين سمكة دفعة واحدة[1]. أما نقب الحفرة فيكون في مَوْضع ضيق، ويحيطون تلك الفتحة الصغيرة بقَشِ الأرز، ثُمَّ يضعون الحجارةَ فوقه، ثُمَّ يتركون شيئا يشبه الشبكة عِنْدَ هَذَا الفتحة. ثُمَّ يجمعون طرفها ويضعون شبكة أخرى، ويضيقون فتحة الشبكة الأولى التي تكون نصف طول هَذهِ الشبكة ويغلقون طرفها السفلي. والسمك الذي يدخل الشبكة الأولى يمر من فتحتها إلى الشبكةِ الثانيةِ الكبيرة ولا يتمكن من الخروج مِنْها بسببِ اغلاقِ فتحةِ الخروج (١٤٤أ) ولا يمكنه الرجوع بسببِ الأطرافِ الحادة للفتحةِ الداخليةِ للشبكة الصغيرة. ويضعون هَذهِ الشبكة عِنْدَ الفتحة التي نقبوها في فجوة السمك، والتي أحكموا أطرافها بِقَشِ الأرز. فيأخذون بأيديهم مِن هَذهِ الفجوة كل ما يمكنهم الإمساك به من السمك، وما يفلت مِنْهُ يسقط في الشبكة ذات الفتحة الواحدة فيأخذونه. وطريقةُ الصيدِ هَذهِ لم أشاهدها في أي مكانٍ آخر.

تقسيم ولاية كابُل بين الأُمَرَاء:

بعد أن أخذتُ «كَابُل» ببضعة أيَّام، طلب مُقيم السباح له بالذهاب إلى «قَنْدَهار». فأذنتُ له بالذهاب سالما إلى والده [ذو النون] وأخيه الأكبر [شاه بِك] ومعه كل رِجَاله ومتاعه، ذَلِكَ لأنه جاء إلينا بميثاق وشرط. وبعد الإذن له قسَّمتُ ولاية «كَابُل» بين الأُمَرَاء[التَّيْمُوريين]، ومن كانوا في ضيافتنا من الأُمَرَاء. فأعطيتُ «غَزْنَة» وتوابعها ولواحقها إلى جهانكير مِيرْزا، وأعطيتُ مقاطعة «نيكنهار»، و«مندراو»، ودره‌ء نور، و«كُنَر»، و«نوركل» و«چغان سراي» إلى ناصِر ميرْزا. ووزعتُ بعض القرى والأراضي على بعض السادة والفتية الذين شاركوني أوقات الفتن (١٤٤ب) ورافقوني إلى «كَابُل»، ولم أعط أي ولايات لأحد منهم

(١) في الترجمة الإنجليزية، من ثلاثين إلى أربعين سمكة.

قط. ولم تكن هَذِهِ هي المرة الوحيدة، فعندما منّ الله عَلَيْنَا وصارت لنا دولة،كان الأُمَرَاء الأغراب والضيوف والفتية، يلقون منا معاملة سخية تفوق ما يلقاه القدامى من ذوي الخبرة الذين فِي خدمتى وأهل «أَنْدِجان». ورغم هَذَا، فإنه من سوء الطالع أنهم كانوا يتهموننى دائما بالإغداق على القدامى ذوي الخبرة وأهل «أَنْدِجان» أكثر من سواهم. وهُنَاكَ ضرب مثل يقول: "مالا يقوله العدو، وما لا تراه فِي المنام، ويمكن إغلاق باب المدينة، ولا يمكن إغلاق فم المعارضين".

كَابُل تحت إدارة بَابُر:

تدفقت جماعات وعشائر هائلة من «سَمَرْقَنْد» و«حِصار»، و«قُنْدُز» إلى ولاية «كَابُل». و«كَابُل» ولاية صغيرة تُدار بالسيف لا بالقلم. ومواردها تعجز عن سد حاجات أهلها. وعلينا تدبير ما يكفي لطعام هؤلاء الرِجَال وأهليهم. لذا رأينا أنه من الصواب أن يخرج الجُنْد لاستئناف هجماتهم. واتخذنا قرارا بهذا. وفرضنا على «كَابُل»، و«غَزْنَة» وما حولها، خراجا مقداره حمولة ثلاثين ألف حمار من المؤن. وكان فرضُ هَذَا الخراج الكبير على «كَابُل» دون معرفة بإيراداتها وحاصلاتها، أمر شديد الوطأة عَلَيْهَا. وفِي ذَلِكَ الوقت ابتكرت الخط البَابُري[1].

وقد فرضنا مكوسا كبيرة من الغنم والجياد على هزارة سُلْطَان مسعودي. وأَرْسَلْنا الجُباة، فرجعوابعد بضعة أيَّام ليبلغونا بعصيان الهزارة ورفضهم دفع المكوس. (١٤٥أ) وكانوا قبل هَذَا بفترة قد أغاروا عدة مرات على طرق « كرديز » و «غَزْنَة»، لهذا قررنا التحرك لقتالهُم. وسلكنا طريق « ميدان » واجتزنا «دَرْب نرخ» فِي جُنح الليل، لنباغت الهزارة بالقرب من « جتو » فِي وقت الفرض [مع طلوع النهار]. لكن الأمور جرت على غير ما نشتهي، فرجعنا عبر «طريق سنك سوراخ». وأعطينا الإذن لجهانكير ميرْزا بالذهاب إلى «غَزْنَة». فلما بلغنا «كَابُل» وجدنا يار حُسَيْن بن دريا خان فِي انتظارنا هُنَاكَ قادما من «بهيره» ، وأعلن خضوعه لنا.

---

(١) ذكر هَذَا الخط كل من نظام الدين أحْمَد وبدايونى، وقالاإن بابر كتب نسخة من القرآن الكريم بهذا الخط لإهدائها إلى مكة المكرمة. وكان هَذَا الخط كما يقول بدايونى، غير معروف آنذاك. انظر طبقات أكبرى،١٩٣، ومنتخبات التواريخ، الطبعة الثالثة، الهند، ٢٧٣،(نقلا عن الترجمة الإنجليزية) انظر صورة هَذَا الخط فِي نهاية الكتاب.

وبعد بضعة أيـَّام، صار الجُنْد على أُهْبَة الاستعداد للخروج فِي حملة، واستدعيت من هم على دراية بالمنطقة وما جاورها، واستفسرت منهم عنها. واقترح البعض أن نتوجه إلى « دَشْت »، بَيْنَما رأى البعض الآخر أن الصواب يقتضى الذهاب إلى «بنكش»، ورأى البعض الآخر أن نتوجه إلى «الهِنْد». ثُمَّ اتخذنا القرار فِي النهاية بأن تتجه الحملة إلى «الهِنْد».

الحملة على الهِنْد:

فِي شهر شعبان، وقد دخلت الشمس برج الدلو، غادرنا «كَابُل» قاصدين الذهاب إلى «الهِنْد». وسلكنا طريق «بادم چَشْمه»و«جكدا لك»، فوصلنا « آدينه پور » بعد ستة منازل[1].

ولم أكن قد رأيتُ من قبل ولايات الإقليم الحار ونواحي «الهِنْد». ولدى وصولنا إلى «نيكنهار» برز أمامنا عالمٌ آخر. فالأعشاب، والأشجار، والحيوانات، والطيور، وعادات النَّاس وأعرافهم، تختلف كل الاختلاف عما اعتدناه.(١٤٥ب) فتملكتنا الدهشة، والحق أنها كانت مثارا للعجب.

جاء ناصِر ميرْزا من ولايته التي ذهب إليها حديثا، ولحق بنا فِي « آدينه پور » وانضم إلينا. كما جاءت كل القَبَائِل والرِجَال الذين رافقونا إلى «كَابُل»، وكانوا قد هاجروا إلى «لَمْغَانات» لقضاء فصل الشتاء. وتوقفنا فِي ذَلِكَ المكان ليوم أو يومين فِي إنتظار جُنُودهم وجُنُودنا الذين تأخروا وراءنا. فلما لحقوا بنا وانضموا إلينا، اجتزنا « جوي شاهى» وانحدرنا حَتَّى بلغنا « قوش كنبد» . وهنا طلب ناصِر ميرْزا أن يتأخر عنا ليومين أو ثلاثة أَيَّام فِي قوش كنبد ليدبر بعض ما يلزم رِجَاله.

وَغَادَرْنَا مكاننا هَذَا، ووصلنا إلى «كرم چَشْمه»، وجاء رجل بَجْلي من أعيان « كاكياني» على رأس قافلة، فرافقنا لنستفيد من خبرته فِي أمر الطريق والمكان. وبعد منزلٍ أو اثنين، إجتزنا «خَيْبَر»، ونزلنا إلى «بجام». كنا قد سمعنا عن «كوره كترى» ، وكان يقال إنه واحد من معابد

---

(١) المسيرة بين منزلين تساوي ٢١ ميلا.

الجوكيين والهِنْدوس، فيأتون إليه من أماكن بعيدة، ويحلقون شعورهم ولحاهم هُنَاكَ فِي «قوره كترى». فلما بلغنا « جام »، ذهبتُ إلى هُنَاكَ للتفرج على «بكرام» . وتسلقتُ شجرة كبيرة تفرجتُ مِنْ فَوْقِها على ضواحى «بكرام». وكان مرشدى ابو سعيد الكمري. وسألناه أكثر من مرة عن «قوره كترى» ، فلم يجب. فلما رجعنا إلى المَعَسْكَر(١٤٦أ)، قَالَ لمُحَمَّد أمين خوجه إن «قوره كترى» كانت فِي الجهة المقابلة، لكنى لم أجاوبه [بَابُر] بشأنها، بسبب ممراتها الضيقة ومغاراتها المحفوفة بالمخاطر. فوبخه مُحَمَّد أمين خوجه، وأبلغنى بما قَالَ له. لكننا لم نتمكن من الذهاب إلى هُنَاكَ بسبب تأخر الوقت وبعد الطريق.

التحرك إلى كُهَت:

فِي هَذَا المكان، تناقشنا حول كيفية عبور «نهر السِّنْد» والطريق الذي سنسلكه. واقترح باقي چَغَانْيَانِي الذهاب إلى المكان المسمى «كُهَت» على مسيرة يومين، دون أن نعبر النَّهْر، فهو مكانٌ عامرٌ بالنَّاسِ [وفير] الأموال. وجاء ببعض الرِجَال إلى «كَابُل» وشرحوا الأمر بما يؤيد رأيه. ولم نكن قد سمعنا من قبل عن هَذهِ الأماكن أبدا. ورأى أحد أصحاب النفوذ أنه من الأَفْضَلِ الذهاب إلى «كُهَت»، وجاء ببعض الشواهد على هَذَا، فتجاوزنا عن فكرة عبور النَّهْر، و[مواصلة] السَّيْر إلى «الهِنْد».

وَغَادَرْنَا جام، ثُمَّ تجاوزنا «نهر باري» ، ونزلنا بمكان قريب من «سفح مُحَمَّد بخ» . فِي ذَلِكَ الوقت، كان أفغان كاكيانى يقيمون فِي «پرشادور»، فخافوا وانسحبوا إلى سفوح ذَلِكَ الجبل. وهُنَاكَ جاءنا خُسْروكاكياني أحد أعيان «كاكيان» وانضم إلينا. واصطحبناه معنا وكَذَلِكَ الرجل البحاى للاستفادة مِنْهُ فِي أمر الطريق والمكان. (١٤٦ب)

وَغَادَرْنَا موقعنا هَذَا فِي منتصف الليل، واجتزنا سفح مُحَمَّد بخ[١] مع شروق الشمس، وقبيل الظهيرة هاجمنا «كُهَت». فاستولينا مِنْها على عدد محدود من الثيران والجاموس. كما وقع

(١) جبل فِي البنجاب بين كُهَت وجام.

فِي أيدنا عدد من الأَفْغَان، ثُمَّ أطلقنا سراحهم. وكانت منازلَهُم عامرة بالمؤن. وأغار الفتية المهاجمون حَتَّى بلغوا مشارف وادي السِّنْد ورجعوا إلينا فِي اليوم التَّالِي دون أن يظفروا بغنائم قط، على عكس ما قاله باقي جغانياني الذي اعتراه بعض الخجل.

وتوقفنا ليلتين فِي «كُهَت»، جمعنا فيهما المهاجمين وتشاورنا فِي أمر وجهتنا التَّالِية. فقررنا الإغارة على الأَفْغَان فِي ضواحي «بنكش»، و«بنو»، ثُمَّ العودة عبر طريق «نغر» أو«فَرمُل». وفِي «كُهَت» التمس يار حُسَيْن بن دريا خان، الذي انضم إلينا فِي «كَابُل»، أن نصدر المراسيم إلى «دِله زاك» ويوسف زئي وكاكياني، بأن يمتثلوا لقوله فيما يتعلق بعبور «نهر السِّنْد» وإعمال سيف السُلْطَان هُنَاكَ. فأعطيته المراسيم التي أرادها وسمحنا له بالذهاب إلى «كُهَت».

وَغَادَرْنَا «كُهَت»، واتجهنا إلى أعلى عبر «طريق منكو» [1] فِي اتجاه «بنكش» . والطريق بين «كُهَت» و«منكو» يمر عبر وادٍ (١٤٧أ) تحفه الجِبَال من الجانبين. وكان كل الأَفْغَان فِي «كُهَت» وما حولها، قد اعتلوا هَذهِ الجِبَال، فلما نزلنا الوادي أطلقوا عَلَيْنَا صَيْحَات الحرب. وكان السُلْطَان ابو سعيد دليلنا فِي هَذهِ الحملة، ويعرف بلاد الأَفْغَان معرفة جيدة. فاقترح أن نتقدم قليلا إلى حيث الجبل الوحيد الواقع على يمين الطريق، فإذا أراد الأَفْغَان الانتقال إليه، يمكننا عندئذ أن نلتف حولَهُم. وقد وفقنا الله، فقد سار الأَفْغَان فِي أعقابنا، وصعدوا ذَلِكَ الجبل الوحيد، وعلى الفور أمرنا الفتية بتعقبهم للسيطرة على الدَرْب بين الجبلين، بَيْنَمَا أرسَلْنا فريقا آخر للالتفاف حولَهُم. وعندئذ، شعر الأَفْغَان بالعجز عن محاربتهم. وبسرعة قبض جُنُودنا على ما يناهز المائة أو المائة وخمسين من الأَفْغَان، وأبقوا على بعضهم، لكنهم أطاحوا برؤوس أكثرهم وجاءوا بها.

ومن العادات التي رأيناها هُنَاكَ، أنه عِنْدَمَا يشعر الأَفْغَانِي بالعجز عن التصدي لأعدائه،

(١) جاءت فِي النشر التركي والإنجليزي هانكو.

يضع العشب بين أسنانه ويتقدم لعدوه قائلا :" أنا ثور لك". (١٤٧ب) وقد فعل الأَفْغَان هَذَا عِنْدَمَا شعروا بعجزهم عن القِتَال، فجاءوا وقد وضعوا العشب بين أسنانهم. وأقمنا فِي معَسْكَرنا منائر من رؤوس القتلى.

وَغَادَرْنَا هَذَا المكان فِي اليومِ التَّالِي وبلغنا «هنكو». حيث أعَدَّ الأَفْغَان الموجودون هُنَاكَ حِصْنا فوقَ أحدِ التلال [ويسمونه سنكر]، وهي كلمة سمعناها فِي «كَابُل» وتعني الحِصْن. فهدم رجَالنا هَذَا الحِصْن، وعادوا برؤوس مائة أو مائتين من هؤلاء الأَفْغَان العصاة. فَأَقَمْنَا مِنْهامنائر أخرى.

وبعد يوم من مغادرة «هنكو» نزلنا فِي المكان المسمى « تِيل » عِنْدَ الحدود العليا لبنكش. وذهب الجُنْد بدورهم للإغارة على الأَفْغَان فيما حولها. ورجع المغيرون ببعض الغنائم من حصن أغاروا عَلَيْهِ.

وَغَادَرْنَا هَذَا المكان، وبعد منزل وصلنا فِي صباح اليوم التَّالِي مهبط شديد الانحدار، ثُمَّ اجتزنا ممرا طويلا للغاية حَتَّى وصلنا «بنّو». وقد عانى الجُنْد والإبل والجياد معاناة شديدة فِي اجتياز هَذَا الدَرْب، مما اضطر الجُنْد إلى التخلي عن كثير مما غنموه من غنائم وثيران.

وكان الطريقِ الرئيس يقع جهة اليمين على مَسَافَة فَرْسَخ أو اثنين، وهوطريق وعر لا يصلح للجياد. وكان الرعاة يقطعون هَذَا الطريق بقطعانهم فِي بعض الأحيان، (١٤٨أ) ولهذا أطلقوا عَلَيْهِ اسم « كوسفند ليار ». وكلمة ليار فِي لغة الأَفْغَان تعني الطريق. ورأى كثير مِن الجُنْد أن ملك ابو سعيد الكمري مرشدنا فِي هَذَا الطريق، هوالمسئول عما لاقوه من مشقة.

فتح بنو:

بعد اجتيازِ جِبَال «بنكش» و«نغر»، وجدنا « بَنو » أمامنا، وهي مكانٌ منبسطٌ تماما. فِي شمالها ذانيك الجبلان، وإليها يخرج «نهر بنكش»، فصارت عامرة به. وإلى الجنوب مِنْها نهرا «جوباره» و«السِّنْد». وفِي الشرق «دينكوت»، وفِي الغربِ «صحراء بازار»، والصحراء التي يسمونها «تاك». ومن قبائلِ هَذهِ الولاية قبائل كوراني، وكيوى، وسو، وعيسى، وخيل، ونيازى

الأَفْغَانية. وفِي «بنو» علمنا أن القَبَائِل التي تسكن الوادي أقامت حصنا فِي الجِبَال الشمالية وتحصنت به. فأرْسَلْنا إليهم الجُنْد بقيادة جِهانكير مِيرْزا، فاستولوا على «حصن كيوى» بسهولة. أعملوا فيهم القتل وأطاحوا برؤوس عدد كبير منهم. وغنم الجُنْد أقمشة بيضاء كَثِيرَة. وفِي «بَنو» أَقَمْنا المنائر من رؤوس القتلى. وبعد استيلائنا على هَذَا الحِصْن جاء شادى خان أحد أعيان «كيوى» مستسلما وقد وضع العشب بين أسنانه، فعفونا عن الأسرى.

الهجوم على دَشْت:

عِنْدَمَا أغرنا على «كُهَت»، وهجمنا على الأَفْغَان عِنْدَ «بنكش»و«بنو»، قررنا أن تكون العودة عن طريق «نغر» أو «فرمُل». (١٤٨ب) لكن بعد أن هجمنا على«بنو »: نبهَنا العارفون بهذه المناطق، أننا على مقربة من «دَشْت»، حيث أهلها كُثُر، وطريقها جيد، كما أنه يؤدى إلى «فَرمُل». لذا توجهنا للهجوم على «دَشْت».

وَغَادَرْنَا المكان فِي الصباح التَّالِي وبلغنا «قرية عيسى خيل» عِنْدَ شاطئ هَذَا النَّهْر. فلما علم أهلها بمجيئنا، اعتلوا «جِبَال جوباره». فغادرنا القرية إلى سفح هاتيك الجِبَال وهاجمها رِجَالنا المغيرون، ودمروا الحِصْن الذي أقامه الأهالي فوق الجبل، وعادوا بالغنائم من خيل وغنم وقماش. فأعاد أفغان تلك القرية الكَرّة عَلَيْنا فِي المساء. وكنتُ قد اتخذتُ الحيطة تحسبا لذَلِكَ، بأن يستقر جند المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب والمُقَدِّمَة كل فِي مكانه، ويتأهبوا بسلاحهم. ويطوف المشاة طوال الليل حول المَعَسْكَر على مَسَافَة رمية سهم من الخيام. ويخرج الخَوَاص ثلاث ورباع كل ليلة فِي نوبات متصلة. وكنت أطوف بهم أتفقدهم. وقد ثقبنا أنوف من تقاعسوا عن الخروج للحراسة فِي نوبتهم، (١٤٩أ) وطفنا بهم بين الجُنْد ليكونوا عبرة. وقد وضعنا فِي جناح اليمين جِهانكير مِيرْزا، وباقى چِغَانْيَاني، وشريم تغائي، وسَيِّد حَسَن أكبر، وبعض الأُمَرَاء. وفِي جناح الشمال ميرْزا خان، وعبد الرزاق ميرْزا، وقاسم بِك، وعدد من الأُمَرَاء. وخلا قلب الجَيْش من الأُمَرَاء الكبار واقتصر على الأُمَرَاء الخَوَاص. وفِي المُقَدِّمَة شارك السَّيِّد قاسم الحاجب وبابا

اوغلي، وعبد الله برك وعددٌ مِن الأُمَرَاء. وقسَّمْنا الجُنْد على ست فرق، كل فرقةٍ مِنْها تتولى الحراسة ليومٍ وليلة.

وَغَادَرْنَا سفح الجِبَال، واتجهنا صوب الغرب، فنزلنا بواد غير ذى ماء بين « دَشْت » و« بنو ». فحفر الجُنْد مجرى للسيل ليشربوا وجيادهم. وأينما حفروا فِي المجرى عمق ذراع أوذراع ونصف فقط، يخرج الماء. وهذا أمر مطرد فِي كل مجرى للمياة فِي بلاد «الهِنْد»، فإذا حفرت فِي أي مِنْها بعمق ذراع أو ذراع ونصف يخرج الماء. فسبحان الله. وليس فِي «الهِنْد» أي ماء جارٍ سوى الأنهار. وتوجد ينابيع للمياه تشبه هَذَا الماء. وكان بعض الفُرْسَان البارعين يحملون هَذَا الماء الجارى من نبعه فِي وقت السحر، ليصلوا به إلى قرى دَشْت وقت العصر.

أغار المهاجمون على بعض القرى وعادوا مِنْها بالدواب والأقمشة وخيول التجارة. وتقاطرت الجياد المحملة والإبل والمشاة وراءنا من الليل حَتَّى الصباح وكَذَلِكَ فِي اليوم التَّالِي حَتَّى الظهيرة. (١٤٩ب) فلما بلغنا مكاننا هَذَا عاد المغيرون من قرى« دَشْت » بعدد وفير من الثيران والأغنام. والتقوا بتجار من الأَفْغَان وجاءوا منهم بقماش أبيض وعقاقير وسكر وجياد أصيلة من النوع الأبلق وجياد تجارة. كما جاءوا برأس تاجر أفغانى من تجار «الهِنْد» المشهورين والمعتبرين يُدعى خضر خوجه النوحانى. وذهب شيريم طغائي فِي أعقاب المغيرين، فقابله أحد الأَفْغَان وقطع إبهامه وألقاه أرضا.

وَغَادَرْنَا المكان فِي اليوم التَّالِي إلى مكانٍ قريبٍ من قرى «دَشْت». ومن هُنَاكَ نزلنا إلى«نهرِ كومل».

ويخرج من «دَشْت» طريقان يؤديان إلى «غَزْنَة».أحدهما هو طريق سنك سوراخ، ويمر مِن «برك» إلى «فَرمُل». والآخر يسير بمحاذاة «نهر كومل» إلى «فَرمُل»، بدون أن يمر على برك. واستحسن البعض أن نسلك طريق «كومل». وأثناء وجودنا فِي دَشْت هطل المطر لمدة يومين أو ثلاثة بدون انقطاع. فارتفع «نهر كومل» كثيرا، وبِصُعُوبَةٍ وجدنا مَخَاضَة [فِي النَّهْر] نعبر مِنْهُ. واقترح الرِجَال أصحاب الدراية بالطريق أن طريق « كومل » يستوجب منا أن

نعبر هَذَا النَّهْر موزعين فِي مجموعات، وارتفاعُ الماءِ على هَذَا النحو يجعلُ الأمرَ صعبا. فترددنا فِي السَّيْر مِن هَذَا الطريق.

وفِي اليوم التَّالِي، قرعنا الطبول إيذانا بالتحرك دون أن نُقرِّر بعد أي طريق نسلك. وتشاورنا ونحن على ظهور الخيل (١٥٠أ) وقد قررتُ فيما بيني وبين نفسي أمر الطريق. وكان اليوم يوم عيد الفطر. فاغتسلت للعيد، وناقشتُ الأمر مع جهانكير مِيرْزا والأمراء. فقال بعضهم: إن هُنَاكَ جبلا فِي الجَانِبِ الغربي من « دَشْت » اسمه «جبل سُلَيْمان »، وله مخرج بين « دَشْت»، و«دكي»، بعد اجتيازه يستوى الطريق. لكِنَّهُ بطول مسيرة يوم أو اثنين. وقررنا أن نسلك هَذَا الطريق بعد اجتياز ذَلِكَ المَخرج.

وما إن إنتهيتُ من الاغتسال حَتَّى وجدتُ أن الجُنْد قد اتجهوا جميعا صَوْبَ المخرج، واجتاز قسمٌ كبيرٌ منهم « نهر كومل » . ووصلنا إلى ذَلِكَ الطريق بناء على ذَلِكَ القول الذي لا أساسَ له من الصِّحَّة. فقد كنا نجهلُ الطريق وما إذا كان بعيدا أو قريبا.

وصلينا العيد[1] على شاطئ «نهر كومل»، وتصادف أن كان عيد النوروز[2] بعد يوم أو اثنين. فقلت هَذَا الغزل بهذه المناسبة:

قمر جديد سيرى الخَلق وجهه غدا، فيكون عيدا سعيدا.

أما أنا وقد فارقتُ وجهك وحاجبيك،

فليس لي من قمر العيد سوى الغم.

أي بَابُر، اعلم أن الظفر بنيروز وجهه وعيد وصاله،

أَفْضَل من مائة نيروز وعيد

وجاوزنا «نهر كومل»، وسرنا بمحاذاة سفح الجبل صوب الجنوب. وبعد فَرْسَخ أو اثنين، ظهر أمامنا عدد من الأَفْغَان يعتلون الربا التي فِي سفح الجبل وقد اعتراهم الفزع. فحثثنا السَّيْر

---

(١) عيد الفطر.

(٢) من أشهر الأعياد التي يحتفل بها الأتراك ويأتي فِي التاسع عشر من شهر مارس.

إليهم. فولت غالبيتهم الأدبار هاربين، وتجمع بعضهم فوق الربوة والقناطر وهم يعمهون. ووقف أحدهم فوق إحدى الربا على شفا جُرُفٍ هارٍ، ليس أمامه إلى الهَرَبَ سبيلا. فصعد إليه سُلْطَان قُلي چناق بدرعه وناجزه القِتَال وأمسك به. وقد فعل هَـذَا أمامي، فصعد نجمه وارتقى عندنا بعد هَذَا. وفوق إحدى القناطر التحم قُتْلُقْقَدَم، بأفغاني، واشتبكا بالأيدى، فسقطا معا إلى مكان بعمق عشرة أو اثنى عشر زراعا، ثُمَّ قطع رأسه وعاد بها. كما أمسك كبه بأفغاني فوق الجبل، وتدحرجا معا حَتَّى منتصف الجبل، ثُمَّ قطع رأسه وجاء بها. ووقع جمع غفير من هؤلاء الأَفْغَان في أسرنا، وقد أطلقت سراحهم جميعا.

وَغَادَرْنَا « دَشْت»، والتزمنا سفح «جبل مهتر سُلَيْمان»صوب الجنوب. وبعد ثلاثة منازل بلغنا قصبة صغيرة على ضَفَّة «نهر السِّنْد» اسمها «بيله» وهي من أعمال «مُلْتَان».

وركب الجُنْد السفن وعبروا النَّهْر، بَيْنَمَا عبره بعضهم سباحة. (١٥١أ) وقد شوهد بعض من الأهالي الذين تخلفوا هُنَاكَ فِي جزيرة أمامَ هَذهِ القرية وخاض كثير مِن الجُنْد الماء بخيلهَم وسلاحهم إلى الشاطئ الآخر. وحمل بعض الرِجَال الماء، منهم قُل آروق ومهتر فرَّاش وهما مِن رِجَالي، وقايماس التُرْكماني وهو مِن رِجَال جهانكير مِيرْزا. وفِي هَذِهِ الجزيرة استولى الجُنْد على بعض الأشياء كالأقمشة والأمتعة البالية. وحملت السفن سكان هَذِهِ المناطق إلى الضفة الأخرى من «نهر السِّنْد». واطمأن بعض ممن عبروا إلى الجزيرة لما رأوه من ضحالة النَّهْر، فحملوا سيوفهم وبدأوا يستعرضون بها ويتلاعبون. وكان قُل بايزيد بكاول ممن عبروا الماء إلى الجزيرة، وقد ألقى بنفسه فِي الماء وبجواد غير مسرج. وكان عمق الماء فِي ذَلِكَ الطرف من الجزيرة ثلاثة أو أربعة أمثال له فِي الطرف الآخر. فعوَّم فرسه، للتصدي لأولئك الذين على الضفة الأخرى وعلى مَسَافَة رمية سهم وجد أن الماء عميقا. إذ بلغ الماء خصر جواده. فوقف هُنَاكَ مقدار [الوقت الذي يستغرقه] غَلْي الحليب. وعلى أي حال، فقد كاد أن يلقى حتفه. ولم يلحق به أحد، ومن هُنَاكَ سارع ليهجم عَلَيْهِم. فأطلقوا نحوه سهما أو اثنين، لكن لم يظفروا بشيء ولاذوا بالفرار. وكم كان جسورا عِنْدَمَا اجتازَ بمفرده وبجواد غير مسرج «نهر السِّنْد»، وسبح بجواده بدون عون

من أحد، ثمّ طارد العدو حتّى ولي هاربا واحتل مواقعه. وبعد أن دفع العدو إلى الفرار(١٥١ب) انتقل الجند إلى هناك وغنموا الأقمشة والحيوانات ورجعوا بها. والحقيقة أنه أظهر من قبل إخلاصا وشجاعة أكثر من مرة، وأظهرت له التقدير وبذلت له الإحسان، ورفعته من رتبة الآشجي[1] إلى رتبة البكاول[2]. وقد أحطته بعنايتي وإحساني بسبب هذا الذي قام به. وسيأتي ذكره فيما بعد. فقد كان أهلا لهذا الاهتمام والإحسان.

وبعد منزلين أو ثلاثة، سرنا بمحاذاة ضفّة «نهر السِّنْد» هبوطا. وقد أزهق الجند خيولهم في هذه الهجمات المتتالية، وفقدوا كل ما غنموه. وأثناء المقام في « دَشت »، حصل الجند من بعض الأماكن على أشياء مثل الغنم والأقمشة. ولم يكن بها سوى الثيران. وهي كثيرة على طول منازل «نهر السِّنْد»، حتّى إن الرجل الواحد كان يأتي بثلاثمائة أو أربعمائة ثور. وبسبب كثرتها، فقد تركوا معظمها أثناء السَّيْر.

احترام بابر لعقائد أهل الهِنْد:

وبعد ثلاثة منازل بمحاذاة «نهر السِّنْد»، افترقنا عنه عندما أصبحنا على امتداد مزار پركانو، واتجهنا ناحية المزار حيث أقمنا عنده. وأثناء مقامنا هناك مزّقت أحد الجند إربا إربا بسبب إيذائه لبعض مجاوري المزار، ليكون عبرة لغيره. فهذا المزار يحظى بمكانة مهمة في بلاد «الهند» (١٥٢أ). وموقعه عند سفح الجبال الملاصقة لجبل مهتر سُليمان.

وغادرنا هذا المكان ثمّ هبطنا الدّرب، ومن هناك اتجهنا إلى النّهر الصغير بولاية «دُكي». وأثناء مغادرتنا المكان أمسك الرجال بحوالي عشرين جاسوسا من أتباع فاضل كُوكَلْداش عامل "شاه بك" وعامله على «سيوى» . وقد أطلقنا سراحهم بكامل سلاحهم وجيادهم دون أن نمسهم بسوء، فقد كانت علاقتنا بهم حتّى ذلك الحين علاقة طيبة.

---

(١) وظيفة تعني الطباخ.

(٢) وظيفة تعني مسؤول المطبخ.

چوتالي:

وهبطنا فِي اليوم التَّالِي على مقربةٍ من قريةِ «چوتالي»، إحدى قرى «دُكى». وكانت الغاراتُ تتوالى بلا انقطاع، والجيادُ لا تهدأ ولا تستريح، فالعشبُ والعلفُ متوفران على امتدادِ ضفافِ «نهرِ السِّنْد» وبالقربِ مِنْهُ. فلما ابتعدنا عن ضفافِ النَّهْرِ قاصدين« بُركانو » ، اختفي العُشب، إلا النَّذْرِ اليسير مِنْهُ عِنْدَ كل منزلين أو ثلاثة منازل. أما العلف فقد انقطع تماما. وبَدَأَت أعدادُ الخَيْل فِي التناقص.

واجتزنا «چوتالي» ثُمَّ توقفنا. وهُنَاكَ، لم نجد دوابا تحملنا. فآويت إلى خيمتي. وهطل المطرُ غزيرا فِي إحدى الليالي، حَتَّى إن الماءَ فِي الخيمةِ بلغ السيقان. فجمعتُ البسط وكوّمْتُها فوق بعض، وجلست فوقها. وقضينا ليلتنا هَذهِ فِي كَبَدٍ.

وبعد منزلين، أقبل جِهانْكير مِيرْزا، وقال إن لديه ما يود أن يقوله لي على انفراد، فلما خلوت به (١٥٢ب) قَالَ: إن باقي چَغَانْيَاني جاء إليه، وقال له: دع السُلْطَان يعبر «نهر السِّنْد» بسبعة رِجَال أو ثمانية أو عشرة، ثُمَّ أعلن نفسك سُلْطَانا. فسألته عمن يؤيده فِي هَذَا؟ فقال: هَذَا ما قاله لي، ولا أعرف الآخرين فقلت: إذا كان ثمة شركاء آخرين، فينبغي أن تعرفهم والأغلب أن منهم بعض فتية وأمراء السَيِّد حُسَيْن أكبر، وسُلْطَان چهره، وخُسْرو شاه والحق إن جِهانْكير ميرْزا قد أحسن بذَلِكَ، وتصرف بما تقتضيه الأخوّة. وكان هَذَا ردا لما أسديته له فِي «كَهْمَرْد» أثناء سعى ذَلِكَ التعس بالفساد وتحريضه له .

الطريق إلى كَابُل:

[وبعد شوط من الطريق] زودنا جِهانْكير مِيرْزا بعدد من الفُرْسَان لشن هجوم على الأَفْغَان فِي تلك الناحية.

عِنْدَ ذَلِكَ المكان تخَلَّفت الخيل وراءنا، وبدأ عددها فِي التناقص حَتَّى صار عددها مائتين أو ثلاثمائة جواد. وصار عدد كبير من خيرةِ رِجَالنا بلا جياد. بل إن شاه محمود أغلاقچي وهومن خيرة رِجَالي الخَوَاص، جاء سيرا على الأقدام بعد أن تخلفت وراءه كل جياده. واستمر الأمر

على هَذَا الحال حَتَّى بلغنا «غَزْنَة». وبعد ثلاثة أو أربعة منازل أغار جِهَانْكِير مِيرْزا على بعض الأَفْغَان (١٥٣أ) وجاء ببعض الغنم.

عِنْدَ آبِ ايستاده:

ووصلنا «آبِ ايستاده» بعد منزل أو اثنين. وظهر أمامنا نهر عظيم، لا أثر للصحراء حوله. وكان الماء يبدو وكأنه موصول بالسَّمَاء. وكان السراب يعكس صورة الجبل فِي ذَلِكَ الجانب. فتبدو الجبل والتلال وكأنها معلقة بين السَّمَاء والأرض. وذَلِكَ الماء عبارة عن الماء الزائد عن الرى عِنْدَ ارتفاع الماء فِي الصيف، وماء السيول التي تنهمر فِي الربيعِ إلى وديانِ «كته وار»، و«زرمت»، و«غَزْنَة» ، و«قرا باغر».

وعندما أصبحنا على مَسَافَة فَرْسَخ من «آبِ ايستاده»، شاهدنا شيئا عجبا. حيث يلوح بين السَّمَاء والأرض شيءٌ شديدُ الحمرةِ كالشفق، ثُمَّ يغيب دواليك إلى أن دَنَوْنَا مِنْهُ، وعندئذ تبين لنا أنه سربٌ عظيمٌ من الإِوَز الأحمر يزيد على عشرة أو عشرين ألف اوزة. وعندما يبسط جناحيه أثناء طيرانه يظهر ريشه الأحمر القانى أحيانا ويختفي أحيانا أخرى. وتنتشر أنواع أخرى من الطيور غير هَذَا النوع على ضَفَّة هَذَا النَّهْر. وجاء اثنان من الأَفْغَان لجمع بيض هَذهِ الطيور (١٥٣ب)، فلما رأونا، أَلْقُوا بأنفسهم فِي الماء، فذهب بعض الرِجَال فِي الماء لمسافة حوالي نصف فَرْسَخ، وجاءوا بهما. ومهما توغلوا فِي الماء فإن الماء ما كان يتعدى بطن الجواد، فعمقه ثابت والأرض من تحتِهِ منبسطة.

ووصلنا إلى ضَفَّة جدول صحراء «كته واز» الذي يصب فِي «آبِ ايستاده» . وهو جدول جاف لا يتدفق مِنْهُ الماء أبدا. فلم نر ماءه يجري من قبل. أما هَذهِ المرة فقد تجمع الماء فِي هَذَا الجدول بسبب أمطار الربيع لدرجة أننا لم نتمكن من اجتيازه لعدم وجود مخاوض به. فالماء وإن لم يَكُنْ واسع النطاق، إلا أنه كان عميقا جدا.لكننا عبرناه سباحة بكل الجياد والإبل، وربطنا بعض الأمتعة بحبل ضخم وسحبناها إلى الضفة الأخرى مِن النَّهْر.

وبعد أن جاوزنا هَذَا الجدول، توجهنا إلى «غَزْنَة» عبر طريق «كُهْنَه نانى» من أعلى

«سرده بندى». وجاء جِهانْكير مِيرْزا ضيفا عَلَيْنَا ليوم أو يومين فأقيمت الولائم، وقدمت الهدايا.

وفي تلك السنة، إرتفع الماء في معظم الأنهار حَتَّى اختفت المخاضات تماما مِن «نهر ده يعقوب». وكنتُ قد أمرتُ بِبَناء سفينة في إحدى البحيرات، فأتينا بها من «كمري» إلى «نهر ده يعقوب»، وعبرنا بها إلى الضفة الأخرى مِن النَّهْر. ومن هُنَاكَ عبرنا «دَرْب سجاوند» ثُمَّ «نهر كمري»، ووصلنا «كَابُل» في شهرِ ذي الحجة (١٥٤أ).

وقبل بضعة أَيَّام، إنتقل يوسف بِك إلى رحمة الله على أثر إصابته بمرض القولون.

تخلي الأُمَرَاء التَّيْمُورِيين عن بَابُر:

وفي «قوش كنبد»، استأذن ناصِر ميرْزافِي التأخر عنا لتدبير بعض لوازم رِجَاله من ولاياتهم، على أن يلحق بنا بعد يومين أو ثلاثة أَيَّام. وبعد أن ولى عنا أرسلَ جنده إلى «دره‌ء نور» لتأديب أهلها بسبب عصيانهم، لَكِنَّهُ انهزم كما ذكرت من قبل بسبب مناعة حصن «دره‌ء نور»، ولكون أراضيها عبارة عن حقول أرز. إذ أرسلَ قائد الجُنْد واسمه فضلي، جُنُوده إلى هَذَا الطريق المحفوف بالمخاطر وهذه الأراضى الوعرة، على غير هدى أو انتظام، وبدون حيطة أو حذر. فخرج أهالي «دره‌ء نور»، وانقضوا على مهاجميه الشتات، فلم يصمدوا لَهُم ولاذوا بالفرار. وقد قتلوا عددا مِن رِجَالَهُم وغنموا كثيرا من خيلَهُم وسلاحهم. وهذا هو مآل جيش يقوده رجل مثل فضلي هَذَا.

[ولا نعرف] ألِهَذا السبب، أم بسببِ ما يضمره ناصِر مِيرْزا في قلبه من سوء، فإنه لم يلحق بنا وبقي هُنَاكَ [في قوش كنبد]. وما كان أحد من أبناء أيوب شريرا، مثيرًا للفِتَنِ وأحمقًا ومُتَكَبِّرًا مثل يوسف وبهلول. وقد أعْطَى «النِكار» إلى يوسف، وعليشنك إلى بهلول. (١٥٤ب) وكانا سيأخذان بعض ما يلزمهما من ولاياتهما، ويأتيان مع ناصِر ميرْزا، لكنهما لم يأتيا بدورهما بسبب عدم مجيئ ناصِر مِيرْزا، وكانا نَدِيمَيّ ناصِر ميرْزا في سَهَرِهِ وشَرَابِه هَذَا الشتاء. وفيه حدث ذات مرة، أن أغاروا على أفغان تُركلاني، فلما جاءَ الصيفُ طَرَدَ كل العَشَائِر التي

جاءت إلى «نيكنهار»، و«لَمْغانات» من هُناكَ ومعهم أهلَهم وعشيرتهم ومتاعهم وأبعدهم، وجاء إلى ضَفَّة «باران».

وعلمنا أن ناصِر ميرْزا أثناء وجوده فِي «باران» وتلك النواحي، أعْمَلَ فِي أُزبك «بَدَخْشان» القتْل، ونَاصَبَهُم العداء. وتفاصيل ذلِكَ، أن شَيْبَاني خان أعْطَى «قُنْدز» إلى قُنْبُر بك، ثُمَّ ذَهَبَ إلى خوارزم. فَأرْسَلَ قُنْبُر بك، محمود ابن مُحَمَّد المحمودي إلى «بَدَخْشان» لكي يَسْتَمِيل أهلها إلى جانِبه. فأعْلَنَ مبارك شاه عصيانه، وكان آباؤه من أمراءِ شاهات «بَدَخْشان»، وقطع رأس ابن المحمودى وعدد من الأُزْبَك، واحتمى بقلعة الظَّفَر المشهورة باسم «شاف تنور»، وحَصّنها. وأطْلَقَ عَلَيْها اسم قلعة الظَّفَر. وكذَلِكَ مُحَمَّد القورچي، حامل سلاح خُسْرو شاه، والذي كانت بيده «خملنكان» آنذاك، وعامِل شَيْبَاني خان فِي «روستاق»، فقد قَتَلَ عددا من الأُزْبَك، وحصن «خملنكان».(١٥٥أ). وفِي «راغ» نَاصَبَهُ العداء رجل مِنْها كان آباؤه من أمراءِ السلاطين [الشاهات].

وفِي هَذهِ الغارات، تولى جهانكير التُرْكُماني خادم ولي خُسْرو شاه عن سَيّده، وجَمَعَ عددا من الفُرْسَان والعَشَائِر الفارين أو الباقين، ولَجَأَ بهم إلى مكان حصين. فلما علم ناصِر ميرْزا بالأمر أخذ معه كل العَشَائِر القادمة من الجانب الآخر من الجبل وأهليهم ومتاعهم، بتحريض وتزيين عدد مِن رِجَاله الحمقى ضيقي الأفق، وعبر بهم الجبل عن طريقِ «شپرتووآبِ دَرَه» بُغْيَة استردادِ «بَدَخْشان».

وهَرَبَ خُسْرو شاه وأحمد قاسم من «آجر» وجاءَ إلى «خُراسان». وفِي الطريق، إلتقى مع بديع الزمان ميرْزا، وذو النون ارغون وذهبوا جميعا إلى «هَرَاة» والتحقوا بالسُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. وهؤلاء كم ناصبوا الميرْزا العداء لسنوات طوال، وكم بدرت منهم أعمال تنم عن سوءِ الأدب. وكم أصابَ قلبه من جراح بسببهم. لكنهم لولاي أنا لما ذهبوا كلَهُم إلى الميرْزا وقابلوه بهذه الذلة والهوان.فإذا لم أجرّد خُسْرو شاه مِن رِجَاله حَتَّى صار بهذا الضعف، ولو لم آخذ «كَابُل» من مُقيم بن ذوالنون، لما ذهبوا إلى المِيرْزا. أما بديع الزمان ميرْزا فقد صار ألعوبة فِي يدهم

(١٥٥ب)، ولا يَستطيع أن يحيد عما يقولون. وقد أحسن السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا استقبالَهُم جميعا، بل وتجاوز عن سيئاتهم وأحسن إليهم، فاستشعروا الخجل مما اقترفوا.

وبعد فترة، استأذن خُسْرو شاه فِي المسير إلى ولاياته بدعوى أنه إنما يسير إلى هُنَاكَ لَيَسْترد ولاياته كلها، لكنهم لم يأذنوا له متعللين بأنه جاء بلا سلاح أو مال. فلما توفرت لديه الحجة، كرر الطلب بالإذن فِي الذهاب، ولما أصر على طلبه، جاوبه مُحَمَّد بُرنْدُق جوابا جميلا إذ قَالَ: ماذا فعلت وقتما كان فِي يدك ثلاثون ألفا مِن الجُنْد وكل الولايات، وماذا تطمع أن تفعل الآن بخمسمائة رجل فِي ولايات تحت تصرف الأُزْبَك؟!. ونصحوه أكثر من مرة، وقالوا له قولا بليغا، لَكِنَّهُ أصم أذنه لكى يقع المقدور. فلما ألح فِي إصرار، سمحوا له فِي نهاية الأمر.

توجه خُسْرو شاه لمحاربة الأُزْبَك:

واتجه [خُسْرو شاه] على الفور صوب «دهانه» ومعه ثلاثمائة أو أربعمائة مِن رِجَاله، ودخلها. فانتهز ناصرميرْزاالفرصة وعبر الجانب الآخر من الجبل. فرآه [خُسْرو شاه] قرب «دهانه». وكان أشراف «بَدَخْشان» يريدون ناصِر ميرْزا، ولا يريدون خُسْرو شاه، وجدَّ ناصِر ميرْزا، فأدرك خُسْرو شاه جلية الأمر، ولم يرض بالذهاب إلى «كوهِستان» . وكان خُسْرو شاه ينوى أن يتخذ من الميرْزا(١٥٦أ) أداة لاسترداد الولاية. وفِي النهاية لم يقع بينهما الاتفاق، وصف الجمعان صفوفهما، بجوار «اشكمش» ولبسوا الدروع وكأنهم على وشكِ الاقتتال. ثُمَّ انصرفا، وذهب ناصِر ميرْزا إلى «بَدَخْشان»، بَيْنَما جمع خُسْرو شاه شرذمة من السفلة الرعاع العراة، وجاء عازما محاصرةِ «قُنْدُز» بمائتى رجل بقدهم وقديدهم، ونزل عِنْدَ « خوجه چارطاق » على مَسافة فَرْسَخَيْن مِنْها.

توجه شَيْبَاني خان لمحاصرة حِصار:

لما أخذ مُحَمَّد شَيْبَاني خان، السُلْطَان أَحْمَد تَنْبَل [الموجود] فِي «أَنْدِجان»، وتحركا معا إلى «حِصار»، ترك خُسْرو شاهولاياته، وخرج بدون قتال أومقاومة. وجاء شَيْبَاني خان إلى «حِصار»، وكان بها شريم چهره ومجموعة من خيرة الفتيان. ورغم أن أمراءه تخلوا عن

ولاياتهم وذهبوا، فإن هؤلاء [الفتية] دافعوا عن «حِصار» وأغلقوا أبوابها.

وترك شَيْبَاني خان أمر محاصرة «حِصار» إلى [ولديه] حمزة سُلْطَان ومهدي سُلْطَان، واتجه إلى «قُنْدُز». وأعطاها إلى أخيه الأَصْغَر محمود سُلْطَان. ومن هُنَاكَ سار بغير توقف مِنْ عِنْدَ چن الصوفي قاصدا خوارزم. وقبل أن يبلغ «سَمَرْقَنْد» تُوفي أخوه محمود سُلْطَان فِي «قُنْدُز»، فأعطاها إلى قنبر بِك المروي. فلما وصل خُسْرو شاه إلى «قُنْدُز»، وجد بها قُنبر بِك الذي أرسلَ فِي طلبِ المساعدةِ من حمزة سُلْطَان ومهدي سُلْطَان وبقيةِ السلاطين [الأُزْبَك].

مقتل خُسْرو شاه

(١٥٦ب) وصل حمزة سُلْطَان إلى سراي على ضَفَّة «[نهر] آمو» [١]، وأرسل أبناءه وأمراءه على رأس الجُنْد إلى «قُنْدُز». فما أن بلغوها حَتَّى خرج لَهُم [خُسْرو شاه ورِجَاله]. وكما أن البَدين لا يقوى على القِتَال أوالهَرَب، فقد وقع فِي قبضة رِجَال حمزة سُلْطَان، فقتلوا ابن أخته أَحْمَد قاسم، وشيريم چهره، وعددا من خيرة فتيانه، وحملوا خُسْرو شاه إلى « قُنْدُز»حيث أطاحوا برأسه هُنَاكَ، وأرسلوها إلى شَيْبَاني خان فِي «خوارزم» .

وتبعا لقولِ خُسْرو شاه، إعترى تصرفات رِجَاله المَوْجُودِينَ معى بعض التغيير بمجردِ مجيئه إلى نواحي «قُنْدُز»، وتولى عنى كثير منهم، وذهبوا إلى «خوجه ريواج» [٢] وتلك النواحي. وكان غالبية من كان معي مِن رِجَاله. ولم أر من المُغُول إلا خيرا. أما من تحالفوا ضدي، فما أن علموا بهذا الخَبَر اختفوا وكَأَنَّهُم قد صُب عَلَيْهِم الماء.

***

---

(١) نهر جيحون ويسمونه آمودريا.

(٢) تقع على مَسَافَة ميلين أوثلاثة أميال جنوب كَابُل.

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة وإحدى عشرة

وفاة البيجوم قتليق نِكار والدة بابُر:

في شهرِ المحرم، مَرِضَت أمي البيجوم قتليق نِكار بالملاريا. وفصدوا دمها لكن دون جدوى. ووصف لها طبيب خُراساني يدعى سَيِّد، بطيخا لعلاجها على أصول العلاج في «خُراسان». لكن يبدو أن أجلها قد حان، فقد انتقلت إلى رحمة الله بعد ستة أيَّام. وكان ذَٰلِكَ فِي يَومِ السبت(١٥٧أ). وقد حملتها مع قاسم كُوكَلْداش ودفناها في «حَدِيقَة باغِ نوروز» التي أقامها أُلُغْ بِك في سفح جبل، بعد أن استأذنَّا ورثتها في هَذَا. وكانت مَرَاسِم الدفن يوم الأحد.

وأثناء المأتم، علمتُ بخبرِ وفاةِ خالي آلجه خان[1] وجدتي البيجوم ايسن دَوْلَت. وقبيل مرور أربعين يوما على وفاةِ البيجوم والدتي، جاءت البيجوم شاه والدة الخانات من «خُراسان»، وعمتي والبيجوم مهر نِكار زوجة السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا ومُحَمَّد حُسَيْن قورغان دغلت، فتجدد المأتم، واستعرت نار الفراق. وبعد مراسم المأتم، وزعنا الطَّعَام على الفقراء والمساكين، ودعونا لأرواح الموتى، وطيَّبْنا القلوب، ثُمَّ خلعنا ملابِسَ الحِداد.

مرض بابُر:

وبعد الانتهاء مِن هَذهِ الأعمال المُهِمَّة، دفعنا الجُنْد إلى «قَنْدَهار» بإلحاح من باقي چَغَانْيانِي. وفِي الطريق إليها، وعند قوش ناور، أصابتني سخونة ومرضت مَرَضا غريبا. فقد استغرقتُ فِي النوم لمدة أربعة أو خمسة أيَّام ولم تفلح محاولات إفاقتي مِنْهُ، فما أن أفتح عيناني حَتَّى أعود للنوم مرة أخرى. ثُمَّ تحسنت حالتي تحسنا طفيفا.

الزلزال:

فِي هَذهِ الأثناء، وقع زلزالٌ قويٌ دَمَّرَ جُزْءً كبيرا من سورِ القَلْعَة وجدرانِ الحَدِيقَة. كما تهدمت منازل كَثِيرَة فِي المدينة والقرى. ولقى الكثيرون حتفهم تحت أنقاض البيوت والجدران

---

(١) يقصد خاله أَحْمَد خان.

(١٥٧ب).كما تهدمت بيوت پمغان[١] عن آخرها. ولقي حوالي سبعين أو ثمانين رجلا من خيرة الرجال حتفهم تحت الأنقاض. وهبطت الأرض بين «پمغان» و«بيكتوت»[٢] باتساع رمية حجر كبير وبعمق رمية سهم. وتفجرت مكانها الينابيع. وغطى الغُبار مَسافة تتراوح تخمينا بين ستة أو سبعة فَراسِخ من «استرغج» إلى ميدان. وبرزت الأرض فِي بعض مواضعها قدر فيل، وهبطت مثله فِي بعضها الآخر. وظهرت شقوق تكفي لأن يختبئ رجل فيها. وأثناء الزلزال، تصاعدت الأتربة من قمم الجِبَال كلها. وفِي تلك الأثناء كان نور الله الطنبورجي يعزف لنا على واحد من طنبورين لديه. فأخذ الطنبورين ولاذ بالفرار فزعا فارتطما ببعضهما. وكان جِهانْكير مِيرْزا عِنْدَ حدوثِ الزلزال موجودا فِي إيوان الطابق العلوي بإحدى عمائر أُلُغْ بِك ميرْزا الخيرية فِي الربوة[٣]، فألقى بنفسه مِن الطابقِ العلوي ولم يُصبْهُ سوء. وكان معه أحد المقربين إليه، فانهار السقف فوقه، لكن الله حفظه فلم يصبه أذى. وتهدمت أغلب بيوت الربوة واستوت بالأرض. واهتزت الأرض فِي ذَلِكَ اليوم ثلاث وثلاثين مرة. وظلت لمدة شهر تهتز كل يومٍ وليلة مرتين أو ثلاث مرات. وقد أصدرتُ الأوامرَ للأمراءِ والفتيةِ بإصلاح كل ما تهدم وانهار من برجِ القَلْعَة وأسوارها.(١٥٨أ) واستطعنا إصلاح وترميم ما تهدم وانهار مِنَ القَلْعَة فِي عشرين أوثلاثين يوما من العمل الجاد.

الاستيلاء على قَلَات:

تَأَجَّلَت حملتُنا على «قَنْدَهار» بسببِ المرض والزلزال. وبعد الشفاءِ من المرض، وإصلاح القَلْعَة، عزمنا على إنجازِ ما قررناه سلفا. ولم نكن قد قررنا بعد أن نذهب إلى «قَنْدَهار» أم نشن الغارات عبر الجِبَال والسهول. فلما نزلنا «سهل شنيز»[٤]، جمعت جِهانْكير مِيرْزا

(١) ناحية تابعة ل كَابُل فِي الجنوب الشرقي منها. وجاءت فِي الفارسية لَمْغان وفي التركية بامكان.

(٢) مكان بجوار كَابُل.

(٣) جاءت فِي الترجمة الإنجليزية فِي طيبه .

(٤) أغفلتها الترجمة الفارسية.

والأمراء لمشاورتهم، وقررنا السَّيْرَ إلى «قَلَات»[1]. وكان جهانكير ميرْزا وباقي چَغانْيانِي متحمسين جدا لهذا. وفي منتصف الطريق علمنا أن شيرعلي چهره، وكيچيك باقي ديوانه وآخرين، عقدوا العزم على الفرار من صفوفنا. فقبضنا عَلَيْهم وأعدمنا شيرعلي چهره بسبب ما أثاره من فتن ومشاكل سواء في الولايات التي تحت أيدينا أو في غيرها من الولايات. أما الباقين فقد جردناهم من سلاحهم وجيادهم، ثُمَّ أطلقنا سراحهم.

عِنْدَ قلعة قَلَات:

ووصلنا إلى «قَلَات»، وعلى الفور أعددنا العُدَّة والعتاد، وهجمنا عَلَيْها من كل صَوْبٍ وحَدَب. فكانت حربا ضروس. وكان كيچيك بِك الأخ الأكبر لخوجه كلان، فتى جسورا وسبق أن تبارزنا بالسيف كما ذكرت سلفا. فتسلق البرج الواقع جنوب غرب «قَلَات» (١٥٨ب)، وأعتلى جِدَاره، فأصابته حربة في عينه، وتُوفي بعد الاستيلاء على «قَلَات» بيوم أو يومين متأثرا بهذا الجرح. أما كيچيك باقي ديوانه فأراد أن يُصْلِح ما اقترفه، فاقترب من سفح جِدَار القَلْعَة، فأصابه حجر أرداه قتيلا. كما قُتل أيضا رجل أواثنان. واستمرت المَعْرَكَة على هَـٰذَا النحو إلى العصر، وأبلى الفتية بلاءً حسنا، وضغطوا بشدةٍ حَتَّى أنهكت قواهم، فإذ بمن في القَلْعَة يطلبون الأمان، ويسلمون القَلْعَة. وسلم ذو النون أرغون، «قَلَات» إلى مُقيم، وكان بها فرخ ارغون وقرا بولوت وهما مِن رِجَال مُقيم. فعلقا في عنقيهما الكنانات والسيوف وجاءا مستسلمين. فتجاوزتُ عن إساءتهما، إذ لم تطوع لي نفسي البطش بهذه النراري، فكيف حال من يسمع بشيءٍ مِن هَـٰذَا الذي يجري بيننا، بَيْنَما يتربص بنا عدو مثل الأُزْبَك.

ولما كان الخروج لهذه الغزوة بسعْيٍ من جهانكير مِيرْزا وباقي بِك، فقد رغبتُ في إسناد مهمة المحافظة على «قَلَات» إلى جهانكير ميرْزا، لَكِنَّهُ لم يقبل. وكَذَلِكَ باقي، فلم يعطني جوابا شافيا في هَذَا. لذا صار هجومنا على «قَلَات» وقتالنا للاستيلاء عَلَيْها بلا طائل.

---

(1) في شرق قَنْدَهار.

وَغَادَرْنَا «قَلَات»، وتقدمنا صوب الجنوب مِنْهَا، فهجمنا على أفغان «سواسنك» و« الآتاغ » وأفغان جِبَال تلك النواحي(١٥٩أ)، ثُمَّ رجعنا إلى «كَابُل». وعند المساء وصلنا «كَابُل» وتوجهت إلى القَلْعَة حيث كانت الخيمة والجياد فِي «چارباغ». فجاء لص من [الخرلجية] وسرق جوادي[(١)] المسرج وخنجري الخاص[(٢)].

رأي بَابُر فِي باقي چَغَانْيَانِي:

مُنْذُ أن انضم إلينا باقي چَغَانْيَانِي عِنْدَ ضَفَّة «آمو»، لم ينل أحد مكانة وحظوة كالتي نالها، فقد كانت الكلمة المسموعة والمشورة كلها له. وعلى الرغمِ مِن هَذَا لم يبذل للخدمة حقها أبدا، أو [يظهر] الأدب اللائق. بل على خلاف ذَلِكَ، كانت تصدر مِنْهُ الإساءات وسوء الأدب. فقد كان خسيسا وضيعا وحسودا، وسيء الطوية، قصير النظر، عديم الأخلاق. وبلغت خسته حدها عِنْدَمَا ترك «تِرْمِذ» ولحق بنا بمتاعه ومعه ثلاثين أو أربعين ألف رأس من الغنم، كانت تنتشر أمامنا فِي كل مكان، ولم يقدم لنا رأسا واحدا مِنْهَا، فِي الوقت الذي كان رِجَالنا وفتياننا يتضورون جوعا. فلما وصلنا إلى «كَهْمَرْد»، قدم لنا خمسين رأسا مِنْهَا. ورغم معرفته بأنني أنا السُلْطَان، كان يدق الطبول عِنْدَ بابه. ولم يَكُنْ له صديق قط، ولم يأبه بأحد. وكانت كل إيرادات «كَابُل» تأتي من رسم التمغة، وكان رسم التمغة ومنصب والي كابِل (١٥٩ب) و«پنچهير» و«كدى هزاره» و«كوشكك» والحجابة كلها فِي يده. ورغم كل هَذِهِ الرِّعَايَة إلا أنه لم يَكُنْ راضيا أو شاكرا [صنيعنا معه]. ورغم سوء طويته إلا أننا لم نرها إساءة فِي حقنا، ولم نكترث لما يبدر مِنْهُ. وكثيرا ما التمس منا أن نأذن له بالرحيل، وألحَّ فِي طلبِهِ، فكنا نبدى له الأعذارَ لنمنعه، فيكف عن ذَلِكَ ليوم أو اثنين، ثُمَّ يلحُّ ثانية فِي الطلب. وفِي نهاية الأمر، زاد إلحاحه على الرحيل وبلغ مداه، وكنا نَحْنُ كذَلِكَ قد ضقنا ذرعا من سوءِ فِعَالِهِ ومسلكِه، فأذِنَّا

---

(١) فِي الترجمة الإنجليزية (جوادى الكميت) وهولون بين الأسود والأحمر.

(٢) فِي الترجمة الإنكليزية أن البعض قرأ الكلمة على أنها (خنجرى) والصحيح أنها كلمة أخرى تعنى (ناقتى التي تحمل متاعى)حسب قول المترجمة الانكليزية.

له. لٰكِنَّهُ أحسَّ بعد ذٰلِكَ بالندم، ومر بمشاكل لا جدوى مِنْها. فأرسل رسولا ليبلغنا أنه يتحدى أن يحصى له أحد تسعة خطيئات اقترفها فِي حقى. فأجبته عن طريق المُلاَّ بابا مُذَكِّرا إياه بأحدى عشرة إساءة أحصيتها واحدة واحدة. فأقر، وأذنا له بحزم متاعه والذهاب إلى «الهِنْد». ورافقه عدد مِن رِجَاله حَتَّى اجتازَ «خَيْبَر»، ثُمَّ رجعوا ولحق باقى بقافلة كاكيانى واجتاز «نيلآب».

مقتل باقي چَغَانْيَاني:

كان يار حسين دريا خان آنذاك فِي «كچه كوت». وبمقتضى المراسيم التي أعطيتها له فِي «كُهَت»، ضم إليه بعض أفغان دله ذاك، ويوسف زئي، وبعض اللصوص وقطاع الطرق، واشتغل بقطع الطريق وسرقة النَّاس بالقوة. فلما علم بمجىء باقى، (١٦٠أ) قطع عَلَيْهِ الطريق

وقبض على كل من كانوا معه، وقتل باقى وأخذ زوجته. ورغم أننا سرَّحنا باقى من غير سوء يمسه، لكن آثامه لاحقته، ونال جزاءه جزاءً وفاقا.

دع للقدر أمر من يسيء إليك فالقدر سيقتص مِنْهُ نيابة عنك

التوجه لمهاجمة الهزاره:

وأمضينا هَذَا الشتاء فِي «چارباغ» إلى أن نزل الثلج مرة أومرتين. وكان مجيئنا إلى «كَابُل» سببا فِي تمرد الهزارة واشتغالَهُم بقطع الطريق. فآوينا إلى تكية أُلُغْ بِك ميرْزا فِي «بستان سراي» عازمين على مهاجمتهم. ثُمَّ غادرنا المكان فِي شهر شعبان للهجوم على تركمان الهزارة. وعند مدخل«دره‌ء خوش»، أرْسَلْنا المهاجمين إلى چنكلك، وهاجمْنَا عددا منهم. وكان بعضُ الهزارة مختبئين فِي مغارةٍ بالقربِ مِن «دره‌ء خوش». وكان الشَّيْخ درويش كُوكَلْداش يشترك معى فِي أكثرِ الغارات، وكان برتبة قور بِك. وكان بارعا فِي جذبِ القَوْسِ والتصويبِ بالسهم. فتسلل إلى مدخلِ المغارة، وأطلق سهما أصاب أحدهم، وتوفي فِي نفسِ اليوم. ثُمَّ توجهنا إلى «دره‌ء خوش» حيث يقضى سواد الهزارة الشتاء بها.

الطريق إلى دره‌ء خوش:

«دره‌ء خوش»، واد جميل. مدخله على هيئة دَرْب طوله نصف فَرْسَخ. والطريق يسير بمحاذاة الجبل. (١٦٠ب) وأسفله منطقة وعرة تمتد حوالي خمسين أو ستين ذراعا. وأعلاه دَرْب للماشية، يجتازه راكبوا الجياد واحدا تلو الآخر. وقد اجتزنا هَذَا الدَرْب، وواصلنا السَّيْر من الظهر إلى العصر، ثُمَّ توقفنا حيث وصلنا، ولم ندرك رِجَالنا. وعثروا على ناقة سمينة مما للهزارة وجاءوا بها، فعقرناها، وشوينا شيئا مِنْها، ودفنا ما تبقى فِي النارِ تحت الأرض وأكلنا، وكم كان لحمَ الناقةِ طيبا، إذ لم نطعم مثله من قبل، حَتَّى إن بعضنا لم يميزه من لحمِ الغنم.

الحملة على الهزارة:

تَحَرَّكْنَا مبكرا في صباح اليوم التَّالِي، متجهين إلى مشاتى الهزارة. وبعد ثلاث ساعات من الليل، جاء أحد الرِجَال مِنَ المُقَدِّمَة، وأبلغنا أن الجُنْد سيطروا على الطريق، إذ وضعوا عوائق من الأشجار فِي دَرْب عِنْدَ مَجْرى «نهر الهزارة». وقد دارت معركة معهم. فتحركنا على الفور إلى المكان الذي سيطر عَلَيْهِ رِجَالنا وتحاربوا عنده. وكان الثلج غزيرا هَذَا الشتاء، وصار اجتياز طريق غير معبد صعبا جدا، وعلى الأخص وقد غطى الثلج ضفاف الأنهار تماما. وقد جعل الثلج من العسير اجتياز هَذَا الماء مِن مكان غير معبد. فضلا عن أن الهزارة سدوا مكان خروج النَّهْر بالأشجار. (١٦١أ) وأخذوا يُطْلِقُون السهام على الفُرْسَان والمشاة عِنْدَ ضفته.

وتقدم مُحَمَّد علي مبشر، أحد أمرائى الذين ترقوا حديثا، وولج الطريق دون درع حيث موانع الأشجار، فأصابه سهم فِي خصره، ولقى مصرعه فِي الحال. فقد جِئْنَا إلى هَذَا المكان على استعجال وكان معظمنا بغير دروع. وقد مَرَق سهمٌ وربما سهمان ناحيتى، [فلم يصبنى] وانغرس فِي الأرض. فثار أَحْمَد يوسف قائلا: تخوضون حربا كهذه بغير دروع!! لقد شاهدت السهام تمرق فوق رأسك أكثر من مرة. فقلت: تَشَجَّع واثْبَت. فلطالما مرَّت برؤوسنا أشياء كهذه

وفِي هَذِهِ الأثناء، كان قاسم بِك فِي المَيْمَنَة، فعثر على مَخَاضَة لهذا النَّهْر، فانطلقنا نحوه

بخيلنا. وعندئذ لاذ الهزارة بالفرار. وتصدى لَهُم الرجَال، فأسقطوهم مِنْ فَوْقِ جيادهم، ثُمَّ تعقبوهم.وأعطيت «بنكش» إلى قاسم بِك مكافأة له على ما قام به.كما أنعمنا على حاتم برتبة قور بِك التي كانت مسندة إلى الشَّيْخ درويش كُوكَلْداش حيث أنه لم يقصر أثناء حملتنا هَذِهِ.كما أنعمنا على كيبك قُلي بابا بقرية مكافأة له نظير ما أسداه من خدمات طيبة فِي سيرنا هَذِهِ.

عِنْدَ منازل الهزارة:

وكان سُلْطَان قُلي چناق يتعقبُ الهزارة، لكِنَّهُ لم يستطع الخروج من الطريقِ بسببِ تراكمِ الثلوج، فَخَرَجْتُ بدورى مع هؤلاء الفتية. (١٦١ب) ووقعنا على قطعان من الغنمِ والخَيْلِ ترعى بالقربِ من مشاتى الهزارة. فجمعت مِنْهَا بمفردى حوالي أربعمائة أوخمسمائة رأس من الغنم، وحوالي خمسة وعشرين جوادا. وكان سُلْطَان قُلي على مقربة منا ومعه رجلان أو ثلاثة، فاقتسمناها معهم. وقد شاركت مرة أو مرتين فِي مثل هَذَا الغارات. وكانت هَذِهِ واحدة مِنْهَا. والمرة الأخرى كانت أثناء ارتحال التُرْكُمان الهزارة قادمين من «خُراسان». فقد أغار المهاجمون عَلَيْهِم وجاءوا بقطيع من الغنم والجياد. وصعد أبناء الهزارة وأهلوهم التلال المكسوة بالثلج، فكثفنا هجماتنا، ثُمَّ رجعنا بسبب تأخر الوقت. وهبطنا منازل الهزارة.

وانهمر المطرُ غزيرا هَذَا الشتاء، وغطى الثلج جانبي الطريق حَتَّى إنه ليبلغ عجز الجواد. وكان المناوبون مِن الجُنْد يقضون الليل كله على ظهور الجياد بسبب كثافة الثلج.

وفِي اليوم التَّالِي، رجعنا إلى مشتى الهزارة فِي «دره‌ء خوش»، ثُمَّ تحرَّكْنا من هُنَاكَ إلى «جنكلك». وكان يارك طغائي وآخرون سيلحقون بنا بعد قليل. فصدر لَهُم الأمر بالقبض على الهزارة الذين أصابوا الشَّيْخ درويش بالسهم. وكان أولئك التعساء قد احتموا بكهف ليعصموا دمائهم، فتوجه رِجَالنا إليهم ووجهوا الدخان صوب الكهف، وقبضوا على سبعين أو ثمانين رجلا من الهزارة، وقتلوا أكثرهم.

ورجعنا من حملتنا على الهزارة وبلغنا نواحي «آي طوغدى» جنوب «باران»، لجمع الأموال المقررة من «نجراو». (١٦٢أ) وحال وجودنا هُنَاكَ، جاء چهانكيرميرْزا من «غزْنَة» والتزم.

مرض بابُر:

وبينا الحال على هَذَا، وفِي الثالث عشر من شهر رمضان، أصابني روماتيزم شديد فِي فقرة العُجز. حَتَّى إننى ظللتُ لمدة أربعين يوما، لا أتقلب فِي فراشى من غير مساعدة.

وكان أهل«وادي پچغان» [1]، من وديان «نجراو»، كلّهُم مشهورون بالجرأة وشدة المراس وبخاصة حُسَيْن غينى أحد أعيان قرية غين من قرى هَذَا الوادي، وكذا إخوانه كبيرهم وصغيرهم. فأرْسَلْنا الجُنْد إلى هُنَاكَ تحت إمرة جِهانْكير مِيرْزا، ومعه قاسم بِك. فذهبوا إليهم بسرعة واعتلوا التل، واقتحموا مكانهم الحصين، وأعدموا عددا منهم لترهيبهم وردعهم.

وبسبب الروماتيزم الذي أصابني، حَمَلونى فوقَ أكتافهم على ما يشبه المحفة، من ضَفَّة «باران» إلى المدينة. حَتَّى وصلت «بستان سراي». فأمضيت هُنَاكَ بضعة أَيَّام مِن هَذَا الشتاء. وبينما أعانى مِن هَذَا المرض، ظَهَرَ خُرَّاجٌ فِي نِصف وَجْهي الأَيْمَن. فقاموا بفَصْدِه باستخدام المِبْضَع، ثُمَّ شربتُ دواء مسهلا لأبرأ مِن هَذَا الداء.

وتَحَسَّنَت حالتي، وخَرَجْتُ إلى «چارباغ» ، وجاء جِهانْكير مِيرْزا لزيارتى. فانتهز يوسف وبهلول ابنا أيوب [بكجيك] فرصة ذهاب المِيرْزا، وسَعَوا بالفَسَادِ والفِتْنَة.

خروج جِهانْكير مِيرْزا :

لم يَكُنْ جِهانْكير مِيرْزا هَذِهِ المرة كما عهدته. فقد غادرنا بعد عدة أَيَّام متشحا بسلاحه وأسرع إلى «غَزْنَة». فأخذ قلعة نانى، وقتل عددا مِن رِجَالها، ونهب أهلها. واصطحب رِجَالها وسار وسط الهزارة قاصدا «بَامْيَان» . (١٦٢ب) ويعلم الله أنه لم تبدر منا أو مِن رِجَالنا كلمة أو فعل ليغضب على هَذَا النحو. ثُمَّ اتضح فيما بعد أن رحيله كان بسبب كلمة.

ذَلِكَ أنه عِنْدَمَا جاء جِهانْكير مِيرْزا من «غَزْنَة»، خرج قاسم بِك وبعض الأُمَرَاء لاستقباله. وألقى المِيرْزاللصقر بطائر من نوع السلوى، فلما هم الصقر ليمسك بالطائر، أفلت مِنْهُ وطرحه أرضا. فصاح الجمع هل أمسكه؟! فقال قاسم بِك:"كيف يَتْرُكَ عدُوّه بعد أن وَهَن إلى

---

(١) في الفارسية لَمْغان.

هَذَا الحدّ، طبيعى أن يُمسِك به". فغَضب الميرْزامن قولِهِ هَذَا. ولم تكن هَذهِ عِلَّةَ ذهاب الميرْزاوحْدَها، بل انضَمَّ إليها أشياء أخرى أهْوَن مِنْها؛ فبعد أن فَعَلوا فِي «غَزْنَة» ما فَعَلُوه، ذهبوا إلى عَشَائِر من الهزارة، وكانوا آنذاك قد خرجوا عن طاعة ناصِر ميرْزا، لكنهم فِي الوقتِ نفسهِ لم ينضموا إلى الأُزْبَك. وأقاموا فِي مصائف «اسْتَرَآباد» وما يجاورها.

تحرك التَّيْمُورِيين ضد شَيْبَاني خان:

فِي هَذهِ الأثناء عقد السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا العزم على دفع مُحَمَّد شَيْبَاني خان، فاستدعى كل أبنائه، وأرسل "سَيِّد أَفْضَل بن سَيِّد سُلْطَان علي خواب بين"، في طلبى. وكان السَّيْر إلى «خُراسان» ضرورى لنا من عدةِ جهات. مِنْها أن سُلْطَانا مثل السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا تبوأ مكان الأمير تيمور، (١٦٣أ) عِنْدَمَا يستدعى أبناءه وأمراءه من الأطراف والأكناف، ويقرر السَّيْر إلى عدومثل شَيْبَاني خان، لابد وأن نسرع إليه، فإن ذهب أحدهم سيرا على قدميه، ينبغى أن نذهب نَحْنُ على رؤوسنا، وإذا ذهب بالعصى، ذهبنا نَحْنُ بالحجارة. ومنها أيضا أن ذهاب جِهانكير مِيرْزا بهذه [الحال من] العداوةِ والبغضاء، يوجب عَلَيْنا إما أن نزيل هَذهِ العداوة أو أن ندفع ضرره.

استيلاء شَيْبَاني خان على خوارزم:

فِي هَذهِ السنة، تمكن شَيْبَاني خان من الاستيلاء على «خوارزم» بعد أن حَاصَر چن الصوفي[1] بها لمدة عشرة شهور. وأثناء هَذَا الحصار، دارت معارك كَثِيرَة، وأظهر فتيان خوارزم بسالة كبيرة لم يشبها تقصير. كما أظهروا مهارة فِي رَمى السهام، وكثيرا ما اخْتَرَقَت سهامُهم الدروعَ، والدروع المزدوجة. وقد حوصروا طوال عشرة شهور، وتَقَطَّعت بهم الأَسْبَاب، وانقطع أملُهم من كل الجهات. فتملك الجبن من بعض فتيانهم وتفاوضوا مع الأُزْبَك وأدخلوهم حصن القَلْعَة. وعَلِم چن الصوفي بهذا، فجاء بنفسه وضرب من دخلوا الحِصْن وأوقعهم، فإذا بغلامه يرميه بسَهْمٍ من وراء ظهره فيُرديه قتيلا. ولم يبقَ مَن يدافع عن الحِصْن وأُسقط فِي أيديهم. ولم

(١) هو أمير خوارزم، وكان من أعظم حلفاء حسين ميرزا.

يَتَرَدَّد چن الصوفي عَلَيْهِ رحمة الله للحظة واحدة فِي احتقار الموت بشجاعةٍ. (١٦٣ب) وأعطى شَيْبَاني خان خوارزم إلى كوبك بِك ثُمَّ جاء إلى «سَمَرْقَنْد».

وفاة السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا:

فِي نهاية هَذِهِ السنة فِي شهر ذى الحجة، ساق السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا الجُنْد إلى شَيْبَاني خان، فلما وصل إلى «بابا الهي»[١]، انتقل إلى رحمة الله.

مولد السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا ونسبه:

هو السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا بن منصور بن بَايْقَرا بن عُمَر شيخ بن الأمير تيمور. كانت ولادته فِي «هَرَاة» سنة ثمانمائة واثنتين وأربعين - فِي زمن شاهرُخ مِيرْزا. ومنصور ميرْزا وبايقرا ليسا ممن تبوؤا مقام السَّلْطَنَة. وأمه البيجوم فيروزه حفيدة الأمير تيمور[٢]. لذا فهو حفيد ميرانشاه مِيرْزا أيضا. ف "السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا" سُلْطَان كريم أصيل النسب أمًّا وأبًا.

له من الأخوة أربعة، اثنان من الذكور واثنتان إناث؛ هم بَايْقَرا مِيرْزا، والسُلْطَان حَسَن مِيرْزا، والبيجوم آكا، والبيجوم بدكه التي أخذها أَحْمَد خان. كان بَايْقَرا ميرْزا أكبر من السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا و[رغم هَذَا] كان [يَعْمَل] فِي خدمته. فلا يجلس فِي الديوان إنما على منصة خارج الديوان. وقد أعطاه السُلْطَان حُسَيْن ولاية «بَلْخ»، فحكمها بضع سنين. وله ثلاثة أبناء هم السُلْطَان مُحَمَّد مِيرْزا، والسُلْطَان ويس مِيرْزا، والسُلْطَان اسكندر مِيرْزا. أما البيجوم آكا (١٦٤أ) التي تكبر السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا، فقد أخذها السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا حفيد ميرانشاه مِيرْزا. ولها ابن اسمه كيچيك ميرْزا كان فِي أول الأمر ملازما لخاله، ثُمَّ ترك الفروسية وانشغل بالمعارف. وكانوا يقولون: إنه سيصبح عالما. كما كانت لديهِ مَلَكَةُ الشِّعْرِ وهذا الرباعى له:

عكفتُ العمر كله على صلاح نفسى،

فدلتنى إلى طريق الزهد.

---

(١) مكان فِي هراة .

(٢) هي البيجوم فيروزه بنت البيجوم قُتْلُق سلطان بنت ميرانشاه بن الأمير تيمور.

وعندما عشقتُ والمنة لله،

عرفتُ معنى الصلاح والزهد

وهذه الرباعية تشبه واحدة من رباعيات المولى(١). وقد ذهب إلى الحج فيما بعد.

وشقيقته الثانية البيجوم بدكه(٢)، وهي كذَلِكَ أكبر من الميْرزا. وقد أعطاها فِي زمن الفتن إلى أَحْمَد خان حاجى تَرْخان. ولها ابنان(٣). وقد جاءا إلى «هَرَاة» وعملوا فِي خدمة المِيْرزا.

شكله وصفاته:

كان مَسْحوب العَيْنَين، له بِنْيَة الأسد، نَحِيلُ الخِصْر. ولما تَقَدَّمَ به العُمْرُ وابيَضَّت لِحْيَته كان يلبس ملابس من الحرير ذات ألوان حمراء وخضراء جميلة. ويضع على رأسهِ غطاءً من جِلْد الغَنَم الأسود أوقُلُنْسُوَة. وعندما يتوجه للصلاة فِي الأعيادِ كان يَضَعُ عِمامة صغيرة ذات لفاتٍ عريضة، يلفها بغيرِ تنسيق ويعلق فيها رِيشَة شَدِيدةُ السواد.

أخلاقه وأطواره:

عِنْدَمَا ارتقى العرش فكّر فِي قراءة الخطبة باسم (١٦٤ب) الائمة الإثنى عشر. لكن الأمير عَلِيشِير [نوائى] وآخرون منعوه مِن هَذَا. وبعد ذَلِكَ صار فِي أحوالِهِ وسلوكِهِ لا يحيد عن مذهبِ أهلِ السنة. ولم يَكُنْ باستطاعته أن يصلي بسبب مرضٍ فِي المفاصل. كما كان لا يَسْتَطِيع الصوم. وكان ذو خصال حسنة ومَرِحَة، وإن كان فِي مزاجه وسلوكه شيء من الغلو. ويمتثل لحكم الشريعة فِي بعض الأمور. فذات مرة سلم ابنا من أبنائه إلى المطالبين بدمه قصاصا لمقتل رجل، وسلمه للقضاء. وعند ارتقائه العرش، كان قد تاب عن شربِ الخمر لمدة ست أو سبع سنين، لَكِنَّهُ بعد ذَلِكَ انغمس فِي الشراب. وظل سُلْطَانا على «خُراسان» لمدة تناهز الأربعين سنة، لم يمر يوم واحد مِنْها بغير أن يشرب الخمر عقب صلاة الظهر. لَكِنَّهُ لم يشرب

---

(١) يقصد مولانا عبد الرحمن الجامى

(٢) جاء فِي الترجمة الإنجليزية أن معناها بديعة الجمال .

(٣) هما محمود خان وبهادر سلطان(نقلا عن الترجمة الإنجليزية).

أبدا فِي الصباح. وعلى شاكلته سار كل أبنائه وفرسانه ورعاياه. فأفرطوا فِي المتعة والسفه. وكان شجاعا مقداما، نازل بالسيف بنفسه مرات كَثِيرَة، بل أنه كان ينازل أكثر من مرة فِي المَعْرَكَة الواحدة. ولا أحد من نسل تيمور كله، يدانى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا فِي منازلته بالسيف. وفضلا عن هَذَا كان يتمتع بملكة الشعر وله ديوان مرتب، وكان ذو ملكة فِي الشعر بالتركية، وتخلصه "حُسينى". وبعض أبياته لَيْسَت بالركيكة. لكن الديوان بمجمله على وزن واحد. وعندما بلغ به العمر مبلغه واتسع سُلْطَانه، كبر مقامه لاعتبار السن والسلطنة. وكان كالصغار يحب تربية الخراف، (١٦٥أ) ويداعب الحمائم، ويهوى مصارعة الديوك.

حروبه ومعاركه:

ذات مرة فِي زمن الفتن، عبر [السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا] بجواده «نهر كُركان»، وهزم عددا من الأُزبَك هزيمة منكرة. ومن الأعمال الحسنة البارزة التي تذكر للسُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، أنه ذات مرة أرسلَ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا، مُحَمَّد علي بخش على رأس ثلاثة آلاف رجل، فتصدى لَهُم السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا بستين فارسا وهزمهم فِي الحال[١]. وحدث أن تحارب مرة مع السُلْطَان محمود ميرْزاوهزمه عِنْدَ «اسْتَرَآبَاد»[٢]. كما تحارب هُنَاكَ أيضا مع سعد بن حُسَيْن التُرْكُمانى وانتصر عَلَيْهِ. وفي مرة ثانية بعد أن اعتلى العرش[٣]، تحارب مع ياديكار مُحَمَّد ميرْزافي «چِنَاران» وهزمه[٤]. وفي مرة أخرى عبر جسر «مُرغاب»، وهجم على ياديكار مُحَمَّد ميرْزاحيث كان يرقد مخمورا فِي «باغِ زغان»، وانتزع مِنْهُ حكم «خُراسان»[٥].

وذات مرة، انتصر على السُلْطَان محمود ميرْزا فِي «چكمان» بالقرب من «اندخود»

(١) كان ذلك فِي عام ٨٦٨هـ =١٤٦٤م

(٢) كان ذلك فِي عام ٨٦٥هـ=١٤٦١

(٣) اعتلى حسين ميررزا العرش فِي رمضان عام٨٧٣هـ = مارس ١٤٦٩م.

(٤) كان ذلك فِي عام ٨٧٤هـ =١٤٧٠م

(٥) كان ذلك فِي عام ٨٧٥هـ =١٤٧١م

وشَبرُغان. وفي مرةٍ أخرى جاء ابو بكر ميرْزا وتركمان القرا قويلُق[1] من العراق، وهزم أُلُغْ بِك في «تكانه وغمار»، وأخذ «كَابُل»، ثُمَّ تركها بسببِ القلقِ بشأن العراق، فاجتاز «خَيْبَر» إلى «سيوى» مرورا بخوشآب و«مُلْتَان»، وأخذ «كِرْمَان»، لَكِنَّهُ أيضا عجز عن البقاء هُنَاكَ، (١٦٥ب) وذهب إلى «خُراسان». وعند ذَلِكَ أسرع السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا واستولى عَلَيْهَا. وفي مرة ثانية هزم ابنه بديع الزمان ميرْزا في «بَلْچراغ»، كما هزم أيضا ابنيه "ابو المحسن مِيرْزا" وكيپك ميرْزا في حلوا چَشْمَه. وفي مرة أخرى حاصر جنده «قُنْدُز» دون أن يستولى عَلَيْهَا. وفي مرة، حاصر [قلعة] «حِصار» ورجع أيضا بدون أن يظفر بها. وفي إحدى المرات، سار إلى "ذو النون"، فترك له والي بُست الولاية، فلما عجز عن الظفر بسواها تركها.

لَقَد أَخْفَقَ سُلْطَان كَبِيرٌ وشُجاعٌ مثل السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا في حملة أو حملتين، وَرَجَعَ منها صَفِرَ اليَدَين، وبِغَيْرِ أنْ يُحَقِّق للسلطَنَةِ هَيْبَتَها ومكَانتها. وقد انتصر في إحدى المرات على ابنه بديع الزمان ميرْزا، وشاه بِك بن ذو النون عِنْدَ «سهل نشين». وهُنَاكَ حَدَثَت مصادفةٌ غريبة، حيث كان السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا قد أرسلَ أكثرَ جُنْدِهِ إلى «اسْتَرَآبَاد» ولم يَبْقَ معه غير عدد قليل، لكنهم رجعوا من «اسْتَرَآبَاد» في نفسِ يَوْمِ المَعْرَكَة وانضموا إليه. كما انضم إليه في اليوم نفسه السُلْطَان مسعود ميرْزا، بعد أن سلم «حِصار» إلى بايسُنْغُر مِيرْزا. كما جاء في نفس الليلة حَيْدَر ميرْزامِن سيزار بديع الزمان ميرْزا" الذي كان قد ذهب لمهاجمة «أوترو»[2].

ولايته:

كانت ولايته في «خُراسان». وتقع «بَلْخ» في شرقها، و«بسطام» و«دامغان» في غربها، (١٦٦أ) و«خوارزم»في شمالها، و «قَنْدَهار» و«سيستان» في الجنوب مِنْها. فلما استولى على مدينة مثل مدينة «هَرَاة»، لم يَكُنْ يشغله ليل نهار سوى المتعة واللهو. حَتَّى

---

(١) جاء ت في الترجمة " الأردية آق قوينلق" وانفردت بهذا بين جميع الترجمات.

(٢) العبارة من أول (كما جاء في نفس الليلة....) الى آخرها غير موجودة في الترجمتين التركية والفارسية.

بطانته كانت كلها من أرْبَاب العربدة والشهوات. ولأنه لم يعتد الضبط والربط فِي إدارته وفي غزواته، كان من الطبيعى أن يتناقص جنده، وتزوى ولايته بمرور الزمن.

أبناؤه:

ترك أربعة عشر ولدا وبنتا واحدة. أكبر أبنائه هو بديع الزمان ميرْزا، وأمه بنت سنجر ميرْزا المروى.

شاه غريب ميرْزا:

وكان يَعْمَل فِي خِدْمَتِه. وكان حَسَنَ الخصال رغم قُبْح منظرِه، قوى البيان رغم وَهَنِ جسده، شاعرا وتخلصه غريبى. نَظَمَ الشعر بالتركيةِ والفارسية. وله ديوانٌ مِنْهُ هَذَا البيت:

لاح لي ذوالوجه الملائكى وأنا فِي طريقى

فَجُنِنْتُ بهِ، ولم أعرف اسمه ولا داره

وأعطاه والده السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا «هَرَاة» زمنا، وقد توفي فِي حياة أبيــه ولم يخلف ذرية.

مُظَفَّر ميرْزا:

كان أحبّ أبناءِ السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا إلى نفسِه رغم سوءِ خلقِه وسلوكِه. ولهذا السبب ناصبه أغلبُ أبنائِهِ العداء بسببِ فرطِ حُبّه لمظفر مِيرْزا. وأمُّه هي البيجوم خديجة جارية السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. (١٦٦ب) وقد أنجَبَت مِنْهُ بنتا اسمها آق.

ابو المحسن ميرزا وكيبك ميرْزا:

واسمه الأصلي مُحَمَّد محسن مِيرْزا، وأمُّهما هي لطيفة سُلْطَان آغاچه.

ابو تراب ميرْزا:

يقولون إنه خيرَ أبنائِه، ويفوقُ فِي خصالِه مَن ذكرتُهم [من أبناء السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا]. ولما اشتد المرض بأبيه سمع فيه بعض الوشايات، فهَرَبَ إلى العراق برفقة أخيه الأصْغَر مُحَمَّد حُسَيْن مِيرْزا. وهُنَاكَ اعتزل الفروسية وصار درويشا زاهدا. وفيما بعد لم يعلم عن أمره شيء.

وكان له ابن يدعى سهراب ميرْزا كان معى عِنْدَمَا هزمت حمزة سُلْطَان ومهدى سُلْطَان ومن معها من السلاطين واستوليت على «حِصار». وكان لا يبصر بإحدى عينيه، قبيحا وغريبا فِي هيئته، وأخلاقه قبيحة كهيئته، فِي مزاجه غُلوّ ولهذا غادرنا ورَحَلَ. وقد نَكَّل به النجم الثاني فمات بالقرب من «اسْتَرَآبَاد».

مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا:

حُبس فِي العِراق مع الشاه اسماعيل [الصفوي]، وكان آنذاك من أتباعه. ثُمَّ انقلب شيعيا مغاليا، فِي حين كان أبوه وكل إخوته كبارا وصغارا من أهل السنة. وقد مات على الضلالة والإثم[1] فِي «اسْتَرَآبَاد». ويروى أنه كان جسورا مغوارا، وإن لم يعرف بعمل يدل على هَذَا. وكان يقرض الشعر وهذا البيت له:

لأي صيد تجولت وتمرغت فِي الثرى

وحرارة أي قلب اجترت فغرقت فِي العرق

فريدون حُسَيْن ميرْزا:

(١٦٧أ) كان قويا فِي جذبِ القَوْس، ماهرا فِي رمى السهم، ويروى أن سهمه بأربعين سهما. جسورا لَكِنَّهُ كان سيىء الحظ فِي ميدان القِتال، فقد انهزم فِي كل المعارك التي خاضها. انهزم هو وأخوه الأصْغَر ابن حَسَن ميرْزا وتيمور سُلْطَان وعبيد سُلْطَان أمام شَيْبَاق خان عِنْدَمَا هجم على رباط دودر. رغم أنه أظهر بطولة كبيرة. وسقط هو ومُحَمَّد زمان ميرْزا فِي يد شَيْبَاني خان عِنْدَ دامغان، ثُمَّ عفا عنهما وأطلق سراحهما. ولما أغار "شاه مُحَمَّد ديوانه" على «قَلَات» بعد ذَلِكَ، توجها إلى هُنَاكَ. فلما استولى عَلَيْهَا الأُزْبَك وقع فِي أيديهم فقتلوه. وهؤلاء الإخوة الثلاثة من جاريةٍ أُزبكيةٍ اسمها منكلي بى اغاجه.

حَيْدَر ميرْزا:

وأمُّه پَايَنْدَه سُلْطَان بنت السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. حَكَمَ «مَشْهَد» و«بَلْخ» زمنا فِي

---

(١) جاءت فِي الترجمة الفارسية شيعيا بدلا من كلمتى الضلالة والإثم.

حياة أبيه. فلما حاصر السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا «حِصار»، زوَّجه من بنت السُلْطَان محمود ميرْزا من زوجته البيجوم خانزاده[1]. وتصالحا ورفع الحصار. وأنجب مِنْها ابنته الوحيدة البيجوم شاد. ثُمَّ جاء فيما بعد إلى «كَابُل» وأعطاها إلى عادل سُلْطَان[2]. وقد توفي حَيْدَر مِيرْزا أيضا فِي حياة والده (١٦٧ب).

مُحَمَّد معصوم ميرْزا:

أعطاه أبوه «قَنْدَهار»، وبهذه المناسبة خطب له بنت أُلُغْ بِك مِيرْزا. فلما جاءت إلى «هَرَاة» أقام لها عرسا كبيرا، وأمر بإقامة خيمة جميلة لها. والواقع أنه أعطاه «قَنْدَهار» لكن الأمر كله بخيره وشره كان فِي يد الشَّيْخ أرغون بِك، ولم يَكُنْ لمُحَمَّد معصوم ميرْزا أي اعتبار أوصفة. لهذا لـــم يطق البقاء فِي «قَنْدَهار»، واتجه إلى «خُراسان». وقد توفي هو أيضا أثناء حياة أبيه.

فرخ حُسَيْن ميرْزا:

لم يُعَمِّرْ طويلا، ورحل عن الدنيا قبل أخيه الأَصْغَر ابراهيم حُسَيْن مِيرْزا.

ابراهيم حُسَيْن مِيرْزا:

لم يَكُنْ سيِيء الخلق، وقد توفي فِي حياة أبيه لإدمانه شراب «هَرَاة».

ابن حُسَيْن ميرْزا ومُحَمَّد قاسم ميرْزا:

وسيرد ذكرهما فيما بعد. وهؤلاء الأُمَرَاء الخمسة هم أبناء جارية اسمها بابا اغاچه.

سُلْطَانيم:

هي ابنة [السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا] الوحيدة. وأمها البيجوم جولي بنت أحد أمراء الآزاق. كانت طلقة اللسان. زوَّجها أخوها الأكبر من سُلْطَان ويس ميرْزا الابن الأوسط لبايقرا مِرْزا. وأنجبت له بنتا وولدا. وقد أعطوا ابنتها إلى ايسن قلي سُلْطَان، الأخ الأَصْغَر ليبلي بارس

---

(١) جاءت فِي الترجمة الفارسية خانه زاد بيكم.

(٢) هو ابن محدى سلطان من الأزبك.

سُلْطَان أحد سلاطين الشيبانيين. وابنها هو مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، أعطيت إليه ولاية قُنوج حيث أنا الآن. وقد أخذت سُلْطَانيم حفيدها (١٦٨أ) من «كَابُل» وتوفيت فِي «نيلآب» وهي فِي الطريق إلينا فِي «الهِنْد». وقد حمل الرِجَال عظامها ورجعوا بها، بَيْنَما جاء حفيدها إلينا.

البيجوم آق:

هي أكبر بنات پَايَنْدَه سُلْطَان. وقد أعطوها إلى مُحَمَّد قاسم ارلات حفيد البيجوم بيكه. وهوالأخ الأصْغر لبَابُر مِرْزا. أما ابنتها الوحيدة وتدعى قرا كوز، فقد أخذها ناصِر مِيرْزا. والبنت الثانية تدعى البيجوم كيچيك، وكان السُلْطَان مسعود ميرْزا يميل إليها. ورغم كل مساعيه، كانت پَايَنْدَه سُلْطَان قصيرة النظر، فلم تعطها له، وأعطتها إلى المولي خوجه، وهو من أبناء السَيِّد آتا. والبنت الثالثة وتدعى البيجوم بيكه، والرابعة وتدعى البيجوم أغا فقد أعطيتا إلى بَابُر ميرْزا وسُلْطَان مراد ميرْزا ولدا أختها الصغرى البيجوم ربيعة سُلْطَان.

وكان [للسُلْطَان حُسَيْن ميرْزا] ابنتان من منكلي بى اغاجه، الكبرى اسمها بايرام سُلْطَان أعطوها إلى سَيِّد عبد الله ميرْزا حفيد بنت بَايْقَرا ميرْزا، وهو أحد سادة «اندخود»، ولها مِنْهُ ولد يدعى السَيِّد بركه. وكان معي عِنْدَمَا أخذت «سَمَرْقَنْد»، ثُمَّ ذهب إلى اوركنچ وطالب بالسلطنة، وقد قتله القِزِلْباش فِي أسترِ آباد. ولها بنت تدعى فاطمة سُلْطَان وقد أعطوها إلى ياديكار ميزرا، وهو من ذرية تيمور بِك. وكان [للسُلْطَان حُسَيْن ميرْزا] ثلاث بنات مِن بابا أغاچ. أكبرهن تدعى البيجوم سُلْطَان نژاد، وقد أعطاها إلى إسكندر ميرْزا، الابن الأصْغَر لأخت السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا الكبرى.

والثانية وتدعى سُلْطَان، وقد أعطوها إلى السُلْطَان مسعود ميرْزابعد أن كُفّ بَصَرُه (١٦٨ب) ولها بنت وولد. وتولت آپاق زوجة المِيرْزا[1] تربية البنت. وبعد مقتل مسعود ميرْزاعلى يد الأُزبَك، أخذت ابنها وذهبت إلى الكعبة. وقد علمنا الآن بوجودها فِي مكة المكرمة، وأن ابنها قد كبر.

---

(١) أي حسين ميرزا.

والبنتُ الثالثة أعطوها إلى سَيّد ميرْزا أحد وجوه «اندخود».

وأنجب من [إحدى] جواريه [وتدعى] زبيدة أغا حفيدة حَسَن تيمور شيخ بنتا تدعى عائشة سُلْطَان. وقد أعطوها إلى قاسم سُلْطَان أحد سلاطين الشيبانيين، ورزقت مِنْهُ بولد اسمه قاسم حُسَيْن. وقد لحق بي فِي «الهِنْد». وشارك في معركتى [ضد] راناسَنْكَا[1]. وقد أعطيته بداون[2]. وبعد قاسم بِك تزوجها أحد أقاربه ويدعى بوران سُلْطَان، ورزقت مِنْهُ بغلام اسمه عبد الله، وهوالآن معى. ويضطلع بمهام مضلعة على الرغم من صغر سنه.

زوجات [السُلْطَان حَسَن بَايْقَرا] وجواريه:

بيكه سُلْطَان بنت سنجر ميرْزا المروى:

كانت أولى زوجاته. ورزق مِنْها بابنه بديع الزمان مِيرْزا. وكانت امرأة شديدة العناد، كثيرا ما تأذى مِنْها السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا. فبغضها بسبب عنادها. وفِي النهاية تركها. والحق معه فيما فعل. (١٦٩أ) فالمرأةُ السوء فِي كَنَفِ الرجلِ السَّمْح، تكون جحيمه فِي الدنيا. وأدعوالله ألا يبتلي مسلما قط بهذا البلاء، وألا يَذَرْ على الأرضِ امرأة عنيدة فظة.

چولي:

وهي ابنةُ أحدِ أمراءِ الآزاق، ورزق مِنْها بابنته البيجوم سُلْطَان.

البيجوم شَهْربانو:

هي ابنةُ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. تزوجها بعد جلوسه على العرش. وعندما غادرت كل زوجات الميرْزا[3] [هَرَاة]، لم تخرج هي اعتمادا على أخيها الصغير، فلما علم الميرْزابهذا، طلقها. وتزوج أختها الصغرى البيجوم پَايَنْدَه سُلْطَان. فلما استولى الأُزْبَك على «خُراسان»، توجهت إلى العراق، حيث توفيت هُنَاكَ.

---

(١) كانت هَذهِ المعركة فِي عام ٩٣٣هـ -١٥٢٧م،انظر وقائع الهِنْد.

(٢) من الهِنْد.

(٣) يقصد حسين بايْقَرا.

البيجوم خديجة:

كانت سرية السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. رزق مِنْها بِبَنت تدعى البيجوم آق . فلما جاءت إلى «هَرَاة» بعد هزيمة السُلْطَان ابو سَعِيد ميرْزا فِي العراق، أخذها السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. ومن فرط حبه لها تزوجها فرفعها إلى مرتبة الزوجة. وبعد ذَلِكَ قويت شوكتها، وكانت المحرضة على قتل مُحَمَّد مؤمن مِرْزا. وكانت السبب الرئيس فِي الوقيعة بين السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا وأبنائه. وقد اشتهرت بدهائها لكنها لم تكن راجحة العقل، وكانت ثرثارة. وفضلا عن هَذَا كانت من الرافضة [شيعية]. ورزق مِنْها بولدين هما شاه غريب ميرْزاومُظَّفر حُسَيْن مِرْزا. (١٦٩ب)

البيجوم آپاق:

لم يرزق مِنْها الميرْزاأبناء. وهي أختٌ مِن الرضاع للسَيِّدة بابا اغاچه أحب زوجات الميرْزاإلى قلبه. ولأنها عاقر، كانت تعتبر أبناءَ أختِها الرضاعية بمثابةِ أبنائها. وقد تفانَت فِي رعايةِ الميرْزاخلال مرضه، بما عجزت عنه سائر زوجاته. وجاءت إلى «هَرَاة» فِي نفس السنة التي ذهبتُ فيها إلى «الهِنْد». وكنتُ بدورى أظهرُ لها التقدير والاحترام ما استطعت. وقد علمتُ بوفاتها فِي «كَابُل» أثناء محاصرتنا چنديرى.

لطيفة سُلْطَان آغاچه:

إحدى سرائر المِيرْزا. وهي من عائلة چرشنبه. رزق مِنْها بولدين هما عبد المحسن ميرْزا وكيبك مِيرْزا.

وسرية أخرى هي ؛

منكلي بي اغاچه:

وهي أوزبكيـة. أنجبت ابـو تراب ميرْزا أحد رِجَال شهر بانو، ومُحَمَّد حُسَيْن مِيرْزا، وفريدون حُسَيْن مِيرْزا، وابنتان.

وأخرى هي **بابا اغاچه** أخت البيجوم آپاق من الرضاع. رآها الميرْزاوأحبها فتزوجها. وكما ذكرنا أنجبت خمسة ذكور وأربع بنات.

وأخرى هي **بيكه سُلْطَان آغاچه**، ولم تنجب مِنْهُ.

هَذَا فضلا عن كثير من الجواري ذوات الأصول العريقة ومكانتهن بين الزوجات والجواري كما ذكرتهن.

والغريب، أن سُلْطَانا كبيرا مثل السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا فِي دار إسلام مثل «هَرَاة»، لم يَكُنْ له أبناء من عقد نكاح سوى ثلاثة من الأربعة عشر الذين ذكرناهم. وقد انغمس هو وأبناؤه والنَّاس فِي الملذات (١٧٠أ) وكان شؤمهم، أن انقرض هَذَا البيت الكبير العريق خلال سبع أو ثمان سنين، ولم يبق مِنْهُ أثر أو علامة سوى مُحَمَّد زمان ميرْزا.

أمراء السُلْطَان حُسَيْن بَايقَرا:

من أمرائه مُحَمَّد بُرُنْدُق برلاس من أبناء چاكوبرلاس. واسمه مُحَمَّد بُرُنْدُق بن علي بن بُرُنْدُق بن جهانشاه بن چاكوبرلاس. وكان أميرا [للجيش] عِنْدَ بَابُر ميرْزا. ثُمَّ أصبح فِي كنف ابو سَعيد مِيرْزا. وقد أعطاه «كَابُل» مع جِهانْكير مِيرْزا. كما جعله وصيا على أُلُغْ بِك مِيرْزا. وكان أُلُغْ بِك يدبر أمرا للبرلاسيين، فلما وقفوا على ذَلِكَ، قبضوا عَلَيْهِ وهجّروه وأهله وعشيرته إلى «قُنْدُز»، ثُمَّ أرسلوا الميرْزاإلى «كَابُل» عبر جِبَال هندكوش، بغير أن يمسوه بأذى. بَيْنَما قصد [أهله وعشيرته] «خُراسان» لدى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. فأحسن الميرْزا استقبالَهُم.

وكان مُحَمَّد بُرُنْدُق غزير العلم، وقائدا فذا. كما كان مغرما بالطير، لدرجة أنه إذا مات طير له أوضاع، تمنى ضرر أحد أبنائه بدلا من الطير بقوله: ليت فلانا [من أبنائى] تقطع جسده أو مات أو ضاع بدلا من الطير.

مُظَفَّر برلاس:

اشترك مُظَفَّر برلاس مع الميرْزا فِي الغارات. ولا أدرى كيف نظر الميرْزا لمسلك هَذَا الرجل بعين الرضا حَتَّى أَوْلاهُ هَذَا القَدْر الوافر من الرِّعَايَة والاهتمام. وقد بلغ قدره حد مشاركته السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا فِي الغارات على شرط أن يكون له الثلث من أي ولاية يفتحها، وللميرْزاالثلثان. (١٧٠ب) وهوشرط غريب، به يصبح خادمه شريكا له، وكيف يتفق هَذَا

والسلطنة؟ فمثل هَذَا الشرط لا يعقد إلا بين الأب وابنه، أو الأخ وأخيه. فما بالنا وقد عقد بين أمير وخادمه.

وبعد أن اعتلى [السُلطَان حُسَيْن ميرْزا] العرش، خجل مِن هَذَا الشرط الذي التزم به، لكن لم يجد الندم شيئا. فلما نال [مُظفر برلاس] كل هَذِهِ المنزلة، أساء الأدب مع المِيرْزا، وذَلِكَ من فرط حماقته ولم يَعْمَل برأيه. ويقولون أنه فِي نهاية الأمر عثر عَلَيْهِ مسموما[١]، والله أعلم بحقيقة الحال.

عَلِيشِير بِك نوائي:

لم يَكُنْ أميرا للميرْزا بل ربما كان مصاحبه. فقد تلقيا العلم فِي طفولتها فِي مدرسة واحدة، وكانت خصالَهُما تتفقُ فِي كثيرٍ. ولا أعْرِفُ ما الذي فَعَلَهُ حَتَّى أَمَرَهُ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا بمغادرة «هَرَاة». فاتجه إلى «سَمَرْقَنْد» وهُنَاكَ كان أَحْمَد حاجى بِك يقوم على رعايته وحمايته طوال فترة مقامه.

واشتهر عَلِيشِير بِك برقة طبعه، وفسر النَّاس رقته هَذِهِ على أنها غرور مِنْهُ بمكانته. لكن الأمر لم يَكُنْ كذَلِكَ، إنما كانت هَذِهِ فطرة له. وقد لازمته أثناء وجوده فِي «سَمَرْقَنْد».

وكان عَلِيشِير بِك نسيج وحده، ينظم الشعر باللغة التركية، ولم يشبهه أحد فيما نظم وفرة وجمالا. فقد نظم من المثنوى ستة أجزاء. خمسة مِنْها نظائر للخمسة. والسادس باسم "لسان الطير" على وزن "منطق الطير"[٢]. وله أيضا أربعة دواوين فِي الغزل هي؛ "غرائب الصغر، ونوادرُ الشبابِ، وبدايعُ الوسطِ، وفوائدُ الكِبَرِ". كما أن له رُبَاعيَّات فَضْلا عن بعضِ المؤلفاتِ الأُخرى. وإن كانت أقل قيمة وأضعف من بقية مؤلفاته، (١٧١أ) وقلد فيها المُلَّا عبد الرحمن الجامى. وخلاصة القول، إنه كتب فِي كل شخص وكل أمر مقالا، ثُمَّ جمعها. ودَوَّنَ أيضا رِسالة فِي العَرُوضِ باسم "نظامُ الأوزان"، لا تخلُ من مآخذ كَثِيرَة. أخطأ فيها أربع مرات فِي وزن أربع

(١) يقول خواندامير، أنه مات ميتة طبيعية. (نقلا عن الانجليزية)

(٢) منظومة فِي التصوف لعبد الرحمن الجامى.

وعشرين رباعية، كما أخطأ فِي بعض البحور المعروفة للمتمرسين فِي العروض. ورَتَّبَ أيضا ديوانا بالفارسية تخلَّص فيه باسم "فانى". وبعض أبيات هَذَا الديوان لَيْسَت ركيكة، لكن أغلبها ضعيف لا قيمة له. وله فِي الموسيقى ألحان جيدة. وله نقش ومطالع موسيقية جميلة. وأهل الفضل والفن لا يعرفون فِي أي عصر مربيا وراعيا مثل عَلِيشِير بِك. وممن سنذكرهم فِي [عزف] الساز من حظى بمثل هذ الدرجة مِن الشهرة والرفعة برعاية وحماية عَلِيشِير بِك، مثل الأستاذ قلي مُحَمَّد، وشيخى نائي وحسين عودى. كما حقق الأستاذ بهزاد وشاه مُظَفَّر شهرتهما فِي التصوير بفضل تشجيع عَلِيشِير بِك واهتمامه. ونادرا ما يوفق أحد إلى هَذَا القدر من أعمال الخير. وعاش عزبا وحيدا، فلم يَكُنْ له أبناء أو زوجة.

وكان عَلِيشِير بِك مهردار [أي حامل أختام]،ثُمَّ أصبح فِي منتصف العمر أميرا، وحَكَمَ «اسْتَرَآبَاد» لفترة. ثُمَّ اعتزل الفروسية. ولم يحصل على شيء قط من المِيرْزا، بل على خلافِ ذَلِكَ، كان يبذل للميرْزافِي كلِّ سنةٍ الهدايا الكَثِيرَة القيمة. (١٧١ب)

وعندما رجع السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا من حملة «اسْتَرَآبَاد»، خرج [عَلِيشِير بِك] لاستقباله، والتقى بالمِيرْزا، فلما هم بالوقوف، غشيه ما غشيه، وعجز عن الوقوف، فحملوه، وفشل الأطباء فِي تشخيص ما أصابه، وفِي اليوم التَّالِي انتقل إلى رحمة الله. وهذا البيت ينطبق على حاله:

أموت وأرحل بهذِهِ العِلَّةِ الخفية،

وقد عَجَزَ الأَطِبَّاءُ عَن وصفِ دواء لدائى

أَحْمَد توكل برلاس:

كان له حكم «قَنْدَهار» لفترة.

ولي بِك:

مِن نسلِ حاجى سيف الدين بِك، وكان من كبار أمراء المِيرْزا. لم يعمر كثيرا، توفي عقبَ جلوسِ السُلْطَان حُسَيْن ميرْزاعلى العرش. وكان خاشعا فِي صلاتِه تقيا.

حَسَن شيخ تيمور:

أولاه بَابُر ميرْزا رعاية، ورفعه إلى رتبة الإمارة.

نويان بِك:

كان والده أحد سادة «تِرْمِذ». ويتصل نسبه من ناحية الأم بالسُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزاوالسُلْطَان حُسَيْن مِرْزا.كما حظى برعاية السُلْطَان ابو سَعِيد ميرْزا. وكان أميرا مرموقا لدى السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا. كما نال الحظوة الكبرى لدى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. وكان مسرفا فِي الشراب والسفه والشهوات. وكانوا يُطْلِقُون على حَسَن يعقوب اسم حَسَـن نويان بسبب خدمته له.

جِهانكير برلاس:

حكم فترة فِي «كَابُل»شركة مع مُحَمَّد بُرُندُق،(١٧٢أ) ثُمَّ التحق بالسُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا، ولقى لديه قبولا حسنا. وكان ظريفا عذب المعاشرة. يعرف ما يسليه. ولمعرفته الجيدة بأصول وآداب الصيد والقنص، أوكل إليه السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا أغلب هَذِهِ الأعمال. وكان مصاحبا لبديع الزمان مِرْزا. ويذكر مصاحبته له ويتحدث عنها دائما.

ميرْزا أَحْمَد علي فارسى برلاس:

مع أنه لم ينظم شعرا لَكِنَّهُ صاحب ذوق فِي الشعر. كان ظريفا وغريبا.

عبد الخالق بِك:

جده فيروز شاه بِك، من أَلْقُواد ذوي المكانة الكبيرة عِنْدَ شاهُرُخ مِرْزا. ولذا أطلقوا عَلَيْهِ اسم عبد الخالق فيروز شاه. كانت له خوارزم لفترة.

ابراهيم دُلداي:

كان خبيرا فِي الإدارة وأصول الحكم، وثانى اثنين؛ هو ومُحَمَّد بُرُندُق.

ذو النون أرغون:

شجاع، أجاد استخدام السيفِ فِي شبابِه أمامَ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. ومن بعدِه،

صارت له اليد الأولى فِي كلِّ أمرٍ وكلِّ مكان. ولا تثريب على شجاعته لكن كان به شيء من تهور. وقد ترك أمراءنا وذهب إلى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، فأعطاه غور ونكديرى. وكثيرا ما تقاتل فِي ذَلِكَ المكان ومعه سبعون أو ثمانون رجلا فهزم بحفنة من الرِجَال (١٧٢ب) جموعا غفيرة من الهزارة والنكديريين. ولم يَكُنْ أحد يخرج بمثل هَذهِ العدد القليل لمحاربة الهزارة والنكديريين. وبعد فترة، أعطوه زميندوار أيضا. وكَذَلِكَ كان ابنه شاه شجاع أرغون مُنْذُ نعومة أظفاره، يشترك معه فِي الحملات، ويستخدم السيف. وقد أولاه السُلْطَان حُسَيْن ميرْزاأهمية نكاية بوالده، فأعطاه «قَنْدَهار» شركة مع والده. ثُمَّ أوقع العداوة بين الأب وابنه وثارت بينهما الفتن. وفِي نهاية الأمر وقع خُسْرو شاه فِي قبضتى وجردته من جنده ورِجَاله، وفِي نفس السنة التي أخذت فيها «كَابُل» من مُقيم الابن الأَصْغَر لذو النون، أسقط فِي يد ذو النون وخُسْرو شاه، وصارا فِي حيرة من أمرهما، فذهبا إلى السُلْطَان حُسَيْن مِرْزا. وبعد السُلْطَان حُسَيْن [ميرْزا] علا شأن ذو النون، وأعطوا له ولايات اوبه وچَخْچَران من الولايات الواقعة فِي سفح جبل «هَرَاة». وعندما تقاسم بديع الزمان ميرْزا السَّلْطَنَة مع مُظَفَّر ميرْزا، صار حاجبا ببابه. وصار مُحَمَّد بُرُنْدُق حاجبا بباب مُظَفَّر ميرْزا.

والحقّ، إنه يتحلى بالشجاعة، لَكِنَّهُ كان متهورا غير ذى فطنة. ولو لم يَكُنْ كَذَلِكَ، لما قَبِل بتلك المداهنة وأذل نفسه. وتفصيل ذَلِكَ، أنه عِنْدَمَا كان يحظى بتلك المكانة والاعتبار فِي «هَرَاة»، جاءه بعض الشيوخ والعلماء وقالوا له: لقد اتصل بنا القطب، ومنحك لقب هزبر الله[1]. وستأخذ [بلاد] الأزْبَك. فشكر الله وانخدع بتلك المداهنة، وأخذ الأمر على عاتقه. (١٧٣أ) فلما هاجم شَيْبَاني خان المِيرْزاوات بجوار بادغيس بدون أن يعطهيم الفرصة للتجمع، وهزمهم. تصدى له ذوالنون فِي قرا رباط مع حوالي مائة أو مائة وخمسين من الرِجَال وهو معتقد فيما قيل له. فلما جاءت تلك الحشود، أوقعوا بهم وأسروهم، وقتلوا ذو النون، وكان نقى المذهب، مواظبا على الصلاة، مكثرا من النوافل. ومغرما بالشطرنج. فعلى حين كان الآخرون

(١) أي أسد الله.

يلعبونه بيد واحدة، كان يلعب بكلتا يديه كيفما يشاء. وقد غلبَ البُخْلُ والخِسَّة على طبعِه.

درويش علي بِك:

الأخ الشقيق الأصْغَر لعَلِيشِير بِك.كانت إدارة «بَلْخ» له لفترة فأحسن إدارتها. وكان قصير الباع، مُشَوَّش الفكر. ولذا أخفق عِنْدَمَا سار السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا إلى «قُنْدُز» وحِصار في المرة الأولى، فعزلوه من حكومة «بَلْخ». فلما جئت إلى «قُنْدُز» في سنة ٩١٦[1]، انضم إلينا. وكان كَلّا لا يقدر على شيء، ليس له أهلية للإمارة أو صلاحية للسفارة. والغالب أنه لقي هَذهِ الرِّعَايَة بواسطة عَلِيشِير بِك.

مغول بِك:

تولى إدارة «هَرَاة» لفترة، ثُمَّ أعطوه «اسْتَرَآبَاد».ثُمَّ هَرَبَ مِنْها إلى العراق عِنْدَ يعقوب ميرْزا. كان رجلا غريبا، يلعب القمار فِي كل وقت.

سَيِّد بدر:

كان فائق القوة، لكن رقيقُ الحاشية، (١٧٣ب) صاحبُ أصولٍ فِي الرقص. فكان يرقص بِشَكْلٍ بديع. ولا يَسْتَطِيع أحد أن يصنع صنيعه. ومهما يَكُنْ من أمرٍ، فقد كان هَذَا الرقص من ابتكاره. كان يُرى دوما بصحبة الميرْزا؛ فكان رفيقه ونديمه الدائم.

اسليم برلاس:

كان رجلا من أواسط النَّاس. ماهرا فِي الصيد. أحسن أداء بعض الأعمال. قادرا على جذب قوس يحتاج إلى قوة ثلاثين أو أربعين منّا، وكان سهمه يخترق الخشب. وفي ميدان الرماية، ينطلق بجواده، والقَوْس فِي يده، ويطلق سهمه فلا يخطئ الهدف. ويدلي خيطا بطول ذراع أو ذراع ونصف ذراع من الشجرة وفي طرفه حلقة، ثُمَّ يطلق سهمه فيمرره من الحلقة أثناء دورانها. وكثيرا ما أتى بأشياء غريبة كهذه.كان دائم الملازمة ومشاركا فِي كل مجالس السمر.

---

(١) يقابل عام ١٥١٠م.

سُلْطَان جُنَيْد برلاس:

انضم إلى السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا فيما بعد. و يتولى الآن إدارة چونه بور[1] مع والده.

الشَّيْخ ابو سعيد خان درميان:

لا أدرى هل سمى بهذا الاسم لأنه أدرك المِيرْزا بجواد فِي إحدى المعارك، أم لرده عدوا قصد قتل المِيرْزا.

بهبود بِك:

خدم أولا فِي صفوف الغلمان، فلما وقف المِيرْزا على بلائه فِي الغارات (١٧٤أ)، أولاه رعايته، وأذن له بوضع اسمه على الخاتَم والسِكة تفضلا مِنْهُ.

شيخم بِك:

وتخلصه سُهيلي، لذا كانوا ينادونه شيخم سهيلي.كان ينظم الشعر ويسلك فيه كلمات وعبارات مخيفة. وهو القائل:

ارتجت السموات من عصف آهاتي فِي ليل الحزن،
وابتلع تنين سَيْل عيني الربع المسكون.

وقد قرأ هَذَا البيت ذات مرة فِي حضورِ مولانا عبد الرحمن الجامى، فقال مولانا قولته المشهورة: أتقول الشعر للميرْزا أم تروِّعه ؟!. وله ديوان مرتب، كما أن له مثنويات.

مُحَمَّد ولي بِك:

وهو ابن ولي بِك المار ذكره. صار فِي النهاية أميرا كبيرا عِنْدَ المِيرْزا. ومع ذَلِكَ لم يترك المِيرْزا أبدا، ولم يَكُنْ يبرح القصر ليلا أونهارا. حَتَّى إنه كان يقيم المآدب والولائم فِي القصر بِشَكْلٍ دائم. ومن الطبيعى أن يحظى رجل ملازم إلى هَذَا الحد، بمثل هَذهِ المكانة. أما الآن فإن الأمير منهم يسير ووراءه أربعة أو خمسة مِن رجَاله، ويأت إلى الباب[2] بمراسم. فياله من عار.

---

(١) فِي الهِنْد على نهر كُنك.
(٢) يقصد باب

أما ذَلِكَ النوع من الملازمة فربما يصدر عن غير الجديرين [بتولي أعمال] الدولة. وكانت لمُحَمَّد ولي بِك ولائمه ومآدبه. وكان يعد رِجَاله إعدادا جيدا بدون أدنى تمييز بينهم. ويبذل الخير الكثير بنفسه للفقراء والمساكين (١٧٤ب). وكان زَلِف اللسان قبيح اللفظ. فعندما أخذتُ «سَمَرْقَنْد» سنة ٩١٧[1] كان معي مُحَمَّد ولي بِك ودرويش علي الكتابدار. وكان يعاني آنذاك من الشلل. فلم يَكُنْ فِي كلامه طلاوة، ولا فِي شخصه ما يؤهله لمكانة كهذه. ومهما يَكُنْ من أمر فإن معرفته مهام وظيفته هي التي رفعته إلى هَذِهِ المكانة.

بابا علي اشيك أغا:

فِي البدايةِ أولاه عَلِيشِير بِك اعتبارا، ورفعَه إلى مرتبةِ الإمارة. وصار الآن أميرا عندى، ومقربا ومن الخَوَاص، وابنه هو يونس علي الذي سيأتي ذكره فيما بعد.

بدر الدين:

كان من قبل صدرا عِنْدَ ابو سَعِيد مِيرْزا مع ميرك عبد الرحيم.وكان رشيقا خفيف الحركة على نحو نادر. يقفز فوق سبعة جياد فِي قفزة واحدة. كان وبابا علي صديقين حميمين.

حَسَن علي جلاير:

وأصل اسمه حُسَيْن [علي] جلاير، لَكِنَّهُ مشهور باسم حَسَن علي. وقد أولى بَابُر ميرْزا والده علي جلاير اعتبارا، وجعله أميرا. وعندما أخذ يادبكار ميرْزا «هَرَاة» صار علي جلاير أكبر رِجَاله. وكان حَسَن علي جلاير أمير طير عِنْدَ السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. وهو شاعر وتخلصه طُفَيلي، قصائده بديعة، ومن أعلام عصره فِي نظم القصيدة. وعندما أخذتُ «سَمَرْقَنْد» فِي عام ٩١٧، جاء وظل معي حوالي خمس أو ست سنوات. ونظم فِي اسمى القصائد الجميلة.كان جسورا مُسرفا، (١٧٥أ) وله غلام، وكان مغرما بلعب النرد والقمار.

الخوجه عبد الله مرواريد:

كان صدرا، ثُمَّ صار فيما بعد من الخَوَاص مقربا وأميرا. كان مُتَعَدِّد المواهب، ليس هُنَاكَ مَن

---

(١) أي سنة ١٥١١م.

يعزف القانون مثله. وعُقَد القانون من ابتكاره. يُتْقِن كل أنواع الخطوط، خاصة خط التعليق، فيكتبه بِشَكْلٍ جميل. كما أنه منشئ جيد. وهو إنسان طيب الصُّحْبَة. يقول الشعر، وتخلصه بياني. وشِعره دون بقية مواهبه. فمكانته في الشعر متدنية لَكِنَّهُ يعرف ما الشعر.كان فاسقا غير هياب. قاسى من الزُّهرى بسبب فسقه حَتَّى عجزت يده عن لمس قدمه. وقد فارق الدنيا متأثرا بهذا البلاء بعد معاناة شديدة بسببه امتدت بضع سنين.

مُحَمَّد سَيِّد اوروس:

والده هو اوروس ارغون الذي كان أميرا معتبرا، كبيرا عِنْدَ السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا وقت اعتلائه العرش. وكان أكثر الفتيان يتقنون الرمى بالسهام آنذاك، لَكِنَّهُ كان أمهرهم. فقوسه قاس وسهمه قوى، يصوبه جيدا من بعيد.كانت له حكومة «اندخود» فترة من الزمان.

مير علي الميراخور[1]:

وهو الذي أرسلَ مبعوثا إلى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا يحرضه على السَّيْر إلى يادیكار مُحَمَّد ميرْزا وهو في غفلة من أمره.

السَيِّد حَسَن اوغلاقچي:

هو ابن السَيِّد أوغلاقچي، والأخ الأَصْغَر للسَيِّد يوسف بِك. له ابن متميز وصاحب استعداد اسمه ميرْزافرخ. (١٧٥ب) جاءنى عِنْدَمَا أخذت «سَمَرْقَنْد» سنة تسعمائة وسبع عشرة. أشعاره قليلة، لكن أسلوبه جميل. حاذق في الاسطرلاب والهيئة. كما أن صحبته ومعشره طيب. لَكِنَّهُ معربد عِنْدَ سكره. مات في معركة غجدوان[2].

تينرى بيردى سانجى:

كان أميرا مِن الأواسط، شجاعا يحسن استخدام السيف. وكما ذكرنا سلفا، فإنه أحسن المبارزة على أبواب «بَلْخ» مع رجل كبير مِن رِجَال خُسْرو شاه يدعى نظر بهادر، وهزمه.

---

(١) ميراخور وتعنى أمير الاسطبل.

(٢) فِي سنة ٩١٨هـ - ١٥١٢م قاتل بابر الأُزبك بمساعدة القزلباش بظاهر قلعة غجدوان التي تقع على مَسَافَة ١١٠ كيلومترا شمال بخارى، وانهزم بابر ولم يفلت من عسكرالقزلباش أحد فِي هَذهِ المعركة، فسار بابر إلى كَابُل وينس من طرف ما وراء النَّهر، ورغب فِي فتح الهِنْد. انظر، منجم باشى، جامع الدول ١/٢٧٥.

علاوة على هؤلاء، كان لدي [حسين ميرزا] عدد من الأُمَرَاء التُرْكُمان الذين لحقوا به وبلغوا لديه شأنا. ومن أبرزهم عليخان بايُندر. ثُمَّ الأخوان اسد بِك وتهمتن بِك. وقد أخذ بديع الزمان ميرْزا أخت تهمتن بِك، فأنجب مِنْها مُحَمَّد زمان ميرْزا.

وآخر هو ابراهيم چَغْتَايْ، وآخر هو الأمير عُمَر بِك، وكان مؤخرا عِنْدَ بديع الزمان ميرْزا، وهو سهل وطيب. جاء إلينا من العراق مع ابن له يدعى عبد اللطيف، رخو وجبان وأبله جدا وما زال معنا. كيف يكون لرجل مثله، ولد كهذا. ويليهم من جاءوا من هُنَاكَ إلى «خُراسان» عِنْدَمَا صارت العراق وأذربيجان للشاه إسماعيل.

ومنهم عبد الباقى ميرْزا. وهو من نسل الأمير تيمور، من الميرانشاهيين. وفيما مضى جاء أبناؤه إلى هَذِهِ الولايات، ولازموا السلاطين هُنَاكَ ضاربين صفحا عن المطالبة بالسلطنة (١٧٦أ) وكانوا دائما معتبرين [لديهم] ومَوْضِع رعايتهم. وكان تيمور عثمان عم عبد الباقى ميرْزا هَذا، أميرا كبيرا معتبرا عِنْدَ يعقوب بِك. وقد فكر ذات مرة أن يرسله بجند كثير إلى «خُراسان». فلما جاء عبد الباقى ميرْزا أولاه السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا أيضا اعتبارا كبيرا، وصاهره بأن أعطاه البيجوم سُلْطَانيم أم مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا.

ويليهم مراد بِك بايندر.

صدوره:

مير سر پرهنه:

من قرى «أَنْدِجان».وأغلب الظن أنه ليس من السادة حقا. وهو طلي الحديث، جميل السجايا، عذب الكلام. رأيه وفكره معتبر مُعْتَمد عِنْدَ علماء «خُراسان» وشعرائها. أهدر وقته لنظم قصيدة يناظر بها قصيدة أمير حمزة، وصنف قصة طويلة مصطنعة. وهوعمل لا يتفق مع الفطرة والعقل.

كمال الدين حُسَيْن كازوركاهى:

لم يَكُنْ صوفيا حقيقيا، بل كان متصوفا. وكان أمثاله من المتصوفة يتجمعون عِنْدَ عَلِيشِير

بك، للوجد والسماع[1]. وقد تميز عَلَيْهِم جميعا فِي هَذه الأصول، وكانت معرفته بها سبب ما ناله مِن مكانة وتقدير. ولا يمتاز بشيء يستحق الذكر سوى هَذَا. له مؤلف باسم مجالس العشاق كتبه على اسم السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. وهو أثر ضعيف للغاية وأكثره مصطنع؛ صنعة تفتقر إلى الذوق (١٧٦ب) يتضمن ألفاظا يعوزها الأدب، حَتَّى إن بعضها يمكن أن يصمه بالكفر. مثال ذَلِكَ، أنه نسب إلى كثير من الأنبياء والأولياء عشقا مجازيا. وجعل لِكُلِّ واحد منهم معشوقا ومحبوبا. وذكر فِي مقدمته أنه تصنيف وتحرير السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، وهذا أيضا أمر غريب فيه حماقة. وكانت كل أشعار وغزليات كمال الدين حُسَيْن المذكورة يستهلها بكلمة لمحرره. ولمداهنته أطلق عَلَيْهِ ذو النون أرغون لقب هزير الله.

وزراؤه:

مجد الدين مُحَمَّد:

هو ابن خوجه پير أَحْمَد خافي رئيس ديوان شاهرُخ مِرْزا. وقبله لم يَكُنْ لديوان السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا ترتيبا ونظاما يُعتد به. وكان إسرافه وإتلافه زائدا عن الحد. فلا النَّاس يعيشون فِي رغد، ولا الجَيْش يشعر بالرضا. وحَتَّى ذَلِكَ الحين كان مجد الدين مُحَمَّد هو البروانچي[2]. ويسمونه ميرك. وقد احتاج الميرْزاشيئا من المال، فجاءه رد الديوان أن الخزينة خاوية من الأموال والإيرادات. وكان مجد الدين مُحَمَّد حاضرا الديوان، فابتسم، فلما سأله الميرْزاعن سبب تبسمه، نحا به جانبا، وأفضى إليه قائلا: لومنحني الميرْزاصلاحيات، واشترط أن يمتثل الموظفين لكلامى، لأمكنني فِي زمن وجيز أن أضمن للولاية (١٧٧أ) العمران، وللناس رغد العيش، وللخزينة الثراء، ووفرة الجُنْد. وأجابه الميرْزالطلبه وصارت له الصلاحية فِي كل «خُراسان». وصارت كل المسائل المهمة فِي عهدته. وقد بذل كل ما فِي وسعه من همة واهتمام. وسرعان ما أصبح النَّاس والجَيْش فِي رغد ورضى. فقد جمع أموالا كَثِيرَة وصارت الولايات معمورة عامرة.

---

(١) السماع من تقاليد المتصوفة وآدابهم وله أصول مخصوصة، وتطلق بشكل عام على الذِكر.

(٢) هو من يكتب أوامر ومراسيم، وهو بمثابة رئيس الوزراء.

لَكِنَّهُ لم يَكُنْ على وفاق مع الأمَرَاء وأرْبَاب المناصب الذين حول عَليشير بك، فناصبوه العداء، وتآمروا ضده، فألقى القبض عَلَيْهِ وعزل من منصبه. وصار الديوان من بعده لنظام الملك، ثُمَّ قبضوا عَلَيْهِ أيضا بعد فترة وقتلوه. وجاءوا بالخوجه أفضل من العراق، وأسندوا إليه الديوان. ثُمَّ جعلوه أميرا وقتما جئت إلى «كابُل»، وكان واضع الخاتم في الديوان.

الخوجه عطا:

الحق، أنه لم يَكُنْ صاحب منصب وديوان كالسابق ذكرهم. لكن لم يَكُنْ يتخذ قرارا مهما في كل «خُراسان» بدون أخذ رأيه. كان دَيّنا، مصليا، منكبا على شئون الدولة.

وكما ذكرنا سلفا أن هؤلاء هم أتباع السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا ومعيتة. وعصر السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا (١٧٧ب) عصر عجيب. كانت «خُراسان» وخاصة مدينة «هَرَاة» عامرة بأهل الفضل وفرائد الرجَال. فكل امرئ منكب على عمله يتقنه ليخرج على أكمل وجه. ومن المبرزين في علوم الباطن والظاهر في ذَلِكَ العصر؛ مولانا عبد الرحمن الجامى. أما أشعاره فمعروفة. وذاته سامية غنية عن التعريف. وجال بخاطرى أن أذكر اسمه في هَذِهِ الصفحات المتواضعة للتبرك بها، وذكر بعض أوصافه.

شيخ الإسلام سيف الدين أَحْمَد:

وهو من نسل مولانا سعد الدين التفتازانى. وهم شيوخ الإسلام في خُراسان مُنْذُ ذَلِكَ الوقت.كان عالما بارعا. متقنا للعلوم العقلية والنقلية، ورعا تقيا. شافعى المذهب لَكِنَّهُ يجل المذاهب الأخرى. ويقولون إنه لم يترك صلاة الجماعة ما يقرب من سبعين عاما. استشهد عِنْدَمَا أخذ الشاه اسماعيل«هَرَاة» ولم يبق من ذريته أحد.

مولانا الشَّيْخ حُسَيْن:

الحق، أن ظهور المُلَّا الشَّيْخ حُسَيْن وعلو نجمه كان في زمن السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. لكننا نذكره هنا لأنه عاصر السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. (١٧٨أ) كان متقنا للعلوم الحكمية والعقلية وعلم الكلام. موجزا في اللفظ غزير المعانى. يضع اللفظ في مَوْضِعه وإحكام العبارة من ابتكاره.

كان مقربا فِي زمن السُلْطَان ابو سَعِيد ميرْزا نافذ الأمر. وله يد فِي كل أعمال الدولة المهمة. ولا يفوقه أحد فِي عمل المحتسب. ولكونه من المقربين من السُلْطَان ابو سَعِيد ميرْزا، لا نرى رجلا أهين مثله فِي زمن السُلْطَان حُسَيْن مِرْزا.

المُلّا زاده المُلّا عثمان:

من قرية چرخ بمقاطعة لهوكر أحد مُقاطَعات «كَابُل». فِي زمن أُلُغْ بِك ميرْزا، بدأ التدريس وهو فِي الرابعة عشر من عمره، ولهذا سمى المولي مادر زاده[1]. غادر «سَمَرْقَنْد»، وطاف بالكعبة، ولما جاء «هَرَاة»، لم يتركه السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا واستبقاه بجانبه. كان عالما بارعا لا يدانيه أحد من معاصريه فِي علمه. ويقولون إنه بلغ مرتبة الاجتهاد لَكِنَّهُ لم يجتهد. ويرددون مقولته كيف ينسى المرء ما سمع إذ كان حديد الذاكرة.

مير مرتاض:

كان عالما بالعلوم الحكمية والعقلية. وقد سمى بهذا الاسم لكثرة صومه. (١٧٨ب) لديه هوس بالشطرنج حَتَّى أنه إذا صادف اثنين فِي وقت واحد لاعب أحدهما الشطرنج، وأمسك بثوب الآخر لَيْستبقيه.

ومنهم أيضا المُلّا مسعود الشيرواني.

المُلّا عبد الغفار لارى:

كان مريدا وتلميذا لمولانا عبد الرحمن الجامى. قرأ عَلَيْهِ أكثر مصنفاته.كتب أثرا على غرار شرح النفحات[2]. كان متمكنا فِي علوم الظاهر، سهلا ومتواضعا رغم تبحره فِي علوم الظاهر والباطن. لم يَكُنْ يخش النقاش مع أحد من العلماء من درجة المولى. وإذا سمع عن درويش فِي مكان ما لا يرتاح إلا إذا شد الرحال إليه. عِنْدَمَا جئت إلى «خُراسان» وزرت قبر المُلّا، عدت عبد الغفار وكان [مريضا] فِي مدرسة المُلّا. وقد توفي بعد عدة أيَّام متأثرا بمرضه.

(١) أي العالم ابن أمه.

(٢) كتاب نفحات الأنس

مير جمال الدين:

كان محدثا لانظير له فِي علم الحديث فِي «خُراسان». مازال على قيد الحياة. لَكِنَّهُ طاعن فِي السن.

مير عطاء الله المشهدى:

ضليع فِي العلوم العربية،كتب رسالة جميلة بالفارسية عن القافية. يؤخذ عَلَيْها (١٧٩أ) أنه تكلف فِي أن يسبق كل بيت مِنْها بعبارة كما فِي هَذَا البيت لعبدكم. وقد أورد بعض المعارضين لرسالة القافية بعض المآخذ على مواضع كَثِيرَة. وله رسالة باسم بدائع الصنايع فِي فنون الشعر.كانت كتابته جيدة، وفِي مذهبه انحراف.

القاضي اختيار:

أحسن القضاء، وله رسالة حسنة بالفارسية فِي الفقه. ومِن باب الاقتباس جمع آيات الكلام[1] ورتبها نظما. عِنْدَمَا التقيت الميرزاوات فِي «مُرغاب»، جاء بصحبة مُحَمَّد مير يوسف وقابلنى. ودار بيننا الحديث عن الخط البَابُرى[2]. ورغب أن أكتب حروفه منفصلة، فكتبتها. وقد قرأها فِي مجلس وثبت قواعدها وكتب [به] بعض المسائل.

مير مُحَمَّد يوسف:

كان تلميذا لشيخ الإسلام الذي بوأه هَذَا المنصب مكانه. فكان شيخ الإسلام يرأس بعض المجالس، ومير مُحَمَّد يوسف يرأس بعضها الآخر. وبعد ذَلِكَ صار مغرما بالفروسية والقيادة. فصار لا يتكلم أو يعلم شيئا سواهما. والحق، أنه لم يَكُنْ له نصيب أو حظ فِي أي منهما. والحاصل أنه بسبب هَذَا الابتلاء ذهب ماله وروحه وبيته أدراج الرياح. كان شيعى المذهب.

---

(١) أي القرآن الكريم.

(٢) هو الخط الذى ابتكره بابُر، وقد ابتكره بهدف كتابة القران الكريم به، وقد كتب نسخة من القران الكريم بهذا الحرف. ويتكون الخط البابرى من ٢٩ حرفا. انظر، محمد حليم يارقين، بابرى خط، ايدين فرهنكى بنيادى، تاشكند ٢٠٠٥.

شعراء السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا:

عبد الرحمن الجامى:

كان مولانا عبد الرحمن الجامى (١٧٩ب) أبرز شعرائه وأكبرهم.

وشيخم سهيلي وأيضا حُسَيْن علي طفيلي جلاير وغيرهم المار ذكر أسمائهم وصفاتهم ضمن أمراء وخواص السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا.

آصفي:

تخلص بآصفي لكونه ابن وزير، شعره لا يخلو من الرونق والمعنى، رغم أنه خلو من العشق والوجد. يدَّعى أنه لا يتطلع لجمع غزلياته، فجمعها أخوه الأَصْغَر أو أحد المقربين له مِن باب التكلف. نظم الشعر فِي أنواع أخرى غير الغزل. ولازمنى عِنْدَمَا جئت إلى «خُراسان».

بنّائي:

من «هَرَاة» واتخذ هَذَا التخلص لأن أباه الأستاذ مُحَمَّد كان رئيس المعماريين. فِي غزلياته رواء وحال. وقد رتب ديوانا. كما أن له مثنويات. وله مثنوى فِي الفاكهة من بحر المتقارب لا قيمة له، فقد بذل فيه مجهودا لاطائل مِنْهُ. وله أيضا مثنوى مختصر من بحر الخفيف. ومثنوى آخر طويل نسبيا من نفس البحر الخفيف، انتهى مِنْهُ مؤخرا. كان فيما مضى يجهل الموسيقى، ولطالما حمل عَلَيْهِ عَلِيشِير بِك لهذا السبب. وحدث فِي أحد الأعوام أن ذهب المِيرْزا[1] إلى «مَرْو» لقضاء فصل الشتاء، وبرفقته عَلِيشِير بِك. بَيْنَما بَنَّائي فِي «هَرَاة» منكب على دراسة الموسيقى. وما أن جاء الصيف إلا وقد صار متمكنا من كتابة الألحان. فلما رجع المِيرْزاإلى «هَرَاة» (١٨٠أ) ردد [أمامه] الصوت والنقش، فتعجب عَلِيشِير بِك واستحسنها. وله فِي الموسيقى ألحان جميلة. أحدها باسم نُه رنك أي الألوان التسعة، وفِي ختام اللون التاسع نجد مقام النقش. وكان كثير التعريض بعَلِيشِير بِك. ولهذا لقى مِنْهُ فرط الجفاء. وفِي النهاية لم يطق البقاء هُنَاكَ[فِي هَرَاة]، فذهب إلى العراق وآذربيجان عِنْدَ يعقوب بِك. ونال عنده مكانة لا بأس بها وصار رفيق

(١) يقصد حسين ميرزا.

مجلسه. وبعد وفاة يعقوب بِك، لم يطق البقاء فِي تلك الولايات، وعاد إلى «هَرَاة». وكان مازال صاحب نكتة وتعريض، ومنها أنه ذات يوم فِي مجلس الشطرنج كان عَلِيشِير بِك يمد ساقيه فلمس ظهر بَنَّائي فقال عَلِيشِير بِك مداعبا: لا تتعجب، فهذا ليس من البلاء فأينما مددت ساقيك فِي «هَرَاة» فلابد وأن تلمس ظهر شاعر، فقال بَنَّائي: ولو سحبتها إلى الوراء أيضا، فستلمس عَجُز شاعر. ولهذه النكات غادر «هَرَاة» مرة أخرى إلى «سَمَرْقَنْد». وكان لعَلِيشِير بِك مبتكرات كَثِيرَة جيدة. فإذا ما ابتكر أحدهم جديدا فِي أمر ما قيل عنه إنه عَلِيشِيرى، لينال به الشهرة. بل إن بعضهم ينسبه إلى عَلِيشِير بِك مِن باب الظرافة. وحدث ذات مرة أن عقد عَلِيشِير بِك غطاء رأسه بسبب ألم فِي أذنه، فأطلق على الغطاء المعقود بهذه الطريقة التي تشبه ما تعقده النساء اسم ناز عَلِيشِيرى. كما طلب بَنَّائي عِنْدَ مغادرته «هَرَاة» (١٨٠ب) أن يَعْمَل السراج لحماره سرجا لا نظير له سماه عَلِيشِيري وقد اشتهر هَذَا الشكل بهذا الاسم، أي سرج عَلِيشِيري.

سيفي البُخاري:

وله بعض صفات العلماء، ونشر قائمة مفصلة بالكتب التي قرأها ليثبتها. وقد رتب ديوانا، وديوان آخر رتبه فِي أَرْبَاب كل فن. وله مثلها كثير، وليس له مثنوى. والدليل على هَذَا هَذِهِ القطعة له:

إذا كان المثنوى من الشعر سُنة... فعلمى أن الغزل فرض عين

وخمسة أبيات تسحر القلب... أَفْضَل عندى من خمستين

وله أيضا رسالة فِي العروض بالفارسية مختصرة جدا وطويلة جدا فِي الوقت ذاته. مختصرة لأنه لم يكتب فيها ما ينبغى كتابته، وطويلة لأنه كتب فيها كل الحروف والنقاط وإعرابها رغم وضوحها. كان مفرطا فِي شرب الخمر يفقد صوابه حين يثمل، وكان ذا قبضة محكمة.

عبد الله المثنوى كوى:

وهو من جام، وابن شقيقة مولانا [عبد الرحمن الجامى] وتخلصه هاتفي. ألف مثنويات

نظيرة لخمسة [جامى] سماها هَفْتِ منظر على غرار هَفْتِ پَيْكَر. كما ألف تيمور نامه على نسق [منظومة] إسكندر نامه[١]. وأشهر مثنوياته ليلى والمجنون. إلا أن شهرته تفوق شعره.

مير حُسَيْن معمائي:

ما برع أحد في الأحاجى مثله. وقد صرف فيها كل وقته. كان فقيرا زاهدا سهلا. (١٨١أ)

المُلّا مُحَمَّد بدخشي:

وهو مِن «اشمكيش». والغريب أن مَخلَصه "بدخشي" رغم أن «اشمكيش» لَيْسَت من «بَدَخْشان». ولا يرقى شعره إلى شعر غيره من الشعراء المار ذكرهم. وله رسالة فِي الألغاز. وألغازه لَيْسَت جيدة. كان طيب الصُّحْبَة وقد لازمنى فِي «سَمَرْقَنْد».

يوسف بديعى:

من ولاية «فَرْغَانَه»، وينظم القصيد على نحو مُرْضٍ.

آخي:

كان ينظم الغزل الجميل. وفيما بعد صار فِي معية [السُلْطَان] حُسَيْن مِرْزا. وله ديوان.

مُحَمَّد صالح:

له غزليات لطيفة. لكنها رغم لطافتها ليس بها ذوق. كما أن له أشعارا بالتركية لَيْسَت بالركيكة. قصد فيما بعد شَيْبَاني خان، فأولاه عنايته، نظم مثنويا بالتركية سماه شَيْبَاني خان من بحر الرمل المسدس على وزن المخبون[٢]، أحد أوزان السُبحه[٣]. وهو نظم يعوزه الذوق، من يقرأه لا يصدق أنه لمُحَمَّد صالح. لكن به بيت جيد يقول فيه:

---

(١) منظومة فِي سيرة الإسكندر الأكبر.

(٢) الخبن من الزحافات التي تدخل على الوزن الشعرى والمخبون مشتق مِنْهُ.

(٣) يقصد سبُحة الأخبار لعبد الرحمن الجامى.

صارت فَرْغَانَه وطنا لتَنْبَل[1]... فجعل مِنْها دارا للكسل

وكان يُطْلِقُون على «أَنْدِجان» كذَلِكَ اسم [تَنْبَل خانه] أي دار الكسل. لكن لا نعرف سبب وجود هَذَا البيت فِي المثنوى. وكان رجلا شريرا ظالما قاسيا.

شاه حُسَيْن كامى:

أشعاره لَيْسَت بالركيكة، وكان ينظم الغزل، والأغلب أن له ديوانا من الشعر.

هلالي:

مازال على قيد الحياة إلى الآن. له غزليات موزونة وذات رونق، لكنها لا تمس القلوب. له ديوان ومثنوى باسم الشاه والدرويش من بحر الخفيف (١٨١ب) وبعض أبياته جميلة لكن موضوع المثنوى وترتيبه ضعيف وبه أخطاء. فمن سبقه من الشعراء الذين كتبوا المثنوى فِي العشق والعشاق كان يجعلون العشق للرجل والأنثى معشوقا. لكن هلالى جعل الدرويش عاشقا والملك معشوقا. وفيما ذكره من أبيات فِي أفعال وأحوال الملك، صور الملك وكأنه امرأة فِي الطريق تأتى الفاحشة. وبحسب المثنوى صور الشاب والملك كعاهرتين، وهذا أمر لا يمكن وصفه. كان قوى الحافظة حفظ ما يناهز ثلاثين أو أربعين ألف بيت. ويقولون إنه كان يحفظ معظم أبيات الخمستين[2]، كما كان عارفا بعلوم العروض والقافية والشعر.

أهلي:

وهو من العامة، وشِعره غير ركيك، وله ديوان شعر.

الخطاطون:

وهم كثر، أبرزهم فِي النسخ تعليق سُلْطَان علي مشهدي. وقد نسخ للميرْزاوعَلِيشِير بِك كتبا كَثِيرَة. فكان يكتب فِي كل يوم ثلاثين بيتا للمِيرْزا، وعشرين بيتا لعَلِيشِير بِك.

---

(١) تَنْبَل بمعنى كسول وتَنْبَل هو أَحْمَد تَنْبَل المار ذكره.

(٢) هما خمسة نظامى الكنجوى وخمسة عبد الرحمن الجامى، والخمسة عبارة عن خمس منظومات فِي موضوعات محددة.

المصورون:

ومن المصورين بهْزاد. وقد جعل فن التصوير غاية في الرقة. لَكِنَّهُ كان لا يُحسن [تصوير] الوجوه التي بغير لحية. فيجعل الذقن أكبر من اللازم. أما ذوي اللحى فيجعل وجوههم جميلة.

شاه مُظَفَّر:

كان تصويره بديعا (١٨٢أ) خاصة شعر الرأس، فيصوره بدقة كبيرة ومهارة. لم يعمر طويلا، إذ فارق الدنيا ونجمه يكاد يبزغ.

الموسيقيون:

ومن الموسيقيين الخوجه عبد الله المواردى، ويقال أنه كان لايدانيه أحد في العزفِ على [آلة] القانون.

قُل مُحَمَّد عودي:

برع في العزف على القيثارة. وقد أضاف إليها ثلاثة أوتار. لا يدانيه أحد من الموسيقيين وعازفي الساز في قدرته وجمال عزف الخماسى. لكن أنغامه فيما عداه لَيْسَت بنفس القدر من الجمال.

شيخى نائي:

كان ماهرا في العزف على العود والقيثارة. أتقن العزف على العود وهو في الثانية أوالثالثة عشر من عمره. وذات مرة عزف على الناي عزفا جيدا في مجلس بديع الزمان ميرْزا. بَيْنَمَا فشل قول مُحَمَّد في تكرار نفس النغمة على القيثار فقال إن القيثارة ساز ناقص. فأخذ شيخى القيثارة من يده وعزف النغمة ذاتها كاملة وبمهارة ومقدرة جميلة. وقالوا عن شيخى أنه ما سمع نغمة إلا وعرف طبقتها ونوع الناي الذي يعزفها، لَكِنَّهُ لم يعزف كثيرا، ويقولون: إن له لحنا أو اثنين من النقش.

شاه قُلي عازف الساز:

وهو من العراق، وجاء إلى «خُراسان» حيث تدَرْب على الساز، ونال فيه شهرة، وعزف كثيرا النقش والخماسى، والإيشلار.

حُسَيْن عودى:

كان حساسا فِي العزف على العود، كان فِي غنائه عذوبة. وهوالذي أخرج من أوتار العود النغمة الواحدة فِي ضربة ريشة واحدة. ولا يعيب عزفه سوى فرط رقته فِي العزف (١٨٢ب). فذات مرة أمره شَيْبَانِي خان بعزف الساز، ولما كان هَذَا الأمر على غير رغبته، فقد أساء العزف، كما أنه لم يحضر معه آلة الساز الخاصة به، وإنما عزف على آلة ساز آخرى سيئة، ولما أدرك شَيْبَانِي خان هَذَا، أمر فِي ذات المجلس بضربه بالعصا ضربا مبرحا. وهذا خير ما فعله شَيْبَانِي خان فِي دنياه. والحقيقة أنه نال مكانة جيدة. فمثل هؤلاء من ذوي الرقة يستحقون أكثر مِن هَذَا.

المصنفون[1]:

ومن المصنفين غلام شادى. وهو ابن شادى خوانَنده [المغنى]، وكان يعزف الساز لَكِنَّهُ لم يَكُنْ من المصنفين، وكانت له أصواته الجميلة ونقشه الجيد فِي وقت لم يَكُنْ هُنَاكَ مصنفين مهرة. وفِي النهاية أرسله شَيْبَانِي خان إلى مُحَمَّد أمين خان، حاكم قازان، ولم يسمع عنـــه شيء بعدها.

مير عزو:

كان مصنفا ولم يعزف الساز. ألحانه قليلة لكنها ذات عذوبة.

بنائي: كان مصنفا وله نقش وأصوات جيدة.

مُحَمَّد بوسعيد:

كان نسيج وحده بين الملحنين والرِجَال. إذ كان مُحَمَّد بوسعيد مصارعا، مع أنه يقرض الشعر. وله أصوات ونقش، كما له نقوش جيدة من الچاركاه [الرباعى] كان حَسَن الصُّحْبَة وغريب أن تجتمع المصارعة وحسن الصُّحْبَة فِي شخص واحد.

---

(١) أي مؤلفو الموسيقى.

اقتسام الحكم في هَرَاة:

عِنْدَ وفاة السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، كان له من الأُمَرَاء بديع الزمان ميرْزا ومُظَّفر حُسَيْن ميرْزا، الذي كان أحب أبنائه إلى قلبه، فجعل مُحَمَّد بُرُندُق بارلاس حاجبا له ومربيا، وأمه البيجوم خديجة الزوجة المميزة للميرْزا(١٨٣أ) وقد أظهر رِجَال الميرْزاكلَهُم التحزب لمظفر ميرْزا، مما أدى إلى تردد بديع الزمان ميرْزا في الذهاب إلى [هَرَاة]، فتوجه إليه مُظَفَّر ميرْزا بنفسه ومعه مُحَمَّد بِك، وأزالا ما في نفسه من تردد. وجاءا به وأجروا مراسم الجنازة السُلْطَانية وحملوا جثمان [السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا] في موكب ودفنوه في مدرسته.

كان ذوالنون بِك حاضرا في تلك الأثناء فاجتمع مُحَمَّد بُرُندُق بِك وذوالنون بِك وأبناء السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا وأمراؤهم، واتفقوا على أن يتبوأ بديع الزمان ميرْزا و مُظَفَّر ميرْزا عرش «هَرَاة» مشاركة بينهما. وصار ذوالنون بِك حاجبا لبديع الزمان ميرْزا ومُحَمَّد بُرُندُق بِك حاجبا لمظفر حُسَيْن مِرْزا. وعين الشَّيْخ علي طغائي حاكما للمدينة من قبل بديع الزمان ميرْزا، ويوسف علي كُوكَلْداش حاكما عَلَيْها من قِبَل مُظَفَّر ميرْزا. وهذا أمر غريب. فلم نسمع من قبل قط عن شراكة في الملك. وهذا عكس ما قاله الشَّيْخ سعدي[1] في [منظومته] كُلسْتان:

بساط واحد يتسع لعشرة دراويش.. وإقليم واحد لا يتسع لسُلْطَانين.

***

(١) الشاعر الفارسى سعدى الشيرازى.

وَقَائِعُ سَنَةِ تسعمائة واثنتى عشرة[1]

السَّيْر إلى خُراسان:

فِي شهرِ المحرم من عام ٩١٢ هـ، قررنا السَّيْر على «خُراسان» لدفعِ الأُزْبَك (١٨٣ب). فتحركنا عبر طريق « غُربند وشپرتو ». ولأن جِهانكير مِيرْزا خرج من تلك الولاية مغاضبا، فقد جال بخاطرى أنه إذا استمال العَشَائِر فإن بعض المفسدين ومثيرى الفتن يمكن أن يتسببوا فِي كثير من الاضطربات، لذا ينبغى القبض عَلَيْهِم أولا وإخراجهم مِن اشتر شهر. وأوكلنا الأمر إلى ولي خازن ودولتقدم قراول لحمايتها، والمحافظة على نفائس القصر. وتحركنا من هُنَاكَ على وجه السرعة بتجهيزات خفيفة. فبلغنا « قلعة ضحاك» فِي اليوم نفسه، ثُمَّ عبرنا دَرْب «كنبدك»، فدرب « دندان شكن » مِنْ فَوْقِ« سايقان ». ثُمَّ نزلنا عبر نهر «كَهْمَرْد ». وأرْسَلنا سَيِّد أَفْضَل خواب تين والسُلْطَان مُحَمَّد دُلداي إلى السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا ليبلغاه بالنحو الذي تَحَرَّكْنا عَلَيْهِ من «كَابُل». وكان جِهانكير ميرْزا متأخرا وراءنا ومعه حوالي عشرين أو ثلاثين رجلا وأوشكوا على الوصول إلى ناحية «پاميان». فلما اقترب مِنْها رأى الخيام التي تحوى أمتعتنا الثقيلة التي تركناها وراءنا، فظن أننا مازلنا هُنَاكَ، فتراجع وانسحب على الفور. فلما وضلوا مَعَسْكَرهم غادروه من فورهم إلى نواحي «نهر يكه» بدون أن يلتفتوا وراءهم.

انتصار ناصِر ميرْزا على الأُزْبَك:

حاصر شَيْبَاني خان «بَلْخ» وبها السُلْطَان قليچاق[2]، وأرسل سُلْطَانين أو ثلاثة [من أبنائه] وبرفقتهم ثلاثة أو أربعة آلاف رجل لمهاجمة «بَدَخْشان». عِنْدَ ذَلِكَ جاء مباركشاه وزبير وانضما إلى ناصِر ميرْزا(١٨٤أ) رغم ما كان بينهم من خلاف وضغائن. واتخذوا مَوْضِعا فِي « شاخدان » أسفل « كشم » فِي الجانبِ الشرقي من «نهركشم »، أقاموا فيه مع جُنُودهم. ومع طلوع الصبح تجاوز هؤلاء الأُزْبَك« نهر كشم» لمهاجمة ناصِر مِرْزا. فانسحب ناصِر ميرْزا على

---

(١) (٢٤مايو١٥٠٦م – ١٣ مايو١٥٠٧م)

(٢) أحد أمراء حسين ميرزا وكان واليا على بَلْخ وقد اضطر إلى تسليمها إلى شيباني خان.

الفور وصعد التل وجمع رِجَاله وأمر بإطلاق النفير. فلما تقدم الأُزْبَك من التل وتقاتلوا معه هزمهم. وارتفع « نهر كشم » الذي عبره [الأُزْبَك] عِنْدَ مجيئهم. ولقى غالبية رِجَاله [رِجَال شَيْبَاق خان] مصرعهم رميا بالسهام وضربا بالسيوف. ووقع عدد كبير منهم فِي الأسر. وغرق عدد كبير مِن رِجَاله فِي الماء. وكان مباركشاه وزبير بطرف «كشم» فِي مكان أعلى قليلا من المِيرْزا. فطاردوا الأُزْبَك الذين أرسلَهُم [شَيْبَاق خان] إليهم، ودفعوهم للفرار فِي اتجاه التل. فلما انتهى ناصِر مِيرْزا من هزيمة أعدائه، علم بأمر هؤلاء فتقدم نحوهم. كما جمع أمراء « كوهستان» فرسانهم ومشاتهم وتقدموا نحو الأُزْبَك من أعلى، فعجزوا عن القِتَال ولاذوا بالفرار. ومات كثير منهم رميا بالسهام والسيوف، أوغرقا فِي الماء. وربما مات من الأُزْبَك حوالي ألف أو ألف وخمسمائة. وكان هَذَا فتحا مبينا لناصر مِرْزا.

وقد أبلغنا رسول ناصِر مِيرْزا بهذا ونحن فِي وادي «كَهْمَرْد». وأثناء مقامنا هُنَاكَ، توجه جُنُودنا إلى« غورى ودهنه »، وجلبوا لنا مِنْهَا الذخيرة (١٨٤ب)، وهُنَاكَ وصلت رسائل من سَيِّد أَفْضَل الذي أرسَلْناه من قبل إلى «خُراسان»، ومن السُلْطَان مُحَمَّد دُلداي، يبلغونا بخبر وفاة السُلْطَان حُسَيْن مِيرْزا. ولأننا حظينا بشرف الانتساب إلى هَذِهِ الأسرة التَّيْمُورِية، فقد قررنا الاستمرار فِي السَّيْر إلى «خُراسان». والواقع أنه لم يَكُنْ هُنَاكَ أَسْبَاب أخرى لسيرنا هَذَا.

واجتزنا « وادي آجر»، ثُمَّ نزلنا من طريق « توب ومندغان » حَتَّى « بَلْخ آب ». وارتقينا« كوه صاف ». وعلمنا بهجوم الأُزْبَك على « سان وچهاريك »، فأرسَلْنا قاسم بِك بالجند ضد هؤلاء المعتدين الأُزْبَك فحاربوهم وهزموهم. وعادوا برؤوس عدد منهم.

وأرْسَلْنا الرِجَال إلى جِهانكير مِيرْزا والعَشَائِر. وتوقفنا بضعة أَيَّام فِي مرعى « كوه صاف» فِي انتظار الرد. وتكثر الظباء فِي هَذِهِ المناطق، لذا فقد خرجنا للقنص.

وبعد يوم أو اثنين، جاءت كل العَشَائِر وانضمت إلينا. وكان جِهانكير مِيرْزا قد أرسلَ الرِجَال من قبل إلى العَشَائِر أكثر من مرة، وفِي إحدى المرات أرسلَ عماد الدين مسعود، فلم تستجب له العَشَائِر بل انضموا إلينا. وفِي النهاية اضطر المِيرْزاإلى المجيئ إلينا عِنْدَ نزولنا من كوهِ صاف إلى دره باي. ونظرا لانشغالنا بالخطر الذي يحيق بخُراسان، لم نلتفت إلى المِيرْزاأونكترث

بالعَشَائِر، وتقدمنا عبر « كرزوان والمار وقيصار وچيچكتو »، واجتزنا «فخر الدين اولومى» [(١)]، حَتَّى وصلنا إلى المكان المسمى « دره‌ء بام» من مُلْحَقَات « بادغيس ». (١٨٥أ)

ولأن الفتن تعم كل الأنحاء، والجميع يستخدم القوة ويجبى الضرائب من الولاية والنَّاس، فقد وضعنا الضرائب على العَشَائِر والتُرك في جِبَالِ تلك المناطق. وبدأنا فِي جبايتها. وخلال شهر أو شهرين، أمكن جمع ثلاثمائة طومن [(٢)] كيبكى [(٣)].

وقبلنا بعدة أَيَّام كان المغيرون على «خُراسان» ورِجَال ذوالنون بِك قد تمكنوا من دحر مهاجمى الأُزْبَك فِي «بنددهومروچاق »، وقتلوا منهم جمعا غفيرا.

التحرك لمهاجمة شَيْبَاق خان:

قرر بديع الزمان ميْرْزا و مُظَفَّر ميْرْزا ومُحَمَّد بُرُنْدُق وشاه بِك ابن ذو النون أرغون السَّيْر إلى شَيْبَاني خان الذي يحاصر سُلْطَان قلنچاق فِي «بَلْخ». وأرسلوا الرِجَال إلى كل أبناء السُلْطَان حُسَيْن ميْرْزا لاستدعائهم. وتحركوا من «هَرَاة» لهذا الهدف. وعندما بلغوا «بادغيس»، كان عبد المحسن ميْرْزا فِي «چهلدختران» [(٤)] قادما من «مَرْو»، فانضم إليهم. وتلاه ابن حُسَيْن ميْرْزا قادما من « تون وقايين» [(٥)]. وكان كيبك ميْرْزا فِي «مَشْهَد». فأرسلوا له أكثر مِن مرة لكن جوابه كان غير مقنع. وتصرف بِخِسَّةٍ ولم يأت. ومن حِقْدِه على مُظَفَّر ميْرْزا كان يقول:كيف أذهب معه، فليذهب هو مادام هو السُلْطَان. وفِي الوقت الذي اجتمع فيه كل إخوته كبيرهم وصغيرهم (١٨٥ب) واتفقوا على السَّيْر إلى عدو مثل شَيْبَاني خان، إذ به يتصرف بهذا الصلف الذي لا معنى له ولا يأت. وكان عدم مجيئه بدافع الحسد، وقد فسره الجميع على أنه

---

(١) مناطق فِي خُراسان تقع على الطريق بين بَلْخ وهراة.
(٢) وحدة موازين
(٣) عملة من النحاس
(٤) موضع بين اوش وأندجان على مَسَافَة فَرْسَخ من أندجان.
(٥) موضعان جنوب غرب بجوار بحيرة سيستان.

خِسَّة مِنْهُ.فإذا كان للإنسان فِي هَذهِ الدنيا غاية، ويرغب فِي بقاء ذِكره، فالعاقل لا يفعل ما يجعل الخلف يذكرونه يسوء. واللبيب مَن يهتم بعملٍ ما يطيب به ذكره. وقد قيل إن الذكرى للحكماء عُمر ثان.

أما وقد جاءتنى الرسل، ثُمَّ جاء مُحَمَّد بُرُندُق برلاس بنفسه. فما المبرر إذن لعدم ذهابى، وقد قطعت طريقا طوله مائة أو مائة وعشرين فَرْسَخا لهذه الغاية. فتحركت مع مُحَمَّد بِك. وفي هَذهِ الأثناء جاء الأُمَرَاء من «مُرغاب»، وتقابلنا معهم وكان ذَلِكَ فِي يومِ الإثنين الثامن من جمادى الآخر[1].

رسوم التَّيْمُورِيين:

جاء عبد المحسن ميرْزا لاستقبالي على مَسَافَة نصف فَرْسَخ. فلما دَنوْتُ مِنْهُ ترجلتُ عن جوادي وترجل هو فِي المقابل عن جواده، وتقدم نحوى والتقينا ثُمَّ ركبنا الجياد ثانية. وبعد أن سرنا قليلا، جاء مُظَفَّر ميرْزا وابن حُسَيْن ميرْزا لاستقبالنا قريبا من المَعَسْكَر. وكلاهما أَصْغَر سنا من عبد المحسن مِيرْزا. لذا كان من الضروري أن يأتيا قبله [لاستقبالي]. وربما كان تأخرهما هَذَا وتقصيرهما بسبب السكر والسفه، وليس تكبرا منهما أو لإثارة غضبى. وأصر مُظَفَّر ميرْزا أن نلتقى ونحن على ظهور الخيل. والتقينا بنفس الطريقة مع ابن حُسَيْن مِيرْزا. ثُمَّ وصلنا باب بديع الزمان ميرْزا ونزلنا به واجتمع جمع غفير، وبلغ الزحام حد أن كان بعضنا يندفع إلى الأمام ثلاث خطوات أو أربع بدون أن تلمس قدماه الأرض من فرط الزحام. ومن يرغب فِي التقدم إلى الأمام، يجد نفسه مدفوعا إلى الوراء ثلاث أو أربع خطوات رغما عنه.

ووصلنا إلى الخيمة التي اتخذها بديع الزمان ميرْزاديوانا له. وكنتُ عَقَدْتُ أمرى أنه عِنْدَ دخولي خيمة بديع الزمان ميرْزا، أنحنى تعظيما له وبدورِهِ ينهض مِن مكانِه، ويتقدم ناحية القَلْعَة الخارجية، حيث يكون اللقاء. فلما دخلتُ الخيمة، انحنيتُ مرة واحدة وتقدمت، ونهض بديع

(١) قابل ٢٦ أكتوبر ١٥٠٦م.

الزمان مِن مكانه متثاقلا، ومشى بشيء مِن التراخى. وعندئذٍ، جذب قاسم بِك أحد رِجَالي المخلصين ذراعى إلى الوراء، فأدركتُ ما يرمى إليه لأن شرفي شرفه. فأبطأتُ فِي سيرى، والتقينا فِي المكانِ المقرر. وقد وضعوا فِي الخيمةِ البيضاء الكبيرة أربعة مجالس.

ولخيام بديع الزمان ميرْزا البيضاء، باب جانبى، وكان الميرْزايتخذ مكانه دوما بجواره. وقد وضعوا مجلسا بجوار هَذَا الباب، جلس عَلَيْهِ بديع الزمان ميرْزا (١٨٦ب) و مُظَفَّر ميرْزا. وجلستُ وأبو المحسن ميرْزا على مجلس آخر فِي أعلى جهة اليمين، بَيْنَمَا وضعوا مجلسا آخر جهة اليسار فِي مَوْضِع دون مجلس بديع الزمان مِيرْزا، جلس عَلَيْهِ قاسم سُلْطَان من سلاطين الأُزْبَك الشيبانيين ورَجُل الميرْزا، ومعه والد قاسم حُسَيْن سُلْطَان، وابن حُسَيْن مِرْزا. كما وضعوا مجلسا آخر عن يمينى أدنى من مجلسى، جلس عَلَيْهِ جهانْكِير مِيرْزا وعبد الرازق مِيرْزا. وجلس عن يمينه مُحَمَّد بُرُنْدُق بِك وذوالنون بِك وقاسم بِك، فِي مكان أدنى قليلا من قاسم سُلْطَان وابن حُسَيْن مِيرْزا.

وقدموا الطَّعَام. ووضعوا مائدة فِي المكان المعد للطعام، ولم يَكُنْ هُنَاكَ مجال للحديث، وصَفُّوا أكواب الذهب والفضة فوق المائدة. وكانت مقدماتهم تظهر احتراما كبيرا لعادات جَنْكِيزْخَان وآبائنا، وكانوا فِي المجلس وفِي الوليمة لا يأتون بما يخالف ما تعارفنا عَلَيْهِ فِي القيام والجلوس.

وعُرْف جَنْكِيزْخَان ليس قانونا قاطعا يلزم العمل به بِشَكْلٍ محقق. لكن إذا سن أحد سنة حسنة، فينبغى العمل بها، وإذا سن الآباء سنة سيئة، فينبغى استبدالها بسنة حسنة[١].

وبعد الطَّعَام، امتطيتُ الجواد إلى حيث نزلنا. ويقع معَسْكَرنا على مَسَافَة ميلين (١٨٧أ) عن معَسْكَر الميرْزاوات [الأُمَرَاء].

ولم يظهر بديع الزمان ميرْزا لدى مجيئى فِي المرة، ذَلِكَ الاحترام الذي أظهره لنا فِي المرة الأولى. وهذا ما دفعن ى إلى القول إلى مُحَمَّد بُرُنْدُق بِك وذوالنون بِك إننى وإن كانت سنى

(١) تضمين لمعنى الحديث النبوي الشريف.

صغيرة، إلا أن مقامي كبير. فقد قاتلت واسترجعت عرش والدنا فِي «سَمَرْقَنْد» مرتين، وهُنَاكَ عرشي. فمن مثلي خاض صراعا مع عدو غريب مِن أجْلِ هَذِهِ الأسرة كالذي خُضْتُه؟! لذا لا يليق التأخر فِي إظهار التعظيم لي، وبهذه الكلمات الحكيمة، اعترفوا بتقصيرهم، وأدوا التحية لي بالشكل اللائق.

وذات مرة، ذهبتُ إلى بديع الزمان ميرْزا فأقام بعد الظهر مجلسا للشراب. وكنتُ حَتّى ذَلِكَ الحين لا أشرب الخمر. وكان المجلس جميلا بهيجا. وقد وضعوا على المائدة كل أنواع الطَّعَام والشراب اللازمة للشراب، كما قدموا الدجاج والأوز المشوى ومختلف أنواع الطَّعَام. وكانوا يثنون دوما على مجالس بديع الزمان ميرْزا. وكانت جلسة هادئة وهنية. وقد حضرتُ مثل هَذِهِ المجالس التي يقيمها الميرْزامرتين أوثلاث أثناء وجودنا على ضَفَّة «مُرغاب». ولم يعرضوا علي الشراب لعلمهم بامتناعي عن شرب الخمر. وذات مرة شاركتُ فِي مجلس مظفر ميرْزا، وكان يحضره حُسَيْن علي جلاير ومير بدر.(١٨٧ب) فلما ثمل مير بدر رقص رقصا جميلا. وكان هَذَا الرقص على الأغلب من ابتكاره.

التحرك من هَرَاة:

اجتمع الأُمَرَاء واتفقوا على التحرك من «هَرَاة». ومضت ثلاثة شهور أو أربعة حَتَّى بلغوا «مُرغاب». وكان الأُزبَك قد حاصروا سُلْطَان قلنچاق، فاستسلم لَهُم وسلمهم قلعة «بَلْخ». ثُمَّ علم الأُزبَك بأمر [تحرك] الأُمَرَاء، فانسحبوا إلى «سَمَرْقَنْد». والحق أن هؤلاء الأُمَرَاء لم يكونوا يقصرون فِي الحديث وإقامة المجالس ومخالطة النَّاس، لكنهم كانوا فِي العَسْكَرية يفتقرون إلى الشجاعة والقدرة على القِتَال.

وأثناء مقامنا فِي «مُرغاب»، علمنا أن "خَقْنَظَر چيبان" جاء مع أربعمائة رجل أو خمسمائة، ونهبوا منطقة چيچكتو. ورغم أن كل الأُمَرَاء كانوا متأهبين ويمكنهم عمل شيء، إلا أنهم لم يَسْتَطِيعوا إرسال المغيرين للتصدي لهؤلاء المعتدين رغم أن المسافة بين «جيجكتو» و«مُرغاب» عشرة فَرَاسِخ. وأردت أن آخذ هَذَا الأمر على عاتقي. فلم يسمحوا لي بهذا معتبرين المسألة مسألة كرامة.

مواصلة التحرك ضد شَيْبَاق خان:

عِنْدَمَا يعاود شَيْبَاق خان [التحرك] مرة أخرى، سيكون العام تقريبا فِي نهايته. لذا قرر الأُمَرَاء أن ينتقلوا إلى مكان مناسب لقضاء فصل الشتاء على أن يستأنفوا التحرك معا فِي الربيع لدفع العدو. واقترحوا علي قضاء الشتاء فِي «خُراسان». وكانت قبائل كَثِيرَة وجماعات غفيرة من الترك والمُغُول ومن مختلف قبائل وشعوب الأَفْغَان والهزاره (١٨٨أ) قد تجمعت هُنَاكَ بسبب ما فِي «كَابُل» و «غَزْنَة» من اضطرابات. وطريق الجبل هو أقصر الطرق بين «خُراسان» و «كَابُل»، ولم يعوقه الجليد والثلوج ومسيرته تستغرق مسيرة شهرا. أما السَّيْر عبر السهل فإنه يستغرق أربعين أو خمسين يوما. والولاية لم تخضع لنا بعد خضوعا تاما، وليس هُنَاكَ من أنصارنا من يستصوب بقاءنا هنا [فِي هَرَاة]. وأبدينا عذرنا للمِيرْزاوات. لكنهم لم يقبلوه. بل ازدادوا إصرارا. وكلما التمسنا منهم العذر، كلما ازداد تمسكهم برأيهم. وفِي النهاية جاء بديع الزمان ميرْزا وأبو المحسن ميرْزا و مُظَفَّر ميرْزا إلى خيمتي، واقترحوا قضاء فصل الشتاء هنا. ولم نستطع أن نقول للمِيرْزاوات لا. فقد جاء هؤلاء السلاطين بأنفسهم. واقترحوا البقاء هنا وكانت رغبتهم قوية فِي مشاهدة «هَرَاة» التي لا نظير لها فِي الأماكن المأهولة بالبشر، خاصة فِي زمن السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا فقد تضاعف جمالها وتألقها عشرة أضعاف بل تضاعفا عشرين مرة تحت إدارته. لهذا قبلنا البقاء هنا. وذهب ابو المحسن ميرْزا إلى ولايته فِي «مَرْو». كما ذهب ابن حُسَيْن ميرْزا إلى تون وقايين وتحرك بديع الزمان ميرْزا و مُظَفَّر ميرْزا إلى «هَرَاة». وبعد يومين أو ثلاثة أَيَّام، تَحَرَّكْنا تباعا فِي أعقابهم إلى «هَرَاة» عبر «جيل دختران» و«تاش رباط».

واجتمعت السَيِّدات پَايَنْدَه سُلْطَان، وعمتي البيجوم خديجة وآفاق[1]، وبنات السُلْطَان ابو سَعيد مِيرْزا فِي مدرسة السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. كل السَيِّدات كن عِنْدَ قبر المِيرْزا. (١٨٨ب) فذهبتُ إليهن. وقمتُ أولا بتحية البيجوم پَايَنْدَه سُلْطَان بالانحناء تعظيما لها، ثُمَّ

(١) فِي التركية والإنجليزية البيجوم آباق.

حييتُ البيجوم آپاق دون أن أنحنى[١]. ثُمَّ حييتُ البيجوم خديجة بالانحناء تعظيما لها. وجلستُ بعض الوقت، وبعد أن تلا الحفاظ بعض آيات الذكر الحكيم، توجمنا إلى المدرسة الكائنة فِي الطرف الجَنُوبِيّ من خيمة البيجوم خديجة. وأكلنا من الطَّعّام الذي أرسلته، وبعد الطَّعّام، ذهبتُ إلى منزل البيجوم پَايَنْدَه[٢]. وأمضيتُ الليلة هُنَاكَ. وكانوا قد أعدوا لي مسبقا مكانا فِي «باغِ نَو». فتوجمتُ إليه فِي اليوم التَّالِي. وأمضيتُ فيه ليلة. ثُمَّ رأوا أنه مكان غير مناسب، فاختاروا لنا بيوت عَلِيشِير بِك. وأقمتُ فيها إلى أن غادرت «هَرَاة».

وكنتُ أذهبُ كل يومين أو ثلاثة أَيَّام وألتقى ببديع الزمان ميرْزا فِي « باغِ جهان آرا ». وبعد بضعة أَيَّام دعانى مُظَفَّر ميرْزاإلى بيته فِي « باغِ سفيد »، وكانت البيجوم خديجة هُنَاكَ. وصاحبنى جِهانْكير مِيرْزا. وبعد تقديم الطَّعّام لنا فِي حضور البيجوم خديجة، صحبنا مُظَفَّر ميرْزا إلى العمارة المسماه « طَرَب خانه » والتي ابتناها بَابُرمِيرْزا، واقام مجلسا للشراب هُنَاكَ.

وصف طرب خانة:

تقع طرب خانه فِي وسط الحَدِيقَة وتتكونة من طابقين وصغيرة بعض الشيء لكنها جميلة جدا. وكان الطابق العلوى مِنْها بالغ الزينة. به أربع حجرات فِي أركانه الأربعة. (١٨٩أ) يتوسطها تماما بين الحجرات فناء على شكل أربعة أروقة، وكل ضلع مِن هَذَا البيت تزينه الرسومات. والواقع أن بَابُر ميرْزاهو الذي أمر بِبَناء هَذهِ العمارة لكن الرسومات تم عملها بأمر السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا، وصور بها معاركه وحروبه. وقد وضعوا مصطبتين متقابلين فِي الرواق الذي فِي الطرف الشمالي. وكان جانبا المصطبتين يتجهان ناحية الشمال. فجلست على إحداهما ومعى

---

(١) يبدوحرص بابر على ذكر عدم انحنائه لها غريبا إذ سبق أن قَالَ إنه كان يظهر لها التقدير والاحترام بقدر استطاعته، ولعل هَذَا لكونها لم تنجب من حسين ميرزا، فِي حين أنه ذكر انحناءه للسيدة پَايَنْدَه لكونها ابنه ابو سَعِيد ميرْزاوأم الأمير حيدر ميرزا وكذلك انحناءه للسيدة خديجة بيكم رغم أنها كانت جارية للسلطان حسين ميرزا، وقد كانت شيعية ذات دهاء كما وصفها بابر، لكنه انحنى لها، ولعل هَذَا لكونها أما لاثنين من الأمراء من البيت التيمورى هما مُظَفَّر حسين ميرزا وشاه غريب ميرزا.

(٢) مبيت بابر فِي بيت پَايَنْدَه سلطان لكونها من نساء البيت التيمورى.

مُظَفَّر ميرْزا وعلى الأخرى جلس السُلْطَان مسعود ميرْزا وچهانكير مِيرْزا. ولأننا كنا ضيوفا فِي بيت مُظَفَّر ميرْزا، فقد أجلسني فِي مكان أعلى مِنْهُ قليلا. وكان السقاة يملأون الأقداح ويطوفون بها على من فِي المجلس الذين بدأوا بدورهم فِي الشراب وكَأَنَّهُم بشربون ماء الحياة. وحمى إوار المجلس، ولعبت الخمر بالرؤوس. وكانوا قد عقدوا العزم على دفعي للشراب والانخراط فِي دائرته.

بدء بَابُر فِي تناول الشراب:

حَتَّى ذَلِكَ الوقت، لم أشرب الخمر إلى الحد الذي يدير رأسي. ولم أخبُر حال السكر، لكن الرغبة فِي الشراب كانت تعتمل بداخلي، ويود قلبي خوض ذَلِكَ الغمار. فلم تتحرك بداخلي فِي الصغر الرغبة فِي الشراب. ولم أعرف كيف يكون. وأحيانا كان أبي يقترحه علي، فكنتُ أستميحه عذرا ولا أقبل. (١٨٩ب) وبعد أبي غلب علي الزهد والتقوى بتأثير الخوجه القاضي. ولم أكن أتجنب الشراب فقط، بل كل طعام فيه شبهة. وبعد ذَلِكَ وبتأثير هوس الشباب وهوى النفس، تولد لدي الميل للشراب. لكن لم يَكُنْ هُنَاكَ من يعرضه [عَلَيْنا]، ولم يَكُنْ هُنَاكَ من يعلم بهذا الهوى الذي يعتمل بداخلي بحق. لكن الأمر المشكل أن أشبعه من تلقاء نفسي. وكنتُ أحدثُ نفسي قائلا: "ماداموا يعرضون على الشراب، ونحن فِي مدينة مثل «هَرَاة» حيث كل أسْبَاب اللهو ووسائله جاهزة ومهيأة، وكل أسْبَاب التنعم والرفاهية حاضرة، فمتى أشرب إذن إن لم اشرب الآن!؟". وقررتُ أن ألج هَذَا الوادي وأشرب. لكنى حدثتُ نفسي: إن بديع الزمان ميرْزا [فِي منزلة] الأخ الكبير. وأنا لم أخذ الخمر من يده ولم أشربها، فإذا شربتها فِي بيت أخيه الصغير، فلربما جال بخاطره شيء. وذكرتُ لَهُم ترددى هَذَا. ورأوه معقولا. وبالتَّالِي لم يعرضوه علي مرة أخرى فِي هَذَا المجلس. وقررت أن أشرب عِنْدَمَا يجتمع بديع الزمان ميرْزا ومُظَفَّر ميرْزا فِي مجلس واحد ويعرضانه علي.

مجالس الصُّحْبَة عِنْدَ التَّيْمُورِيِين:

وكان يحضر هَذَا المجلس حافظ حاجى، وجلال الدين محمود نائى، وهما من الموسيقيين.

(١٩٠أ) وكان غلام بجه الأخ الأصْغَر لغلام شادى يعزف على الجنك[١]، كما غنى حافظ شادى غناء جميلا. فأهل «هَرَاة» يغنون غناء خفيفا رقيقا سليما. وكان لدى الميرْزامغنٍ من «سَمَرْقَنْد» اسمه ميرجان، غناؤه خشن، و[صوته] جهوري نشاز. فلما انتشى جهانكير مِيرْزا، أمره بالغناء، فغنى بصوته المرتفع الحاد غناء يخلو من الذوق. والخُراسانيون قوم فيهم ظرف، فمنهم من سد أذنيه، ومنهم من قطَّب وجهه عِنْدَ سماع غنائه لكن أيا منهم لم ينبث بِبَنت شفه لوجد المِيرْزا.

وبعد المساء، رجعنا إلى المنزلِ الشتوى الذي ابتناه مُظَفَّر مِيرْزا مجددا. فلما بلغناه، كان يوسف علي كُوكَلْداش ثمِلا، فقام ورقص. وهو رجلٌ من بيتٍ عريق، وقد رقص رقصا جيدا. وفي هَذَا المنزل حمى إوار المجلس حَتَّى بلغ منتهاه. وقد أهدانىّ مُظَفَّر ميرْزاسيفا ذا حزام، وملابس مدرعة بجلد الثور، وجوادا أصيلا رمادى اللون.كما غنى جانيك أغنية. وكان لمظفر ميرْزا ابنان هما كته ماه، وكجيك ماه، فلما ثملا أحدثا هرجا، وهزلا هزلًا مجافيا للذوق. واستمر هَذَا اللهو حَتَّى حلول الليل، ثُمَّ انفض المجلس. وقد أمضيت ليلتى في هَذَا المنزل.

وعلم قاسم بِك بأمر عرضهم الشراب علي، فأرسل إلى ذو النون رجلا تكلم مع الأُمَرَاء بجفاف وكأنه ينصحهم بأن يكفوا عن عرض الخمر علي. (١٩٠ب)

وكان بديع الزمان ميرْزا قد سمع بالوليمة التي أقامها مُظَفَّر مِيرْزا، فأعد مجلسا في مقوى خانه في حَدِيقَة باغِ چهان آرا، ودعانى إليه، كما دعا بعض خواص رِجَالنا وفتياننا. وهؤلاء تحرجوا من شرب الخمر لحضورى. وكان من دأب هؤلاء الرِجَال عِنْدَمَا يشربون، وهو أمر لم يحدث سوى مرة واحدة خلال شهر أو أربعين يوما، أن يغلقوا عَلَيْهِم الأبواب، ويشربوا بنَهَمٍ شديد. وكذَلِكَ عِنْدَ مجيئنا إلى هَذَا المكان، كانوا يشربون وقد اتخذوا كل أَسْبَاب الحيطة، فكانوا يشربون إما في غفلة منى أوخفية. والحق أننى أذنتُ لرجَالي الحاضرين المجلس [بتناول الشراب] لأن المجلس لرجل في مقام والدنا أو أخونا الكبير. وجاءوا بالسمار وقطعوه شرائح رقيقة

(١) آلة موسيقية تشبه القانون.

تناسب قامة كل منهم، وعلقوه بين شعورهم ولا أعرف هل كانت شعورهم طبيعية أومصطنعة. لكنها كانت جميلة المنظر. وقد وضعوا أمامي فِي هَذَا المجلس إوَزا مشويا. ولم يَكُنْ قد سبق لي أن قطعتُ لحم الطير إلى شرائح، لذا لم أبسط يدى إلى الطَّعّام. فقال بديع الزمان ميرْزالم لا تمد يدك فقلت: لا أعرف كيف أقطع لحم الطير، فتناول الأوزة التي أمامي وقطعها شرائح، ثُمَّ وضعها أمامي مرة أخرى (١٩١أ) وكان بديع الزمان ميرْزانسيجا وحده فِي مثل هَذهِ الأمور. وفِي نهاية المجلس أهدى إلي خنجرا مرصعا ذا حزام، وقطعة فراء وجوادا أصيلا.

مشاهدات بَابُر فِي هَرَاة:

فِي الأَيَّام العشرين التي قضيناها فِي «هَرَاة»، كنا نتجول كل يوم على ظهورِ الجيادِ فِي الأماكن التي لم نشاهدها من قبل، وأينما حللنا كان يوسف علي كُوكَلْداش مرشدنا فِي هَذهِ الجولات يقدم لنا نوعا جديدا من الطَّعّام. ولم نترك مكانا من الأماكن المشهورة إلا وشاهدناه فِي هَذهِ الأَيَّام العشرين[١] ما عدا تكية السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا. فقد تفرجنا على مسار وحَدِيقَة عَلِيشِير بِك، وجواز كاغد، وتخت آستانه، وبل كاه، وكهدستان، وحَدِيقَة نظركاه، ونعمت آباد، ومسار خيابانى، وحظيرة السُلْطَان أَحْمَد مِيرْزا، وتخت سفر، وتخت نوائى، وتخت بركر، وتخت حاجى بِك، وأضرحة ومزارات الشَّيْخ بهاء الدين عُمَر، والشَّيْخ عز الدين، ومولانا عبد الرحمن [الجامي]، ومصلي مختار، وحوض ماهيان، وساق سلمان، والبلوري الذي كان يسمى من قبل أبا الوليد والإمام فخر، وباغِ حيات، ومقابر الميرْزاومدارسه، ومدرسة البيجوم كوهر شاد ومقبرتها ومسجدها الجامع، وباغِ زاغان، وباغِ نو، وباغِ زبيدة، والقصر الأبيض الذي ابتناه السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا خارج باب العراق، (١٩١ب) وبوران، وصفة تيراندازان، وجرغالانك، ومير واحد، وپل مالان، وخوجه طاق، وباغ سفيد، وطربخانه، وباغِ جهان آرا، والكوشك، ومقوى خانه، وسوسنى خانه، ودوازده، والحوض الكبير الواقع شمال « جهان آرا»، والعمائر الأربعة الواقعة فِي الجهات الأربع، والباب الأمامي للقلعة، وباب الملك، وباب العراق،

---

(١) جاءت فِي الترجمة الإنكليزية أنها أربعون يوما.

وباب فيروز آباد، وباب خوش، وباب القبجاق، وسوق الملك، وچار سو، ومدرسة شيخ الإسلام، والمسجد الجامع للملوك، وباغِ شهر، ومدرسة بديع الزمان ميرْزا الواقعة عِنْدَ ضَفَّة جوى انجيل، ومنازل عَليشِير بِك، التي يقيم فيها واسمها « أُنسية »، وقبره والمسجد الجامع المسمى « قُدسية »، ومدرسته وخانقاهه المسماة الخلاصية والإخلاصية، والحمام ودار الشفاء المسماة الصفائية والشفائية، وقد شاهدتُ كل هَذهِ الأماكن فِي هَذهِ الفترة القصيرة.

وكانت البيجوم حبيبة سُلْطَان بسبب هَذهِ الاضطرابات قد جاءت من قبل إلى «خُراسان» وأحضرت معها ابنتها البيجوم معصومة سُلْطَان أَصْغَر بنات السُلْطَان محمود مِيرْزا. فلما ذهبتُ لزيارة پَايَنْدَه سُلْطَان، وكنتُ أدعوها أختي الكبيرة، جاءت [معصومة سُلْطَان] مع أمها، فلما وَقَعَت عيني عَلَيْها، تحرَّكَ بداخلي ميلٌ شديدٌ إليها، فقررتُ أن أُرسلَ بعضَ الرِجَال سرا ليتكلموا فِي الأمرِ مع پَايَنْدَه سُلْطَان وحبيبة سُلْطَان زوجة خالي. ولكي يخطبوا لي ابنة خالي، ثُمَّ يلحقوا بي فِي «كَابُل».

مغادرة بَابُر هَرَاة:

كان السُلْطَان محمود بُرُندُق بِك، وذوالنون بِك، يجتهدان بحماس شديد لأقضى فصل الشتاء هنا [فِي «هَرَاة». لكنهما لم يعدا المكان لهذا ولم يوفرا الأَسْبَاب اللازمة له كما يجب. وجاء الشتاء، ونزل الثلج هنا على الجِبَال، وتَكَالَبَت عَلَيْنَا الصعاب من جراء «كَابُل». أما هم فلم يوفروا لنا مكانا يأوينا فِي الشتاء، كما لم يشيروا عَلَيْنَا بمكان يصلح مشتى لنا، وفِي النهاية كنا مضطرين [لمغادرة هَرَاة] ولم نستطع أن نذكر سبب خروجنا صراحة، وتعللنا بالخروج لقضاء فصل الشتاء.

وَغَادَرْنَا «هَرَاة» فِي السابع من شهر شعبان[1]. وأثناء ارتحالنا كنا نتوقف ليوم أو يومين فِي منزل نزلنا به بجوار «بادغيس» فِي انتظار أن يلحق بنا من ذهبوا لجباية الأموال من الولايات، أو لعمل من الأعمال الصعبة. وتحركنا ببطء حَتَّى أننا ما أن قطعنا منزلا أو منزلين من

---

(١) الموافق ٢٤ ديسمبر ١٥٠٦.

«لنكر مير غياث»، إلا وكان هلال رمضان قد ظهر[1].

وجاء بعض من الفتيان الذين ذهبوا إلى الولايات في بعض الأعمال الصعبة، وانضموا الينا، وجاء البعض الآخر بعد عشرين يوم أو شهر أثناء وجودنا في «كَابُل»، وظل آخرون هُنَاكَ [في هَرَاة] والتحقوا بخدمة المِيرْزاوات [الأُمَرَاء]. وكان من هؤلاء سَيِّديم علي دَرْبان.

ولم يبلغ إكْرامى لأحد مِن رِجَال خُسْرو شاه مثل إكْرامى لهذا الرجل. وعندما ترك جِهانْكير مِيرْزا «غَزْنَة» وغادرها، تركها لسَيِّديم هَذَا. وقد تركها بدوره إلى دوست انكوشيخ شقيق زوجته. (١٩٢ب) ولحق بالجَيْش. والحق أنه ليس بين رِجَال خُسْرو شاه أحد يشبه هذين الرجلين سَيِّديم علي دَرْبان ومحب علي القورجي.

وكان سَيِّديم علي رجلا دمث الخلق، طيب المسلك. شجاعا في المبارزة بالسيف، يقيم المجالس والسمر في بيته بغير كُلفة. سخيا قديرا في إدارته، يحسن التقدير. خفيف الظل، حَسَن الصُّحْبَة والمعشر، طيب السجية، يحب المزاح. ولا يعيبه سوى إسرافه في الفسق، وعشقه للغلمان، كما كان غير مستقيم في مذهبه. به ميل للنفاق. وكان بعض النَّاس يرجعون نفاقه هَذَا إلى مزاجه. لَكِنَّهُ اتهام لا يخلو من سبب. فبعد استيلاء بديع الزمان ميرْزا على «هَرَاة» من شَيْبَاق خان، جاء [سَيِّديم علي] إلى شاه بِك، وتكلم بما يوقع الشقاق بين المِيرْزاوشاه بِك، فأمر المِيرْزابقتله، وألقى به في «نهر هِرمند». أما حكاية محب على القورجي، فسوف نذكرها في نهاية الوقائع.

محنة الشتاء في الطريق إلى كَابُل:

اجتزنا لنكر ميرغياث، وبلغنا «چخچران»[2] من أعلى قرى نواحي «غُرجستان»، وكلها يكسوها الجليد. وكان تراكم الثلج يزداد شيئا فشيئا. وكانت «چخچران» تخص ذو النون بِك، وبها رجل مِن رِجَاله يدعى ميركجان ايردى. وابتعنا كل حصاد ذو النون بِك بثمنه. فلما

---

(١) جاءت في الفارسية   بعد أن اجتزنا لنكر مير غياث بمشقة كنا في الثاني أوالثالث من رمضان

(٢) مركز ولاية الغور.

تقدمنا [مسيرة] منزل أو اثنين مِن «چخچران»، تزايد الثلج على غير المألوف، وارتفع حَتَّى جاوز ركاب الخيل، (١٩٣أ) بل إن ساق الجواد فِي منازل كَثِيرَة ما كانت لتلامس الأرض. فالثلوج تتساقط بغير انقطاع. وتكرر هَذَا بعد أن تجاوزنا «چراغ»، حيث كان الطريق غير مألوف لنا.

وبجوار «لنكر مير غياث» ، تَشَاوَرْنا فِي أمرِ الطريقِ الذي سَنَسْلكه إلى «كَابُل». واتفقْتُ وأكثر من معي على أن طريقَ الجبلِ محفوف بالمخاطر بسبب فصل الشتاء، كما أن طريقَ «قَنْدَهار» بعيد شيئا ما. ولكنه مأمون. وقال قاسم بِك إن «قَنْدَهار» بعيد، فلنسلك هَذَا الطريق [أي طريق الجبل] فدل هَذَا على ضعف خبرته.

وسلكنا الطريق الذي اقترحه [قاسم بِك]، واتخذنا رجلا من البِشائية[1] اسمه پير سُلْطَان دليلا لنا. لَكِنَّهُ ضل الطريق بنا. ولا أعرف هل كان هَذَا لكبر سنه، أو بسبب الخوف، أم كثرة الثلوج. ولأننا سلكنا هَذهِ الطريق باقتراح قاسم بِك، فقد رأى الأمر يمس كرامته، وتولى هو وأبناؤه إزاحة الثلج، وشق طريق لنا. وفِي يَومٍ ازداد الثلج على غير المألوف، وسد الطريق، وعجزنا عن السَّيْر رغم تكرار محاولاتنا. ولما انقطع بنا السبيل رجعنا من حيث أتينا، ونزلنا فِي مكان مشجر، واتبعنا حوالي سبعين أو ثمانين من الفتيان الأكفاء، واستعنَّا بِواحِدٍ من الهزارة الذين يقضون الشتاء أسفل الوادي ليكون دليلنا. وتوقفنا هُنَاكَ ثلاثة أو أربعة أَيَّام فِي انتظار مجيئ من ذهبوا. ولم يأت هؤلاء برجل يمكن أن يكون دليلا جيدا. (١٩٣ب) فتوكلنا على الله يتقدمنا سُلْطَان بشائى، وخُضنا نفس الطريق الذي رجعنا مِنْهُ لعدم العثور على الطريق. وقد عانيا مشقة واضطراب لا نظير له لعدة أَيَّام وقلّما عانينا مثل هَذهِ المشقة من قبل. وعندئذ نظمتُ هَذَا المطلع:

هل فِي الدنيا ظلم لم أُكابده أو جفاء
وهل بها ألم لم يقاسه قلبى العليل أو بلاء

---

(١) البشائية قبيلة تسكن ولاية كابُل.

ودمنا أسبوعا تقريبا نزيح الثلج ونسير. وكنا لا يمكننا السَّيْر فِي اليوم الواحد أكثر من فَرْسَخ أو فَرْسَخ ونصف. وتوليتُ إزاحة الثلج ومعي حوالي عشرة أو خمسة عشر من الخَوَاص، وقاسم بِك وابناه تنرى بِرْدي وقنبر علي وحوالي رجلين أو ثلاثة مِن رِجَال أحدهم. وكنا نسير على أقدامنا ونزيح الثلج. وكل واحد منا يتقدم سيرا على قدميه مَسَافَة سبعة أو ثمانية أو عشرة أذرع، ومع كل خطوة يزيح الثلج الذي يغطيه حَتَّى خصره وصدره. وبعد التقدم بضع خطوات، لايحتمل الذي فِي المُقَدِّمَة فنتوقف ويتقدم رجل آخر.

وكان هؤلاء الرِجَال الذين يتراوح عددهم بين عشرة أو خمسة عشر أو عشرين رجلا، يسيرون على أقدامهم، ويزيحون الثلج، وبعد ذَلِكَ يمكن لجواد لا يحمل أثقالا أن يمر مِن هَذِهِ الطريق لمسافة تتراوح بين عشر أو خمس عشرة خطوة، ثُمَّ يغوص فِي الثلج شيئا فشيئا حَتَّى يبلغ الثلج ركابه أو أعلى سرجه، ثُمَّ ينكسر. فيسحبونه إلى ناحية، ويتقدم جواد آخر بغير أثقال. وعلى هَذَا النحو قمنا بإزاحة الثلج وكان عددنا بين عشرة أو خمسة عشر رجلا. (١٩٤أ) بَيْنَمَا يقوم الآخرون بجر جيادهم. أما الفتية الممتازون، وكل من يحمل لقب أمير، فلم ينزلوا عن ظهور جيادهم، وسلكوا الطريق الممهد الذي أعددناه والخجل يكسوهم. فما كان الوقت وقت تكليف الآخرين أو إجبارهم. فكل جرئ صاحب همة يقوم بمثل هَذِهِ الأعمال طواعية واختيارا.

بهذه الطريقة، أزحنا الثلج، وفتحنا طريقا، وخلال ثلاثة أَيَّام أو أربعة، وصلنا من المكان الذي نزلنا به إلى كهف يطلق عَلَيْهِ اسم «خوال قوتى» فِي سفح «دَرْب زرين». وكان ذَلِكَ اليوم يوم محنة. وغَشِيَت رهبةُ الموت الجميع. ويسمى أهل المنطقة هَذَا الكهف وشقوق الجبل «خوال». ولما نزلنا عِنْدَ الكهف، كان الثلج كثيفا والطريق ضيقا، والجياد تسير بِصُعُوبَةٍ فِي الطرق التي فتحناها وأزحنا عنها الثلج. واليوم فِي الشتاء قصير جدا، فوصل رِجَال المُقَدِّمَة إلى الكهف عِنْدَ النهار، واستمر وصول بقيتهم حَتَّى المساء وحلول الظلام. ثُمَّ استقر كل واحد منهم حيث مكانه، وظل الكثير منهم فوق ظهور جيادهم إلى الصباح.

كان الكهفُ يبدو ضيقا، وأنا أمامه أجرف الثلج، وهيأتُ لنفسى مكانا أستند عَلَيْهِ.

وحفرتُ فِي الثلج حفرة تكفيني بعمق يصل إلى صدري. وصارت هَذهِ الحفرة ملجأ يأويني من الريح. وآويتُ إليها، وكلما سألوني أن آوي إلى الكهف، كنتُ أمتنع وأحدثُ نفسي، أنه ليس من المروءة أواللياقة أن أخلد إلى النوم فِي مكان دافئ، بَيْنَما الجميع عرضة للثلج والعواصف، أو أنعم أنا بالرفاهية، وهم يكابدون المشاق والمعاناة. فينبغي أن أعاني ما يعانون وأكابد ما يكابدون مهما كانت المشقة، وأن أحتمل ما يحتملون، وأصمد كما يصمدون، والمثل الفارسي يقول: إن الموت مع الأصدقاء عيد.

وآويتُ إلى الحفرة التي هيأتها لنفسي فِي هَذهِ العاصفة الثلجية، واستمرت العاصفة إلى المغرب وأنا منكمش على نفسي، والثلج يتراكم فوق ظهري ورأسي وأذني حَتَّى بلغ أربعة أصابع. وفِي تلك الليلة، تجمدت أذناي. وعند المغرب فحصوا الكهف جيدا، ثُمَّ صاحوا بنا إن الكهف واسع جدا، ويكفينا جميعا فلما سمعتهم، نفضتُ الثلج مِنْ فَوْقِي، وآويتُ إلى الكهف، وناديتُ الأُمَرَاء الذين كانوا حوله، إذ المكان يتسع لأربعين أو خمسين رجلا، لينالوا قسطا من الراحة. وجاء كل واحد منهم بما لديه من طعام ولحم مطهي ومشوي، واحتمينا جميعا من البرد والعاصفة الثلجية، بمكان دافئ وآمن ومريح.

وسكنت العاصفة فِي اليوم التَّالِي، وارتحلنا مبكرا، وظللنا نزيح الثلج ونشق الطريق على نفس المنوال، ثُمَّ اعتلينا الربوة، وإذ بالطريق يصعد إلى أعلى الجبل ملتو غير واضح. (١٩٥أ) وكانوا يسمون هَذَا الجبل «كوتلِ زرين»، ونزلنا بطريق الوادي دون أن نصعد إلى أعلى. ولما بلغنا سفح الربوة كان الوقت قد تأخر جدا. وأمضينا الليلة فِي مدخل الوادي. وكانت تلك الليلة قارسة البرودة على نحو غير مألوف، وقضينا الليلة نكابد صنوف الألم والعناء. وتساقطت أطراف الرِجَال من شدة البرد فِي تلك الليلة، فمنهم من فقد ذراعه، ومنهم من فقد ساقه. فتجمد ساق "كپه"، وتجمدت يد سيوندوك التُرْكُمانى، كما تجمدت ساق آحى من شدة البرد.

ولما كنا نعرف أن الطريق غير واضحة لنا، فقد توكلنا على الله فِي اليوم التَّالِي، واتجهنا صوب أسفل الوادي. ونزلنا من أماكن شديدة الانحدار مليئة بالجروف الهاوية. وفِي اللّيْلِ

خرجنا إلى مدخل الوادي. ولم يدر بخاطرنا أن شيخا طاعنا في السن يمكنه اجتياز هَذَا الدَّرْب المغطى بالثلوج. فِي هَذَا الفصل من السنة ولم يجل بخاطر أحد أبدا أن يمر مِن هَذَا الدَّرْب. والحق أننا عانينا محنا كَثِيرَة من فرط الثلوج. على أن هَذهِ الثلوج الكثيفة ستؤدي بنا فِي نهاية الأمر إلى مَوْضِع نتحذه منزلا. ولولا هَذَا القدر من الثلوج، ما كان لأحد أن يجتاز مثل هَذَا الطريق المجهول على رأس جرف هاو شديد الانحدار. (١٩٥ب) فإذا لم يَكُنْ الثلج بهذه الكثافة، فربما تركنا النَّاس والخيل والإبل كلها فِي الجرف الذي اجتزناه أولا.

كل ما سيأتي من خير وشر، سيؤدى مع الحذر إلى خير العمل

الهجوم على الهزارة:

كان الوقت عصرا عِنْدَمَا هبطنا «وادي يكه»[1]. وقد علم أهل «يكه» بأمرنا بمجرد نزولنا الوادي. حيث كانت البيوت الدافئة، والأغنام السمينة، والعشب والعلف الجاف لجيادنا والحطب اللازم للتدفئة،كلها كَثِيرَة متوفرة. وكانت البيوت الدافئة التي أوينا إليها من الثلج والبرد، منجاة لنا من هذة المعاناة وهذا البلاء؛ كما أن هَذَا الخبز الوفير، والخراف السمان، وهذه الراحة أمر لايعرف قيمته سوى من كابد ما كابدناه. لقد كانت راحة يعرفها فقط من قاسوا ما قاسيناه من مِحَنٍ.

وَغَادَرْنَا «وادي يكه»، وقلوبنا فرحة وخواطرنا مطمئنة بعد أن أمضينا به يوما، وقطعنا من الطريق مَسَافَة منزلين ثُمَّ نزلنا مرة ثانية. وفِي اليوم التَّالِي، كان يوم عيد الفطر. وبعد ذَلِكَ سرنا من أعلى «بَامْيَان»، مجتازين دَرْب «شبِرتو»، ونزلنا عِنْدَ «چنكلك» . وكان هزارة التُّرْكُمان قد جاءوا بعشائرهم ومتاعهم لقضاء الشتاء على طريقنا هَذَا. ولم يكونوا يعلمون عن أمرنا شيئا. وَغَادَرْنَا مكاننا فِي اليوم التَّالِي، فلما وصلنا [إلى حيث يقيمون] سارعنا بالنزول بين خيامهم، وغنما قطعتين أو ثلاث مِنْها، فترك بقيتهم بيوتهم وقطعانهم، وولوا بأبنائهم على عجل، وفروا إلى الجبل. (١٩٦أ) وأبلغنا من في المُقَدِّمَة أن فريقا من الهزارة انقضوا على مُقَدِّمَة الجُنْد، وأطلقوا عَلَيْهِم

---

(١) اسم وادى غرب باميان.

السهام، وسدوا عَلَيْهِم الطريق. وما أن علمتُ بالأمر، حَتَّى اتجهتُ من فورى إلى هُنَاكَ. ورأيتُ أن لا مخرج هُنَاكَ. ففريق من الهزارة، يُطْلِقُون السهام مِنْ فَوْقِ نتوء، وكانت الأجداث مكوَّمة فوق بعضها. فأنشدتُ للفتيان أحثهم:

لما رأوا غبار العدو يعلو

وقفوا كأن على رؤوسهم الطير،

فأسرعت أطوى المكان إليهم،

أصيح هلموا، وأتقدمهم.

مرادى أن يحثُوا الخُطى،

ويُسرِعوا للقاء العدا.

تقدمتُ الجُنُود أحثهم،

ولكنهم قد أصموا الأذن.

وما كان لي أو للجواد من درع أو سلاح،

سوى قوس وسهم متاح.

وأقبلتُ والجمع فِي مكانهم ثابتون،

كأن العدو نالَهُم فهم ميتون.

وامتطيتُ الجواد وانطلقت،

وسقتُه، والذرى اعتليت.

فمن تطلعوا إلى تقدموا،

أما الجبناء فتقهقروا،

أدركوني واعتلينا الجبَال، وارتقينا الذرى

ولم نأبه بسهام العدا،

وتقدمنا بغير تهيب مشاة وركبانا،

وسهام العدو فوق الرؤوس منهالة،
فلما رأونا غير آبهين،
ولُّوا هاربين،
وطردنا الهزارة، واعتلينا الجبل،
وصار الكرب من نصيبهم والعار،
وصاروا صيدا لنا كأنَّهم الغزَال.
فأصبنا منهم كل من بدا لنا،
وأقتسمنا ما غنمنا من متاعهم وأغنامهم،
وكسرنا شوكة الهزارة،
وصار رِجَالَهُم لنا عبيدا، وغلمانهم،
وسبينا منهم النساء وأولادهم.

وجمعتُ بعضَ الغنمِ من قطعانِ الهزارة. وَسَلَّمْتُها إلى يارك طغائي. وتَقَدَّمْتُ بنفسى. وقطعنا السهول والوديان، وسُقْنا أمامنا خيولَ الهزارة وأغنامَهم، ونزلنا « لنكر تيمور بِك». وقبضنا على أربعةِ عشر أو خمسة عشر من عصاة تركمان الهزارة، وكذا على عددٍ من قطاعِ الطرق. ودار بخلدى قتلَهُم عِنْدَمَا يَجِدّ بنا السَّيْر، فنذيقهم صنوف العذاب وألوان الانتقام ليكونوا عبرة لِكُلِّ العُصَاةِ واللصوص. لكن قابلتُ قاسم بِك فِي الطريقِ مصادفة (١٩٧أ) وقد أظْهَرَ رَحْمَةً فِي غيرِ مَوْضِعها، وأطْلَقَ سراحهم.

لا تزرع السُنْبُلة فِي أرض بور، ولا تبدد الجهد والبذر فيها،
فصُنع المعروف فِي غير أهله، مثل الإساءة إلى الأخيار

وعندما نَهَبْنا هؤلاء التُرْكُمان الهزارة، سمعنا أن مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزادوغلت والسُلْطان سنجر برلاس ضموا إليهم كل المُغول الذين فِي «كابُل» وحاصروها وأعلنوا ميرْزا خان سُلْطانا، وشاع بين النَّاس، أن بديع الزمان ومُظَفَّر ميرْزا قبضا على السُلْطَان، وصعدا به قلعة خير الدين

المشهورة فِي «هَرَاة» والتي يسمونها الآن «آلا قورغان». وكان فِي قلعة «كَابُل» كل من المُلا بابا پَشَاغري، وخليفة، ومحب على القورچي، وأحمد يوسف، وأحمد قاسم وهم من القادة. وقد أحسنوا التصرف وأجادوا تحصين القَلْعَة والسيطرة عَلَيْها وحفظها. ومن «لنكر تيموربك» أَرْسَلْنا للأمراء فِي «كَابُل» رسالة مع بيرقدار[1] مِن رِجَال قاسم بِك يدعى مُحَمَّد الأندجانى يخبرهم بمجيئنا. وقررنا إرسال مُحَمَّد الأندجانى ليبلغهم أن نخرج من «دَرْب غوربند» ونهجم عَلَيْهِم. وبعد أن نجتاز جبل منار، نشعل نارا هائلة علامة [على قدومنا]. وتشعلون بدوركم نارا هائلة فوق القصر القديم الذي هو الخزينة الآن، علامة على علمكم بمجيئنا. (١٩٧ب) وعندما نصل، تخرجون وتفعلون كل ما تقدرون عَلَيْهِ بلا توانٍ.

وفِي اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مِن «لنكر تيمور بِك» ، ونزلنا عِنْدَ « اشتر شهر». ومن هُنَاكَ تَحَرَّكْنَا مبكرا. وقبيل الظهر خرجنا من «دَرْب غوربند» ، ونزلنا عِنْدَ رأس الجسر. وروينا ظمأ الجياد ومنحناها قسط من الراحة، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا من رأس الجسر وقت الظهر. ولم نر الثلج حَتَّى بلغنا «توتقاوول». وكلما ابتعدنا عنها كان الثلج يزداد. وكان البرد بين «ذمه يخشى» و«منار» قارسا، وقلّما عاينا مثل هَذَا البرد. وأَرْسَلْنا أَحْمَد يساوول، وقرا أَحْمَد يورجى للأمراء الذين فِي «كَابُل» ليبلغاهم إننا قد جِئْنَا بناء على القرار الذي اتخذناه، فاعلموا هَذَا واثبتوا.

واجتزنا جبل المنار ونزلنا بسفحه. وقد تبددت طاقتنا من شدة البرد، فأشعلنا النيران للتدفئة. والحق، أنه لم يَكُنْ مكان إشعال النيران [المتفق عَلَيْهِ]؛ لكننا أضرمناها بعدَ أنْ أَنْهَكَ البردُ القارسُ قوانا. وقبيل الفجر، غادرنا منزلنا عِنْدَ سفحِ جبلِ المنار، وكان الثلجُ فِي الطريقِ من الجبلِ إلى «كَابُل» كثيفا حَتَّى إنه ليبلغ ساقَ الجياد. وكان قاسيا للغاية. ومن شَذَّ عن الطريق وجد مشقة كبيرة فِي السَّيْر. وكنا نتقدم فِي الطريق واحدا تلو الآخر، ولهذا بلغنا «كَابُل» مع صلاة الفرض. (١٩٨أ) وقبيل بلوغنا بي بي ماهروى، ظهرت النارُ مُتَأَجِّجَة مِن عِنْدَ الحِصْن، ففهمنا أنهم علموا بمجيئنا.

---

(١) وظيفة بمعنى حامل الراية.

لما دَنَوْنا من جسرِ سَيِّد قاسم، أرْسَلْنا شيريم طاغائي ورِجَال المَيْمَنة إلى رأس الجسر. أما [رِجَال] المَيْسَرَة والقلب فقد تقدموا من «طريق بابا لولي». وكانت ثمة حَدِيقَة صغيرة على هيئة المرساة مكان حَدِيقَة خليفة، والتي أبتناها أُلُغْ بِك، وقد صارت الحَدِيقَة خاوية على عروشها، لكن مازال جِدَارها قائمًا. وفيها أقام ميرْزا خان. بَيْنَما كان حُسَيْن ميرْزا فِي باغ بهشت التي ابتناها أُلُغْ بِك مِيرْزا. أما أنا فقد وصلت إلى الجبانة الواقعة على طريق «حَدِيقَة مولي بابا»، وإذ بمن تقدموا على عَجَل وقد تراجعوا مشتتين. ومن تقدموا ودخلوا إلى حيث ميرْزا خان، أربعة هم؛ سَيِّد قاسم الحاجب، وقُنْبُر عليوقاسم بِك، وشيرقُلي قراول مُغُول، والسُلْطَان أَحْمَد مُغُول من جماعة شير قُلي. وبمجرد أن دخل هؤلاء الأربعة بغير تردد إلى حيث كان ميرْزا خان، ارتفعت الجلبة، فامتطى ميرْزا خان جواده، ولاذ بالفرار. وكان مُحَمَّد حُسَيْن الأخ الأَصْغَر لأبو الحسن قور بِك، قد التحق بخدمة ميرْزاخان (١٩٨ب) فضرب بسيفه شير قُلي أحد هؤلاء الأربعة، فأسقطه مِنْ فَوْقِ جواده، وما أنْ هَمَّ بِقَطْعِ رأسه، إذ به يفلت مِنْهُ.

ولما انهالت ضرباتُ السيوفِ والسِّهَام على هؤلاءِ الأربعة وجُرِحُوا، لحقوا بنا حيث كنا فِي المَوْضِع المار ذكره. وأنحشر الفُرْسَان فِي هَذهِ الطريق الضيقة. فلا هم قدروا على التقدم إلى الأمام، أوالرجوع إلى الوراء. فقلت للفتية القريبين منى انزلوا مِنْ فَوْقِ الجياد واهجموا. فنزل دوست ناصِر، والخوجه مُحَمَّد علي الكتابدار، وبابا شيرزاد، وشاه محمود وعدد من الفتية، وأطلقوا السهام وهم يتقدمون سيرا على الأقدام. فلاذ العدو بالفرار. وكنا نرقب أولئك الذين فِي الحِصْن، لكنهم لم يَسْتَطِيعوا أن يدركوا القِتَال. وبعد أن طردنا العدو مِن مكانه، بدأوا يتوافدون ركضا مثانى ووحدانا. ولم أكن قد دخلتُ بعد «حَدِيقَة چارباغ » حيث يقيم ميرْزاخان. ومن بين من فِي الحِصْن جاء أَحْمَد يوسف، وسَيِّد يوسف. فدخلنا بصحبتهم الحَدِيقَة التي كان فيها ميرزاخان. لَكِنَّهُ كان قد ولىّ هاربا. فخرجْتُ من فورى وأحمد يوسف ورائي. وفجأة دخل دوست سرپلي بياده مِن باب «حَدِيقَة چارباغ» ، وقد صارت له مكانة لما أبداه من شجاعة أثناء وجودنا فِي «كَابُل»، ونال رتبة قوتوال ليق [أي حراسة القَلْعَة]، وتقدم ناحيتى شاهرا

سيفه. وكنتُ أرتدى الدرع، لكنى لم أكن قد ربطت حزامه بعد (١٩٩أ) كما أنى لم أضع الخوذة فوق رأسى. فصحتُ مرارا ما هَذَا يا دوست، ما هَذَا يا دوست، كذا صاح أَحْمَد يوسف. ولا أعرف ألمعالجتى شدة البرد والثلج، أم بسبب كرب النزال، فقد تلقيتُ بيدى العارية ضربة من السيف بدون وجل. لكنها وبعناية الله لم تترك أدنى أثر أو خدش.

مهما صالت السيوف فِي الدنيا وجالت، فلن تقطع عرقا إلا بإذن الله.

وتلوتُ هَذَا الدعاء، وكان له أثره فِي أن دفع الله العظيم عنى هَذَا الكرب، ورفع ما تلاه من بلاء:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اللَّهُم أَنْتَ رَبِّي، لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العظيم. وما شَاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأ لم يَكُنْ. ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم. واعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكِلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. اللَّهُم إِنى أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسِي، وشَرِّ غَيْرِي، ومِن شَرِّ كُلِّ ذِى شَرٍّ، ومن شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّكَ أَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ.

وخَرَجْتُ من هُنَاكَ، وقصدتُ «حَدِيقَة باغِ بهشت» حيث يقيم مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا. فوجدنا أن مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا قد هَرَبَ من هُنَاكَ واختبأ. وكان سبعة أو ثمانية رِجَال من أصحاب السهام والأقواس يختبئون أسفل الجِدَار المنقض للحَدِيقَة التي كان فيها مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا، فاندفعتُ صوبهم بجوادي، (١٩٩ب) فلاذوا بالفرار دون أدنى مقاومة. فأسرعتُ فِي إثرهم، وأدركتُ أحدهم، وضربته بسيفي فتدحرج حَتَّى ظننتُ أن رأسه قد طارت مِنْ فَوْقِ كتفيه. وتجاوزته، وربما كان تولك كُوكَلْداش أخو ميرْزا خان من الرضاع. وقد أصابه السيف فِي كتفه. وعندما بلغتُ مشارف ديار مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا، سَحَبَ أَحَد المُغُول قوسه فِي اتجاه وجهي مِنْ فَوْقِ سَطح أَحَد البيوت ومن مَسَافَة قَرِيبَةٍ جِدا. وكان مِن رِجَالي، وكنتُ أعرفه. فأخذوا يصيحون من اليمن والشمال، يا هَذَا، إنه السُلْطَان. لَكِنَّهُ أطلق سهمه وهَرَبَ. وكان قد

سبق السيف العَذَل. فأمير [ميرزاخان] وقواده منهم من هَرَبَ، ومنهم من وقع فِي أيدينا، فعلى من يطلق السهم فِي هَذَا المحل!!. وبينا نَحْنُ هُنَاكَ، أمسكوا سَنْجَر ميرْزا، وجاءوا به مربوطا من رقبته. وكنت قد أكرمته، وأحسنتُ عَلَيْهِ بمقاطعة نينكنهار. وكان شريكا معهم فِي هَذِهِ الفتنة. فصاح وهو يرتعد من الخوف ما ذنبى أنا!.

فقلتُ له: لقد تحالفتَ مع هَذِهِ الجماعة، وأنت واحد من كبار من خططوا لهذا[الأمر]، وهل هُنَاكَ ذنب أكبر مِن هَذَا. ولكونه ابن أخت البيجوم شاه أم خالي الخان، قلتُ له: كفاك تذللا، فلن تموت.

وأرسلتُ أَحْمَد قاسم كهبر وهو أحد أَلْقُواد الذين كانوا فِي الحِصْن، مع عدد من الفتية (٢٠٠أ) فِي أعقاب ميرْزا خان.

أقامت [البيجوم] شاه والخانم[1] الخيام بجانب [حَدِيقَة] «باغِ بهشت» هَذِهِ، وأقامتا هُنَاكَ. فغادرتُ الحَدِيقَة وتوجهتُ لزيارتهما.

كان أهلُ المدينة وعددٌ من العامةِ مشغولين بالقبض على الرِجَال المَوْجُودِينَ هنا وهُنَاكَ، ونَهْبِ متاعهم. فتصدى لَهُم الرِجَال وطردوهم كلَهُم. وكانت البيجوم شاه والخانم تقيمان فِي إحدى الخيام. فترجل الخان مِنْ فَوْقِ جواده كسابق عهده، وتقدم سيرا على قدميه، واستقبلنى بأدبٍ وتعظيمٍ. وكانت البيجوم شاه والخانم فِي شدةِ الاضطرابِ والانفعال، وقد أطرقتا برأسيهما من الخجل. فليس هُنَاكَ ما يمكن أن تعتذرا به عذرا معقولا، فضلا عن أن تبادرا بالسؤال عن الأحوالِ بطريقةٍ ودودةٍ. ولم أكن أرغبُ فِي أن أفكرَ فِي تحالفهما [ضدى] مع جماعةٍ تعسةٍ كتلك الجماعة. لكن الآخرين ليسوا هم الرِجَال الذين يخالفون البيجوم شاه والخانم، ولا يصغون لكلماتها.

(١) جاء فِي فهارس الترجمة التركية أن المقصود منها مهر نِكار خانم البنت الكبرى ليونس خان وزوجة أَحْمَد مِيرزا، وخالة بابُر. لكن نتبين من سياق النص أنها سلطان نِكار خانم ابنة يونس خان و البيجوم شاه، وزوجة محمود ميرزا وأم ويس ميرزا.

أما ميرْزا خان حفيد البيجوم شاه، فكان يرافقها ليلَ نهارٍ. فإن لم تكن متفقة معهم فيما يفكرون، لما تركوا لها ميرْزا خان، وكان يمكن أن يقبضوا عَلَيْهِ.

شكوى بَابُر من ذوي القربى:

كم مِن مرةٍ عاندني زماني، وفقدتُ ملكي وعرشي، وتجردتُ مِن جندي ورِجَالي ولجأتُ إليهم. (٢٠٠ب) كما ذهبَت إليهم أمي أيضا. لكن لم نر منهم أبدا أي رعاية أو شفقة. وكانت سُلْطان نِكار خانم والدة أخي الصغير ميرْزا خان، لها ولاية غنية عامرة، أما أنا وأمي، فإنه ناهيك عن الولاية، لم يَكُنْ لدينا ولا حَتَّى قرية أو بضعة مهاجع. أَلَيْسَت أمي ابنة يونس خان! ألستُ أنا حفيده! وكنتُ أفعل كل ما فِي وسعي تجاه كل من لجأ إليّ مِن هَذِهِ الأسرة، فكنتُ أعامله حسبما تقتضيه الأخوة والشهامة. ولاسيما انني عِنْدَمَا نزلت البيجوم شاه عندنا، وهبتها «لَمْغَان»، وهي من أحسن بقاع «كابُل»، ولم أقصِّرُ فِي معاملتها معاملةَ الابن [لأمه]، ولم أقصِّر أبدا فِي خِدمتِها. وعندما لجأ إليّ السُلْطان سعيد خان، سُلْطان «كاشْغَر»، وجاء سيرا على قدميه ومعه خمسة أو ستة رِجَال عُراة، أنزلتُه منزلةَ الأخِ الصغير، ووهبتُ له مقاطعة « مندراور» من مُقاطَعات «لَمْغَان». وعندما قبضَ الشاه اسماعيل على شَيْبَاني خان فِي « مَرْو»، انتقلتُ إلى «قُنْدُز»، عِنْدَئِذ، تعَلَّقَت بِي آمال أهل ولاية «أَنْدِجان»، فبَعْضُهُم طَرَدُوا ولاتهم، وبَعْضُهُم أغلقوا أماكنهم وأرْسَلُوا إليّ رسولا. وجَعَلْتُ كل رِجَالي وخَدَمِي، طَوْعَ أمْرِ السُلْطَان سعيد خان، ووهبتُه وِلايَةِ «أَنْدِجان» مسقط رأسِي. وأرسلتُه إلى هُنَاكَ، وأعلنتُه خانا. هَذَا وإلى الآن، فإنني أتلطفُ مع كل من لجأ إلى مِن هَذِهِ الأسرة وكأنه أخ شقيق لي بلا أدنى كلفة. لاسيما وأن جين تيمور سُلْطَان، وايسن تيمور سُلْطَان، و توخته بوغه سُلْطَان، (٢٠١أ) وبابا سُلْطَان، مازالوا فِي صحبتي إلى الآن. وأعاملَهُم كلَهُم أَفْضَل مِن مُعَامَلَةِ الإخوةِ الأشقاء، وأُظْهِرُ لَهُم الرِّعَايَة والمودة. ولا أقصدُ من تدوينِ هَذَا، بث الشكوى، إنما الصدع بالحق؛ ولا أبغِ مِنْهُ رَفْعَ قَدْرِي، ولكن تَجْلِيَةُ الأمور. ولأنني أَلزَمْتُ نفسِي بتدوين الحق فِي كلّ كلمةِ وكلّ أمر، ولا غَرْو إنه إذا بلغني شيء كان فيه مدح أو قدح فِي الآباء أو الإخوة الكبار ذكرتُه، وإذا بدا تقصير أو

مزية أيا ما كانت فِي الأقاربِ أو الأباعدِ دونته. فألتمسُ العذرَ من الناظرِ فِي كتابي هَذا، وأسأل السامعين عدم التعريض.

مقتل مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا:

ورحلنا إلى «چارباغ» حيث يُقِيم ميرْزا خان، وأرْسَلْنا رسائِلَ الفَتْح إلى الولاياتِ والعَشَائِرِ والقَبَائِل. وبعد ذَلِكَ امتطيتُ الجواد واتجهتُ إلى الحِصْن الداخليّ. كان مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا قد ولّى هاربا من الخوف، ودخل غرفة بُسُط الخانُم، ورَبَطَ نَفْسَهُ بين حَوائِجها. وكَلَّفْنا ميريم ديوان وآخرين ممن كانوا فِي القَلْعَة بالتفتيش فِي هَذهِ البيوت عن مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا وإحضاره. فذهبوا إلى باب الخانُم، وتَلَفَّظوا ببعض الألفاظ الخَشِنة التي فيها سوء أدب، (٢٠١ب) وفِي نهاية الأمر، عثروا على مُحَمَّد حُسَيْن ميرْزا داخل غرفة البسط الخاصة بالخانم، وأتوا به إلينا فِي الحِصْن.

وكسابقِ عهدى، أظْهَرْتُ له الاحترام، فنَهَضْتُ مِن مكانى، ولم أقابله بجفاء. ولو أننى مزقته إربًا لأفعاله الشنيعة، ومشاركته فِي هَذهِ الفتنة، لكنْتُ مُحِقًا، ولاسْتَحَق كل صنوفِ العذابِ والعقاب. لكننى أطْلَقْتُ سراحه لِمَا بيننا مِن قَرَابة، ولِكَوْنِه أحد أبناء خالتي خوبنِگار خانم، ولهذه القرابة حقوقها. لكن الرجُلَ الجاحد، عديم المروءة، نَسِيَ تماما المعروف الذي أسديتُه إليه بالعفو عنه وأننى وهبتُه حياته، وراح يفترى عَلَيْنَا ويشكونا إلى شيباق خان، وسرعان ما نال جزاءه ومات مقتولا بيد شَيْبَاق خان نفسه.

دع للقدر أمر من يسيئ إليك فهو كفيل بالثأر لك

القبض على ميرْزا خان:

أما أَحْمَد قاسم خان ومَن أرْسَلْناهم وراء ميرْزاخان، فقد أدركوه فِي تلالِ قارغة بولاق، فعجزَ عن الفرارِ وعن المقاومة، وأتوا به مقبوضا عَلَيْهِ. (٢٠٢أ)

وكنتُ أجلسُ فِي الإيوان الكائن شمال الديوان القديم، فدعوتُه أن يأتي لنتبادل الحديث،

فانحنى تعظيما لنا، ومن فرطِ اضطرابه، تعثَّر فِي سيْرِه مرتين قبل أن يَمْثُل بين أيدينا.

وبعد اللقاء، جلس إلى جواري، وروَّحْتُ عنه، وأتوا لنا بالشراب. ولكى أبدِّدَ مخاوفه شربتُ قبله، ثُمَّ ناولتُه ليشرب. وكان الخوف والتردد يستبد بالفُرْسَان والمُغُول والچغتائيين الذين ساندوا ميرْزا خان. ومِن باب الاحتياط، أمرتُ أن يظل ميرْزا خان فِي منزل أختى الكبيرة لبضعة أيَّامٍ. وبدا من غير المناسب بقاء ميرْزا خان فِي «كَابُل» بسبب الخوف والتردد الذي مازال بين القَبَائِل والأقوام التي ذكرناها، لذَلِكَ سمحنا له بعد بضعة أيَّام بالذهاب إلى «خُراسان».

وبعد أن سمحنا لَهُم بالانصراف، ذهبنا للتفرج على «باران» و«چاشتوبه» وسفح «كُلبَهار». والربيع فِي مراعى «باران» وصحراء «چاشتوبه» وسفح «كُلبَهار»، غاية فِي الجمال. وهي فائقة الخضرة قياسا بغيرها من مناطق ولاية «كَابُل» وتفوقها جميعا. حيث تتفتح بها أنواع مختلفة من زهور الأقحوان. وقد أمرتهم ذات مرة بإحصاء أنواعها، فوجدوا مِنْها ثلاثة وأربعين نوعا مختلفا. وقد قيل فِي وصف هَذِهِ الأماكن:

إن «كَابُل»، وخاصة مراعى باران وكُلبَهار،
تصبح فِي الربيع جنة من الخضرة والأزهار

وقد أكملت هَذَا الغزل أثناء تجوالنا هُنَاكَ:

قلبى، مثل برعم زهرة (٢٠٢ب) الدم فيه طبقة فوق أخرى
محال أن يتفتح وإن مر عَلَيْهِ مائة ألف ربيع

والحق كما قلنا وكتبنا فِي التعريف بولايات «كَابُل» و«غَزْنَة»، أنه قلما يتوفر مكان مثل هَذِهِ الأماكن فِي زمن ربيعها، وصيد طيورها.

هزيمة ناصِر ميرْزا:

وفِي هَذِهِ السنة، غضب مُحَمَّد القورچي، ومبارك شاه، وزبير، وچهانكير، وهم من أمراء «بَدَخْشان»، من مسلكِ ناصِر ميرْزا ورِجَاله ومعاملتهم، وبلغ الأمر حدَّ العَدَاوة. واتفقوا

كلهم فيما بينهم على سوق الجُنْد، وأن يجتمع الفُرْسَان والمشاة في الوادي الواقع ناحية يفتل وراغ من نهر كوكچه، ويجمعوا صفوفهم هُنَاكَ، ويعتلون الرُّبا قريبا من «خَمْچان»[1].

أما ناصِر ميرْزاومن معه من فتيان غير مجربين، فقد اندفعوا دون إعمال فِكْرٍ أو تَرَوٍّ، واعتلوا الربا، وتحاربوا معهم. ولوهجم [هؤلاء] عَلَيْهِم بِخَيْلِهم مرة أو مرتين في مثل هَذهِ الأرض الوعرة، وبِمثل هَذَا الحشد مِن الجُنْد، فسوف يسحقونهم ولن يستطع أحد منهم الفرار. وقد كان كَذَلِكَ إذ انتهى الأمر بأن لاذوا بالفرار مُدْبرين. وهَزَمَ القادمون من «بَدَخْشان» ناصِر مِيرْزا، ونهبوا أتباعه ومن ينتسبون إليه. وجاء ناصِر ميرْزا ومن معه مهزومين منهوبين إلى «كيلاكاي» عبر طريق «اشكمش» و«نارين» قاصدا طريق «آب دره»، سيرا في اتجاه أعلى «قيزيل سو». واجتاز «دَرْب شيبرتو»، حَتَّى بلغ «كَابُل» ومعه ستين أو سبعين مِن رِجَاله المنهوبين العراة الجوعى. ومن الأقدارِ الربانية العجيبة، أنه قبل عامين أو ثلاثة أعوام، قَهَرَ ناصِر ميرْزاكل القَبَائِل والعَشَائِر، وساقهم وكأنهم أعداء له، وخرج من «كَابُل» قاصدا «بَدَخْشان». وحقق شيئا من مراده، فخرب حصونهم ووديانهم. والآن أصبح مطأطأ الرأس خجلا مما فعله من قبل، متأثرا محزونا من فراره. أما أنا فلم أعامله أبدا بهذه الفظاظة. وتحدثتُ اليه بلطف، وفرجتُ عنه كربته.

***

---

(١) في الجنوب الشرقي من قندوز.

وَقَائِعُ سَنَةِ ثلاث عشرة وتسعمائة[1]

الهجوم على الأفْغَان الغليين[2]:

تَحَرَّكْنا مِن «كَابُل» لمهاجمةِ الغليين. فلما وَصَلْنا «سرده»، عَلِمْنا أن [قبائل] المهمند[3] المتجمعةِ فِي مشت وسيكانه على مَسَافَة فَرْسَخ من «سرده»، فِي غفلةٍ من أمرهم. وكان كلُّ الأُمَرَاء والفتيانِ يحبذون مهاجمتهم. فقلتُ لَهُم: أَمِنَ الصوابِ أن نهاجم أهلنا ونرجع بدلا من أن نبلغ الهدف الذي تَحَرَّكْنا مِن أَجْلِهِ، إن هَذَا لمستحيل.

وتحركنا من «سرده»، واجتزنا وادي «كتّه واز» تحت جنح الظلام. وفِي هَذِهِ الظلمة الحالكة، بَدَت لنا الأرض مستوية تماما، ليس فيها جبل ولا ربوة. ولا يبدو فِي الطريق معالم أو أثر. ولم يستطع أحد إرشادنا. وفِي النهاية توليتُ أنا مهمة الدليل. فقد سبق لي دخول هَذِهِ الناحية مرة أو مرتين.

وتحركنا وقد أتخذتُ النجم القطبى عن يميننا دليلا لي. وبمشيئة الله، وصلنا رأسا إلى مرج قياقتو، و« اولابه تو» حيث يقيم الغيليون [سكان جِبَال] « خوجه إسماعيل»[4]. ويخرج مِن هَذَا المرج الصغير طريق. فنزلنا المرج، وغفونا نَحْنُ وخيولنا لفترة. (٢٠٣ب) وبعد قسط من الراحة استأنفنا التحرك مع بزوغ الفجر؛ وأشرقت الشمس، فلما خرجنا مِن هَذِهِ الربى والوديان إلى السهل، بدا لنا غبار الغليين أو دخانهم. ولعله بدافع من الزهو بالنفس أو حماسة الشباب، إذ بالجُنُود كلَهُم يتأهبون للهجوم عَلَيْهِم. فأغاروا عَلَيْهِم لفَرْسَخ أو اثنين، وأمطروا رِجَالَهُم وجيادهم رميا بالسهام، وفكرتُ أنه سيكون من العسير كبح جماح خمسة أو ستة آلاف من الجُنُود المهاجمين المتحمسين، لكن قدر الله أن هدأ الجُنْد. وتقدَّمْنا، فلما أصبَحْنا على مَسَافَة فَرْسَخ،

(١) ١٣مايو ١٥٠٧- ٢مايو ١٥٠٨.

(٢) الغيليون هم واحدة من القبائل الأفغانية.

(٣) المهمند هم أكبر تجمع للقبائل الأفغانية المهاجرة المقيمة فِي ولاية كَابُل.

(٤) جبال فِي الجنوب الشرقي من كَابُل.

ظهَرَ لنا غبار الأَفْغَان، فأعَدْنا الكَرّة عَلَيْهِم. وفِي هَذهِ الغارة استولينا على الكثير من أغنامهم. ولم يسبق لنا فِي أي غارة من الغارات أن تم الاستيلاء على مثل هَذَا العدد الكبير من الغنم.

وجمعنا الغنائم، ثُمَّ نزلنا بمكان. وجاء الأَفْغَان جماعات واحدة تلو أخرى، ونزلوا الوادي، وأخذوا يستدرجوننا للقتال. فتصدى بعضُ الأُمَرَاء الخَوَاص للمجموعة الأولى منهم، وقبضوا عَلَيْهِم كلَهُم وقتلوهم. وتصدى ناصِر ميرْزا لمجموعة أخرى وذبَحَهم كلَهُم. وكومنا جماجم الأَفْغَان فصارت كالمنارة. وأُصيب دوست بياده قوتوال بسَهْمٍ فِي قدمه، ومات عِنْدَ وصولنا كابل.

غادرنا [جِبَال] « خوجه إسماعيل» فبلغنا « اولابه تو». ونزلنا هُنَاكَ. وأصدرنا الأوامر إلى بعضِ الأُمَرَاء والخَوَاص، بإحضارِ خُمس الغنائمِ على أدق ما يكون. واحتراما لقاسم بِكْ وبعض الآخرين لم نأخذ هَذَا الخُمس. (٢٠٤أ) وبلغ الخُمس الذي تم تدوينه فِي الدفاترِ ستة عشر ألف رأسٍ من الغنم. وهي تمثل خُمس ثمانين ألف رأس. فإذا أضيف إليها ما نَفَقَ مِنْها وما لم يوضع فِي الاعتبار، فإنها تصل إلى مائة ألف رأسٍ حتما.

الصيد فِي كتّواذ:

وفِي اليَومِ التَّالِي، تحَرَّكْنَا مِن هَذَا المكان، ونصبْنَا حلقة للصيد فِي « وادي كتّواذ »، ودائما تكون الغزلان والحُمُر الوحشية سمينة ووفيرة فِي هَذَا الوادي. وقد وقع فِي تلك الحلقة كثير مِنْها. واصطادوا مِنْها الكثير. وأثناء القنص، تعقبتُ واحدا من الحُمُر الوحشية، فلما صرتُ على مقربة مِنْهُ، أطلقتُ سهما ثُمَّ تلوتُه بآخر، لكنها لم تكفِ للإيقاع به، ولم تنهِكه، لكن الجروح التي أحدثها السهمان أبطَأت حركته. ولكزتُ جوادي، ودنَوْتُ من رأسه على مهل، وأطلقتُ سهما[1] على رقبته خلف أذنيه تماما، فعلق السهم برقبته وقفز هاربا. وكاد أن يرفس سرج جوادي بساقيه الخلفيتين. فبترتها بسيفي. وكان حمارا وحشيا سمينا جدا. وحافره يقل قليلا عن شِبر الإنسان، وتعجب شيريم طغائي وبعض من رأوا الغَزَال المُغُولي وقالوا أنهم نادرا ما رأوا

(١) جاءت فِي التركية، ضربته بالسيف

غزالا [أو حمارا وحشيا] سمينا بهذا الشكل فِي مُغُولستان. وفِي هَذَا اليوم اصطدتُ حمارا وحشيا آخر. وعامة ما تم اصياده فِي ذَلِكَ اليوم هو من الغزلان والحُمُر الوحشية السمينة. لكن ليس من بينها حمارا وحشيا [سمينا] كالذي اصطدته. ورجعنا مِن هَذهِ الغارة إلى «كَابُل».

تحرك شَيْبَاق خان إلى خُراسان:

وفِي نهايةِ السنةِ الماضية، ساق شَيْبَاق خان الجُنْد من«سَمَرْقَنْد» للاستيلاء على «خُراسان». (٢٠٤ب) وكانت «اندخود» فِي يد شاه منصور بخشي، وهو نذلٌ جاحدٌ. فأرسل الرِجَال إلى شَيْبَاق خان يستعجل مجيئه، ويطلب مِنْهُ هَذَا النذل أن يرسل له رجلا عِنْدَمَا يصل إلى جوار «اندخود». ووثق فِي الأُزْبَك واتخذ زينته، ووضع لحية الريش على رأسه، وأخذ الهدايا. فلما التقى بالأُزبك، انقضوا عَلَيْهِ من كل صوبٍ وحَدَبٍ، ونهبوا هَذَا الوضيع وهداياه ورِجَاله.

وكان بديع الزمان ميرْزا ومُظَفَّر ميرْزا، ومُحَمَّد بُرنْدُق برلاس، و ذو النون أرغون يعَسْكَرون بجُنُودهم فِي نواحي «باباخاكي»[1]، وقد استعدوا إما للقتال أو بتحصين القَلْعَة. وكانا يقيمون هُنَاكَ فِي وضعٍ محيرٍ دون أن يستقروا على أمرٍ قط، أو يتيقنوا حازمين أمرهم ماذا هم فاعلون. فقال مُحَمَّد بُرنْدُق وهو رجل خبير، وأحسن القول إنه: ينبغي أن أقوم و مُظَفَّر ميرْزا بتحصين قلعة «هَرَاة»، وأن يذهب بديع الزمان ميرزا وذو النون بِكَ إلى الجِبَال المحيطة بها والمجاورة لها، ولينضم إليهما السُلْطَان علي أرغون من «سيستان»، وشاه بِك ومُقيم من «قَنْدَهار» زميندار بجُنُودهم، وليجمعوا أيضا كل جُنُود الهزارة والنكديريين[2]، ويتحركوا بكامل استعداداتهم. وكما أن مجيئ العدو إلى الجِبَال أمر مشكل، فإنه أيضا لن يَسْتطِيع مهاجمة القَلْعَة خشية بأس الجُنُود الذين بخارجها. وجاءت الفكرة فِي محلها تماما.

---

(١) هو مكان مصيف السلاطين، ويقع على مَسَافَة ١٢ فَرْسَخ شرق .

(٢) نكديري قبيلة تسكن جبال غَزْنَة.

والحق، أن ذو النون أرغون رجلٌ جسورٌ لَكِنَّهُ بخيلٌ طماع، وغبيٌ مجنون، لا عقلَ له ولا تدبير. وفِي غضونِ ذَٰلِكَ، كان الأخوان الكبير والصغير[1] يحكمان شِركة فِي «هَرَاة». وكان [ذو النون] كما ذكرتُ من قبل حاجبا لبديع الزمان ميرْزا. ولِطمَعِهِ لم يرضَ ببقاءِ مُحَمَّد بُرندُق فِي المدينةِ [هَرَاة] وفَكَّر أن يَظْفَر بها. لَكِنَّهُ ما كان جديرا بهذا. وهل أَدَلَّ على غَبَائِهِ وجُنُونِهِ أكثر مِن هَذَا، حَتَّىٰ إِنَّهُ صَدَّق كَذِبَ بعض المحتالينَ والمنافقينَ وإطرائِهِم، فصارَ مُهانا وحَطَّ من قَدْرِهِ. وتفصيلُ ذَٰلِكَ على النحوِ التَّالِي:

إنه عِنْدَمَا عَلا قَدْرُهُ، وارتَفَعَت مكانَتُهُ فِي «هَرَاة»، جاءَهُ بعضُ الشيوخِ وقالوا له: لقد اتصل بنا القطبُ وقد أُطْلِقَ عليكَ لقب هِزَبْرُ الله. و[أبلغنا] إنكَ ستَهزِمُ الأُزبَك. فَصَدَّق قَوْلَهُم هَذَا، وعَلَّقَ خِرْقَةً فِي عُنُقِهِ، وشكر الله. فانزعج مُحَمَّد بُرندُق، واهتمَّ بتَحْصِينِ القَلْعَة ولوازمِ الحربِ، حَتَّىٰ إذا جاءه العَسَسُ والطلائعُ بخبرِ مَجِيئِ العدو، قامَ بترتيبِ الصفوفِ وتنسيقِها للحربِ.

وفِي شهرِ المحرم، اجتازَ شَيْبَاق خان «مُرغاب»، فلما اقتربَ (٢٠٥ب) مِن «سيركاي»[2]، وعلم المِيرْزاوات بمجيئه، انفرط عقدهم وأُسقط فِي يدهم، فلم يتمكنوا مِن جمع جُنُودهم أوترتيب صفوفهم. ولاذ كل منهم بالفرار. أما ذو النون أرغون، فقد صدق ما قيل له، وظل فِي قرا رباط مع مائة أو مائة وخمسين رجلا لمواجهة أربعين أو خمسين ألفا مِن الأُزبَك. فلما اقْتَرَبَتْ جحافل العدو، سار إليهم، فقبضوا عَلَيْهِ وأطاحوا برأسه.

وكانت أمهاتُ الأُمَرَاء وأخواتهم الكبار والصغار، وزوجاتُهم، وخزائنُهم كلها فِي قلعةِ اختيار الدين المشهورة باسم آلا قورغان، فكان المِيرْزاوات يذهبون إلى المدينةِ فِي اللَّيْلِ، ويغفون على ظهورِ الخَيْل حَتَّىٰ منتصفِ الليل ثُمَّ يغادرون المدينة فِي وقتِ السحر، وقد غاب عنهم أن يحصنوا القَلْعَة الداخلية. فتركوا أمهاتهم وأخواتهم الكبار والصغار وصبيانهم وذراريهم [فِي

---

(١) يقصد بديع الزمان ميرزا ومظفر حسين ميرزا.

(٢) فِي خُراسان.

القَلْعَة]، فِي هَذَا الوقت العصيب بلا حماية، ليقعوا أسرى فِي يد الأُزْبَك، ويلوذوا هم بالفرار. وكانت زوجات السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا وعلى رأسهن البيجوم پَايَنْدَه سُلْطَان، والبيجوم خديجة، وكل زوجات بديع الزمان ميرْزا ومُظَّفَر ميرْزا وأبنائهن، والخزانة وكل المتاع فِي [قلعة] «آلا قورغان». ولم يحصنوا القَلْعَة الداخلية كما ينبغي. كما أن الفتية الذين أرسلوا إلى القَلْعَة للمساعدة، لم يكونوا قد بَلَغوها بعد. وهَرَبَ عاشق مُحَمَّد ارغون الأخ الصغير لمزيد بك مِن هُنَاكَ، وجاء سيرا على قدميه، ودخل القَلْعَة (٢٠٦أ) وكان فيها علي خان بن أمير عُمَر، والشَّيْخ مُحَمَّد عبد الله بكاول، وميرْزابك كيخُسْروي، وميرك قور ديوان.

وبعد مجيئ شَيْبَاق خان بثلاثة أَيَّام، اتفق شيخ الإسلام والأعيان، وتعاهدوا فيما بينهم، وذهبوا بمفاتيح القَلْعَة الخارجية إلى شَيْبَاق خـــان. وقـــد دافع عاشق مُحَمَّد هَذَا عن القَلْعَة خمسة عشر أو ستة عشر يومـا. ثُمَّ نقب [الأُزْبَك] جِدَار القَلْعَـة مِن الخَـارج مِـــن ناحية «آتا بازارى»، ونسفوا أحد أبراجها، ففزع مَن بداخلها، وعجزوا عن الدفاع عنها، واسْتَسْلَمُوا.

شَيْبَاق خان فِي هَرَاة:

ولما استولى شَيْبَاق خان على «هَرَاة» لم يسئ معاملة عائلات هؤلاء السلاطين فحسب، بل أساء معاملة كافة النَّاس. فساءت سمعة هَذَا الجلف الجاهل، فِي هَذِهِ الدنيا الفانية. ومن جملة الأفعال والأعمال غير المسبوقة التي أتى بها شَيْبَاق خان فِي «هَرَاة»، أنه مِن أَجْلِ هَذِهِ الدنيا الفانية، أعطى البيجوم خديجة لذَلِكَ الوضيع شاه منصور بخشى، فأذاقها العذاب ألوانا. وسلم عالما عزيزا مثل الشَّيْخ بوران إلى أحد رِجَاله هوعبد الوهاب مُغُول، وسلم كل واحد مِن أبنائه إلى شخص مختلف. وترك أمركل أَرْبَاب الشعر وأصحاب الذوق إلى المُلَّا بنائي. وفِي هَذَا قَالَ أحد الظرفاء هَذِهِ القطعة التي نالت شهرة:

مُنْذُ اليوم لن يرى الذهب
شاعرٌ سوى عبد الله كيرخر
لن بنائي يرجو أن ينال مِن الشِعر الذهب

لكن لن يناله أحد سوى كيرخر[1]

وفورَ أخذِهِ «هَرَاة»، تَزَوَّجَ مِن خانزاده خانم زوجة مُظَفَّر مِيرْزا، ولم ينتظر أن تُكْمِل عِدَّتَها. وألقى وهو الجاهل دروسا فِي التفسيرِ على القاضي اختيار ومحمود مير يوسف، وهما مِن كبارِ العلماءِ الصوفية فِي «هَرَاة». كما عمل تصويبات على كتابةِ المُلّا سُلْطَان علي مشهدى ورسوم بهزاد منصور. وكان ينظم أبياتا لا ذوق فيها فِي بضعةِ أَيَّام، ويأمرُ بقراءتِها على المنابر. ويُعلقُها فِي الأسواق، لِينال إطراء النَّاس فِي المدينة. والحق، إنه يستيقظ مبكرا، ولا يترك الصلواتِ الخمس، ويجيدُ عِلْمَ القراءات. لكن كثيرا ما تَصْدر عنه أقوالٌ وأفعالٌ كهذه تتصف بالجنونِ والغباءِ والسفهِ والكفر.

وعَقبَ أخْذِ «هَرَاة» بما يناهز عشرة أو خمسة عشر يوما، جاء مِن «كهدستان» إلى «بول سالار»، وأرسل مَن معه مِن جند بقيادة ابن أخيه تيمور سُلْطَان، ومُحَمَّد عبيد خان لحرب ابو المحسن ميرْزا [واخيه] كيبك مِيرْزا[2] فِي «مَشْهَد»، وكانا فِي غفلة مِن أمرهما. فلما سمعا بمجيء هؤلاء الجُنْد، ترددا بين أمرين، فتارة يفكران فِي تحصين القَلْعَة، وتارة أخرى فِي سرعة السَّيْر إلى شَيْبَاق خان، وكانت فكرة جيدة جدا، لكنهما لم يحسما أمرهما ويستقرا على قرار بعينه. فِي حين حث تيمور سُلْطَان وعبيد سُلْطَان السَّيْر، فأدركاهما بسرعة.

كما نظّم المِيرْزاوان قواتهما وخرجا لَهُم، وسرعان ما قبضا على ابو المحسن ميرْزا (٢٠٧أ) وأخذاه. وهاجم كيبك ميرْزا بعض رِجَال [تيمور سُلْطَان، ومُحَمَّد عبيد خان] عدوّى أخيه الأكبر، فوقع فِي قبضتهما، وبذا قُبض على الأخوين. وعندما التقى الأخوان، تعانقا وقبَّل كل منهما الآخر، وتسامحا فيما جرى بينهما. وكان الخوف يبدو على ابو المحسن ميرْزا، فِي حين بدا كيبك ميرْزا رابط الجأش ولم يظهر خوفه. وقد أرسلوا رأسى الأميرين إلى شَيْبَاق خان حال وجوده فِي بول سالار.

---

(١) فِي هَذَا البيت كناية حيث أن كلمة كير خر مكونة من مقطعين، كير بمعنى وسخ، وخر بمعنى حمار.

(٢) هو محمد محسن ميرزا، ابن حسين ميرزا.

تحرك بَابُر إلى قَنْدَهار:

وفي تلك الأيَّام، أرسلَ شاه بِك وأخوه الأصْغَر مُحَمَّد مُقيم، السفراء والعرائض إلينا عدة مرات مِن فرط خوفها مِن شَيْبَاق خان، ليعلماني بتحالفها معي وصداقتها لي. أما مُقيم، فقد استنجد بنا صراحة في إحدى عرائضه. وفي فترة استيلاء الأُزْبَك على الولايات بهذه الطريقة، رأينا أنه مِن الخطإِ ألا نُحَرِّك ساكنا. ولم يَكُنْ هُنَاكَ أدنى شك أن إرسالَهُما هَذَا القدر مِن الرسل والعرائض واستنجادهما بنا، يعني أنهما مِن أنصارنا. فاستشرتُ كل الأُمَرَاء وأصحاب الرأي وقررنا أن نتحرك، وبعد أن ينضم إلينا أمراء أرغون، نتجه إما إلى «خُراسان»، أوحسبما يرون أنه الرأي والصواب. وعلى هَذهِ الصورة تَحَرَّكْنَا صوب «قَنْدَهار».

وكما ذكرنا مِن قبل، فإن البيجوم حبيبة سُلْطَان التي كنت أدعوها زوجة أخي، جاءت مع ابنتها البيجوم معصومة سُلْطَان حسبما قررنا في «هَرَاة». (٢٠٧ب) والتقينا في «غَزْنَة». وهَرَبَ خُسْرو كُوكَلْداش، وسُلْطَان قُلي جانيق، وكدائي بلال مِن «هَرَاة»، وذهبوا إلى ابن حُسَيْن ميرْزا. ومن هُنَاكَ ذهبوا إلى ابو المحسن ميرْزا. لكنهم لم يَسْتَطِيعوا البقاء هُنَاكَ، فخرجوا ليلحقوا بنا. فلما ذهبوا معنا إلى «قَلَات»، كان بها كثير مِن التجار الهنود الذين جاءوا للتجارة. وعندما داهمهم الجُنْد فجأة، لم يَسْتَطِيعوا الفرار مِن هُنَاكَ. فقال أكْثر مَن معي: ينبغي نَهْب أموالَهُم لأنهم جاءوا إلى ولاية العدو في وقت الحرب. فأنكرتُ عَلَيْهِم هَذَا قائلا: وما ذنب التجار فإن نَحْنُ لم نضر بهم ابتغاء مرضاة الله، ولم نلتفت إلى هَذَا المكاسب الزائلة، فإن الله سينعم عَلَيْنَا بالكثير. ولاسيما أننا عِنْدَمَا أغرنا على الغيليين ذات مرة، وكان الأَفْغَان المهمند بأغنامهم وأموالَهُم وذراريهم على بعد فَرْسَخ واحد مِن الجُنْد، كان رأي أكْثَرِكم أن نهجم عَلَيْهِم. وقد رأيتم أنني لم أرض بهذا، وفي اليوم التَّالِي، قَسَمَ الله العظيم للجند الكثير مِن مال أعدائنا الأَفْغَان الغيليين، ما لم نحصل عَلَيْهِ في غارة واحدة أبدا. واجتزنا «قَلَات»، ونزلنا وقدَّم لنا التجار بعض الأموال هدية.

وبعد أخْذِ «كَابُل»، هَرَبَ مِن «قَنْدَهار» كل مِن ميرْزاخان الذي أذنا له بالذهاب

إلى «خُراسان»، ومعه عبد الرزاق ميرْزا الذي بقي فِي «خُراسان» عِنْدَ مغادرتنا لها، (٢٠٨أ) وجاءا عِنْدَ مرورنا مِن «قَلَات». كما جاء پير مُحَمَّد مِيرْزا، ابن جِهانكير مِيرْزا وحفيد بَهار ميرْزاومعه أمه والأمراء [أبناء السلاطين] وانضموا إلينا.

نزاع بَابُر مع شاه بِك:

وأرْسَلْنا رسائل إلى شاه بِك ومُقيم فحواها: قد جِئْنَا إلى هنا بناء على وعد منكم. وقد استولى عدو غريب مثل الأُزْبَك على «خُراسان». فأتوا إلينا وإذا لزم التحرك بنحو ما لمصلحة الدولة، فسيكون القرار بالاتفاق معكم وبموافقتكم. أما هم فكان ردهم جافا خشنا، منكرين ما كتبوه مِن رسائل واستدعاءهم لنا. ومن مظاهر هَذِهِ الخشونة أن شاه بِك وضع خاتمه على ظهر الخطاب فِي وسطه كما يكتب أحدهم إلى مَن هو أقل مِنْهُ مرتبة وليس كما يفعل أميرٌ مع أميرٍ مثله، ولو أنه لم يأتِ هَذَا التصرف الفظ، ولم يرد عَلَيْنا هَذَا الرد الخشن، لَمَا بَلَغَت الأمور هَذَا الحد ولا سيما أنه يقال:

إن النزاع الذي ينشب بسبب كلمة، يذهب بالأسر العريقة

وهو قولٌ صحيحٌ حقا. ومن سوءِ التفاهم وعدمِ اللياقةِ هَذِهِ، خَسِروا أوطانهم وما حققوه مِن مكاسب فِي ثلاثين سنة أو أربعين.

وحال وجودنا بجوار «شهرِ صفا»، حدث لغط فِي معَسْكَر الجَيْش لشائعة عن خطر محيق. واستعد الجُنْد بأسلحتهم، واعتلوا جيادهم. وكنت منشغلا بالاغتسال والتطهر (٢٠٨ب) وخيم القلق الشديد على الأُمَرَاء. فأنهيت ما أنا به واعتليت الجواد، ولأن الشائعة غير صحيحة، فسرعان ما هدأ روعهم. فرحلنا وتنقلنا مِن منزل إلى آخر حَتَّى بلغنا « الغور». وهُنَاكَ فاوَضْناهم عدة مرات، وجنَحْنا إلى السلمِ، لكن بلا جدوى. فقد أصرُّوا على العنادِ والعصيان. وقد أشار المخلصون العارفون بالمكان، قائلين: إن منبع الجداول الجارية إلى «قَنْدَهار» إنما هو فِي «بابا حَسَن أبدال» و«خَلِيشَك»[1]. فيلزم أن نعبر إلى هُنَاكَ، ونقطع كل

(١) ربوة صغيرة أسفل أرغاند آب.

الجداول الجارية إلى «قَنْدَهار». وقد استقر أمرنا على هَذَا، وفي الصباح الباكر حملنا سلاحنا، ونظمنا أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة، والصفوف، وتقدمنا إلى «خَلِيشَك».

الحرب مع الأرغونيين:

أقام شاه بِك ومُقيم [ورِجَالُهما] خيامَهم قُبالَة مخرج العمارة الحجرية التي ابتنيتُها بجبل «قَنْدَهار». وبينما رِجَال مُقيم يقومون بجولة، اقتربوا منا مِن بين الأشجار. فتسلل طوفان أرغون الذي سبق أن هَرَبَ وجاء إلينا عِنْدَمَا كنا في نواحي «شهرِ صفا»، ودَنَا مِن صفوف الأرغونيين وحده خفية. فتقدم له مَن يدعى عشق الله[1] مع سبعة أو ثمانية مِن رِجَاله الذين وصلوا حديثا، فخرج له طوفان ارغون، ونازله بالسيف فأسقطه مِنْ فَوْقِ جواده. وقطع رأسَه وجاء بها عِنْدَ عبورنا «سنك لخشك» . واعتبرنا هَذَا مِن حُسْن الطالع. ولأن المنطقة معمورة وتغص بالأشجار، فقد رأينا أنه مِن غير الصواب أن تدور المَعْرَكَة في مثل هَذَا المكان، فاجتزنا سفح الجبل وتأهبنا للنزولِ إلى المَرْج عِنْدَ الجدولِ الواقعِ في أطرافِ «قَنْدَهار» عِنْدَ «خَلِيشَك»(٢٠٩أ) لنتوقف به. وعند هَذَا بالضبط، جاء شير قُلي مهرولا، وأبلغنا أن العدو نظم صفوفه، وأنه في الطريق إلينا.

تنظيم جيش بَابُر:

مُنْذُ رحلنا عن «قَلَات»؛ حلَّ بالجند الشيء الكثير مِن الجوع والضيق. فلما قاربنا «خَلِيشَك» كان الكثير مِن جندنا قد تفرقوا في الوادي الواقع أعلى «خَلِيشَك» طلبًا للغنم والثيران والمؤن والتبن. لكننا [عِنْدَمَا علمنا باقتراب العدو] تحَرَكْنَا على الفور دون الالتفات لجمع الجُنْد. وكان جملة عدد رِجَالنا حوالي ألفين. وكما ذكرنا، فإنه عِنْدَ وصولنا إلى هَذَا المكان ذهب أغلب الجُنْد إلى الوادي الأعلى، ولم يتمكنوا مِن إدراك الحرب، فلم يشترك فيها سوى ألف منهم تقريبا. والحق أن رِجَالنا كانوا قليلي العَدَد، لكنني قُمْتُ على تَعْبِئَتِهِم وتنظيمهم في صُفُوفٍ غَايَة في الانتظام والانضباط. ولم أَكُنْ حَتَّى ذَلِكَ الوقت قَدْ سَبَقَ لي أن قُمْتُ بِتَرْتِيبٍ وتَنْسِيقٍ مُنْتَظِمٍ

---

(١) هو من الأرغونيين.

بِهَذِهِ الكفاءة. وخَصَّصتُ الفتية المقتدرين للفِرْقَةِ الخاصة. وقسمتهم على عشرات وخمسينيات. وحددتُ رؤساء العشرات ورؤساء الخمسينيات. واستعد الجميع، ووضحتُ لِكُلِّ عشرة ولِكُلِّ خمسين منهم موقعه مِن الفرقة ومن أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة، ومهمته فِي وقت الحرب. وقد جعلتُ لِكُلِّ قسم مِن أجنحة المَيْمَنَة والمَيْسَرَة اسما للتمييز بينها، ولتحقيق الانتظام لها عِنْدَ التحرك، بلا مشكلات وبدون الحاجة إلى قواتِ الاستطلاع. وبدأ كُلُّ قِسْمٍ مِن الجَيْش فِي التَحَرُّكِ مِن مكانه ولِكُلِّ جناح مِنْها رمزه واسمه، وهي غير قوات قلب الجَيْش، إنما المَيْمَنَة والمَيْسَرَة هي صفوف الجَيْش. وكانت أَلْقُوات الخاصة فِي قلب الجَيْش.

ووضعنا ميرْزاخان، و شيريم طغائي، ويارك طغائي وكل إخوته، وشلمة المُغُولى، وأيوب بِك، ومُحَمَّد بِك، وابراهيم بِك، وعلي سَيِّد المُغُولى، وسُلْطَان قُلي جهره، وخدا بخش وإخوته مع ابو الحسن فِي المَيْمَنَة، وعبد الرزاق ميرْزا، وقاسم بِك، وتنرى بِرْدي، و قُنْبُر علي وأحمد ايلجي بوغا، وغورى برلاس، وسَيِّد حُسَيْن أكبر، ومير شاه قوچين فِي المَيْسَرَة، وناصر ميرْزا، وسَيِّد قاسم اشيك أغا، ومحب على القورچي، وبابا أوغلوالله، ويرن التُرْكُمانى، وشير قُلي قراول مُغُول وإخوته، ومُحَمَّد علي في المُقَدِّمَة، وكنت فِي مَيْمَنَة المركز ومعى قاسم كُوكَلْداش، وخُسْرو كُوكَلْداش، وسُلْطَان محمود دولدى، وشاه محمود بروانجى، و قُل بايزيد بكاول، (٢١٠أ) وكمال شربتچى، وفِي المَيْسَرَة خوجه مُحَمَّد علي، ودوست ناصِر، و ميرم ناصِر، وبابا شيرزاد، وخان قُلى، وولى خزانجى، وقُتْلُق قدم قراول، ومقصود سوجي، وبابا شيخ. ووضعت كل الخَوَاص فِي قلب الجَيْش، ولم يَكُنْ مِن بينهم أحد مِن الأُمَرَاء الكبار. فِي حين لم يَكُنْ أحد ممن ذكرت اسماءهم قد بلغ بعد مرتبة إمارة [الجَيْش]. وفِي الصفوف القريبة شير بِك، وحاتم قور بكي، وكيبك، وقُلي بابا، وأبو الحسن القورچي، ومن المُغُول اوروس علي سَيِّد، ودرويش علي سَيِّد، وخوش كيلدي، وجلمه، ودوست كلدي، وجلمه طاغچى، وداماجى، ومندى، ومن التُرْكُمان؛ منصور، ورستم على وإخوته الكبار والصغار، وشاه نظر سيوندوك.

المَعْرَكَة ضد الأرغونيين:

وقسّم العدو رِجَاله على مجموعتين، مجموعةٌ بقيادة شاه سُلَيْمان الذي ذكرناه مِن قبل باسم شاه بِك، والمجموعةُ الأخرى بقيادةِ أخيه الأَصْغَر مُقيم. وقدَّرنا عَدَدَ الأرغونيين تخمينا بحوالي ستة أوسبعة آلاف، تعويلا على ما رأيناه مِن غبار خيلِهم. ولا ريب أن عددهم ليس بأقل مِن أربعة آلاف رجل فِي سلاح.

ووجد قلب الجَيْش نفسه قُبَالَة المَيْمَنة، و مُقيم بِك قُبَالَة المَيْسَرَة. وكانت جُنُود مُقيم تقل قليلا عن جُنُود أخيه. وقاسم بِك وإخوته فِي ميمنتنا وكان موقفهم صعبا.

وقبل بدء الحرب، جاء رجل مِن عِنْدَ قاسم بِك مرتين أو ثلاث مرات يطلب المساعدة. ولأن العدو الذي نواجهه قوى، لم نستطع أن نقدم له المساعدة ولا حَتَّى برجل واحد. وتحركنا باتجاه العدو بلا انتظار. فلما أصبحنا على مرمى سهم مِنْهُ، (٢١٠ب) وجه العدو أول هجماته صوب مقدمتنا، ثُمَّ عاد وانطلق صوب المركز. وواصلنا تقدمنا بدون أن نطلق سهما واحدا. وبعد فترة وجيزة توقف العدوعن إطلاق السهام وبدا وكأنه وقف فِي مكانه. وصاح أحدهم على الجُنْد، وترجل مِنْ فَوْقِ جواده، وأراد إطلاق سهمه. ولأننا مازلنا نتقدم بلا توقف، فقد سارع باعتلاء جواده ومضى بدون أن يفعل شيئا. وكان هَذَا الرجل هو شاه بِك بذاته.

وأثناء المَعْرَكَة، أخذ برى بِك التُرْكُمانى وأربعة أو خمسة مِن إخوته شال عماماتهم فِي أيديهم، وأشاحوا بوجوههم عن العدو، ودخلوا فِي صفوفنا. وبرى بِك هَذَا مِن التُرْكُمان الذين جاءوا مع أمراء التُرْكُمان الذين كانوا تحت قيادة عبد الباقى ميرْزا ومراد بِك بايندرعِنْدَمَا تسلط الشاه اسماعيل على سلاطين بايندر[1] واستولى على ممالك العراق.

تمكنت مَيْمَنَة جيشنا مِن هزيمة العدو فِي البداية، وتقدموا، وبلَغَت مقدمتهم الحَدِيقَة التي أنشأتها. أما المَيْسَرَة فقد وصلَت إلى الجداول الكبيرة التي تقع أسفل حَسَن أبدال. وكان مُقيم مع رِجَاله فِي مواجهة هَذَا الجناح الأيسر. وكانت جند المَيْسَرَة قليلة العدد مقارنةً برِجَال مُقيم؛ وهو

(١) أحد عشائر تركمان العراق.

العدوالذي يواجهونه. لكن شاء الله أن كانت الجداول الثلاثة أو الأربعة الكبيرة المتجهة إلى «قَنْدَهار» وقُرَاها، تفصل ميسرتنا عن العدو، فالتزموا برأس المَخَاضَة وعجزوا عن تجاوزوها. أما رِجَال المَيْسَرَة فرغم قلة عددهم، أبلوا بلاءً حسنا فِي الدفاع عن المَخَاضَة، وثبتوا فِي مكانهم. (٢١١أ) وصارع أحد الأرغونيين واسمه حلواجي تَرْخان، قُنْبُر علي وتنرى بردي فِي وسط الماء. وجُرح قُنبُر علي. كما أُصيب قاسم بِك بسَهْمٍ فِي جبينه. وأُصيب غورى برلاس بسَهْمٍ اخترق أعلى حاجبه. وخرج مِنْ فَوْقِ وجنته.

فِي هَذهِ الأثناء، أجبرنا العدو على الفرار، وجاوزنا هَذهِ الجداول إلى طرف مخرج جبل «مرغان». وعندما جاوزنا هَذهِ الجداول، رأينا رجلا ممتطيا جوادا أغبرا، ويقف عِنْدَ سفح الجبل مترددا إلى أي جهة يتجه. وفِي النهاية اتجه صوب الناحية التي استقر عَلَيْهَا. وقد رأيتُه يشبه شاه بِك. وكان هو بالفعل. فعندما انهزم العدو، قبضنا على كل جنده ورِجَاله وأخذنا فِي تعقبه، وظل معي أحد عشر رجلا كان أحدهم عبد الله الكتابدار. وكان مُقيم ما زال يقاوم. فلم ألتفت إلى قلة رِجَالي، وتوكلت على الله، وقرعنا الطبول، وتقدمنا ناحية العدو.

القليل والكثير عطاء مِن الله، فليس للإنسان قُدرة فِي هَذهِ الدنيا

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (1)

فما أن سمع قَرْع الطبولِ، وأَدْرَكَ أننا فِي الطريق إليه، إلا وتخلى عن المقاومة، ولاذ بالفرار.

دخول بَابُر قلعة قَنْدَهار:

وبعد فرارِ العدو، تحَرَّكْنا قاصدين «قَنْدَهار»، ونزلنا «حَدِيقَة فروح زاده» التي اندثرت ولم يبق لها أثر الآن. (٢١١ب) وهَرَبَ شاه بِك ومُقيم، وعجزا عن دخول قلعة «قَنْدَهار». وخرج شاه بِك إلى ناحية «شال» و«ماستونغ». أما مُقيم فقد قصد « زميناور». بدون أن يتركا رجلا لتأمين الحِصْن. وكان فِي الحِصْن أَحْمَد علي تَرْخان وهو مِن إخوة قُلي بِك أرغون المعروف بمودته وولائه لنا، ومعه آخرين. فاتصلوا بنا وطلبوا الأمان لإخوتهم، فقبلنا

---

(1) سورة البقرة ٢٤٩.

طلبهم رعاية لحقهم. ففتحوا «باب ماشور»، أحد أبواب الحِصْن. ولم يفتحوا بقية الأبواب. تحسبا للدهماء مِن أهلها. وكلفنا شيريم بِك، ويارك بِك بهذا الباب المفتوح. ودخلتُ ومعي بعض الخَوَاص، وتقدمتُ ناحية الدهماء فأمرتُ بقتل رجل أو اثنين منهم ليكونوا عبرة. وتوجهتُ أول ما توجهتُ إلى خزانة مُقيم فِي الحِصْن الخارجي. وكان فِي منتصف الحِصْن بيت مِن الحجر. وكان عبد الرزاق ميرْزاقد سبقنى إليه ونزل به. وأنعمتُ عَلَيْهِ بشيء مما فِي هَذهِ الخزانة، وكلفتُ دوست ناصِر بِك، وقول بايزيد بكاول، ومُحَمَّد بخشى بحراستها. ومن هُنَاكَ، توجهتُ إلى الحِصْن الداخلي. وكلفتُ شاه بِك، والخوجه مُحَمَّد علي، وشاه محمود، ومعهم طغاي شاه بخشي بحراسة الخزينة. وأرْسَلْنا ميريم ناصِر، ومقصود صوجي إلى بيت مَن يدعى ميرجان، وكان صاحب ديوان عِنْدَ ذو النون. وأعطينا البيت إلى ناصِر ميرْزا. وسلمنا الشَّيْخ ابو سعيد ترْخان إلى ميرْزا خان، و[....] [1] إلى عبد الرزاق. (٢١٢أ) وكان فِي هَذَا الولايات مِن النقود ما لم نره مِن قبل أبدا بل لم نسمع عمن رأى مثلها.

أمضيتُ هَذهِ الليلة فِي الحِصْن الداخلي. وأمسكوا بعبد لشاه بِك يُدعى سُنْبُل، وجاءوا به. والحق، أنه كان آنذاك صديقا مقربا له، ولهذا لم نُولِه الرِّعَايَة المرجوة. وسلمتُه إلى أحد الرِجَال فلم يتخذ معه الحيطة الواجبة، فولى هاربا.

وفي اليوم التَّالِي، قصدتُ «حدائق فرخزاد» حيث معَسْكَر الجَيْش. وأعطيتُ ولاية «قنْدَهار» إلى ناصِر ميرْزا. وقمنا بضبط خزائنها وحملناها، وعند إخراجها مِن المدينة، أخذ ناصِر ميرْزا مِن الأموال الموجودة فِي خزانة الحِصْن الداخلي حمل قافلة مِن البعير. ورفض أن يعيدها. فأنعمتُ بها عَلَيْهِ.

غنائم قنْدَهار:

تحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا بجوار«قوش خانه». وأمرنا بنقل معَسْكَر الجَيْش. وبعد أن تجولتُ فِي أطرافِ المكان، رجعتُ إلى المَعَسْكَر فِي وقت متأخر شيئا ما. فوجدتُ المَعَسْكَر

(١) فراغ فِي الأصل.

على غير ما تركتُه. فقد تغير حاله تماما حَتَّى كدتُ لا أعرفه، وملأت المعَسْكَر الخيول الأصيلة، وقطعان الإبل، والبغال، والأقمشة، ولوازم الخيل، والسروج، والخيام، والأوتاقات[1] الحرير، والقطيفة، وفِي كل خيمة تكدست الصناديق. فقد فرزوا كل ما هو نفيس فِي خزائن هذين الأخوين. وفِي كل خزانة مِنْها وجدوا صناديق وحاويات مِن الأقمشة، وأحمال مِن النقود لا حصر لها. وفِي حجرة كل واحد وفِي خيمته كانت كل أنواع الغنائم وأشياء كثير تفوق الحد. كل هَذَا دون أن يكترثوا بما يُوجَد مِن أغنام. (٢١١ب)

وأنعمتُ على قاسم بِك بأموال ومتاع خواص « قَلَات » وعلى رأسها ما يخص قوج أرغون، وتاج الدين محمود. ولأن قاسم بِك يحسن التقدير، فقد رأى أنه مِن غير المناسب بقاؤنا بجوار «قَنْدَهار» أكثر مِن هَذَا، وأن نأمر بأن يتنقل جامعو المكوس مِن منزلٍ تلو آخر. وكما ذكرنا أننا أنعمنا بقَنْدَهار على ناصِر مِيرْزا، وبعد أن أذنا له تَحَرَّكْنَا إلى «كَابُل». ولأن الوقت لم يتسع لتقسيم الخزانة بجوار «قَنْدَهار»، قمنا بتقسيمها ونحن نبعد عن «قراباغ» بحوالي أربعة أَيَّام أو خمسة. وكان مِن العسير إحصاء أموالها. فقسمناها بالميزان. وأعطينا كل واحد مِن الأُمَرَاء حملا مِن النقود الفضية، وكل واحد من الخدم ملء وعاء مِنْها، فحملوها على ركائبهم. ووصلنا إلى «كَابُل» بغنيمةٍ وفيرةٍ، وشرفٍ رفيع.

زواج بَابُر:

أرسلتُ فِي طلب البيجوم معصومة سُلْطَان ابنة السُلْطَان محمود ميرْزا، وأمرتُ بإحضارها مِن «خُراسان»، وتزوجتُها عِنْدَمَا رجعتُ هَذهِ المرة إلى «كَابُل».

حصار شَيْبَاق خان لقَنْدَهار:

بعد ستةِ أيّام أو سبعة، جاء أحد رِجَال ناصِر ميرْزا بِخَبَرِ محاصرةِ شَيْبَاق خان لقَنْدَهار. وسبق أن ذكرتُ هروب مُقيم ناحية «زميندارور». فقد ذهبَ وقابل شَيْبَاق خان. وكان الرسل يتقاطرون مِن عِنْدَ شاه بِك بلا انقطاع. وبسبب دهائهم وحُسن تنظيمهم، ظن

---

(٢) الأوتاق هي خيمة السلطان.

شَيْبَـاق خان أنتى فِي «قَنْدَهار» فتحرك بسرعة مِن «هَرَاة» مِن ناحية الجبل نحو «قَنْدَهار» .
ولأن قاسم بِك رجل مجرب، فقد فَكَّر فِي هَذَا، وطلب خروجنا مع المحصلين[1] مِن «قَنْدَهار».

إن ما يراه الشاب فِي صفحة المرآة،

يراه الشَّيْخ المجرب على صفحة القرميد

عزم بَابُر التوجه إلى الهِنْد:

جاء شَيْبَاق خان، وحاصر ناصِر ميرْزا فِي «قَنْدَهار» . فلما بلغنا هَذَا الخَبَر، استدعيت الأُمَرَاء وشاورتهم فِي الأمر، فأشاروا بقولَهُم:

إن قوما أباعد، وأعداء قدامى مثل الأُزبَك وشَيْبَاق خان، استولوا على كل الولايات التي كانت فِي يد أبناء الأمير تيمور، وما تبقى مِن التُرك والچغتائيين تفرقوا هنا وهُنَاكَ فِي الأطراف والأكناف، وانضم بعضهم إلى الأُزبَك طوعا، وبعضهم انضم إليهم كُرها. وكنا يومًا فِي «كَابُل»، وكان العدو شديد البأس، ونحن ضعفاء منكسرين. وليس هُنَاكَ ثمة احتمال للصلح أو ميدان للصمود. وفِي مواجهة مثل هَذِهِ القوة وهذا البأس، ينبغى عَلَيْنَا أن نطلب منزلا لنا أبعد ما يمكن عن هَذَا العدو شديد البأس. فعلينا أن نقصد إما «بَدَخْشان» أو «الهِنْد». وينبغي أن نحزم أمرنا على أحدهما.

وكان رأي قاسم بِك وشيريم بِك ومن معهم أن نذهب إلى «بَدَخْشان». وفِي ذَلِكَ الحين كان مباركشاه وزير موجودا فِي «بَدَخْشان» وهو مِن البَدَخْشانيين الذين كسروا عصا الطاعة عَلَيْنَا، وكَذَلِكَ كان أمر جِهانكير التُرْكُمانى ومُحَمَّد القورچى،. فقد طردا ناصِر ميرْزا. إلا أنهما لم ينصاعا للأُوزبك. (٢١٣ب) ورجحت أنا وبعض الأُمَرَاء مِن خاصتى الذهاب إلى «الهِنْد»، وعلى هَذَا تحَرَّكْنَا إلى «لَمْغَان».

توجه بَابُر إلى لَمْغَان:

بعد فتح «قَنْدَهار»، أنعمنا على عبد الرزاق ميرْزا بولاية «قَلَات» وترنوك، ومقره فِي

(١) أغفلت الانجليزية كلمة مع المحصلين.

«قَلَات». وعندما حاصر الأُزْبَك «قَنْدَهار»، لم يطق عبد الرزاق ميرْزا البقاء في «قَلَات»، فتركها وجاء إلينا وقت مغادرتنا «كَابُل». فتركناه في «كَابُل». ولم يَكُنْ في «بَدَخْشان» سُلْطان أو أحد مِن أبناء السلاطين. ورغب ميرْزاخان في الذهاب إلى «بَدَخْشان»، ولعل هَذَا كان لعلاقته بشاه بيجوم أو لعلها زيَّنت له هَذَا. فأذِنا لِميرْزاخان بالذهاب إلى «بَدَخْشان». وذهبَتْ معه البيجوم شاه. وكانت خالتي مِهرنِكارخانم ستذهب إلى «بَدَخْشان». وكان مِن الأنسب أن يكونوا معي. فهم إخوتى الأشقاء. وحاولتُ أن أثنيهم عن رأيهم، بلا جدوى، وغادروا هم أيضا.

في الطريق إلى الهِنْد:

وفي شهر جمادى الأول[1]، تحَرَّكْنا مِن «كَابُل» على نية التوجه إلى «الهِنْد». فعبرنا «خرد كَابُل»، ونزلنا مِن طريق «سُرخ رباط» إلى «قوروقساي» وكان الأَفْغَان الذين [يقطنون] بين «كَابُل» و«لَمْغَان»، لصوصا وقطاع طرق حَتَّى فِي زمن السلم. وكانوا يتحرون مثل هَذهِ الأعمال لكن تذهب جهودهم سدى. وزادت مفاسدهم وتضاعفت عشرة أضعاف بقولهُم عنى: أضاع «كَابُل» وهو فِي الطريق إلى «الهِنْد»[2]. فانقلبت بذَلِكَ حسناتهم سيئات. (٢١٤أ) حَتَّى إنه فِي الصباح الذي اجتزنا فيه «چيكداليك»، نظم أفغان ««خضر خيل، و «همو خيل»[3]، و«خرلجى»، و«خوكيانى» قواتهم عاقدين العزم على السيطرة على «دَرْب چيكداليك». وجاءوا إلى الجبل الذي فِي الطرف الشمالي، وقرعوا الطبول، وأشهروا السيوف، واستعدوا للحرب. وبمجرد أن اعتلينا الجياد، أصدرتُ أوامرى للجند بالتوجه إلى الجِبَال. وبدأ كل جناح منهم فِي التحَرُّكِ مِن مكانه. وعجز الأَفْغَان عن الصمود لدقيقة واحدة، ولاذوا بالفرار بدون أن يطلقوا سهما واحدا. واعتليتُ الجبل لمطاردة الأَفْغَان. وكان أحدهم يلوذ بالفرار مِن مَوْضِع بالسفح أسفل مني قليلا. فأطلقتُ سهما على ذراعه فأصابه، فأمسكوه وجاءوا به مع عدد آخر مِن الأَفْغَان،

(١) يقابل سبتمبر ١٥١٧م.

(٢) أغفلت الانجليزية عبارة "وهو فِي الطريق إلى الهِنْد".

(٣) أغفلت التركية هَذَا الاسم.

فوضعنا بعضهم على السيخ عقابا لَهُم، وليكونوا عبرة، ثُمَّ نزلنا حصن « آديناپور » فِي مقاطعة «نيكنهار».

وحَتَّى ذَلِكَ الحين، كنا قلقين لم نفكر أين سيكون معَسْكَر الجَيْش، فلا مكان محدد نذهب إليه، ولا مكان معين نقيم فيه. فإذا علمنا شيئا عن مكان ما، نتوجه إليه على الفور، ونتخذه مقرا لنا. وكنا فِي أواخر الخريف، وعامة النَّاس جمعوا الأرز مِن الحقول. واقترح مَن يعرفون المكان أن مزارع أرز الكُفَّار كَثِيرَة أعلى سهول مقاطعة عليشَنْك[1]، ويمكن للجُنُود أن يتمونوا مؤونة الشتاء مِن هُنَاكَ.

وَغَادَرْنَا وادي «نيكنهار»، وتقدمنا بسرعة، فاجتزنا سايكل، ومضينا حَتَّى بلغنا « وادي برائين »، (٢١٤ب) وأخذ الجُنُود أرزا كثيرا. وكانت حقول الأرز فِي سفح الجبل. فهَرَبَ الأهالي وصعدوا الجِبَال. وقتلنا عددا مِن الكُفَّار.

وخرج بعض الفتية مِن مخرج « وادي برائين » بغرض الاستطلاع. فلما رجعوا جاء الكُفَّار بسرعة إلى الجبل وبدأوا فِي إطلاق السهام. فأدركوا بوران صهر قاسم بِك، فأصابوه بالبلطة وقبضوا عَلَيْهِ. وعندئذ ورجع الفتية الذين خرجوا، وطاردوهم حَتَّى أجبروهم على الفرار، وأنقذوا بوران مِن أيديهم. وأمضى الكُفَّار ليلتهم فِي حقول الأرز، وأخذوا مِنْهُ كمية كبيرة، ولم يأتوا إلى المعَسْكَر.

فِي تلك الأَيَّام نزلنا فِي نواحي مقاطعة «مندراو»، وتم عقد زواج ماه جوجوك ابنة مُقيم مِن قاسم كُوكَلْداش، وكانت ما زالت فِي عصمةِ شاه حَسَن.

وعندما رأينا أنه مِن المناسب السَّيْر إلى «الهِنْد» أرْسَلْنا المُلا بابا پَشاغرى إلى «كَابُل» مع عدد مِن الفتية. وتحركنا مِن نواحي «مندراو» إلى « أَتَر وشيوه ». وأقمنا هُنَاكَ أَيَّاما. وجئنا مِن «أتر» إلى «كُنَر» و«نوركل». وتفرجتُ عَلَيْها. ومن «كُنَر» ركبتُ الطَوْف. وجئتُ إلى

---

(١) تقع فِي شرق أفغانستان.

المَعْسكَر. ولم أكن قد ركبتُ الطَوْف أبدا قبل هَذَا. وقد بدأنا فِي استخدام الطَوْف مُنذُ ذَلِكَ الحين.

محاصرة شَيْبَاق خان قَنْدَهار وتراجعه عنها:

وفِي تلك الأَيَّام، جاء المُلَّا ميرك الفَرْكَتْي مِن عِنْدَ ناصِر ميرْزا، وأبلغنا أن شَيْبَاق خان استولى على قلعة «قَنْدَهار» الخارجية، ثُمَّ انسحب بدون أن يستولى على قلعتها الداخلية، وأن ناصِر ميرْزالسببٍ ما ترك «قَنْدَهار» بعد انسحاب شَيْبَاق خان، (٢١٥أ) وذهب إلى «غَزْنَة». ووضح لنا سبب هَذَا.

فبعد بضعة أَيَّام مِن رحيلنا، شن شَيْبَاق خان هجوما على «قَنْدَهار» فِي غفلة مِنْها، وعجز مَن فيها عن تحصين القَلْعَة الخارجية بِشَكْلٍ جيد، فتركوها. ونقب [جِدَار] القَلْعَة فِي عدة مواضع، وهاجم مِنْها عدة مرات، ولما أُصيب ناصِر ميرْزا بسَهْمٍ فِي عنقه، وإزاء عجزه وقلة حيلته، اضطرب خوجه مُحَمَّد أمين، وخوجه دوست خاوند، ومُحَمَّد علي بياده، وشامى وكانوا ممن فِي القَلْعَة، فتركوها وولوا هاربين. واعترى اليأس مِن بداخل القَلْعَة، وبينما هم على وشك تسليمها، بدأ شَيْبَاق خان مفاوضات الصُلْح، وذهب عن «قَنْدَهار». وكان سبب ذهابه، أنه عِنْدَمَا سار إلى «قَنْدَهار»، أرسلَ عائلته إلى «نيره تو»، وأعلن أهلها العصيان عَلَيْهِ، واستولوا على قلعتها، ولهذا عقد ما يشبه الصُلْح [مع ناصِر ميرْزا] وانسحب.

اتخاذ بَابُر لقب بادشاه:

انتصف الشتاء. وجئنا إلى «كَابُل» بعد أَيَّام عبر طريق « باديج »، وأمرتُهُم أن ينقشوا تاريخَ مجيئنا إليها ومغادرتنا لها فوق حجر فِي الطرف العلوى مِنْها. فكتبه حافظ ميرك، وقام الأستاذ شاه مُحَمَّد بنَقْشِهِ على الحجر. لَكِنَّهُ لم يتمكن مِن نَقْشِهِ جيدا بسبب العَجَلَة. وقد أنْعَمْتُ على ناصِر ميرْزابغَزْنَة. وأعطيتُ عبد الرزاق ميرْزا ولاية «نيكنهار»، و« دره‌ء نور»، و«كُنَر»، و«نور كل». وكانوا يُطْلِقُون على أبناء الأمير تيمور حَتَّى ذَلِكَ اليوم لقب ميرْزارغم السَّلْطَنَة. فأمرتُ أن أُخاطَب بلقب بادشاه [أي السُلْطَان].

مولد هُمايون بن بَابُر:

وفِي أواخر هَذهِ السنة، وفِي ليلة الثلاثاء، العشرين مِن ذى القعدة (٢١٥ب) بَيْنَما الشمس فِي برج الحوت، ولد هُمايون فِي قلعة «كَابُل» الداخلية. وقد سجل الشاعر مولانا سَيِّدى تاريخ مولده بحساب الجُمَّل بعبارة سُلْطَان هُمايون خان كما سجله أحد الشعراء الصغار بعبارة شاه فيروز قَدْر. وبعد ثلاثة أَيَّام أو أربعة مِن مولده أسميناه هُمايون.

وبعد مولد هُمايون، قصدنا إلى « چارباغ »، وأقمنا حفل عقيقته. وقد جاء الأُمَرَاء، والسادة الكبار والصغار، بهدايا مـولده، وجمعنـــا أموالا كَثِيرَة لم نر مثلها مِن قبل. وكان حفلا رائعا.

***

وَقَائِعُ سَنَةِ أربع عشرة وتسعمائة[1]

فِي هَذَا الصيف[2]، قمنا بالغارة على جماعة مِن أفغان «مهمند» بنواحي «مُقُر». وبعد الرجوع مِن هَذِهِ الغارة بأَيَّام، حاول قوج بِك، وفقيرعلي كريم داد، وبابا جهرة الهَرَبَ. وبمجرد علمنا بهذا، أرْسَلْنا رجلا أمسك بهم أسفل « استرغج »، وجاء بهم. وعَرضوا علي بعض ما تقَوَّل به هؤلاء مِن لغو سيئ أثناء حياة جهانكير مِيرْزا. فأصدرتُ أوامرى بقتلَهُم جميعا فِي السوق. فجاءوا بهم إلى الباب، وأوثقوا قيدهم، وبدأوا فِي عمل الاستعدادات لشنقهم، وأرسل قاسم بِك مَن يُدعى خليفة وألحَّ فِي طلب العفو عنهم، فعفوتُ عنهم إكراما لقاسم بِك، وأمرتُ بإلقائهم فِي الحبس.

تآمر المُغُول على بَابُر:

وفِي خِضَم هَذَا، اتفق چلمه علي، والسَيِّد سَمْكَه، وشير قُلي، وإيكوسالم، وهم مِن كبراءِ المُغُول، وأتباع خُسْرو شاه فِي «قُنْدُز» و« حِصار »، وكذا سُلْطَان علي چهره، وخدابخش مِن الچغتائيين ذوي المكانة أتباع خُسْرو شاه، وسويوندوك وشاه نظر مِن التُرْكُمان وتحت قيادتهم ألفان أو ثلاثة آلاف مِن خيرة الفتيان، اتفقوا سرا فيما بينهم، وعقدوا العزم على الإفساد. وكان هؤلاء [المتآمرون] يقيمون فِي المناطق الممتدة مِن سهل «سونك قورغان» إلى سهل «جالاك».

وكان عبد الرزاق ميرْزا قد جاء مِن «نيكنهار» وأقام فِي «دِه أفغان». وكان محب على القورچي، قد تحدث مرة أو مرتين إلى خليفة والمُلّا بابا، عن اللقاءات التي يعقدها هؤلاء.

كما ألحوا لي بهذا. ولم نتخوف مِن الأمر لاستحالة تصور نجاح مؤامرتهم. وذات ليلة، كنت أجلس فِي الديوان فِي «چارباغ»، جاء موسى خوجه مع رجل على عَجَل وأفضى إلىّ أن

---

(١)٣مايو١٥٠٨.

(٢) جاءت فِي التركية والانجليزية الربيع.

المُغُول قد أجمعوا أمرهم على الحرب يقينا. ولم يتهيأ لنا أن نعرف على وجه اليقين إن كان عبد الرزاق ميرْزا قد انضم إليهم أم لا. ولم نتبين إن كانوا سيقومون بالغارة هَذهِ الليلة.

وتصنَّعْتُ الغفلة، وبعد لحظةٍ ذهبتُ إلى الحريم. وكانت النساء آنذاك يُقِمْنَ فِي «باغِ خلوت»، و«باغِ يوروِنج». فلما اقتربْتُ مِن الحريم، صرفْتُ الخدم رِجَالا ونساءً إلى أماكنهم. وبعد انصرافهم، (٢١٦ب) قصدْتُ المدينة مع رئيس الخدم. وما أن وصلنا إلى «باب آهنين» مِن طريقِ الخندق، حَتَّى جاء الخوجه مُحَمَّد علي مِن الطرفِ الآخر عبر طريقِ السوق. وأنا معه...الحَمام...[1]

***

(١) عند هَذهِ العبارة انقطع الكلام عن وقائع عام ٩١٤= ١٥٠٦م

وَقَائِعُ سَنَةِ خمس وعشرين وتسعمائة(١)

السيطرة على قلعة بَجُور:

وفِي يَومِ الإثنين الأول مِن شهر المحرم، وقع زلزالٌ كبيرٌ أسفل «وادي چَنْدَاوَل»، واستمرت توابعه ما يُنَاهِز نصف ساعة نَجْمِيَّة(٢).

وفِي صباحِ اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، ونزلنا بالقرب مِن «قلعة بَجُور» عازمين على اقتحامها. وأرْسَلْنا أحدَ أفغان «دِله زاك» ذوي الاعتبار، إلى سُلْطَان «بَجُور» وأهلها، لينصحهم بإظهار العبودية، وتسليم القَلْعَة. فرفض هؤلاء المنحوسين الجهال النصح، وردوا بكلام لا طائل وراءه. وأصدرنا الأوامر إلى الجُنْد بتجهيز الدروع والسلالم وعمل الاستعدادات اللازمة للاستيلاء على القَلْعَة. واضطررنا للبقاء فِي هَذَا المكان ليوم آخر مِن أجْلِ هَذِهِ الاستعدادات.

وفِي يَومِ الخميس الرابع مِن محرم، أَصْدَرْنَا الأوامر إلى الجُنْد بِلِبْسِ الدروع، وحَمْلِ السلاح، واعتلاءِ الجياد، وأن تتقدم الجُنْد، وتعبر مَخَاضَة أعلى« قلعةِ بَجُور»، ثُمَّ تنزل شمال القَلْعَة، وتكون قوات القلب فِي شمالِ غربِ القَلْعَة، (٢١٧أ) وتنزل فِي الأماكن المرتفعة الوَاسِعَة

---

(١) ٣ يناير ١٥١٩ – ٢٣ديسمبر ١٥١٩. وثمة نقص فِي وصف الوقائع من عام ٩١٤ إلى عام ٩٢٥، أي حوالى إحدى عشرة سنة، وهذه هي الفترة التي توطدت فيها صلة بايُر بالشا اساعيل الصفوي. وقد تضمن تاريخ جامع الدول للمؤرخ العثمانى منجم باشى بعض ما تم خلال هَذِهِ السنوات بشكل موجز فكتب:[وفي سنة ٩١٧ وصل إلى بابر خبر قتل شَيْبَاق خان بخُراسان، فتجهز وانضم إليه ابن عمه خان ميرزا بعسكر بَدَخْشان فسار وقاتل الأُزبكية وكسرهم وقتل حمزة سلطان ومهدى سلطان ابن شَيْبَاق خان واستولى بابر على شادمان وقُنْدُز وبقلان ثُمَّ استنجد شاه إساعيل الصفوي فأنجده بجيش وسار إلى سَمَرْقَنْد وسخرها في سنة ٩١٧ وبقى فيها ثمانية أشهر ثُمَّ قصده عبيد الله خان الأُزبكي فِي صفر سنة ٩١٨ فاقتتلا فِي موضع كول ملك فانكسر بابر وهرب إلى كَابُل فأستولى الأُزبكية على ما وراء النَّهْر ثانيا ولم يملك التَّيْمُورِية بعد ذلك قط ثُمَّ استمد بايُر إساعيل الصفوي ثانيا فأمده بمير نجم فِي جيش عظيم فسار معهم وقاتل الأُزبكية بظاهر قلعة غجدوان، فصبر الفريقان واشتد الحرب ثُمَّ انهزم بابر وقتل مير نجم ولم يفلت من عسكرالقزلباش أحد فِي هَذِهِ المعركة، فسار بابر إلى كَابُل وبئس من طرف ما وراء النَّهْر، ورغب فِي فتح الهِنْد].

(٢) الساعة النجمية هى معرفة الوقت عن طريق مواقع النجوم.

وفوق الرُبى بدون أن تعبر الماء، أما المَيْمَنة فتنزل غرب الباب الذي فِي أسفل. ولما جاوز أمراء المَيْسَرَة بقيادة دوست بِك النَّهر، خرج مِنَ القَلْعَة حوالي مائة أو مائة وخمسين مِن المشاة، وأخذوا فِي إطلاق السهام. فأطلق عَلَيْهِم هؤلاء الأُمَرَاء بدورهم السهام وهم يتقدمون نحوهم. وتعقبوا مشاتهم حَتَّى سفح حائط القَلْعَة وردوهم داخلها. وتقدم المُلا عبد الملك الخواستى مع رِجَاله إلى سفح الجِدَار. ولوكانت الدروع والسلالم معدة، ولم يَكُنْ النهار قد ولّى، لتمكنوا فِي تلك الساعة من الاستيلاء على القَلْعَة.

وتبارز أتباع المُلَّا ترك علي وتينري بيردي مع الأعداء وهزموهم، ثُمَّ قطعوا رؤوسهم وجاءوا بها. وقد وعدنا كل واحد منهم بمكافأة. ولأن أهل «بَجُور» لم يروا البنادق مِن قبل، لذا لم يفزعوا مِن صوتها، بل على العكس كانوا كلما سمعوا صوت طلقاتها، يسخرون مِنْها ويأتون بحركات قبيحة. وفِي ذَلِكَ اليوم، رمى علي قُلي خمسة رِجَال منهم بالرصاص فطرحهم أرضا. كما أطلق "ولي خازن" الرصاص على رجلين منهم. وأظهر سائر الرُماة جَلَدا كبيرا. وأحسنوا التصويب، فثقبوا دروعهم وملابسهم الجلدية بطلقات الرصاص وقضوا عَلَيْهِم. واستمروا حَتَّى الليل وهم يعاجلون (٢١٧ب) أهل «بَجُور» برصاص بنادقهم، فقتلوا منهم سبعة أو ثمانية وربما عشرة، ثُمَّ ملأهم رصاص البنادق رعبا. وصَدَرَت الأوامر للجند بأن قد حل الليل، فليجهز الجُنْد ما يلزم ليتسلقوا القَلْعَة فِي وقتِ السحر.

وفِي وقتِ صلاةِ الصبح مِن يوم الأحد الخامس مِن محرم، قَرَعَت طبولُ الحرب، وَصَدَر الأمرُ للجميع بالتحرك وتسلق القَلْعَة. وتَدَرَّع [جُنُود] المَيْسَرَة والقلب، ووضعوا السلالم وتسلقوا. وأمرنا الجناحَ الإيسر مِن قواتِ القلبِ بقيادةِ خليفة شاه حَسَن ارغون، وأحمد يوسف، أن يكونوا عَوْنا للمَيْسَرَة. وذهب رِجَال دوست بِك إلى سفحِ البرجِ الواقعِ فِي الشمالِ الشرقي مِن القَلْعَة، وانشغلوا بالحفر وهدم الجِدَار. وكان الاستاذ علي قُلي هُنَاكَ أيضا، وقد أحسن إطلاق البُنْدُقِيَّة فِي ذَلِكَ اليوم. كما أطلق [المدفع] الإفرنجي مرتين. كما ضرب ولي خازن رجلا بالبُنْدُقِيَّة. وأول مَن صعد السلالم هو ملك علي القطبى مِن جناحِ يسارِ القلب. وكان مشغولا مُنْذُ فترة

بالحربِ والضرب. ومن حيث توجد قوات القلب، تسلق كل مِن مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك وأخوه الأَصْغَر نوروز، كل منهما سُلَّمًا، وتحاربوا بالمزراق والسيف. كما تسلق بابا يساول أيضا أحد السلالم، وانهمك فِي تحطيم حائط القَلْعَة بالبلطة وإتلافه. وقد أحسن كثير مِن الفتيان التحرك هُنَاكَ، وأعجزوا العدو أن يرفع رأسه تحت وابل السهام التي أطلقوها منهمرة. (٢١٨أ) كذَلِكَ بعض الفتيان، انشغلوا بنقب وتخريب القَلْعَة دون أن يأبهوا بالضرب والطعان، أويكترثوا بالسهام والرماح. وقبيل الغروب. تمكن دوست بِك ورِجَاله القائمون على تخريب القَلْعَة، أن ينقبوا البرج الشمالي الشرقي، ويجبروا العدو على الفرار. واعتلوا البرج، وبعناية الله العظيم ولطفه، أحكمت القبضة على قلعة منيعة حصينة على هَذهِ الصورة فِي ثلاثِ ساعاتٍ نجومية. وقد أظهر الفتيان كل ما فِي وسعهم مِن همة وغيرة، فنالوا شرف البطولة والذكر الحسن.

وأهلُ «بَجُور» عدو لنا، وفضلا عن عدائهم المفرط الذي تجاوز الحد، فهؤلاء النَّاس قد شاع بينهم سَمْتُ الكُفَّار، واندرس بين هَذَا القطيع مِن البشر هَدْى الإسلام، ولهذا أعملنا فيهم المذابح، وأسرنا كل نسائهم وولدانهم. ولأن الجانب الشرقي مِنَ القَلْعَة لم يقع فيه قتال، تمكن بعض رِجَالَهُم أن يفر وينجو بنفسه. وبلغ عدد مِن ذبحناهم أكثر مِن ثلاثة آلاف رجل تخمينا.

وبعد إحكامِ السيطرةِ على القَلْعَة، دخلناها وتفرجنا عَلَيْهَا. وكان ما لا يعد ولا يحصى مِن الأشلاء متناثرا عِنْدَ الجدران والبيوت والطرقات والأزقة وكل مكان. وكان الرائح والغادى يخوض فوق أشلاء القتلى. ورجعنا مِن هَذهِ الجولة التفقدية، ونزلنا فِي بيت السلاطين. (٢١٨ب) وأنعمنا بولاية «بَجُور» على الخوجه كلان. وخصصنا له الكثير مِن الفتيان الأكفاء لمعاونته. ورجعنا إلى المعَسْكَر فِي المساء.

وفِي الصباح التَّالِي، نهضنا ونزلنا «نبع بابا قرا» فِي وادي «بَجُور». وبشفاعة خوجه كلان عفونا عن عدد مِن الأسرى، وصفحنا عما ارتكبوه، وأعدنا نساءهم وزراريهم، وإذنا لَهُم بالذهاب. وأمرنا بإعدام بعض السلاطين الذبن قبضنا عَلَيْهِم وبعض المتمردين. وأرسَلْنا رؤوس هؤلاء

السلاطين وبعض رؤوس الآخرين مع خبر الفتح إلى «كَابُل». كما أرْسَلْنا عددا آخر مِنْها مع رسائل الفتح إلى «بَدَخْشان» و«قُنْدُز» و«بَلْخ».

وكان معنا فِي هَذَا الفتح وهذا القتل العام شاه منصور يوسف زئي مِن [قبيلة] يوسف زئي [الأفغانية]. فألبسناه خِلعة، وأذنا له بالذهاب بعد أن كتبنا لَهُم المراسيم و[قانون] السياسة.

وفي يَومِ الثلاثاء التاسع مِن محرم، غادرنا بعد أن فَصَلنا فِي أعمال «بَجُور». ونزلنا فِي نفس وادي «بَجُور» على مَسَافَة فَرْسَخ أسفل [المكان الذي كنا فيه] وأمرنا بعمل منارة مِن جماجم القتلى فوق مكان مرتفع.

وفي يَومِ الأربعاء العاشر مِن شهر المحرم، ركبنا الجياد لعمل جولة، وذهبنا على قلعة «بَجُور». وأقمنا مجلسا للشراب فِي بيت خوجه كلان. وأحضر الكُفَّار فِي نواحي «بَجُور»، بضع قراب مملوءة بالخمر. فكل خمر «بَجُور» وفاكهتها تجلب مِن « كافرستان » المجاورة لها.

(٢١٩أ) وأمضيتُ الليل هُنَاكَ. وفي الصباح، فحصتُ أبراج القَلْعَة وجدرانها، ثُمَّ رجعتُ على المعَسْكَر.

وفي الصباحِ التَّالي، رحلنا ونزلنا عِنْدَ ضَفَّة نهر «خوجه الخضر». وتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا عِنْدَ ضَفَّة نهر « چَنْدَاوَل ». وبعد يوم أو اثنين مِن الإذن بالذهاب لأولئك الذين فارقونا لمساعدة قلعة «بَجُور»، جالت بخاطرى هَذِهِ القطعة فكتبتها، وأرسلتها إلى خوجه كلان:

ليس هَذَا عهدنا بالحبيب وما عهدناه

فقد ساقنى الهجر إلى منتهاه، وبلغ بى الصبر مداه

وأي حيلة للإنسان أمام تقلبات الزمان

التي تفرق فِي عاقبة الأمر ظلما بين الحبيب وحبيبه

وفي يَـومِ الأربعاء السابع عشر مِن شهر المحرم، لجأ إلينا السُلْطَان علاء الدين السوادي مُعارض السُلْطَان ويس السوادي.

وفِي يَومِ الخَميس، قمنا بالصيد فِي الجبلِ الواقعِ بين «بَجُور» و«چَنْدَاوَل». والغزلان فِي هَذَا الجبل حالكة السواد. عدا ذيلها فلونه مختلف. وغالبا أن غزلان «الهِنْد» أسفل هَذَا المكان كلها حالكة السواد.

وفِي هَذَا اليوم، اصطدنا الطائر السارق[1]، وكان أيضا أسود اللون، وكذا عينيه كانتا سوداوتين. كما أمسكنا فِي ذَلِكَ اليوم غزالا بريا.

وكانت مؤونة الجُنْد قد نفدت. فذهبنا إلى «وادي كَهراج»[2]. (٢١٩ب) وبعد أن أخذنا الميرة، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ يوم الأحد عازمين على السَّيْر إلى أفغان يوسف زئي فِي «سواد»[3]، ونزلنا بين «نهر پَنْج كوره»[4] عِنْدَ ملتقى «نهر چَنْدَاوَل» و «نهربَجُور». وأحضر يوسف منصور زئى بعضا مِن [نبات] الكمالي مخدر الأعصاب و[يعطى الإحساس] باللذة. وقسّم الواحدة مِنْها ثلاثة أقسام، أكلت واحدا مِنها، وأكل الثاني كدائي طغائي، وأكل الثالث عبد الله الكتابدار. وكان مسكرا شديدا. حَتَّى إنني لم استطع أن أخرج إلى الأُمَرَاء للتشاور عِنْدَمَا اجتمعوا فِي المساء. فقد كان مخدرا غير مألوف. أما الآن، فإذا أكلت واحدة مِن هَذَا الكمالي فلا يصيبنى ذَلِكَ الخَدَر الذي أحسستُ به فِي ذَلِكَ اليوم.

ثُمَّ ارتحلنا إلى مكان قريب مِن مدخل وادي«بيش كرام»، و «وادي كَهراج» ونزلنا عِنْدَ «پَنْج كوره». ولما كنا فِي هَذَا المنزل نزل الثلج حَتَّى بلغ عظم الكعبين. وقد دهش الأهلون، فقلما ينزل الثلج فِي هَذهِ الأماكن.

وبالاتفاق مع السُلْطَان ويس السوادي، وضعنا خراجا على أهالي «كهراج » مقداره حمولة أربعة آلاف حمار مِن المؤن، وذَلِكَ لكفاية الجُنْد. وأرْسَلْنا السُلْطَان وَيْس لجمعها. ولأن

---

(١) جاءت فِي التركية طائر أصفر، وفي الانجليزية نوع من الطيور يعرف باسم الطائر السارق، وهذا المعنى هو الأقرب للنطق الجغتائي ساريق قوش.
(٢) فِي جنوب أفغانستان الآن.
(٣) منطقة جبلية فِي الهِنْد.
(٤) جنوب أفغانستان الآن.

أهالي جبل «قبا» لم يدفعوا خراجا أبدا، فقد عجزوا عن تقديم هَذهِ المؤونة، وشعروا بالضيق.

وفي يَومِ الثلاثاء الثالث والعشرين مِن شهر المحرم، أرْسَلْنا الجُنْد بقيادة هندو بِك للإغارة على «پَنْچ كوره » (٢٢٠أ) وهي فِي مكان مرتفع قليلا وسط الجبل. وللوصول إليها، كان يلزم أن نتسلق منحدر الجبل لمسافة تقارب الفَرْسَخ. وقد لاذَ أهلها بالفرار. فرجعوا ببعض الماشية والثيران والكثير مِن الميرة.

وفِي الصباحِ التَّالِي، أرْسَلْنا الجُنْد بقيادة قوج بِك لشن غارة أخرى.

وفِي يَومِ الخميس الخامس والعشرين[1] مِن الشهر، نزلنا قرى «مانديش» داخل «وادي كَهراج» لتأمين الميرة للجند.

مولد هِندال ابن بَابُر:

بعد ابنى هُمايون، رزقنى الله بعدد مِن الأبناء، لكن لم يكتب لأي منهم الحياة. ولم يَكُنْ (إبنى) هِندال[2] قد ولد بعد. وأثناء نزولي فِي هَذهِ الناحية، وصلت رسالة مِن [زوجتي] ماهيم[3] تقول فيها: سواء كان المولود ذكرا أو أنثى كما يقدر الله، فهَبْني إياه، وسأعتني به وأربيه كأنه ابني.

وفِي يَومِ الأحد السادس والعشرين مِن الشهر، أرسلتُ مِن مكانى هَذَا يوسف علي الكتابدار إلى «كَابُل» برسائل أننى وهبتُ [ابنى] هِندال إلى زوجتى ماهيم، ولم يَكُنْ هِندال قد ولد بعد.

وتفصيل هَذَا أنه حَتَّى ذَلِكَ الحين، وُلِد لي غلام أَصْغَر مِن [هُمايون]، وأكبر مِن ثلاث شقيقاتٍ. وقد ماتوا كلَهُم إلا [ابنتى] مِهرجان فكانت ما زالت طفلة. وكان [هُمايون] يتوق أن يكون له أخ شقيق. وفِي تلك الأيَّام، حَمَلَت دلدار آغاچه، وكنتُ أقول: كيف بالمولود لو صار

(١) فِي الترجمة التركية يوم الخميس السادس والعشرين.

(٢) هِندال ابن بابر من دلدار آغاچه.

(٣) أم ابنه هُمايون.

شقيقا له. فقالت السَيِّدة والدتي: إذا وضَعَت دلدار آغاچه ذكرا، فماذا لو أخذتُه وربيتُه!. فقلتُ: بها ونعمت.

من عادات النساء:

وكان مِن عادةِ النساءِ أن يتَّخِذْن الفَأْلَ فِي معرفةِ ما إذا كان المولودُ ذكرا أو أنثى. فيكتبون فِي ورقة اسم ذكر، علي أو حَسَن، وفِي ورقة أخرى اسم أنثى فاطمة مثلا. ويغمسن الورقتين فِي الطين ثُمَّ يضعنها فِي إناء به ماء. ويرون أيها ستنفتح أولا. وبهذا يتفاءلن إن كان المولود ذكرا أم أنثى. وانفتحت ورقة الذكر. وتفاءلن بهذا، وعلى الفور، أرسلن رسالة، وبعد بضعة أَيَّام، رزقنى الله بطفل ذكر.

وما أن وُلد الطفل حَتَّى أخذوه عُنْوَة مِن أمه قبل ثلاثة أَيَّام مِن تسلم الخطاب، وأتوا به إلى منزلنا وأبقوه لدينا. وأرسلوا بخبر مولده. وقد وصل الخَبَر عِنْدَ الاستيلاء على «بهْرَه». واعتبرنا هَذَا فألا حسنا. وقد أسموه هِندال. وبهذا أصبح [بمثابة] أخى الأَصْغَر وابنى فِي آنٍ واحدٍ [(١)].

وأثناء مقامنا فِي هَذهِ الناحية، اصطنعنا مصطبة كبيرة مِن الحجر فوق مكان مرتفع، وسط الوادي فِي ولاية «مانديش» . وأقمنا عَلَيْها خيمة بيضاء ذات مدخل. وقد حمل كل الخَوَاص والفُرْسَان حجارة هَذهِ المصطبة.

وجاء الملك شاه منصور ابن الملك سُلَيْمان شاه مِن أفغان يوسف زئي، مظهرا المودة. (٢٢٠ب) وقد طلبنا ابنته حقنا لدماء قبيلة يوسف زئي. وأثناء المقام فِي هَذهِ الناحية، علمنا بخبر مجيئ شاه منصور ومعه ابنته، والمكوس المفروضة على يوسف زئي. وعند المساء أقيم مجلس شراب. ودعى إليه السُلْطَان علاء الدين أيضا. وأنعمنا عَلَيْهِ بخلعة خاصة.

---

(١) الجملة من أول وتفصيل هَذَا أنه.... إلى وابنى فِي الوقت ذاته غير موجودة فِي النسخة الجغتائية التي نشرتها بفريدج، وفِي نصها الجغتائي الذى اعتمدت عليه الترجمة الإنكليزية وكذا فِي الترجمة الأوردية المنشورة عام ٢٠٠٧ ص١٩٣. وقد أوردتها الترجمة التركية ونشرة ايجى مانواليابانى وذكر أنها من نسخة قازان،كما وردت فِي النسخة التي نشرتها شفيقة يارقين لنسخة قازان.

وفِي يَومِ الأحد الثامن والعشرين مِن الشهر، غادرنا « وادي كهراج ». وأثنا مقامنا فِي هَذَا المكان، جاء طاوس خان الأخ الأصْغر لشاه منصور ومعه ابنة أخيه المار ذكرها. ولأن أهل بيسوت على صلة بقلعة «بَجُور»، فقد قمنا بتهجيرهم، وأرسَلْنا يوسف علي بكاول إلى هُنَاكَ لنقلَهُم إلى قلعة «بَجُور». كما أرْسَلْنا الأوامر بعودة الجُنْد الذين بقوا فِي «كَابُل».

وفِي يَومِ الجمعة الثالث مِن شهر صفر، نزلنا عِنْدَ مَوْضِع اتصال «نهر پَنْج كوره» و«نهربَجُور».

وفِي يَومِ الأحد الخامس مِن الشهر، ذهبنا إلى «بَجُور»، وأقمنا مجلسا للشراب فِي بيت الخوجه كلان.

وفِي يَومِ الثلاثاء السابع مِن الشهر، استدعيتُ أمراء أفغان «دِله زاك» وأكابرها، وتشاورنا، وقررنا الآتي:

حيث إن العام أوشك أن ينصرم، وبقى يوم أو يومان وتدخل الشمس برج الحوت، وقد جمعت المحاصيل كلها مِن الحقول التي فِي السهول. فإذا توجهنا إلى «سواد» فِي هَذَا التوقيت، فلن يجد الجُنْد المؤونة، وسيعانون المشقة.(٢٢١أ) لهذا، يلزم أن يكون السَّيْر مِن طريق « انباهر » و« بانى يالي »، ثُمَّ اجتياز نهر «سواد» مِن أعلى «هَشْنَغَر»، والهجوم على أفغان يوسف زئي ومُحَمَّد زئي المقيمين فِي السهل المقابل لسنكير ماهورا التابع ليوسف زئي، ونعالج أمر هؤلاء الأفْغَان برمته فِي السنة القادمة قبيل هَذَا الوقت، حيث يكون وقت الحصاد.

وعزمنا على هَذَا، وفِي يَومِ الأربعاء التَّالِي أنعمنا على السُلْطَان ويس والسُلْطَان علاء الدين بالجياد وخلعنا عَلَيْهِم مع وعد بالمساعدة، ثُمَّ رحلنا ونزلنا عِنْدَ «بَجُور»، وقد تركنا ابنة شاه منصور فِي قلعة «بَجُور» لحين الرجوع مِن الحملة.

ورحلنا فِي اليومِ التَّالِي، واجتزنا «خوجه الخضر» ثم نزلنا، وهناك أذنا لخوجه كلان، وأرْسَلْنا أثقال القصر وما زاد مِن لوازم الجُنْد، والأحمال الثقيلة إلى «لغمان» مِن طريق «كُنَر».

ورحلنا فِي الصباحِ التَّالِي، بعد أن جعلنا الأحمال الثقيلة والإبل فِي معية الخوجه مير ميران، وأرْسَلْناه بها إلى «دَرْب قرا كوبه» مِن طريق «جورغاتو» و«دروازه»، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا نَحْنُ بسرعة بالجيادِ الخفيفة، وتجاوزنا دَرْب «انباهر» فوصلنا « باني يالي » قبيل العصر. وأرْسَلْنا أوغان بردي مع بضع رِجَال ليتقدمونا ويرصدوا لنا الطريق.

ولقرب [المسافة] بيننا وبين الأَفْغَان، لم نتحرك مبكرا. وجاء أوغان بردي عِنْدَ الشروق [وزعم أنه] قبض على أحد الأَفْغَان وقطع رأسه. (٢٢١ب) لكن الرأس وقعت مِنْهُ فِي الطريق. ولم يأت لنا بالخبر اليقين الذي نتمناه.

ورحلنا عِنْدَ الظهر، واجتزنا نهر «سواد»، ونزلنا قبيل العصر. وعند المساء، استأنفنا التحرك، وأسرعنا فِي السَّيْر. وعندما صارت الشمس بارتفاع مزراق، جاء رستم التُّرْكُمانى الذي أرْسَلْناه طليعة لنا، بخبر مفاده أن الأَفْغَان علموا بالأمر، وأخذوا فِي التَحَرُّكِ، وأن بعض الأَفْغَان ذهبوا مِن طريق الجبل. فلما سمعنا هَذَا، ضاعفنا مِن سرعتنا، وأرْسَلْنا المغيرين ليتقدمونا، فذهبوا وقتلوا عددا مِن الأَفْغَان، وقطعوا رؤوسهم، وأحضروا بعض الأسرى والثيران والبقر. كما جاءوا برؤوس عدد مِن أفغان «دِله زاك».

ورجعنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا قريبا من «كاتلانك». وأرْسَلْنا مرشدا لمقابلة الخوجه مير ميران الذي يتولى نقل أثقال القصر. وأبلغنا أنه سيلحق بنا فِي مقام.

ورحلنا فِي الصباحِ التَّالِي، ونزلنا بين «كاتلانك» و«مقام». وجاء رجل [مِن عِنْدَ] شاه منصور. وأرْسَلْنا خُسْرو كُوكَلْداش وأحمد بروانجى مع عدد مِن الرِجَال ليكونوا فِي استقبال الأثقال.

وفِي يومِ الثلاثاءِ الرابعِ عشر مِن الشهر، لحقوا بنا لما نزلنا إلى مَقَام.

وفِي هَذهِ السنواتِ الثلاثين أو الأربعين، ظهر مُلْحِدٌ يدعى شهباز قلندر. وهذا الدرويش هو الذي جعل جماعة يوسف زئي وفريقا مِن «دله زاك» ملحدين. وأمام جبل «مَقَام» (٢٢٢أ) تَلٌ على ربوة جميلة جدا تُشرف على فضاءٍ واسعٍ على مرمى البصرِ بها قبر شهباز قلندر. وقد جئتُ إلى هَذهِ الناحية وتفرجتُ عَلَيْها، وتأملتها. وتساءلتُ فيما بينى وبين

نفسى، كيف يكون قبر درويش ملحد في مكان طلق الهواء كهذا. فأمرتُ على الفور بتخريبه وتسويته بالأرض. ولأنه مكان طلق الهواء وآية في الجمال، فقد أكلنا المعجون فيه، وأقمنا بعض الوقت.

وكنا قد تَحَرَّكْنا مِن «بَجُور» عازمين على السَّيْر إلى «بَهْرَه» . فمنذ مجيئنا إلى «كَابُل»، ونحن عازمون على السَّيْر إلى «الهِنْد». ولم يتيسر لنا هَذَا بسبب بعض الموانع. ولم ينل الجُنْد شيئا ذا بال مِن حملة «بَجُور» التي استمرت ثلاثة شهور أو أربعة. ونظرا لقرب «بَهْرَه» الكائنة على حدود «الهِنْد»، فقد جال بخاطرنا أننا إذا ذهبنا فورا بغير أثقالنا، ربما تَحَصَّل الجُنْد على غنائم.

وتحركنا وقد تمكن منا هَذَا الخاطر، وهجمنا على الأَفْغَان، وعندما نزلنا إلى «مقام»، عرض عَلَيْنَا بعض المخلصين أنه: إذا كنا سندخل «الهِنْد»، فينبغى أن ندخل إليها ونحن على أتم الاستعداد. فقد بقى بعض مِن الجُنْد فِي «كَابُل»، وتركنا بعض الفتية الأكفاء فِي «بَجُور». وقد رُدّت أكثر الجياد إلى «لَمْغَان» لما أصابها مِن وهن. والذين جاءوا إلى هنا خيولَهُم مجهدة، حَتَّى أنها لا تستطيع الكَرَّ ليومٍ واحدٍ. والحق، إن نظرتهم كانت ثاقبة، لكنا كنا قد قطعنا أمرا، فتحركنا فِي الصباح (٢٢٢ب) صوب دَرْب «نهر السِّنْد» مهملين مثل هَذهِ المسائل. وأرسَلْنا إخوة مير مُحَمّد جاله بان الكبار والصغار، ومعهم عدد مِن الفتيان، إلى أعلى النَّهْر وأسفله، للتحرى عن مَخَاضَة «نهر السِّنْد».

وأرسلتُ الجُنْد إلى مشارفِ النَّهْر، وذهبتُ إلى «سواتى» [١] التي يسمونها «كرك خانه»، لصيد الكرك[٢]. وظهَرَ عددٌ مِنْهُ، لكن كان مدخل [الدغل] ضيقا جدا، فلم تخرج مِنْهُ. وخرج أحد صغارها هاربا إلى مَوْضِع مستوٍ. فأطلقوا عَلَيْهِ سهاما كَثِيرَة. فدخل إلى الدغل القريب مِنْهُ. فأضرموا النار فِي الدغل. لكن لم يمكنهم العثور عَلَيْهِ. واحترق أحد صغار الكرك فِي

---

(١) فِي نواحى بيشاور من مُقاطَعات أفغانستان اليوم.

(٢) الكرك طائر يشبه الدجاجة، له ريش بنى، وذيل قصير – طائر السلوى.

النار. وأخذ يتدحرج. فذبحوه، وأخذ كل واحد قطعة مِنْهُ. ورجعنا مِن سواتى وقت العشاء بعد أن تجولنا جولة طيبة. أما الذين ذهبوا للبحث عن مَخَاضَة النَّهْر، فقد رجعوا وقـــد استدلوا على إحداها.

وفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي الخميس السادس عشر مِن الشهر، نقلنا الخيل والإبل والأحمال عبر المَخَاضَة. كما نقلنا سوق الجَيْش والمشاة والحُمُر بالطَوْف. فِي ذَلِكَ اليوم ونحن عِنْدَ رأس المَخَاضَة، جاء أهل «نيلآب» وقابلونا ومعهم جواد مدرع وثلاث مائة شاهرخى هدية. وعندما عبر النَّاس كلَهُم، تحَرَّكْنَا فِي اليوم نفسه وقت الظهيرة. ومشينا مرحلة مِن الليل، ونزلنا عِنْدَ «نهر كيجه كوت» ثم تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ مبكرا، وجاوزنا النَّهْر.

وقبيل الظهر، إجتزنا «دَرْب سنكداكى» (٢٢٣أ) وكان سَيّد قاسم اشيك أغا [يمثل] مؤخرة الجَيْش. وعند مجيئه وراءنا بأثقالنا، قبض على رِجَال كجور[١]. وقطـــع رأس بعضهم وجاء بها.

وتحركنا مِن «سنكداكي» فِي وقت السحر. وعقب الظهر، اجتزنا «نهر سوهان» ونزلنا. واستمر توارد جند المؤخرة إلى منتصف الليل. فقد كانت هجرة طويلة وعلى غير المأمول لوهن الجياد وإرهاقها. وتخلف عنا كثير مِنْها.

كوهِ جود:

وفِي الشمالِ مِن «بهْرَه»، جبل على مَسَافَة سبعةِ فَرَاسِخ مِنْها ورد ذِكْره فِي ظَفَر نامه[٢]، وفِي بعضِ الكتبِ باسم «كوهِ جود» . ولم يَكُنْ معلوما سبب تسميته بهذا الاسم. وقد عرفته فيما بعد. فقد كان يقطن هَذَا الجبل شَعبان ينحدران مِن أبٍ واحدٍ. أحدهما يسمى [شَعْب] الجود والآخر الْجنچوهه. وقد تعودوا على بسط سُلْطَانهم على العَشَائِر والقَبَائِل التي

---

(١) واحدة من القبائل التي تقطن القرى الواقعة بين نيلآب وبهره بجوار جبال كشمير.

(٢) ظفر نامه بمعنى كتاب الظفر لمؤلفة المولى شرف الدين على اليزدى، وهى تاريخ الأمير تيمور مؤسس الدولة التَّيْمُورِية.

تسكن هَذَا الجبل بين «نيلآب» و«بَهْره». لكن كان قوام حكومتهم المحبة والأخوة، فيمنعهم ذَلِكَ أن يأخذوا مِن النَّاس كل ما يودون. وقد ربطوا عَلَيْهِم مِن قديم ما يشبه المكوس. فكل شراء وبيع يكون فيه هَذَا القدر المربوط. وهذا الذي تم ربطه عَلَيْهِم كان على النحو التَّالِي: أن يدفعوا عن كل بيت شاهرُخيا واحدا. ويدفع رئيس كل عائلة سبع شاهرُخيات، تعطى للجند.

وينقسم الجود إلى عدةِ بطونٍ وكذَلِكَ الچنچوهه. وهَذَا الجبل الواقع على بعدِ سبعةِ فَرَاسِخ مِن «بَهْرَه»، يتصل بجبل «هندكوش» (٢٢٣ب) أحد «جِبَال كشمير»، ويمتد إلى الجنوب الغربي وينتهي عِنْدَ «نهرِ السِّنْد» فِي سفحِ «دينكوت». ويسكن [شعب] الجود نصف هَذَا الجبل، والچنْچوهه فِي النصف الآخر. ويسمى هَذَا الجبل جبل الجود نسبة إلى شعب الجود هَذَا. ويلقبون كبيرهم المعظم صاحب المكانة بلقب "راي". ويلقبون أخاه الأصْغَر وابنهبلقب مَلِك.

والچنْچوهه هم أخوال لنكر خان[1]. وملِك «هست» هو حاكم القَبَائِل المجاورة لنهر «سوهان». واسمه الأصلي أسد. والهنود أحيانا ينطقون الحركة سكونا. فكما ينطقون كلمة خبَر، خبْر، كذَلِكَ ينطقون أَسَد، أَسْد. وشيئا فشيئا تحولت أسد إلى«هست».

أرسلَ لنكر خان ملك هست چنْچوهه. فجاء على وجه السرعة آملا فِي عنايتنا وشفقتنا، وجاء بنفسه عشاءً. وأحضر معه جوادا مدرعا، والتزم. وكان عمره بين الثانيةِ أو الثالثةِ والعشرين. وكانت قطعانهم كَثِيرَة حول معَسْكَر الجَيْش وبجواره.

وكنا دوما نفكر فِي فتح «الهِنْد». فولايات «بَهْرَه»، و«خوشاب»، و«جاناب» و«جنيوت»، وغيرها، كانت لفترة تحت تصرف الترك. وكنا نتصرف فيها وكأنها مِلْكٌ لنا، لثقتنا فِي أننا سيكون لنا التصرف فيها طَوعًا أو كُرهًا. لهذا، فمن المحتم أن نتلطف مع أهل هَذَا الجبل. (٢٢٤أ) ولهذا، أصدرت مرسوما ألا يتعدى أحد على قطعان أحدهم، ولا يلحق بأحد أي أذية مهما قل شأنها، فلا يكسر له سَم خياط.

---

(١) أحد أمراء الهنود، وكان يعمل فِي خدمة بابر.

إنشاء حَدِيقَة باغ صفا:

وتحركنا فِي الصباح، فنزلنا «كلده كهار» عِنْدَ الظهر. وكانت[كلده كهار] وأطرافها ونواحيها عامرة بالعشب الوفير. وهي [مكان] غاية فِي الجمال. وعلى مَسَافَة عشرة فَرَاسِخ مِن "بهْرَه» وبين جبل الجود، منطقة مستوية تتوسطها بحيرة كبيرة. وهذه البحيرة إنما هي مِن مياهِ الأمطارِ التي تتجمع مِنَ الجِبَال المحيطة. وفِي الطرف الشمالي مِنْها على مَسَافَة تناهز الثلاثة فَرَاسِخ وادٍ جميل. وعند سفح[1] التلال فِي الغرب مِنْهُ توجد عين ماء تتيح مكانا للجلوسِ مُشرفا على البحيرة، لذا أمرتُ بإنشاء حَدِيقَة هُنَاكَ اسميناها باغِ صفا، وهي مكان غاية فِي الروعة، هواؤه عليل طلق. وسيأتي وصفه بعد ذَلِكَ.

فِي الطريق إلى بهْرَه:

وتحركنا مِن «كلده كهار» فِي وقتِ السحر، وعند رأس دَرْب «هم تاتو» جاء عدة رِجَال مِن أهلِ المكان، ومعهم هدية ضئيلة والتزموا. وأرْسَلْنا عبد الرحيم شيغاول وهؤلاء الرِجَال إلى «بهْرَه» لاستمالة أهلها بالقول: إن هَذهِ الولايات هي منشأ الترك مُنْذُ القدم، فاهدأوا ولا تدعوا للخوف والقلق مكانا، ولا تتركوا الأهالي يستبد بهم اليأس؛ فإن لنا مودة وثيقة مع أهل هَذهِ الولاية، ولن ننهبها.

ونزلنا إلى سفحِ الدَرْب مع مطلعِ الصبح، (٢٢٤ب) ودفعنا بسبعةِ رِجَال أو ثمانية إلى الأمامِ تحت قيادة قربان الچرخى وعبد الملك مستى لاستطلاع الأمر. فرجع أحد مِن تقدموا أمامنا وهو مير مُحَمَّد مهدى خوجه برَجُلٍ. وفِي هَذهِ الأثناء جاء بعض كبار الأفْغَان بالهدايا والتزموا. فأرْسَلْناهم مع لنكر خان إلى أهل «بهْرَه» لاستمالتهم.

واجتزنا الدَرْب، وخرجنا مِن الدغل وقد نظما صفوف المَيْمَنَة والمَيْسَرَة والقلب، وتحركنا صوب «بهْرَه» ولما صرنا على مقربة مِنْها، جاء ديوه هندو ابن سكتو، وهو مِن رِجَال علي خان

---

(١) جاءت فِي التركية قمة.

ابن دولت خان يوسف خيل[1]، ومعه رؤساء «بَهْرَه» وقدموا جوادا هدية والتزموا. وقبيل الظهر نزلنا مرعى على حافة «نهر بهت» شرق «بَهْرَه»، بدون أن نلحق بأهل «بَهْرَه» أي ضَرَرٍ أو أذية.

الهِنْد تحت حكم التَّيْمُورِيين:

مُنْذُ حملة تيمور بِك على بلاد «الهِنْد» كانت بعض الولايات مثل «بَهْرَه» و«خوشاب»، و«جاناب»، و«جنيوت»، تحت تصرف أبناء تيمور بِك وأتباعهم وعمالهم. وكان مير علي بِك من رباهم السُلْطَان مسعود ميرْزاابن سيورغتميش حفيد شاهرخ ميرْزا، وكانوا يدعونه السُلْطَان مسعود الكَابُلي لأنه حكم آنذاك ولاية «كَابُل» و«زابل». وبعد علي سنقر ميرْزا، ابن السُلْطَان مسعود ميرْزا، أخذ أبناء مير علي بِك هَذَا وهم؛ بابا الكَابُلي، ودريا خان، وآباق خان (٢٢٥أ) المدعو غازي خان، أخذوا «كَابُل»، و«زابل»، وولاية «الهِنْد» وأقاليمها عنوة. ثُمَّ خرجَت «كَابُل» و«غَزْنَة» مِن أيديهم فِي زمن السُلْطَان ابو سَعِيد مِيرْزا. أما ولايات «الهِنْد» فقد ظلت فِي أيديهم.

وفِي عام تسعمائة وعشر[2] عِنْدَ مجيئنا إلى «الهِنْد» للمرة الأولى، اجتزنا «خَيْبَر» لدخول «الهِنْد»، فلما جِئْنَا إلى« پَرْشَاوَر» سرنا إلى «كُهَت» فِي طرف «بنكش» السفلي بمسعى باقي چَغَانْيَانِي، وأغرنا على نواحي كَثِيرَة مِن أفغانستان، ثُمَّ انسحبنا عبر طريق «دوكى» بعد أن نهبنا «بنو» و«دَشْت».

وفِي ذَلِكَ الحين، كان أمر «بَهْرَه» و«خوشاب» و«جاناب» للسَيِّد علي خان ابن غازي خان حفيد مير علي[3]. وكان تابعا لسكندر بهلول [اللودى]، ويقرأ الخطبة باسمه،وقد توجس خيفة مِن هَذهِ الحملة، فترك «بَهْرَه»، وعبر «نهر بهت»، واستقر فِي «شيركوت» مِن قرى

---

(١) دولت خان يوسف خيل هودولت خان اللودى حاكم لاهور، وابن تاتار خان يوسف خيل.

(٢) يقابل عام ١٥٠٤م.

(٣) مير على، هو عامل شاهرخ ميرزا على كَابُل.

«بَهْرَه» وبعد عام أو عامين، دب سوء الظن بين السَيّد علي خان والأفْغَان بسبِبَنا. وقد غشيه هوالآخر القلق والخوف مِن جراء هَذَا، وسلم هَذهِ الولايات إلى دولت خان بن تاتار خان يوسف خيل حاكم «لاهور» آنذاك. (٢٢٥ب) فأعطى دولت خان، «بَهْرَه» لابنه الأكبر علي خان، وكانت «بَهْرَه» تحت تصرف علي خان فِي ذَلِكَ الوقت.

وكان تاتارخان والد دولت خان واحدا مِن سبعة أو ثمانية مِن قواد للجيش، وصار متصرفا على «الهِنْد»، وجعل بهلول سُلْطَانا، وصارت كل الولايات التي فِي الطرف الشمالي لنهر «سَتْلُج»، لتاتار خان هَذَا. وريع هَذهِ الولايات يزيد قليلا على ثلاثمائة مائة ألف. وبعد وفاة تاتار خان، أخذ السُلْطَان سكندر أثناء سلطنته هَذهِ الولاية مِن أولاد تاتار خان. وأعطى «لاهور» إلى دولت خان قبل مجيئي إلى ولاية «كَابُل» بعام أو عامين.

وفِي اليوم التَّالِي، أرْسَلْنا المغيرين إلى بعض النواحي السانحة. وفِي ذَلِكَ اليوم تجولتُ فِي «بَهْرَه»، كما جاء سنكرخان چنچوهه، ومعه جواد هدية، والتزم.

وفِي يَومِ الأربعاء الثاني والعشرين مِن الشهر، استدعينا أعيان «بَهْرَه» وتجارها، وقررنا أخذ مال أمان مقداره أربعمائة ألف شاهرُخي، وعينا موظفين للتحصيل. ثُمَّ استأنفنا التحرك، وتجولنا فِي هَذهِ النواحي، ثُمَّ ركبنا سفينة، وأكلنا المعجون. وأرْسَلْنا حيدر علمدار إلى البلوج[1] المقيمين فِي «حوشاب» . وفِي صباح يوم الخميس، قدموا جوادا أصيلا بلون زهرة اللوز هدية والتزموا. وفَزّع العَسْكَر أهل «بَهْرَه»، وعرضوا عَلَيْنا ما أخذه العَسْكَر منهم عنوة، (٢٢٦أ) فأمرتُ بإرسال الرجَال، وإعدام بعض مَن اقترفوا هَذهِ التصرفات، وثقب أنوف بعضهم، وتجريسهم[2] فِي معَسْكَر الجَيْش.

وفِي يَومِ الجمعة، وصل عرض حال مِن أهل «خوشاب» . فكلفنا شاه حَسَن ابن شاه شجاع أرغون بالذهاب إلى هُنَاكَ.

---

(١) البلوج، اسم قبيلة كانت تسكن المنطقة الممتدة من بجكار إلى ملتان من بلاد الهِنْد.

(٢) التجريس من الجُرْسَة، وهو التسميع والتنديد بمن اقترف ما ينافي المروءة.

وفِي يَومِ السبت الخامس والعشرين مِن الشهر، أرْسَلْنا شاه حَسَن إلى خوشاب.

وفِي يَومِ الأحد، هطل مطرٌ شديدٌ غَمر كل الأرضِ المستويةِ. وتراكم ماء قليل بين الحدائقِ الواقعةِ بين «بَهْرَه» ومعَسْكَر الجُنْد؛ وزاد اتساع الماء عِنْدَ الظهيرة، ولم تكن هُنَاكَ مَخَاضَة بالقرب مِن «بَهْرَه» لمسافة تزيد على رمية سهم. فكانت الجياد تعبر الماء طافية. وبعد الظهر، تحركتُ لرؤية المياه التي ارتفعت. واشتد انهمار المطر حَتَّى إن العودة إلى المعَسْكَر صارت أمرا محفوفا بالمخاطر.

وبعد الظهر، تمكنتُ مِن عبورِ هَذَا الماء المرتفع سباحة بالجياد. وسيطر الفزع على الجُنْد. فتركوا أكثر الخيام وأثقالَهُم، وحملوا دروعهم وأسلحتهم فوق أكتافهم، وأخذوا فِي عبور الماء سباحة بخيولهُم العارية. وقد غطى الماء كل النواحي المنبسطة. وفي الصباح جاءوا بالسفن وتمكن أغلب الجُنْد مِن نقلِ الخيامِ والمتاعِ بها وعبروا. وقبيل الظهر، ذهب رِجَال قوج بِك إلى أعلى الماء لمسافة ميلين، فوجدوا مَخَاضَة، عبر مِنْها مَن تخلفوا وراءنا.

وتوقفنا يوما فِي حصن «بَهْرَه» المسمى جهان نُما، (٢٢٦ب) ثُمَّ تحَرَّكْنَا صباح يوم الثلاثاء. ومن فرط الخوف مِن المطر والسيول، اعتلينا الرُبى الواقعة شمال «بَهْرَه»

ولأن [أهل بَهْرَه] لم يلتزموا بدفع الأموال المفروضة عَلَيْهِم، فقد قسمنا الولاية إلى أربعة أقسام، وأمرتُ الأُمَرَاء بإنهاء هَذَا العمل بكل دقة. وعينتُ خليفة على قسم مِنْها، وقوج على القسم الثاني، وناصر على القسم الثالث، وسَيِّد قاسم، ومحب علي للقسم الرابع. فلم يتعرضوا للولايات التي يسكنها الترك لتصورهم أنها مِن أملاكنا.

رغبة بَابُر فِي استرداد ولايات الترك فِي الهِنْد:

تردد بين النَّاس أنه لو توجه رسول [مِن عندنا] للسعى فِي الصُّلح، ففي هَذَا حماية الولايات التي تخص الترك مِن المضايقة. لذا كلفنا المولي مرشد فِي يَومِ الخَميس غرة شهر ربيع الأول ليكون رسولنا إلى السُلْطَان ابراهيم [اللودهي] الذي تولى سلطنة «الهِنْد» بعد وفاة والده السُلْطَان سكندر مُنْذُ ما يناهز خمسة شهور أو ستة، وأرْسَلْنا معه صقرا [هدية]، وأعربنا عن

رغبتنا فِي الولايات التي كانت تخص الترك مِن قديم. وسلمنا المولي مرشد الرسائل التي كتبناها إلى دولت خان والسُلْطَان ابراهيم، وأبلغناه شفاهة بما سيقوله لَهُما، وأذنا له بالذهاب.

وأهالي هَذهِ البلاد مِن «الهِنْد» خاصة الأَفْغَان منهم يتسمون بالحمق الشديد، وهم أناس لا حظَّ لَهُم مِن الرأي والتدبيرِ، عاجزون عن السَّيْر إلى الأعداءِ ومناجزتهم، أو كسبِ مودتهم. (٢٢٧أ) فاستبقى دولت خان رجلنا الذي أرسَلْناه إليه عدة أَيَّام فِي «لاهور»، فلا هو استقبله، ولا هو أرسله إلى [السُلْطَان] ابراهيم. وبعد عدة أَيَّام، جاء رسولنا إلى «كَابُل» بغير رد مِنْهُ.

مولد هِندال:

وفِي يَومِ الجمعةِ الثامن مِن الشهر، جاء شَيْبَاق بياده ومعه درويش علي بياده - وهوالآن رامٍ للبنادقبعرض حال مِن «كَابُل»، وخبر مولد [ابنى] هِندال. ولأن هَذَا الخَبَر جاء وقتَ فتحِ «الهِنْد»، فقد اعتبرناه فَألًا حسنا، فسَمَّيْتُه هِندال. كما أتى قنبر بِك مِن «بَلْخ» ومعه عرض حال مِن مُحَمَّد زمان ميرْزا.

مجالس الصُحْبَة وخصائصها:

وفِي اليوم التَّالِي، وبعد أن انفض الديوان، خرجنا للنزهة، وشربنا الراقى على ظهر سفينة. وضم المجلس كلا مِن دوست خاوند، وخُسْرو، وميرم، وميرْزاقُلي، ومُحَمَّدى، وأحمدي، وكدائي، ونعمان، ولنكر خان، وميرزاقُلي، وروح دم، وقاسم علي الترياكي، ويوسف علي، و تينري قُلي. وجلس بعض الرِجَال فِي مكان مستوٍ عِنْدَ رأس السفينة، وجلس مُحَمَّدى، وكدائى، ونعمان فِي مكانٍ آخر فِي مؤخرةِ السفينة، وشربنا الراقى حَتَّى العصر. ولم يرق لنا الراقى مِن فرط رداءته، وفضلنا بالاتفاق أن نأكل المعجون بدلا مِنْهُ. ولم يعلم مَن فِي الطرف الآخر مِن السفية بأكلنا المعجون، (٢٢٧ب) واستمروا فِي شرب الراقى. وَغَادَرْنَا السفينَة وقتَ العشاء، ووصلنا المعَسْكَر فِي وقت متأخر. وظن مُحَمَّدي وكدائي أننى أشرب الراقى، وبدا لَهُما أن يؤديا لى خدمة، فتناوبا حمل قنينة راق فوق الجواد، ودخلا المعَسْكَر فِي

نشوة متبسمين وقالا: لقد أتينا بقنينة راق تناوبنا حملها في هَذهِ الليلة الظلماء. فأفهموهما ما كان لنا مِن شأن الصُّحْبَة والكيف، وأن فريقا منا أكل المعجون، والفريق الذي في الجانِبِ الآخر شرب الراقى. ولأن أكل المعجون لا يتوافق أبدا مع شرب الراقى، فقد تأثروا لذَلِكَ غاية التأثر. فقلت لَهُم: لا تفسدوا الصُّحْبَة، فمن يريد شرب الراقى فليشرب، ومن يريد أكل المعجون فليأكل، ولا يتعرض أحد إلى الآخر فِي هَذَا الشأن، ولا يتطاول عَلَيْهِ. فشرب البعض الراقى، وأكل البعض الآخر المعجون. واستمرت الصُّحْبَة لفترة يكسوها التكلف. ولم يحضر هَذهِ الصُّحْبَة بابا جان القُبوزى. فلما وصلنا إلى الخيمة البيضاء، استدعيناه، ورغب فِي شرب الراقى. واستدعينا أيضا تردى مُحَمَّد قبجاق، وأقمنا نفس الصُّحْبَة مع السكارى. ومجلس المعجون لا يتوافق أبدا مع مجلس شرب الراقى. وبدأ السكارى من كل صَوْبٍ يتفوهون بكلمات بذيئة. وكان كل تهكمهم موجه إلى المعجون ومن يتعاطونه. وثمل بابا جان أيضا. وتفوه بكلمات بذيئة. وقدَّم السُّكارى الكؤوسَ واحدا تِلو الآخر إلى تردي مُحَمَّد، وسُرعان ما سَكروا جميعهم. وبذلنا كلَّ ما فِي وسعِنا لإفاقتهم، بدون جدوى. (٢٢٨أ) وكانت جَلسَةٌ مليئةٌ بالمُنَغِّصاتِ. فضاعت لذَّة الصُّحْبَة، وفِي النهاية، ذَهَبَ كلٌّ مِنا إلى سبيله.

قبائل سفح جبَال كشمير:

وفِي يَومِ الاثنين الخامس مِن الشهر، أعطينا ولاية بهيره إلى هندو بِك.

وفِي يَومِ الثلاثاء، أنعمنا بولاية جاناب على حُسَيْن أَكْراك، وأذنا له بالذهاب إلى هُنَاكَ. وفي هَذهِ الأثناء، جاء ابن السَيِّد علي خان ويدعى مَنُوچهر خان، ولازمنا. وأثناء مجيئه إلينا مِن طريق أعلى «الهِنْد»، صادف تاتار ككر[1]. فلم يتركه، واستبقاه عنده، وزوجه ابنته، ودعاه صهرا له. وهكذا رافقه زمنا.

بين «نيلآب» وجبَال «بَهْرَه»، قبائل كَثِيرَة غير قبيلتى الجود، والچنچوهه، ففي الأماكن

(١) ككر أو كهكر، قبيلة فِي روالبندى.

الملاصقة لجبَال كشمير قبائل جت[1] وكوجر، مِنْها قبائل كَثِيرَة أنشأت القرى فِي الوديان والرُّبى وسكنوها. وأكبرهم وأوسعهم سُلْطَانا قبيلة ككر. وسُلْطَانهم يشبه سُلْطَان الجود والچنچوهه. وكان حكم القَبَائِل التي فِي سفح هَذَا الجبل آنذاك، لتاتار ككر و هاتى ككر وهم أبناء عمومة. وأماكنهم المحصنة على شفا جرف هاوٍ وعر. وكانت ولاية تاتار ككر فِي «بُرهاله». وتقع أسفل مِن « جبل قارليق » . أما ولاية هاتى، فملاصقة للجبل. وكانت«كالنجر» تتبع بابوخان بيسوت (٢٢٨ب). وقد ضمها هاتى إليه. وكان تاتار ككر يرعى جانب دولت خان وكأنه تابعه، ولا يأبه بهاتى، وانشغل بالفتنة والفساد. فجاء تاتار [ككر] بوعد واتفاق مع أمراء «الهِنْد»، وتربص بهاتى وكأنه يحاصره. وأثناء وجودنا فِي «بَهْرَه»، خرج هاتى بزعم الصيد، وسار خفية إلى تاتار [ككر] وقتله، واستولى على ولايته ونسائه، وكل ما وجده.

وفِي وقتِ الظهر، تحَرَّكْنَا بالسفينةِ للنزهة، وشربنا الراقى. وضم المجلس كلا مِن دوست بِك، وميرْزاقُلي، وأحمدي، وكدايي، و مُحَمَّد علي جَنْكِچَنْك، وعسس، واوغان بيردي مغول، ومن الموسيقيين روح دم، وبابا جان، وقاسم علي يوسف علي، و تينري قُلي، وأبو القاسم، ورمضان لولي. وبقينا على ظهر السفينة نشرب حَتَّى صلاة العِشاء. وأمسينا فِي حال سكر بَيِّن. ثُمَّ غادرتُ السفينة، وركبتُ الجواد والشعلة فِي يدى، وانطلقتُ مِن شاطئ النَّهْر حَتَّى المَعَسْكَر وأنا أحُث الجوادَ بجنونٍ وأترنح فوقه مِن فرطِ السُّكْر.

وفِي اليَومِ التَّالِي، قَصُّوا عليَّ كيف حملتُ الشعلة، وجِئْتُ إلى المَعَسْكَر. ولم أستطع أن أتذكر شيئا قط، وتقيأتُ بعد عودتى إلى البيت.

وفِي يَومِ الجمعة، تحَرَّكْنَا للنزهة، فعبرنا النَّهْر بالسفينة. وتجولنا بين الحدائق والزهور فِي ذَلِكَ الجانب، وفِي أماكن زراعة قصب السكر، وشاهدنا السواقى والدلاء. وسألنا عن أصول سحب الماء، (٢٢٩أ) وقمنا بسحبه عدة مرات. وكنا أثناء النزهة نتناول المعجون. ثُمَّ ركبنا

(٢) جت أو جات قبيلة فِي البنجاب والسِّند.

السفينة مرة أخرى لدى عودتنا، وقدمنا المعجون إلى مَنُوچهر خان. وقد ظل تحت تأثير المعجون حَتَّى إن رجلين انسلا تحت مقعده ورفعاه. وأَلْقَيْنَا [الثقل] الحديد في الماء فتوقفت السفينة لفترة. ثُمَّ تَحَرَّكْنَا صوب أسفل الماء، وبعد مدة سحبنا السفينة إلى أعلى، ونمنا فيها تلك الليلة، ثُمَّ جِئْنَا إلى المَعَسْكَر فِي وقت السحر.

وفِي يَوم السبت العاشر مِن شهر ربيع الأول، دخلت الشمس برج الحمل[(١)]. وفِي ظهر ذَلِكَ اليوم، تَحَرَّكْنَا بغرض النزهة، فركبنا السفينة، وشربنا الراقى. واشترك فِي هَذَا المجلس كل مِن خوجه دوست خاوند، ودوست بِك، وميريم، وميرزاقُلي مُحَمَّدي، وأحمدي، ويونس علي، و مُحَمَّد علي چَنْكِچَنْك، وكدائى طغائي، ومير خورد، وعسس، ومن العازفين والمغنين روح دم، وبابا جان، وقاسم، ويوسف علي، و تيِنري قُلي، ورمضان. ودخلنا فِي واحد مِن فروع النَّهْر، وقطعنا شوطا فِي الاتجاه صوب أسفل النَّهْر. ثُمَّ غادرنا السفينة قريبا مِن أسفل «بَهْرَه». وفِي المساء، رجعنا إلى المَعَسْكَر. وفِي ذَلِكَ اليوم، جاء شاه حَسَن مِن « خوشاب ». وكنا قد أرْسَلْناه سفيرا للمطالبة بالولايات التي كانت تخص الترك فيما مضى، وجاء بالأموال التي تم ربطها عَلَيْهَا لوضع المصالحة مَوْضِع التنفيذ.

توزيع الولايات:

أصبح الصيف على الأبواب، وانفصل عنا شاه مُحَمَّد مهردار وأخوه الأَصْغَر دوست مهردار وبعض الفتية الآخرين الأكفاء ليكونوا مساعدين لهندو بِك، ورتبناهم بحسب منازلَهم. (٢٢٩ب) كما أنعمنا على لنكر خان[(٢)] بخوشاب لأنه حَفَّزَنا على هَذَا المسير، وكان السبب فيه، وأعطيناه طوغا، وعَيَّنَاهُ مساعدا لهندو بِك. أما الترك المَوْجُودِينَ فِي «بَهْرَه» والفُرْسَان المحليين، فقد رفعنا رواتبهم وعلوفاتهم. وتركناهم بوصفهم مساعدين لهندو بِك، ومنهم مَنُوچهر

(١) تدخل الشمس برج الحمل فِي اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس.

(٢) أحد أمراء الهِند العاملين فِي خدمة بابر ولقبه چنچوهه.

خان المار ذكره، ونظر علي التركي، وكان من أقارب مَنُوچهر خان؛ وأخر هو سنكرخان چنچوهه، ووأخر هو ملك هستچنچوهه

التوجه لقتال هاتى ككر :

وكان الأملُ أن تتم أعمالُ الولاياتِ صُلْحا، وعلى هَذَا حزَمْنا أمرنا، فغادرنا «بَهْرَه» فِي يوم الأحد الحادى عشر مِن شهر ربيع الأول وتحركنا صوب «كَابُل» فوصلنا كَلْدَه كَهَار ونزلنا هُنَاكَ. وقد انهمر المطر غزيرا فِي ذَلِكَ اليوم. فلم يعد هُنَاكَ مزية لمن يرتدى واق مِن المطر على مَن لم يرتده. واستمر توارد الجُنُود مِن وراءنا حَتَّى المساء. وقد اقترح مَن يعرفون طقس وماء هَذِهِ البلاد، خاصة چنچوهه عدو ككر القديم، وقال: إن هاتى ككر مِن أسوأ الرِجَال فِي هَذِهِ البلاد. فهو قاطع طريق، مُعْتَدٍ أثيم. فالواجب عمله، هو إما أن نجبره على مغادرة هَذَا المكان، أو أن نلقنه درسا جيدا. وعلى هَذَا أبرمنا أمرنا.

وبناء على هَذَا الاتفاق، تركتُ الجُنْد فِي اليَومِ التَّالِي تحتَ قيادةِ الخوجه مير ميران و ميرم ناصِر، وانفصلتُ عنهم فِي وقتِ الضُّحَى، وتحركنا صَوْبَ هاتى ككر. وكما ذكرنا، أنه قتل تاتار [ككر] قبل عدة أَيَّام، وأخذ ولايته «پِراله»، وهو مُقيم بها الآن.(٢٣٠أ)

وفِي وقتِ العصر، نزلنا بمَوْضِع، وقدمنا العلف للجياد، ثُمَّ استأنفنا التحرك فِي وقت صلاة العشاء. وكان دليلنا فارس مِن خدم ملك هست يُدعى سرُبا. وقد ضللنا الطريق فِي اللَيْلِ، ونزلنا قبيل السحر. وأرْسَلْنا بِك مُحَمَّد مغول ليعود إلى المعَسْكَر. ثُمَّ واصلنا المسير فِي الصباح الباكر، وفِي وقتِ الضُّحَى لبسنا الدروع، وأسرعنا المسير. فلما صرنا على مَسَافَة فَرْسَخ واحد(١)، بدا لنا غبارُ «پُرهاله». فدَفَعْنا بالمغيرين إلى الأمام، ووصَلَ قوج بِك وكان فِي المَيْسَرَة إلى الطرفِ الشرقِي مِن «پُرهاله». وأرْسَلْنا مساعدة لتلحق بالمَيْمَنَة. ودفعنا برِجَال المَيْسَرَة والقلب إلى «پِراله» مباشرة. كما أرْسَلْنا دوست بِك خلف المَيْسَرَة التي تَقَدَّمَت إلى «پِرالـــه» للمعاونة.

---

(١) مَسَافَة تساوي مسيرة منزل،وتعادل ستة كيلومترات.

موقع پراله[1]:

وتَقعُ «پراله» على شفا جرفٍ هاو، ولها طريقان، أحدُهما فِي الجنوب الشرقي التي جِئْنَا مِنْهُ، ويمر مِنْ فَوْقِ تلك الهاوية. ويحف بالطريقِ مِن الجانِبين أماكن عالية هارِية. وكنا على مَسَافَة نصف ميلٍ[2] مِن «پراله». وإلى أن نصل إلى بابها، تحف الهاويات جانبى الطريق فِي أربعةِ مواضعِ أو خمسة، ويضيقُ الطريق بما يكفي لمرورِ رجل واحد فقط. وكان لابد أن نجتاز الطريق واحدا تلو الآخر لمسافة رمية سهم. والطريق الآخر فِي الشمال الغربي مِن «پراله»، ويمر مِن وادٍ واسع، ويؤدى إلى «پراله». وهذا الطريق أيضا، ضيق بما يكفي لمرور رجل واحد. وليس هُنَاكَ أي طريق آخر سوى هذين الطريقين فحسب. ومع أنه ليس بها أي جدران أو مزاغل، فإنه لا يُوجَد بها أيضا مَوْضِع يمكن مهاجمته. فالطريق تَحُفه منحدرات بعمقِ سبعةٍ أو ثمانيةٍ بل عشرِ أذرع.(٢٣٠ب)

الحرب على هاتي ككر:

إجتازَ رِجَال المَيْسَرَة المضايق أولا، واندفعوا إلى الباب. واستطاع هاتى ككر ومعه ثلاثون أو أربعون رجلا مدرعا وخيولَهم المدرعة أيضا، وحَشْدٌ مِن رِجَاله المشاة، أن يغيروا على المهاجمين ويدفعونهم للتراجع. فلحق بهم دوست بِك الذي أُرسل للمعاونة وسحقهم سحقا، وقضى على عدد كبير مِن رِجَال العدو، وهزمه. وهاتى ككر مشهور فِي تلك النواحي بجسارته. وقد قاوم كثيرا، لَكِنَّهُ لم يستطع أن يفعل شيئا، ولاذ بالفرار. ولأنه لم يقاوم عِنْدَ هَذهِ المضايق، لذا لم يتمكن مِن إغلاق الحِصْن الذي آوى إليه. وسرعان ما تعقبه المهاجمون داخل الحِصْن، وركضوا إلى الطرف الشمالي الغربي مِن الدَرْب والجرف الهار الذي به حصن« پراله ». فغادره هاتى [ككر] بمفرده ولاذ بالفرار. وقد أحسن دوست بِك التحرك هُنَاكَ فمنحناه درجة البطولة. وعلى

---

(١) وتكتب أيضا پرهاله فِي البنجاب على مَسَافَة ١٢ميل شرق روالبندى.

(٢) وردت فِي النص نصف كروه: والكروه وحدة قياس تستخدم فِي الهِند، وتساوي مَسَافَة ميل، وتبلغ أربعة آلاف قدم.

الفور، دخلتُ حصن بُراله، ونزلتُ بمنازل تاتار [ككر]. وعندما بدأ المغيرون فِي التَحَرُّكِ، كان بعض الرِجَال الذين تم تعيينهم ليكونوا إلى جوارى، قد ذهبوا للهجوم. ومنهم أمين مُحَمَّد تَرْخان ارغون، وقراجه، ولذا أسندا مهمة الدليل إلى أحد الغوريين ويدعى سرُبا، وخرجوا إلى الصحراء والقفار خفافا تماما للتصدي للجند.

وفِي اليَومِ التَّالِي، اجتزنا الهاوية التي فِي الطرف الشمالي الغربي، ونزلنا بمرعى. وأرْسَلْنا ولي خزانه چي مع عدد مِن الفتية الأكفاء لينضموا إلى الجَيْش.

وفِي يَومِ الخَمِيسِ الخامسِ عشر مِن الشهر، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاك، ونَزَلْنا «اندرآب » على ضِفَّة «نهر سوهان ». (٢٣١أ) وحصن «اندرآب» هَذَا كان لوالد ملك هست مُنْذُ زمن بعيد. وقد صار خرابا بعد مقتل والد [ملك] هست على يد هاتى ككر وكان آنذاك ما زال خربا.

وفِي وقتِ صلاةِ العِشاءِ مِن ذَلِكَ اليوم، جاءَ الجَيْش الذي بَقِىَ فِي «كلده كهار»، وانضم إلينا.

وعِنْدَما تَغَلَّبَ هاتى ككر على تاتار[ككر]، أرسلَ إلينا أحدَ أقاربِهِ ويُدعى بربت ومعه جواد مسرج وهدايا أخرى. وقابل جيشَ المؤخرةِ بدون أن يقابلنا، فجاء بأحماله، وقَدَّمَ هداياه والتزم. كما جاء أيضا لنكر خان مِن «بهْرَه» ومعه أثقاله، وكان قد تخلف وراءنا لحل بعض المسائل. وبعد أن حَلَّ مَسَائِله، أذنا له بالذهاب إلى «بهْرَه» مع بعض رِجَاله.

واستأنفنا التحرك مِن هُنَاكَ، فاجتزنا «نهر سوهان»، ونزلنا فوق ربوة. وخلعنا على بربت قريب هاتى، وأرْسَلْناه مع أحد رِجَال مُحَمَّد علي چَنْكچَنْك إلى هاتى بمراسيم لاستمالته.

وجاء عددٌ مِن خدمِ هُمايون يترأسهم بابا دوست وهلاهل إلى ولاية «نيلآب» وهزارة قارلوق اللتين أنعمنا بها على هُمايون، ومعهما ثلاثين أو أربعين مِن أكابر القارلوق برئاسة سنكر قارلوق وميرْزاملوى قارلوق. وقدموا جوادا مسرجا هدية، والتزموا. وجاء أيضا عَسْكَر أفغان «دِله زاك».

وَغَادَرْنَا فِي صباح اليومِ التَّالِي. وسرنا لمسافةِ فَرْسَخ واحد ثُمَّ توقفنا. واعتليتُ مكانا

مرتفعا لتفقُّدِ الجَيْش.(٢٣١ب) وأمرتُ بإحصاءِ عدد الإبل، فوجدوها خمسمائة وسبعين جملا.

وقد سمعتُ مِن قبل عن وصف نبات السُنبُل. وقد رأيتُه أثناء وجودنا في هَذهِ الناحية. وكان قليلا جدا في سفح هَذَا الجبل، متناثرا هنا وهُنَاكَ. وتقدمنا قليلا، وفي سفح جبل «الهِنْد» كان السُنبُل وفيرا. سوف أتكلم عنه عِنْدَ حديثي عن نباتات «الهِنْد» (١).

مواصلة الطريق إلى الهِنْد:

وَغَادَرْنَا المكان في وقت [قرع] الطبل. ونزلنا سفح «دَرْب سنكداكى» عِنْدَ الضحى، ثُمَّ استأنفنا التحرك عقب صلاة الظهر، فاجتزنا الدَرْب والوادي، واستقر بنا المقام فوق مرتفع للمبيت. وتحركنا مِن هُنَاكَ في منتصف الليل، للتفرج على الدَرْب الذي اجتزناه عِنْدَ الذهاب إلى «بهْرَه». وفي هَذَا الدَرْب [رأينا] طَوْفا كبيرا محملا بالمؤونة مغروسا في الوحل. واجتهد أصحابه لتحريكه بلا جدوى. فحملوا تلك المؤن وقسموها على رِجَالنا. وقد جاءتنـــا هَذهِ المؤونة في وقتها تماما.

وقبيل الظهر، نزلنا بين نهرين أسفل قليلا مَوْضِع التقاء نهرى «كَابُل» و«السِّنْد»، وأعلى قليلا مِن «نيلآب» القديم. وأحضروا ست سفن مِن «نيلآب»، وجرى توزيعها بين أجنحة اليمين والشمال والقلب. وعلى الفور بدأوا في عبور النَّهْر. واستمروا في عبوره مِن يوم الاثنين الذي جِئْنَا فيه، ومساء الثلاثاء ونهاره إلى يوم الأربعاء. وعبره بعض الرِجَال يوم الخميس.

ونحن عِنْدَ ضَفَّة النَّهْر، جاء أحد أقارب هاتي ويدعى بربت (٢٣٢أ) وكنا قد أرْسَلْناه ونحن عِنْدَ «اندرآبه» إلى هاتي مع بعضِ أقاربِ مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك، ومعه جواد مسرج هدية مِن هاتي. كما أحضر أهالي «نيلآب» جوادا مسرجا والتزموا. وكانت لدى مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك رغبة في البقاء في «بهْرَه». ولأننا كنا قد أنعمنا بها على هندو بِك، فقد أنعمنا عَلَى مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك بالولايات التي بين «بهْرَه»، و«نهرِ السِّنْد» مثل هزارة قارلوق وهاتي، وغياث، وأل وكيب؛ فَمَن تَنْصَاع له مِنْها فله الرِّعَايَة، ومن لا ينصاع له فإن:

(١) يفهم مِن هَذهِ العبارة أن بابر كتب تاريخه هَذَا بعد فتح الهِنْد.

عليك بمن لاينصاع لك، اهجم عَلَيْهِ
وانهبه وادخله فِي طاعتك منقادا

وبعد هَذهِ الإنعامات، أنعمتُ عَلَى مُحَمّد علي جَنْكِجَنْك خاصة بقلنسوة مِن المخمل الأسود وملابس مدرعة. كما أنعمتُ عَلَيْهِ بطوغ، وأذنتُ لأقارب هاتي بِك [بالرحيل] وأرسلتُ معهم سيفا، وملابس، ومراسيم الاستمالة إلى هاتي بِك.

وفِي يَومِ الخميس، جاوزنا ضّفَّة النَّهْرِ مع شروقِ الشمس. وفِي ذَلِكَ اليوم، أكلنا المعجون، وتفرجنا على بساتين الزهور البديعة. وقد انتشرت أحواضُ الزهورِ الأرجوانية هنا وهُنَاكَ، كما تناثرت الزهور فِي أماكن أخرى. وجلسنا فوق ربوة بجوار المعَسْكَر، لنتفرج على هَذهِ البساتين. (٢٣٢ب) كانت الزهور موزعة حول الربوة فِي ستة أحواض، أحدها أصفر والآخر أرجواني، وقد تفتحت فِي أشكال سداسية متراصة، فِي حين كانت قليلة على الجانبين. وكانت الزهور على امتداد البصر. والمعتاد فِي فصل الربيع أن تزكو بساتين الزهور بجوار «پِرْشَاوَر».

ورحلنا فِي وقت السحر. وعند رحيلنا، اندفع نمر مِن ناحية ضّفَّة النَّهْر. فلما سمعت الجياد صوته جفُلت، وتفرقت بفرسانها يمنة ويسرة، وألقت بمن عَلَيْها فوق الحجارة والهاويات. ورجع النمر، ودلف داخل الدغل، فأمرتهم بإحضار جاموس ودفعه إلى الدغل لإخراج النمر. واتجهوا مرة أخرى ناحية الحافة، وأطلقوا السهام مِن كل صَوْب. وأطلقتُ سهما. فلما أراد خالوى پيادة رميه بالمزراق، انكسر حديد المزراق بأسنانه. فلما انهمرت السهام ونالت مِنْهُ انكمش وثبت بين نبات الخلنج. فأستل بابا يساول سيفه ودَنَا مِنْهُ. وضرب رأسه ضربة واحدة. ثُمَّ ضربه علي السيستاني فِي وسطه. فألقى النمر بنفسه فِي النَّهْر. فقتلوه وسط الماء. ثُمَّ أَخْرَجُوه، وأمرتُهم بسلخ جلده.

وفِي اليوم التَّالِي، تَحَرَّكْنَا ووصلنا «بكرام». وتجولنا فِي «كوره كترى». وكان بها صومعة صغيرة ضيقة مظلمة. فدلفتُ مِن بابها، ونزلتُ ثلاث أو أربع درجات، وكان عليَّ التمدد زاحفا

لأتمكن مِن الدخول. ولا يمكن الدخول إليها بدون [الاستعانه بضوء] شمعة. وفي مدخل الصومعة [رأيت] الكثير مِن الشعر واللحى المقصوصة. وفي أطرافِ كوره كترى هَذهِ (٢٣٣أ) ما يشبه المدرسة وحجرات الرباط، وهي كَثِيرَة. وعندما جئت إلى كَابُل لأول مرة وأغرنا على «كُهَت» وبنو ودَشْت، وتفرجتُ على «بكرام» والشجرة الكبيرة، أسفتُ لأنني لم أتمكن مِن رؤية «كوره كترى»، [والحقيقة] لم يَكُنْ فيها ما يستحق كل هَذَا الأسف.

وفي ذَلِكَ اليوم، ضاع صقرى الثمين الذي رباه شيخم ميرشكار. وكان يجيد إمساك اللقلق[1] والحجل[2]. وكان قد غير ريشه مرتين أو ثلاثا، ويجيد الصيد حَتَّى إنه جعل منِّي صيادا وكنت قبله لا أهوى الصيد.

ومن عطايا «الهِنْد»، أنعمنا على ستة رِجَال مِن أكابر أفغان ديله زاك يترأسهم ملك بوخان وملك موسى، لِكُلِّ واحد منهم مائة مثقال مِن الفضة، وملابس، وثلاثة ثيران وجاموس. وأنعمنا على الآخرين بنقود مِن الفضة، وأقمشة، وثيران، وجاموس كل حسب مكانته.

ونَزَلْنَا «عَلِي مَسْجِد». وجاء مَن يدعى معروف مِن عِنْدَ يعقوب دِله زاك بهَدِيةٍ عبارة عن عشرة أغنام، وحمولة حمارين مِن الأرز، وثمان قطع كبيرة مِن الجبن.

وبعد «عَلِي مَسْجِد»، نزلنا «يده پير »، وَغَادَرْنَا وقت الظهر إلى «جوي شاهى». وفي ذَلِكَ اليوم، أُصيبَ دوست بِك بالملاريا.

وَغَادَرْنَا «جوي شاهى» وقتَ السحر، وتناولنا طعامَنا فِي «باغِ وفا»، وغادَرْنَاهَا وقت الظُّهْر. وجاوزنا «سياه آب كندمك». وبعد المساء، أطعمنا الجياد فِي أحد المراعي، ثُمَّ تحَرَّكْنَا بعد يومين أو ثلاثة، ونزلنا «كرك» عبر «سُرخاب»، (٢٣٣ب) وغفونا هُنَاكَ.

وقبيل بزوغِ الفجر، تحَرَّكْنَا مِن «كرك». ومفترق «قوراتو »، ذهبتُ مع خمسة رِجَال أو ستة للتفرج على الحَدِيقَة المقامة فِي «قوراتو ». وأرْسَلْنا خليفة وشاه حَسَن بِك وآخرين مِن

(١) اللقلق طائر من الطيور القواطع وهوكبير طويل الساقين والعنق والمنقار أحمرهم.

(٢) طائر فِي حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين كثيب اللحم.

الطريق المباشر لانتظارى فِي «قوروق ساي». فلما وصلنا «قوراتو»، أبلغنا منادى شاه بِك أرغون ويدعى قيزيل، أن شاه بِك أخذ «كاهان»[1] ونهبها. فأصدرنا الأمر بتكتم الخَبَر عمن فِي المُقَدِّمَة.

وصول بابُر إلى كَابُل:

وَصَلْنَا «كَابُل» عِنْدَ صلاةِ الظهر. ولم يعلم أحد بِأَمْرِنَا إِلَى أن وصلنا «جسر قُتْلُقْقَدَم»، ثُمَّ علم به هُمايون وكامران. ولم يَكُنْ بالوقت فسحة لأن يركبا جواديهما، فحملَهُما غلمانهما، وجاءوا بهما إلى ما بين باب المدينة وباب الحِصْن والتزموا هُنَاكَ.

وفِي وقتِ صلاةِ العصر، جاء قاسم بِك، وقاضى المدينة، والملازمون والأَرْبَاب الذين بقوا فِي «كَابُل»، والتزموا.

وفِي يَومِ الجمعةِ غُرَّة شهر ربيع الثاني[2]، أَقَمْنَا مجلس شراب فِي وقت صلاة العصر. وأحسنتُ على شاه حَسَن بطاقم ملابس خاص.

وفِي يَومِ السبت، ركبنا السفينة فِي وقت السحر، وعملنا الصبوحى. وفِي هَـذهِ الصُّحْبَة عزف نور بِك على العود، فلم يَكُنْ قد تاب بعد. وفِي الظهيرة، غادرنا السفينة، وتفرجنا على الحَدِيقَة الواقعة بين «كُلْكِنَه» والجبل. وجئنا إلى «باغ بنفشه» وَقْتَ صلاةِ العصر، وشربنا. وقبيل صلاة العشاء، خَرَجْتُ مِن ناحية «كُلْكِنَه»، وجئتُ إلى الحِصْن.

وفاة دوست بِك:

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الخامسِ مِن الشهر، انْتَقَلَ دوست بِك إلى رحمة الله متأثرا بالملاريا التي تمكنت مِنْهُ بشدة أثناء الطريق. (٢٣٤أ) وقد حَزِنَّا جدا لموته وتَأَلَّمْنَا. وحملوا نعشه إلى «غَزْنَة»، ودفنوه أمام باب روضة السُلْطَان.

---

(١) فِي بلوجستان.

(٢) الثاني من أبريل ١٥١٩،

مآثر دوست بِك:

كان دوست بِك فَتى رائعًا، تَرَقَّى توا إلى رتبة الإمارة. ولما كان مِن الخَوَاص قبل ترقيته إلى الإمارة، أظهر مآثر كَثِيرَة مرارًا، مِنْها أنه لما أغار السُلْطَان أَحْمَد تَنْبَل على رباطِ زورق الواقعة على مَسَافَة فَرْسَخ مِن «أَنْدِجان». فتقدمتُ ومعى عشر أو خمسة عشر رجلا للتصدي له. وأوجعتُ المغيرين، وأجبرتُهم على الرجوع، فلما وصلتُ إلى مركزه كان تَنْبَل فِي مائة مِن رِجَاله، ولم يَكُنْ معى آنذاك سوى ثلاثة رِجَال. أحدهم دوست ناصِر، والثاني ميرْزا قُلي كُوكَلْداش، والثالث كريم داد.

ولم يَكُنْ معى سوى قوسى. وكان تَنْبَل يقف مع أحد رِجَاله متقدما عن الصف بعض الشيء. وتقدمتُ نحوه مجابهة. وتهيأ لي أن أُصيب خوزته بسَهْمٍ. وأتبعتُه بسَهْمٍ آخر، واخترق هَذَا السهم درعه وكنانته فلصقهما معا. وقد أصابوا ساقي بسَهْمٍ. وضرب تَنْبَل رأسي بسيفه. وكانت فوقَ رَأْسي خُوذَةٌ. والغريب أنها لم تُخْدَش لكن أصابَ رأسي جُرْحٌ بَسيطٌ. ولم يساعدنى أَحَدٌ، كما لم يَكُنْ أحد بجانبى. وحَوَّلْتُ عَنَان جوادي مجبرا. وكان علي دوست ورائي غير بعيد؛ فتحاربوا معه وكان قد تبارز ذات مرة مع باقى حيز، وكانوا يدعونه حيز، عِنْدَمَا غادرنا «أَخْسي» . (٢٣٤ب)، لَكِنَّهُ كان متقنا فِي الطعان. وهو واحد مِن ثمانية رِجَال كانوا معى عِنْدَ خروجي مِن «أَخْسي». وقد أوقعوه كما أوقعوا رجلين قبله. وأثناء إمارته، جاء سبونجك خان مع السلاطين وهزمهم [دوست بِك] أثناء محاصرة أَحْمَد قاسم فِي «تاشْكَنْد» ودخلها. وقد أبلى بلاء حسنا أثناء الحصار. وقد تركها أَحْمَد قاسم وغادرها بدون أن يبلغه. وفِي ذَلِكَ الوقت أيضا، هزم الخانات والسلاطين، وتمكن مِن مغادرة «تاشْكَنْد». وبعد ذَلِكَ، عِنْدَمَا دبت العداوة بين شريم طغائي ومزيد ورِجَاله، جاء بسرعة مِن «غَزْنَة» مع مائتين أو ثلاثمائة مِن رِجَاله، وأرسل المُغُول ثلاثمائة أو أربعمائة مِن خيرة فتيانهم للتصدي له. وظهروا له بنواحي شروكان، وهزمهم هزيمة منكرة. وأوقع الكثير مِن رِجَالهُم، وجاء برؤوس الكثير منهم.

كما كان رِجَال دوست بِك أول مَن وصل قلعة «بَجُور» وتسلقوا جدرانها. وفِي «پرهاله»

أيضا تقدم دوست بِك وهزم هاتى ككر، واضطره إلى الهَرَبَ مِنْها، وفتح «بُراله».

وبعد وفاة دوست بِك، أنعمنا بولايته على أخيه الأَصْغَر ميرم ناصِر.

وفِي يَومِ الجمعةِ الثامنِ مِن شهر ربيع الآخر، خرجنا مِنَ القَلْعَة إلى «چارباغ».

وفِي يَومِ الثلاثاءِ الثاني عشر مِن الشهر، جاءت البيجوم سُلْطَانيم إلى «كَابُل» وهي كبرى بنات السُلْطَان حُسَيْن ميرْزا، ووالدة مُحَمَّد سُلْطَان مِيرْزا، وكانت قد ذَهَبَت إلى خوارزم أثناء فترةِ الفتن. (٢٣٥أ) وتزوج ايسن قُلي سُلْطَان الأخ الأَصْغَر ليبلي بارس سُلْطَان، بابنة البيجوم سُلْطَانيم . وخصصت باغِ خلوت لإقامتهم. وبعد إقامتهم فيها، ذهبتُ إليهم، ولأنها بمثابة أختى الكبيرة، فقد أظهرتُ لها التعظيم، وانحنيتُ أمامها باحترام، وبدورهم انحنوا لى احترامـــا. وتقدمتُ، والتقينـا فِي مكان وســـط، وصاروا يراعـون مثل هَـذَا التقاليـد فيما بعد.

وفِي يَومِ الأحدِ السابعِ عشر مِن الشهر، عفوتُ عن بابا شاه ذَلِكَ الجاحد بعد طولِ حبسٍ، وأطلقتُ سراحه، وخلعتُ عَلَيْهِ.

وفِي يَومِ الثلاثاءِ التاسعِ عشر مِن الشهر، تَحَرَّكْنا قبيل الظهر صوب «خوجه سياران». وكنتُ صائما فِي ذَلِكَ اليوم. وتعجب يونس على والآخرين لصومى هَذَا وقالوا: إن التجول والصوم يوم الثلاثاء لأمر غريب.

وَوَصَلْنا «بهزادى»، ونَزَلْنا بمنزلِ القاضي. وفِي المساء، أَقَمْنا مجلسًا للشراب. وعَرَضَ القاضي [أمره] قائلا: لم يحدث مثل هَذَا فِي منزلي [مِن قبل] قط، لكن السُلْطَان هو الحاكم. وكانت لوازم المجلس مهيأة، فأمرنا برفع الشراب مراعاة لخاطر القاضي.

وفِي يَومِ الأربعاء، ذهبنا إلى «خوجه سياران».

وفِي يَومِ الخميس الحادى والعشرين مِن الشهر، أَمَرْتُ بإنشاءِ مَصْطَبَةٍ كبيرةٍ مستديرة عِنْدَ مَخْرَجِ الجبل حيث أَمَرْتُ بإنشاءِ حَدِيقَة هُنَاكَ.

وفِي يَومِ الجمعة، رَكبنا الطَوْف مِن الجسر. فلما وَصَلْنا قُبَالَة بيوتِ الصيادين، أَمْسَكَ

الصيادون بطائرٍ يقولون عنه دنك. وهو ليس الدنك الذي رأيته مِن قبل. (٢٣٥ب) فهو طائر غريب الشكل. وسيأتي وصفه عِنْدَمَا أَذْكُر طيور «الهِنْد».

وفي يَومِ السبتِ الثالثِ والعشرين مِن الشهر، غَرَسْنا شجرةَ دُلْب وَارِفَة الظِّلَالِ فوق تلك المَصْطَبَةِ المُستديرة. وفي المساء، أَقَمْنَا عَلَيْهَا مَجلسًا للشراب. وفي وقتِ السَحَر، عَمِلْنَا صبوحى هُنَاكَ ايضا.

وبعد الظهر، ركِبتُ جوادي، وتحركنا إلى «كَابُل». فلما وصلنا إلى [منطقة]«خوجه حَسَن»، غَفَوْنا لفترة مِن تأثير السُكْر. فلما استيقظنا، تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، فوصلنا چارباغ في منتصف الليل. وأثناء وجودنا هُنَاكَ، ألقى عبد الله بنفسه في الماء بملابسه وهو سكران. ولأننا نتحرك في اللَيْلِ، فقد كان يرتعد مِن البرد، وأمضي الليل في ضيعةِ قُتْلُق خوجه، وفي الصباح، جاء تائبا وقد تلقن درسا مِن إفْرَاطِهِ في اللَيْلِةِ السابقة، فقلت: لك أن تلتزم بهذه التوبة أو لاتلتزم، لكن على أي حال، ينبغى أن تتوب عن الشراب في غير مجلسى فوافق، والتزم بهذا بضعة شهور ثُمَّ حَنَث.

وفي يَومِ الإثنين الخامس والعشرين مِن الشهر، جاء هندو بِك الذي تركناه في «بهْرَه» وتلك الولايات بأمل عقد الصُّلْح، بغير أن نتنبه إلى عدم أهليته. وبمجرد عودتنا، تجمع عدد كبير مِن الأَفْغَان والهنود، والتفتوا عن اتفاق الصُّلْح والإصلاح، على غير ثقة بنا أو بوعودنا، وساروا إلى «بهْرَه» ضد هندو بِك. وانضم الأهلون تباعا إلى الأَفْغَان. ولم يستطع هندو بِك البقاء في «بهْرَه»، وجاء إلى «خوشاب»، ثُمَّ إلى «نيلآب» عبر ولاية «دينكوت»، ومن هُنَاكَ جاء إلى «كَابُل»، (٢٣٦أ) وجاءوا بديوه هندو ابن سكتو وهندى آخر مقبوضا عَلَيْهِمَا مِن «بهْرَه» فأعطينا كل واحد منهما شيئا وأطلقنا سراحهما. وأنعمنا على هذين الهِنْديين بجياد وطاقم ملابس، وأذنا لَهُمَا بالانصراف.

مرض بَابُر:

وفي يَومِ الجمعةِ التاسعِ والعشرين مِن الشهر، أصابتنى الملاريا. وفصدت دما. وكانت

الحمى تصيبنى ليوم وأحيانا ليومين أو ثلاثة أيَّام. ومع كل مرة تصيبنى الحمى، أغرق فِي العرق وتصيبنى رعشة. وبعد عشرة أو اثنا عشر يوما، أعطانى المُلَّا خاجكا شرابا ممزوجا بالنرجس. شربت مِنْهُ مرة أو مرتين. ولم أحس مِنْهُ بفائدة.

وفِي يَومِ الأحدِ الخامس عشر مِن شهر جمادى الأول، جاء الخوجه مُحَمَّد علي مِن «خواست» بجواد مسرج هدية. كما أحضر نصيب التصدق[١]. وجاء مُحَمَّد شريف المُنَجِّم وأمراء «خواست»، والخوجه مُحَمَّد علي، ولازمونا.

وفِي يَومِ الإثنين التَّالِي، جاء المُلَّا كبير مِن «كاشْغَر». وقد لف مِن عِنْدَ «كاشْغَر» وهو فِي طريقه مِن ولاية «أَنْدِجان» إلى «كَابُل»[٢].

وفِي يَومِ الإثنين الثالث والعشرين مِن الشهر[٣]، جاء ملك شاه منصور يوسف زئي مِن «سواد»، ومعه ستة أو سبعة مِن أكابر يوسف زئي. ولازمونا أيضا.

وفِي يَومِ الاثنين غرة جمادى الآخر، خلعتُ على كبار أفغان يوسف زئي الذين جاءوا يترأسهم شاه منصور. وأعطيتُ شاه منصور درعا وأزراره وكسوة، وأعطينا أحدهم كسوة بالصديرى، ولستة رِجَال آخرين كسوة. ثُمَّ أذنا لَهُم بالانصراف. واتفقنا معهم على عدم اللجوء إلى ولاية «سواد» أعلى انوها، وخروج كل رعاياها مِن بينهم (٢٣٦ب) وإعطاء حمولة ستة آلاف حمار مؤن لديوان الأَفْغَان المشتغلين بالزراعة فِي «بَجُور» و« سواد ».

وفِي يَومِ الأربعاء الثالث مِن الشهر، شربتُ دواءً مسهلا. وكررتُ ذَلِكَ لمدة يومين. ثُمَّ شربتُ دواءً قابضا يوم السبت السادس مِن الشهر، وفِي يَومِ الاثنين الثامن مِنْهُ، وصلت هدية زواج حمزة أَصْغَر أبناء قاسم بِك بكبرى بنات خليفة، وكانت ألف شاهرخى، فضلا عن جواد مسرج هدية.

---

(١) فِي الترجمة التركية (الجزية)، وفسرتها الترجمة الانجليزية أنها الخمس من الغنائم الذى يوزع على الفقراء و وابناء السبيل واليتامى، وهو الأدق..

(٢) هَذهِ الجملة أغفلتها الترجمة التركية.

(٣) هَذهِ الجملة أغفلتها الترجمة التركية.

وفي يومِ الثلاثاء، طلب شاه حَسَن بِك الإذن بعقد مجلس شراب. واصطحب لبيته بعض الأُمَرَاء والخَوَاص وعلى رأسهم الخوجه مُحَمَّد علي. وكان معي يونس علي، وكدائي طغائي. وكنتُ حَتَّى هَذَا الوقت معتدلا فِي الشراب. وعندما كنتُ واعي الحس، لم أر قط الأخرين وهم سُكارى، ولم أر كيف يكون حال الثمل منهم. فقلت: تعالوا واشربوا أمامي لأرى وأعرف كيف يسلك السكارى مع بعضهم، وكيف يسلكون مع الواعين. وأقيمت خيمة صغيرة وكانت شديدة البياض فِي جهة الجنوب الشرقي مِن القاعة ذات الرسوم التي أمرتُ بإنشائها فِي باب «چنارباغ». وكنتُ أحيانا أجلس هُنَاكَ. فَأَقَمْنَا مجلس الشراب. وبعد ذَلِكَ، جاء غياث [المُهَرِّج] وأمرنا بإخراجهِ مِن المجلسِ عدة مراتٍ بطريقِ المِزاحِ. وفي النهايةِ، أحدث الكثير من الهرَجِ، ودخلَ المجلس بمزاحه. ودعونا إلى المجلس مُحَمَّد قبچاق والمُلَّا الكتابدار. ونظمنا هَذَا الرُّباعيَّ ارتجالا وأرسَلْناه مع ابراهيم چهره إلى شاه حَسَن (٢٣٧أ) ومن كانوا فِي المجلس ببيته:

الأحباب الذين فِي مجلسه، هم حَدِيقَة الجمال

كلا، فالأدق أنهم لنا مثال

ولا ريب أن فِي هَذَا الجمع راحة،

فألف حمد أن ليس فيه تعب

وبعد الظهر، انفض المجلس وهم سُكارى. وفِي هَذَا المرض، حملونى فوق محفة. وبعد أيَّام، تناولتُ مزيجا لم يُجْدِ، فتوقفتُ عن تناوله. وبعد أيَّام النقاهة مباشرة، رتَّبْتُ مجلسا تحت شجرة تفاح فِي جهةِ الجنوبِ الغربيّ مِن الحَدِيقَة ذات الجوسق، وتناولتُ خليطا مِن الشراب.

وفي يَومِ الجمعةِ الثاني عشر مِن الشهر[1]، جاء أَحْمَد بِك الذي تركناهُ مُساعدا لنا فِي «بجُور»، ومعهُ السُلْطَان أَحْمَد دُلداي.

وفي يَومِ الأربعاءِ السابع عشر مِن الشهر، أقام تَينْري بِرْدي مجلس سمر لبعض الأُمَرَاء والفتية فِي «حَدِيقَة حيدر تاقى». فتوجهت إلى هؤلاء الصحب، وشربتُ [معهم]. وفي وقت

(١) ١١ يونيو١٥١٩م

العشاء، انصرفنا واستكملنا الشراب فِي الخيمة البيضاء الكبيرة.

وفِي يَومِ الخميسِ الخامسِ والعشرين مِن الشهر، كان موعد قراءة درس الفقه[1] عِنْدَ المُلّا محمود.

وفِي يَومِ الثلاثاء اليوم الأخير مِن الشهر، جاء ابو مسلم كُوكَلْداش سفيرا مِن عِنْدَ شاه شجاع أرغون. وأحضرَ جوادا أصيلا هدية. فِي ذَلِكَ اليوم، سبح يوسف علي الركابدار فِي الحوض الذي فِي [حَدِيقَة] «باغ چِنَار» وقطعه مائة مرة. فأحسنا عَلَيْهِ بطاقم مِن الملابس وجواد مسرج، ونقود.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثامنِ مِن شهر رجب، ذهبتُ إلى بيت شاه حَسَن، وشربتُ الخمر. (٢٣٧ب) وكان هُنَاكَ أكثر الأُمَرَاء والخَوَاص.

وفِي يَومِ السبتِ الحادى عشر مِن الشهرِ أقيم مجلس، وارتقينا بين العصر والعشاء سطح بيت الحَمَام الكبير، وشربنا هُنَاكَ. وفِي وقت متأخر بعض الشيء، كان عددٌ مِن الفُرْسَان يمضون مِن «طريق ده أفغان» صوب المدينة مباشرة. وتحققنا منهم وكان فيهم درويش مُحَمَّد ساربان قادما سفيرا مِن عِنْدَ ميرْزا خان. فناديناه مِنْ فَوْقِ السطح ودعوناه قائلين: دعك مِن مراسم السفراء وأَقْبِل. فجاء وانضم إلى المجلس. ولم يَكُنْ يشرب الخمر بعد أن عقد التوبة. واستمر الشراب هُنَاكَ إلى ساعة متأخرة مِن الليل. وفِي اليَومِ التَّالِي، جاء إلينا فِي الديوان وفق المراسم والأصول، وقدم الهدايا التي أرسلها ميرْزا خان.

وفي السَنَـةِ الماضيـة، استطعنا بِصُعُوبَةٍ بالِغَةٍ، ومصاعِب جَمَّة، أن نَنْقِل كل العَشَائِر التي فِي تلك الناحية[2] إلى «كَابُل».

و«كَابُل» مكانٌ محدود. لا تستطيع عشائر التُرْك أن تجد فيه بسهولة مشاتٍ ومراعٍ تكفي حيواناتهم. والقوم الرحل، إذا نزلنا إلى رأيهم، فإنهم لا يحبذون «كَابُل» أبدا. وقد لجأوا إلى قاسم

---

(١) فِي الترجمة الإنجليزية (لقراءة أجزاء من القرآن).

(٢) يقصد العشائر التي فِي سَمَرْقَنْد وقُنْدُز وحصار.

بِك ووسطوه فِي الانتقال إلى نواحي «قُنْدز» وباغلان. فألحَّ قاسم بِك بشدة، وفِي النهاية أذنا للعشائر بالانتقال.

وكان الأخ الأكبر لحافظ مير الكاتب قد جاء مِن «سَمَرْقَنْد». وأذنا له بالذهاب إلى «سَمَرْقَنْد» وأرسلت ديواني إلى بولاد سُلْطان. وقد كتبت خلفه هَذهِ القطعة: (٢٣٨أ)

يا ريح الصبا، عِنْدَمَا تدخلين حرم ذَلِكَ السرو،

ذكريه بمن أضناه الهجر (والصد)

ألا يَرِقّ ويفكر فِي بَابُر الذي نسيه،

لكني آمل أن يودع الله الرحمة فِي قلبه الصلد.

وفِي يَومِ الجمعةِ السابعِ عشر مِن الشهر، أحضر شاه مزيد كُوكَلْداش جوادا هدية وتصدُّقا مِن مُحَمَّد زمان ميرْزا، والتزم. وفِي ذَلِكَ اليوم، خلعنا على ابو مسلم كُوكَلْداش سفير شاه بِك وسمحنا له بالانصراف، وبذلنا له مِن إحساننا. وسمحنا لخوجه مُحَمَّد علي، وتنرى بِرْدي فِي اليوم ذاته بالذهاب إلى ولاياتيهما فِي هست، و«اندرآب».

وفِي يَومِ الخَمِيسِ الثالثِ عشر مِن الشهر، جاء مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك الذي تركناه عِنْدَ كچه كوت، وقارلوق، وتركنا تلك الولايات فِي عهدته، ومعه شاه حَسَن الحاتي ابن ميرْزا ملوى قارلوق وتابع حاتي. وفِي ذات اليوم، جاء المُلَّا علي خان الذي ذهب إلى «سَمَرْقَنْد» لإحضار أهله، والتزم.

وكان أفغان عبد الرحمن الساكنين علىٰ حدودِ «كرديز» يمتنعون عن أداءِ المكوس، ولا يعرفون لنا حقًا، ويطال أذاهم ألْقُوافل فِي رواحها وغدوها.

وفِي يَومِ الأربعاءِ التاسعِ والعشرين مِن شهر رجب، شرعنا فِي التحَرُّكِ لمهاجمة هؤلاء الأَفْغَان، ونزلنا بجوار «تنك وَغْجان»، وتناولنا طعامنا، وعقب الظهر تَحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ. وفِي اللَيْلِ، ضللنا الطريق، وعانينا مِن السَّيْر على غير هديٍ فِي الوديان والبرية جنوب شرق «بانجاب شحنه»، (٢٣٨ب) ثُمَّ اهتدينا إلى الطريق، واجتزنا دَرْب «چَشْمَه تره»، ومع الصباح

خرجنا مِن الوادي المطل على ناحية «كرديز»، إلى أرض مستوية. وهجم فريق مِن الجُنْد على ناحية «جبل كرماش» فِي الجنوب الشرقي مِن «كرديز». وأرْسَلْنا مَيْمَنَة الجَيْش تحت قيادة خُسْرو ميرْزا قُلى، وسَيِّد عليقُلي فِي أعقاب المغيرين. وأغار أغلب جُنُود قلب الجَيْش على أعْلى الوادي فِي الطرف الشرقيّ مِن «كرديز». كما أرْسَلْنا رِجَال سَيِّد قاسم اشيك أغا، ومير شاه قوچين، وقيام، وهندو بِك، وقُتْلُقْقَدَم، وحسين، وراء هؤلاء المغيرين.

ولأن أكْثر المغيرين اتجهوا للهجوم أعلى الوادي، فقد أرسلتُ مِن تبقوا فِي المؤخرة وراءهم، ثُمَّ ذهبتُ بنفسي. وكان أعلى الوادي بعيدا. وقد انتقصت خيول الجُنْد الذين ذهبوا إلى هُنَاكَ مِن قوتنا. ولم يَكُنْ لدى الجُنْد إلا الكفاف. وبدا فِي المكان المستو حوالي أربعين أو خمسين أفغانيا. ومن ذهبوا فِي أعقاب الجُنْد اتجهوا نحوهم مباشرة، وأرسلوا إليَّ رسولا فانطلقت بسرعة. وقبل أن أدركهم، انطلق حُسَيْن حَسَن بجواده وحده غير آبه بشيء، وألقى بنفسه وسط الأَفْغَان، وامتشق بسيفه، فأصابوا جواده بسَهْمٍ فأوقعوه وانهالوا عَلَيْهِ مِن كل جانب طعنا بالسكاكين ثُمَّ ذبحوه ومزقوه إربا إربا. بَيْنَما اكتفي بقية الفتيان بالنظر لما يجري دون أن يَهُبُّوا للمساعدةِ. فلما بلغنا هَذَا الخَبَر، أرسلت على وجه السرعة الفتية الذين تحت قيادة كدايي طغائي وپاينده مُحَمَّد قبلان، (٢٣٩أ) وأبو الحسن القورچي ومؤمن اتكه، كما انطلقت بدورى بسرعة. وبادر مؤمن أتكه قبل الجميع وضرب أفغانيا بالمزراق، وقطع رأسه وجاء بها.كما انطلق أبوالحسن القورچي بجسارة رغم أنه بلا درع، واعترض طلائِعَ الأَفْغَان، وساقَ جوادَهُ وضرب أفغانيا وقطع رأسه وجاء بها. وقد أُصيب بثلاثة جروح، كما جُرح جوادُهُ. وأحْسَنَ پاينده مُحَمَّد قپلان التصَرُّف فَضَرَبَ أفغانيا بالسيف وجَزَّ رأسَهُ وجاءَ بِها. والحقّ، أن فُتُوَّةَ ابو الحسن وپاينده مُحَمَّد قپلان، كانت أمرا طبعيا. أما هَذهِ المرة، فقد أظهرا المزيد مِن المهارة. وقد مزقا هؤلاء الأَفْغَان إرَبًا، وكان عددهم بين الأربعين والخمسين. وبعد أن قَطَعْنَا دابرهم، نزلنا بأحد المروج، وأمرتُ بعمل منارة مِن رؤوسهم.

فلما تَحَرَّكْنا التقينا فِي الطريق أمراء الجَيْش الذين كانوا مع حُسَيْن، فَعَنَّفْتُهُم قائلا: أي

صِنْفٍ مِن الرجَال أنتُم! أتقفونَ مُتَخاذِلين فيهزمكم بِضْعُ رِجَال مِن الأَفْغَان المُشاةِ، وفِي أرض مستوية. ينبغى أن تُجَرَّدوا مِن رُتَبِكُم وامتيازاتِكُم، وتُسْلَب منكم الإقطاعات والولايات التي في أيديكم، وتُحْلَق لِحاكم ويُشَهَّر بِكُم فِي المدائن. (٢٣٩ب) حَتَّى يَعْرِفُ القاصى والدَّانى جَزَاءَ مَن يتخاذَل أمام العدو، وتُغَل يدُهُ فِي مكانٍ مكشوفٍ ومُنْبَسِطٍ كهذا. وعاد الجُنُود الذينَ ذَهَبوا ناحية «كرماس»، بالغُنْمِ والغنائِم.كذَلِكَ ذَهَبَ بابا قاشقه مغول بِجُنُودِهِ إلى «كرماس». وعندما هَمَّ أحد الأَفْغَان بضربه بالسيف، أحسن بابا قاشقه التصرف، إذ أطلق سهما أصاب ذَلِكَ الأَفْغَانى فأرداه.

وفِي الصباح، تَحَرَّكْنَا صَوْب «كَابُل». وأمرنا مُحَمَّد بخشي وعبد العزيز ميراخور، ومير خورد بكاول بالبقاء فِي «چشمهتره» وجمع الديوك البرية مِن النَّاس هُنَاكَ.

منطقة ميدان رستم:

سلكتُ مع بعض رِجَالي طريق ميدان رستم الذي لم أكن قد رأيته حَتَّى ذَلِكَ الحين. وميدان رستم مكان جميل بين الجِبَال، قريبا مِن ذروة جبل. وهو ليس بالمكان الذي يصفو فيه العيش. وبين الجبلين وادٍ يَميلُ للاتساع، وفِي الطرف الجَنُوبِيّ مِنْهُ أشجار الحُور الضخمة، وفِي الطريق المؤدى مِن « ميدان رستم » إلى « كرديز »، عَدَدٌ لا بأس بِهِ مِن عيون الماء والأشجار. لكن الأشجار أقرب إلى الصغر. والحق أن الوادي غير متسع لكن هَذِهِ الأشجار تتخللها سهول جميلة شديدة الخضرة، ووادٍ غاية فِي الحُسْنِ. واعتلينا الجبل الواقع فِي الطرف الجَنُوبِيّ مِن ميدان«رستم». وتبدو جِبَال «كرماس» و«بنكش» وكأنها تحت أقدامنا. وسُحُب مَوْسِم المطر تتناثرُ متفرقة خلف الجِبَال. (٢٤٠أ) أما فِي الولايات التي تخلو مِن مَوْسِم المطر، فلا تظهر «كَابُل» يوم الأحد الثالث مِن شعبان، وفِي يَومِ الثلاثاء الخامس مِن الشهر، استدعينا رِجَال درويش مُحَمَّد فضلي ورِجَال خُسْرو، وسألناهم عن سبب ما اقترفوه عِنْدَمَا قبضوا على حُسَيْن، ثُمَّ جردناهم مِن رتبهم وامتيازاتهم. وعند الظهر، أَقَمْنَا مجلس شراب أسفل شجرة دلْب كبيرة وأنعمنا على بابا قاشقه مغول بخِلعة.

وفي يومِ الجمعةِ الثامنِ مِن الشهر، جاء كپه وكان قد ذهب إلى ميرْزا خان.

وفي يَومِ الخميس، ذهبتُ للنزهة فِي نواحي «خوجه سياران» و«باران» و«دامنكوه» عصرا. وفي وقتِ العشاء، نزلنا «ماما خاتون»[1]. وفي اليومِ التَّالِي، قصدنا «استاليف»، وتَعَاطَيْنَا المعجون هُنَاكَ.

وفي يَومِ السبت، أَقَمْنَا هُنَاكَ مجلس شراب. وفِي الصباح، تَحَرَّكْنَا مِن «استاليف»، واجتزنا «سنجد دره»، وبالقرب مِن «خوجه سياران»، قتلنا ثعبانا ضخما بسُمْك المعصم وطول الإنسان. فخرج مِن بطنِهِ ثعبانٌ آخر أَصْغَر مِنْهُ يَبْدُو أنه قد ابتلعه توا. إذ كان سليما، وكان هَذَا الثعبان أَصْغَر قليلا مِن ذاك الثعبان الكبير. (٢٤٠ب) ثُمَّ أخرجنا مِن بطن هَذَا الثعبان الصغير فأرا كبيرا وكان أيضا سليما. ولم يهترئ مِنْهُ شيء.

فِي خوجه سياران:

وبلغنا خوجه سياران، فَأَقَمْنَا مجلس شراب. وفِي ذَلِكَ اليوم أرسلت المراسيم مع كيچكينه تونقطار إلى الأُمَرَاء الذين فِي الجانِبِ الآخر، لكى أبلغهم أن الجَيْش سيبدأ التحرك فِي الصباح، وآمرهم بالتحرك باهتمام والمجيئ إلى المكان المحدد.

وبدأنا التحرك فِي الصباح، وتَعَاطَيْنَا المعجون. ووصلنا مَصَب «نهر پروان»، فأَلْقَيْنَا عشب السَمَكِ فِي الماءِ على طريقةِ أهل «پروان»، وجَمَعْنَا سَمَكًا وفِيرا. وقَدَّمَ لنا مير شاه بِك الطَّعَام والشراب، فأكلنا وشربنا.

فِي كُلْبهار:

وتحركنا مِن هَذَا المكان وجئنا إلى«كُلبَهار». وبعد العشاءِ أَقَمْنَا مَجْلِسا للشراب. وكان درويش مُحَمَّد ساربان يُشَارِكِ فِي هَذهِ المَجَالِسِ. والحقّ أنه كان فارسا فَتِيًا. لَكِنَّهُ لا يتناول الشراب. إذ تاب وصار درويشا. أما قُتْلُق خوجه كُوكَلْداش فقد ترك الفروسية مُنْذُ زمن وتقدم به العمر، وابْيَضَّت لحيته كلها. لَكِنَّهُ كان دائما يشرب فِي هَذهِ المجالس، فقلت لمُحَمَّد درويش:

---

(١) موضع شمال كابُل.

استح مِن لحيـة قُتْلق خوجه، فإنه يشرب الخمر رغم دَرْوشتِه، ووقارِه، وبياضِ لحيتِه. أما أنت، فما زلتَ فارسا فتيا لم تشب لحيتك بعد، ولا تشرب أبدا. فما العلة فِي هَذَا؟. ولم يَكُنْ مِن عادتى أو ديدنى عرض الخمر على مَن لا يشربها. وأمضينا الوقت فِي دعابات كهذه، ولم أعرض عَلَيْهِ الشراب. وفِي الصباح عملنا الصبوحى [للإفاقة].

وفِي يومِ الأربعاء، (٢٤١أ) تحَرَّكْنا مِن «كُلبَهار». ونزلنا قرية« أبون »، وبعد أن تناولنا الطَّعَام، استأنفنا السَّيْر، فوصلنا « باغات خم» حيث نزلنا هُنَاكَ. وبعد الظهر، أَقَمْنا مجلسا للشراب.

فِي اليوم التَّالِي تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ، وذهبنا لمشاهدة «قبر خوجه خواند سعيد»، وركبنا الطَوْف مِن عِنْدَ حصن جينه. وفِي المَوْضِع الذي يتصل فيه «نهر پنچهير»، اصطدام الطَوْف بصخرة بمخرج الجبل، وكاد أن يغرق. وسقط "روح دم" وتنرى قُلى ومير مُحَمَّد جالبان فِي الماء لاصطدام الطَوْف بصخرة. وبِصُعُوبَةٍ تمكنا مِن سحب "روح دم" وتنرى قُلى، ورفعناهما إلى الطَوْف. وسقط فِي الماء قدح صينى وملعقة وآلة عود.

وجاوزنا هَذَا المَوْضِع. فلما صرنا فِي اتجاه « سنك بريده »، اصطدم الطَوْف وسط الماء بشيء لا نعرف إن كان غصنا أم وتدا [لربط المركب عِنْدَ رسوها]، فسقط شاه حَسَن شاه بِك على ظهره ودفع معه ميرْزا قُلى كُوكَلْداش. كما سقط فِي الماء أيضا درويش مُحَمَّد ساربان. ووقع ميرزا قلى فى الماء.وكان فى يده عِنْدَ سقوطه فى الماء بطيخا يقطعه وقد أحسن ميرْزاقُلى التصرف، إذ غرس سكينه فى الحصير الذي يغطى الطَوْف، وسبح بملابسه ولم يرجع إلى الطَوْف. وَغَادَرْنَا الطَوْف، ونزلنا للمبيت فِي بيت العاملين عَلَيْهِ. وقد أهدانى درويش مُحَمَّد قدحا ذا سبعة ألوان كالذي سقط فِي الماء تماما.

وفِي يَومِ الجمعة، جاوزنا ضَفَّة النَّهْر. ونزلنا بربوة« كوه بجه » الواقعه أسفل « اينجكه ». وجمعنا الكَثير مِن شجر الآرك (٢٤١ب) ثُمَّ جاوزنا ذَلِكَ المكان، وتناولنا الطَّعَام فِي بيت الخوجه خِضرى، ثُمَّ استأنفنا التحرك. وفِي وقت الظهر، نزلنا بقرية «لَمْغَان» مِن أراضى قُتْلُق خوجه. فأحضر كل ما لديه [مِن طعام]، ثُمَّ رحلنا مِن هُنَاكَ وجئنا إلى «كَابُل».

وفِي يَومِ الإثنينِ الخامسِ والعشرين مِن الشهر، أنعمنا علىٰ درويش مُحَمّد ساربان بخلعة خاصة وجواد مُسَرّج، وأوكلنا إليه مهمة خدمتنا الخاصة.

وكانت قد مضت أربعةُ أو خمسةُ شهورٍ لم أحْلِق فيها شَعْر رأسي. وفِي يَومِ الأربعاءِ السابع والعشرين مِن الشهر، حَلَقْتُشعر رأسي. وفِي ذَٰلِكَ اليوم أَقَمْنَا مجلس شراب.

وفِي يَومِ الجمعة التاسع والعشرين مِن الشهر، عيَّنَّا مير خورد أتابكًا[1] لِهندال [ولدى].

وقد قدم ألف شاهرخي هدية.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الخامس مِن الشهر، جاء بارلاس جكى خادم تولُن كُوكَلْداش، بعرض حال [ذكر فيه] أن مهاجمي الأُزبَك قد أغاروا عَلَيْهِم، وتصدى تولُن لَهُم، وغَلَبَهُم. وأتى هَذَا الرسول برأسِ أسيرٍ أوزبكي.

وفِي يَومِ السبت الثامن مِن الشهرِ، ذهبنا إلى بيتِ قاسم بِك، وأَفْطَرْنَا هُنَاكَ. وقَدَّمَ جَوادا مُسَرَّجا هَدِيَّة.

وفِي مساءِ يومِ الأحد، جاء الخوجه مُحَمّد علي وجان ناصِر مِن ولايتيهما، وكنا قد استدعيناهما للأعمال العَسْكَرية.

وفِي يَومِ الأربعاءِ الثاني عشر مِن الشهر، (٢٤٢أ) جاء سُلْطَان على خال كمران الذي ذهبَ إلى «كاشْغَر» فِي السنةِ التي ذَهَبْتُ فيها على «كَابُل» ذَكَرْتُ مِن قَبْلِ.

وفِي يَومِ الخميسِ الثالثِ عشر مِن الشهر، تَحَرَّكْنَا بِقَصْدِ طَرْدِ يوسف زئي والتنكيل به. ونزلنا بمرج فِي طرفِ «كَابُل» ناحية «نهر ده يعقوب». وبينما أرتقى صهوة الجواد، أمسك السائس "بابا جان" باللجام مِن خِلافٍ، فلَكَمْتُهُ فِي وجْهِهِ مِن فَرْطِ غضبى إذ انكسرت أُنْمُلَة خنصرى. ولم أحس وجعا فِي حينه، لكن عِنْدَمَا نزلنا بهذه الناحية أحْسَسْتُ وجعا شديدا. وقد آلمنى زمنا طويلا، فلم أكن أقدر على الكتابة. ثُمَّ تماثلت شيئا ما. وفِي المَوْضِع الذي خرجنا فيه لهذه الحملة، جاء مِن كاشْغَر قُتْلُق مُحَمّد أخو دولت سُلْطَان خانم مِن الرضاع، ومعه رسالة

---

(١) الأتابك لقب يطلق على معلم الأمير أو مربيه.

وخبر مِن الخانم. وفي ذَلِكِ اليوم، جاء بوخان وموسى وهمـــا مِن أكابر «دِله زاك». وقدمـا الهدايا والتزما.

وفي يَومِ الأحدِ السادس عشر مِن الشهر، جاء قوج بِك.

وفي يَومِ الأربعاءِ التاسع عشر مِن الشهر، رحلنا وعبرنا «بوت خاك»، ونزلنا في المكان الذي ننزل فيه كلما اجتزنا «بوت خاك». ولقرب الولايات الخاصة بقوچ بِك مثل «بَامْيَان» و«كَهْمَرْد»، مِن الأُزبَك، فقد أعفينا قوج بِك مِن هَذهِ الحملة. وأحسنتُ عَلَيْهِ بمنديلى الذي ألفه فوق رأسى، وطاقم ملابس، ثُمَّ أذنا له بالذهاب إلى ولايته.

وفي يَومِ الجمعةِ الحادِى والعشرين مِن الشهر، نزلنا «بادام جشْمة» (٢٤٢ب) وفي اليَومِ التَّالِي، توجهنا إلى «باريك آب». وذهبتُ بمفردى للتفرج على «قراتو». وفيها عثرنا في [إحدى] الشجرات على [خلية] عسل. وتحركنا مِن منزلٍ تلو الآخر.

وفي يَومِ الأربعاءِ السادسِ والعشرين مِن الشهر نزلنا «حَدِيقَة باغِ وفا» .وأمضينا يوم الخميس في هَذهِ الحَدِيقة.

وفى يوم الجمعة،خرجنا وجاوزنا «سُلْطَانپور». وفي ذَلِكَ اليوم، جاء شاه مير حُسَيْن مِن ولايته. كما جاء في ذَلِكَ اليوم أيضا أكابر «دِله زاك» وعلى رأسهم بوخان و موسى. وخرجنا عازمين السَّيْر إلى «سواد» لدفع يوسف زئي. لكن ملوك «دِله زاك» عرضوا عَلَيْنَا أن «هَشْنَغَر» كَثِيرَة الأهلين، وفيرة المؤن، وتحمسوا للسير إليها. فقررنا بعد المشورة السَّيْر إلى «هَشْنَغَر» لوفرة مؤنتها ونغير على الأَفْغَان المَوْجُودِينَ هُنَاكَ ونَجْعَلَهُم فى وضع الدفاع عن إحدى القلاع فى «هَشْنَغَر» أو« پَرْشَاوَر »، وعندئذ نأخذ ما يلزمنا من هذه المؤن،ونترك هُنَاكَ شاه مير حُسَيْن وعددا مِن الفتية.لهذا، سمحنا لشاه مير حُسَيْن بالذهاب إلى ولايته، وأعطيناه مهلة خمسة عشر يوما لمباشرة الاستعدادات والعودة.

واندفعنا في اليومِ التَّالِي، ونزلنا «جوي شاهى». ولحق بنا بعد ذَلِكَ تَنْرِي بِرْدي وسُلْطَان مُحَمَّد دُلداي حال مقامنا في هَذَا المَوْضِع. كما جاء في ذات اليوم حمزة مِن «قُنْدُز»

وفي يَـومِ الأحدِ آخرِ يـومٍ مِن الشهر، تَحَرَّكْنَا مِن «جوي شاهى» ونزلنا «قريق

آريق». (٢٤٣أ) وجِئتُ مع بعض أصدقائي المقربين بالطَوْف. وأثناء مقامنا فِي هَذَا المَوْضِع رأينا هلال العيد. وكانوا قد جلبوا مِن درة نور عدة دواب محملة بالشراب. فأَقَمْنَا مجلس شراب بعد العشاء، حضره محب على القورچي، والخوجه مُحَمَّد علي الكتابدار، و شاه حَسَن شاه بِك، وسُلْطَان مُحَمَّد دلداي، ودرويش مُحَمَّد ساربان. وكان درويش مُحَمَّد قد تاب [عن الشراب]. وكان دَيْدَنى مُنْذُ صغرى ألا أُكْرِه أحدا على الشراب. وكان درويش مُحَمَّد دائم الحضور فِي مجالسنا، ولم أجبره على الشراب بأي نحوٍ كان. أما الخوجه مُحَمَّد علي فلم يأبه بشَيّخوختِهِ، وأجبره على الشراب، فشرب.

وفِي يَومِ الاثنين، وكان يوم العيد [الفطر] تحَرَّكْنا، وأكلنا المعجون لعلاج وجع الرأس. ولما خدرنا بالمعجون، أحضروا قرعا بريا. ولم يَكُنْ درويش مُحَمَّد قد رآه مِن قبل أبدا. فقلت له إنه شمام «الهِنْد»، وقطعت شريحة قدمتها له فقضمها بشهية، ولم تذهب مرارتها مِن فمه حَتَّى المساء.

ونزلنا تل «كرم چشمه». فلما قدموا "اليخنى"، جاء لنكر خان وكان مقيما فِي ولايته مُنْذُ فترة، وقدم جوادا ومقدارا مِن المعجون هدية ولازمنا.

وتحركنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا يده پير. وفِي وقتِ العصر، ركبْتُ الطَوْف مع بعض الأصدقاء المقربين، واتجهنا مَسَافَة فَرْسَخ لأسفل.

عِنْدَ دَرْب خَيْبَر:

وفِي اليومِ التَّالِي، تحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ، ونزلنا بسفح دَرْب «خَيْبَر». (٢٤٣ب) وعندما علم السُلْطَان بايزيد بخبرنا فِي ذَلِكَ اليوم لحق بنا مِن «نيلآب» عبر طريق باره. وعرض عَلَيْنَا: أن أفغان افريدى يقيمون فِي باره بذراريهم وأموالَهُم. وقد زرعوا أرزا وفيرا. وقد اكتمل نموه ولم يحصدوه بعد. ولأننا خرجنا قاصدين أفغان يوسف زئي و«هَشْنَغَر»، فلم نُعِر قوله اهتماما.

وأقمنا ظهرا مجلس شراب فِي خيمة الخوجه مُحَمَّد علي. وفِي نفس هَذَا المجلس حملنا السُلْطَان تيراهي برسالة إلى الخوجه كلان فِي «بجُور» نبين فيها سبب مجيئنا إلى هَذهِ النواحي. وكتبت هَذَا البيت فِي حاشيتها:

يا ريح الصبا، ألا بلغت ذَلِكَ الغزال الباهر الجمال
أنه مِن ألقى بى فِي هَذهِ الفيافي والجِبَال

وتحركنا مِن هُنَاكَ صباحا، ونزلنا الدَرْب، فاجتزنا دَرْب «خَيْبَر»، وجئنا إلى عَلِي مَسْجِد. ثُمَّ تحَرَّكْنا مِن هُنَاكَ قبيل الظهر تاركين أحمالنا، فلما انقضت مرحلتين، قصدنا ضَفَّة نهر «كَابُل». وأبلغتنا طلائعنا أن الأَفْغَان علموا بأمرنا ولاذوا بالفرار.

الهجوم على أفغان افريدي:

وجدَّ بنا السَّيْر فجاوزنا نهر سواد، ونزلنا بين حقولِ الأَفْغَان. ولم يَكُنْ بها نصف أو حَتَّى ربع ما وصفوه لنا مِن ذخائر. ولم يتفق هَذَا مع حساباتنا مِن تحصين «هَشْنَغَر» بهذه الذخيرة. (٢٤٤أ) ولذا أستشعر ملوك «دِله زاك» الذين تحمسوا لهذه الحملة، الحرج. وفِي وقت العصر، عبرنا نهر «سواد» إلى «كابُل». وفِي اليوم التَّالِي، تحَرَّكْنا مِن نهر سواد، واجتزنا نهر «كَابُل». واستدعيتُ أهل المشورة مِن الأُمَرَاء، للتشاور. وقررنا أن نهاجم أفغان أفريدى الذين يتحركون بأوامر السُلْطَان بايزيد، وبأموالَهم ومؤنتهم نحصن قلعة پَرْشاوَر ونضعها فِي عُهْدَةِ أحد الأشخاص. ولَحِق بنا هندو بِك قوچين وأمراء هَشت وأدركونا فِي هَذَا المنزل. وفِي ذَلِكَ اليوم، أكلنا المعجون. وقد حضر هَذَا المجلس مُحَمَّد ساربان ومُحَمَّدى كُوكَلْداش وكدائى طغائي وعَسَس. ثُمَّ دعونا شاه حَسَن بعد ذَلِكَ. وبعد الطَّعَام، ركبنا الطَوْف قبيل المساء. كما دعونا لنكر خان نيازى إلى الطَوْف. وفِي وقت العشاء، غادرنا الطَوْف وقصدنا معَسْكَر الجَيْش.

وبناء على ما قررناه، فقد تحَرَّكْنا مِن ضَفَّة النَّهْر فِي وقت السحر، وعبرنا جام، ونزلنا عِنْد منبع نهر عَلِي مَسْجِد . وجاء ابو الهاشم سُلْطَان علي ورائنا وقال: فِي ليلة عَرَفة كنت أمر مِن «جوي شاهى» مع رجل قادم مِن «بَدَخْشان»، فقال:إن السُلْطَان سعيد خان فِي طريقه إلى «بَدَخْشان»، وأنه جاء مِن جمرود ليبلغ السُلْطَان بنفسه.

فِي إثرِ هَذَا الخَبَر، استدعيتُ الأُمَرَاء وتشاورنا، ورجحنا الذهاب إلى «بَدَخْشان»، إذ رأينا أنه مِن المناسب تجهيز القَلْعَة. (٢٤٤ب) وخلعنا على لنكر خان وأذنا له فِي الذهاب،

وعينا مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك معاونا [له]. في تلك الليلة أقمْنا مجلس شراب في خيمة الخوجه مُحَمَّد علي. وتحركنا مِن هُنَاكَ في الصباح الباكر، مجتازين دَرْب «خَيْبَر»، ونزلنا بسفح الدَرْب.

وقد بَدَرَت مِن أفغان خضر خيل أمورًا كَثِيرَة تسوء. فكانوا يُطْلِقُون السهام علَى الجُنْد في ذهابهم وإيابهم، وكذا علَى جُنُود المؤخرة والأجنحة، ويسلبونهم جيادهم. وبَدَا لزاما عَلَيْنَا تأديبهم والتنكيل بهم. وبهذه النية، قطعنا أسفل الدَرْب في وقتِ السحر، وتناولنا غداءنا في ده غلامان، وأطعمنا جيادنا ثُمَّ استأنفنا السَّيْر ظهرا. وأرْسَلْنا مُحَمَّد حُسَيْن القورجي إلى «كَابُل» على وجه السرعة ليكتب بالتفصيل عن أفغان خضر خيل الذين أوقفهم أولئك المَوْجُودِينَ في «كَابُل»، ومتاعهم، ويبلغنا به، ويرسل رجلا يأتينا بالأخبار مِن «بَدَخْشان». وقطعنا في تلك الليلة فترتين مِن الليل[1]، ونزلنا بُعَيد سُلْطَان پور. ثُمَّ استأنفنا السَّيْر بعد أن نِلْنَا هُنَاكَ قسطا يسيرا مِن النوم. وكان أفغان خضر خيل يسكنون في نواحي «بَهَار» ومحكرام حَتَّى قرا سو. ومع الصباح، تَحَرَّكْنَا وأرْسَلْنا المهاجمين. ووقع في أيديهم الشيء الكثير مِن متاعهم وعيالَهُم المشردين. وفر قليل منهم إلى الجِبَال القريبة، فنجوا بأنفسهم.

وفي الصباح، نزلنا قيلاغو(٢٤٥أ) وقد جمعنا الديوك البرية مِن هَذِهِ الناحية. وفِي ذَلِكَ اليوم أيضا وصلت أحمالنا التي تركنا وراءنا. وكان أفغان وزيرى غير منتظمين في دفع المكوس. ومن شدة خوفهم، قدموا مائة[2] رأس غنم هدية. وكان أصبعى المكسور يعوقنى عن الكتابة. وفي هَذِهِ الناحية، في يَومِ الأحد الرابع عشر مِن الشهر، كتبتُ شيئا يسيرا. وفِي اليوم التَّالِي، جاء أكابر أفغان خِرِلْجى وسَمُو خيل. والتمس أكابر «دِلِه زاك» العفو عما اقترفته هَذِهِ الجماعة، وألحّوا في هَذَا. فعفونا عما اقترفوه، وأطلقنا سراح أسراهم، وربطنا عَلَيْهِم أربعة آلاف رأس غنم ضريبة. وخلعنا على كبرائهم وعينا المحصلين، وأرْسَلْناهم.

---

(١) الفترة من الليل ثلاث ساعات كما وضح بابر.

(٢) أضافت التركية بين قوسين كلمة ثلاثمائة.

وبعد إنجازِ هَذهِ الأعمال، تحَرَّكْنَا مِن هُنَاكَ في يَومِ الخميس الثامن عشر مِن الشهر، ونزلنا «بهَار» و«مِخ كرام».

وفِي اليومِ التَّالِي، قَصَدتُ [حَدِيقَة] باغ وفا. وكانت فِي أجمل أوقاتها، فالميادين مكسوة بالبراعم، وأشجار الرمان فِي كامل اصفرارها. وقد اكتست بلون الربيع الجميل. والرمان قانى الحمرة على الأشجار. وأشجار البرتقال خضراء، والبرتقال فوق الأشجار لم يكتسب بعد لونه الأصفر كاملا. ورغم أن الرمان هنا ليس فِي جودة رمان ولايتنا، لَكِنَّهُ كان جيدا. وإنها المرة الأولى التي ننال فيها حظا كهذا مِن باغ وفا. وخلال هَذَا الأَيَّام الثلاثة أو الأربعة التي قضيناها هنا، (٢٤٥ب) أفرط العَسْكَر فِي أكل الرمان.

وفِي يَومِ الأحد، تحَرَّكْنَا مِن [باغ وفا]، وقد توقفت فيها حَتَّى الجزء الأول وكانت بعض أشجار البرتقال قد أينعت. وأحسنا على شاه حَسَن ببرتقال شجرتين. وعلى بعض الفتية ببرتقال شجرة [لِكُلِّ رجل]، وعلى بعضهم ببرتقال شجرة لِكُلِّ رجلين. ولما كنت عازما على التفرج على شتاء «لَمْغَان»، وفقد أمرتُ بغرس عشرين شجرة برتقال على حافة الحوض. وفِي ذَلِكَ اليوم، قصدنا كندمك ثُمَّ چيكداليك فِي اليومِ التَّالِي. وقُبَيْلَ المِسَاء، أقيمَ مجلس شراب شارك فيه أغلبُ الخَوَاص. وفِي نهايةِ الصُّحبَة، أتى كدائى بهجت ابن أخت قاسم بِك ببعض المساخر. ولما كان ثملا فقد اتكأ على الوسادة التي بجانبى. فأخذه كدائى طغايى مِن يده وأخرجه [مِن المجلس].

وتحركنا مِن هَذهِ الناحية فِي الصباح. وذهبتُ للتجول فِي باريك آب بناحية « قوروقساي. ، مرة إلى أعلى وأخرى إلى أسفل. وكانت بعض أشجار الخريف قد اكتسبت لونها الأصفر الرائع الجمال. فنزلت هُنَاكَ وأعدوا طعاما طاردا للريح. وشربنا شرابا بمناسبة فصل الخريف. وأحضروا غنما مِن الطريق وأمرنا بعمل شواء. وأشعلنا النار فِي أغصان البلوط. وأخذنا نتفرج عَلَيْها. وطلب المُلَّا عبد الملك ديوانه الإذن بالذهاب إلى «كَابُل» لإبلاغ خبر مجيئى.فأرْسَلْناه إلى «كَابُل». وجاء حَسَن نبيره مِن عِنْدَ ميرْزا خان للقائى ولحق بنا هنا. (٢٤٦أ) وأخذنا نشرب هنا حَتَّى الظهيرة، ثُمَّ تحَرَّكْنَا. وصار غالبية مَن فِي هَذهِ الجلسة

سُكارى. وقد ثمل سَيّد قاسم حَتَّى إن اثنين مِن خدمه وضعاه فوق جواده، وحملاه إلى معَسْكَر الجَيْش بِصُعُوبَةٍ. كذَلِكَ ثَمِل دوست مُحَمَّد باقر لدرجة أن أمين مُحَمَّد طرخان و مستى چهره بَذَلا غاية الوسع ليضعاه فوق الجواد فلم يتمكنا. وأخذا يصبان الماء على رأسه بلا جدوى. وفي غضون هَذَا شاهدنا عددا مِن الأَفْغَان. فقال مُحَمَّد طرخان وهو ثمل: سأقطع رأسه بدلا مِن أن يقع فِي يَدِ العدو. وبِصُعُوبَةٍ بالغة، وضعاه فوق الجواد وانطلقا به.

وصلنا «كَابُل» فِي منتصف الليل. وكان قُلى بِك الذي أرْسَلْناه إلى «كاشْغَر» سفيرا إلى السُلْطَان سعيد خان قد عاد، فجاء إلى الديوانِ فِي الصباحِ ولحق بنا. وكان بيشكه ميرْزا ايتارجى قد أرسل سفيرا مع قُلى بِك. فأحضر معه مقدارًا مِن متاعِ الولاية هدية.

وفِي يَومِ الأربعاءِ غرة ذى القعدة، ذهبتُ قُبَالَة جبانة «كَابُل»، وشربتُ الصبوحى بمفردى. ثُمَّ جاء مَن كانوا فِي المجلس تباعا فرادى ومثانى. فلما أشرقت الشمس، ذهبنا إلى [حَدِيقَة] باغِ بنفشه، وشربنا عِنْدَ حافة الحوض. وغفونا إلى الظهيرة، ثُمَّ شربنا ثانية فِي الظهيرة. وفِي صحبةِ الظهيرة هَذهِ، قدمتُ الشراب إلى تينري قُليوبك ومهدى الذين لم يعرض عَلَيْهم الشراب فِي مجالسِ الصُّحْبَة السابقة. (٢٤٦ب) وفِي وقتِ النوم، ذهبتُ إلى الحمام، وأمضيتُ فيه تلك الليلة.

وفِي يَومِ الخميس، أحسنا على تجار«الهِنْد» بالخلع وعلى رأسهم يحي النوحاني، وأذنا لَهُم فِي الانصراف.

وفِي يَومِ السبتِ الرابعِ مِن الشهر، خلعنا على بيشكه ميرْزا القادم مِن «كاشْغَر» خلعة، وأعطيناه العطايا والإذن بالانصراف.

وفِي يَومِ الأحد، أَقَمْنَا صحبة فِي القاعةِ التي يزين بابها رسوم صغيرة. ومع أنها حجرة صغيرة، فقد ضم المجلس ستة عشر رجلا.

وفِي يَومِ الثلاثاء، ذهبنا إلى استاليف للتفرج على الخريف. وقد تَعَاطَيْنَا المعجون فِي ذَلِكَ اليوم. وفِي المساء، هطل المطر غزيرا. ودخل أكثر الأُمَرَاء والخَوَاص الذين جاءوا معى، خيمتى المقامة فِي [حَدِيقَة] باغِ كلان. وفِي اليومِ التَّالِي، أقيم مجلس شراب فِي هَذهِ الحَدِيقَة.

واستمر الشراب إلى المساء. وفي الصباحِ تناولنا الصبوحى. ونمنا ونحن ثملين، وفي الظهيرة، تحَرَّكْنَا مِن استاليف، وتَعَاطَيْنَا المعجون أثناء الطريق. وقبيل المغرب وصلنا بِهْزادي[1]. وكان الخريف بديعا. وحال مشاهدة [مظاهر] الخريف، بدأ المغرمون بالشراب في طلبه. ورغم أننا تَعَاطَيْنَا المعجون، فإن روعة الخريف، أجلستنا وشربنا تحت الأشجار التي تأثرت به. واستمرت هَذهِ الصُّحْبَة في نفسِ المكان حَتَّى وقت النوم. وجاء المولى مُحَمَّد خليفة، فدعوناه للصحبة.

ثمل عبد الله تماما وتفوه خليفة، (٢٤٧أ) بكلمة، وغافل عبد الله، المولى مُحَمَّد وأنشد هَذَا المصراع:

كل مَن تنظر إليه مبتلى بهذا الداء.

وكان المولى مُحَمَّد مستجمع الحواس. فعرّض بعبد الله بدعابة لهذا المصراع الذي أنشده. فلما علم عبد الله، اعتراه خوف، فقال كلمات عذبة لكى يُهَدِّئَ مِن غضبه.

وفي يَومِ الخميس، تفرجتُ على الخريف، وبعد المساء قصدتُ [حَدِيقَة] چارباغ.

وفي يَومِ الجمعةِ السادسِ عشر مِن الشهر، أكلنا المعجون في [حَدِيقَة] باغِ بنفشه، وركبنا سفينة مع بعض الأصدقاء المقربين. وبعد فترة وجيزة، جاء هُمايون وكمران أيضا. وقد أصابَ هُمايون بَطَّةً بمهارة.

وفي يَومِ السبتِ الثامنِ عشر مِن الشهر، تحركتُ مِن چارباغ في منتصفِ الليل. وأمرتُ الحراس والنَّاس بالرجوع. وعبرنا مِن جسر مُلَّا بابا، وخرجنا مِن « دَرْب ديورين »، وقناة قوش نادور وأسواقها ورجعنا مِن وراء خرسخانه. وبلغنا مستنقع تردى بِك خاكسار. وعلم تردى بِك بالأمر، فجرى هلعا وخرج إليّ. ودهاء تردى بِك أمر معلوم. وكنت قد حملتُ معى مائة شاهروخى. أعطيتها لتردى بِك وقلتُ له: جَهِّز الشرابَ وأَسْبَابه، فأنا أريد إعداد مجلسِ شرابٍ عاجلٍ لنا [أنا وأنت فقط]. وذهبَ تردى بِك إلى بهزادى لإحضار الشراب. وأعطيتُ جوادي إلى أحد رِجَال تردى بِك، وجلستُ فوق ربوة خلف البركة. ومضت ثلاث ساعات،

(١) موقع شمال كَابُل.

(٢٤٧ب) وأحضر تردى بِك قارورة شراب، وبدأنا نشرب وجها لوجه. ولما أحضر تردى بِك الشراب، سمع بالأمر مُحَمَّد قاسم بِك وشهزاده. فجاءا فِي أعقاب تردى بِك سيرا على الأقدام بغير علمى. فدعوناهما للصحبة، وقال تردى بِك: إن [السَيِّدة] حلحول اينكه تتمنى أن تشرب معك فقلتُ: استدْعِها، فأنا لم أر أمرأة تشرب قط. ودعونا إلى الجلسة أيضا درويشا يدعى شاهى، وعازف رباب مِن الناحية. وجلسنا وشربنا فوق الربوة التي خلف المستنقع حَتَّى المساء. وبعد ذَلِكَ قصدت منزل تردى بِك، وشربتُ على ضوء الشمع حَتَّىٰ وقت النوم. وكانت صحبة جميلة خالية مِن القيل والقال، ثُمَّ غفوتُ بَيْنَما تنقل رفقاء المجلس مِن بيت لآخر، وظلوا يشربون حَتَّى وقت الطبل. وجاءت حلحول اينكه، وأظهرت لى كثيرا مِن الدلال. وفِي النهاية، أسلمتُ نفسى للسكر، ونجوتُ بنفسى.

وكنتُ أفكر فِي الذهابِ بمفردى وبدون علمهما إلى «اسْتَرْكَاج» [1] لكننى لم أفعل، فقد علما بالأمر. وفِي النهاية، تحركتُ فِي وقتِ [طرق] الطبل. وأرسلتُ فِي طلبِ تردى بِك وشهزاده، وامتطى ثلاثتنا الجياد، وتحركنا صوب استركاج.

وفِي وقتِ الفرض، وصلنا خوجه حَسَن أسفل «استاليف» [2]. وترجلنا عن الجيادِ لفترة، فأكلنا المعجون، وتفرجنا على الخريف. وعند شروقِ الشمس، نزلنا بستان «استاليف»، (٢٤٨أ) وأكلنا العنب. ومن هُنَاكَ، قصدنا خوجه شهاب مِن مُلْحَقَات «اسْتَرْكَاج» وغفونا. وكان آيا ميراخور قد أعد لنا فِي بيْتِهِ لحين استيقاظنا طعاما وقارورة شراب. وكان الخريف بديعا، فشربنا بضع أقداح، ثُمَّ تحَرَّكْنَا. وفِي وقتِ الظهر، نزلنا أجمل حَدِيقَة يتمثل فيها الخريف فِي «اسْتَرْكَاج ». وأقمنا مجلس صحبة. وبعد فترةٍ وجيزة، جاء الخوجه مُحَمَّد أمين. وواصلنا الشراب حَتَّى وقت النوم. وفِي ذَلِكَ اليوم والليلة، جاء عبد الله و"عَسَسْ" ونور بِك ويوسف على مِن «كَابُل». وتناولنا الطَّعَام فِي الصباح، ثُمَّ تحَرَّكْنَا، وتفرجنا على حَدِيقَة

(١) تقع شمال غرب كَابُل فِي وادى قرا باغ.

(٢) تقع شمال غرب كَابُل فِي وادى قراباغ.

بادشاهى أسفل «اسْتَرْكَاج». وكانت [مظاهر] الخريف تتجلى جميلة على أغصانِ شجرِ التفاح. إذ بقيَ فِي كل غصن خمس ورقات أو ست بنفس الشكل. وكانت جميلة بصورة يعجز الرسامين عن رسمها مهما اجتهدوا.

وتحركنا مِن «اسْتَرْكَاج»، وبعد أن تناولنا الطّعّام فِي خوجه حَسَن، وصلنا «بِهزادى» قبيل المساء، وشربنا فِي بيتِ خادم الخوجه مُحَمَّد أمين ويدعى إمام مُحَمَّد.

وفِي يَومِ الثلاثاءِ التَّالِي، قصدنا «چهارباغ» فِي «كَابُل».

وفِي يَومِ الخميسِ الثالثِ والعشرين مِن الشهر، دخلنا القَلْعَة، وفِي يَومِ الجمعة، أمسك مُحَمَّد علي حيدر الركابدار بصقر أبيض وقدمه هدية لى.

وفِي يَومِ السبتِ الخامسِ والعشرين مِن الشهر، أَقَمْنَا مجلسا فِي «باغِ چِنَار». وتحركنا وقت صلاة العشاء، وكان قاسم بِك منفعلا مما حدث، فنزلنا ببيته فِي طريقِ عودتنا، وتناولنا عنده بعض الشراب.

(٢٤٨ب) وفِي يَومِ الخميسِ غُرَّة ذى الحجة، جاء تاج الدين محمود مِن «قَنْدَهار» وانضم إلينا. وفِي يَومِ الإثنينِ التاسع عشر مِن ذات الشهر، جاء مُحَمَّد علي جَنْكِجَنْك مِن «نيلآب».

وفِي يَومِ الثلاثاء، جاء سنجر خان چنچوهه مِن «بَهْرَه»، وانضم إلينا.

وفِي يَومِ الجمعةِ الثالث والعشرين مِن الشهر، أتممتُ [نسخ] الغزليات والأبيات التي انتخبتها مِن أشعار عَلِيشِير بِك وفق البحور والأوزان.

وفِي يَومِ الثلاثاءِ السابعِ والعشرين مِن الشهر، أَقَمْنَا مجلسا فِي القَلْعَة الخارجية، فلما ثمل الحضور، أمرتُ بانصرافهم وعدم اجتماعهم فِي مجلسٍ مرة أخرى.

وفِي يَومِ الجمعةِ نهاية ذى الحجة، خَرَجْتُ للتفرج على «لَمْغَان».

***

وَقَائِعُ سَنَةِ ست وعشرين وتسعمائة[1]

فِي يَومِ السبتِ غُرَّةِ المحرم، توجهنا إلى «خوجه سياران» . وأقمنا مجلسًا للشرابِ على حافةِ النبعِ الذي تفجر مؤخرا فوق الربوة. وفِي الصباح، تجولنا وسِحْنَا فِي «ريكِ روان»، ثُمَّ نزلنا بقصر سَيِّد قاسم المعروف باسم قصر البلبل، وأقمنا مجلسًا [آخر] هُنَاكَ. ثُمَّ غادرناه فِي الصباح، وتَعَاطَيْنَا المعجون، وتوجهنا إلى «بلكر». وعلاوة على ما شربناه فِي المساء، فقد أَقَمْنَا [مجلسًا] لتناول قدح صبوحى [للإفاقة]، وعند الظهيرة، ذهبنا إلى «درنامه». وأقمنا هُنَاكَ مجلسًا للشراب، وفِي الصباح، تناولنا الصبوحى [للإفاقة]، وأهدانا "حقداد" كبير ناحية «درنامه»، حديقته.

وفِي يَومِ الخميس، تَحَرَّكْنَا ونزلنا قرية التاجيك فِي «نجراو» .

وفِي يَومِ الجمعة، قُمنا بالقنص فِي الجبلِ الواقعِ بين «جُهُل قولبه»، و«نهر باران». وقد اصطدنا بعضَ الغزلان. ولم أكن قد أطلَقْتُ سهما مُنْذُ أُصيبَت يدى. (٢٤٩أ) فأصبت إبط غزال بسَهْمٍ ضعيف شيئًا ما. فانغرس السهم حَتَّى منتصفه فِي الجزءِ المغطى بالشعر. وعند العصر، رجعنا على «نجراو».

وفِي اليومِ التَّالِي، وضَعْتُ الجزية على أهل «نجراو»، ومقدارها ستون مثقالا مِن الذهب.

وفِي يَومِ الاثنين، تَحَرَّكْنَا للتفرج على «لَمْغَان» . وكنتُ قد فكرتُ فِي اصطحابِ [ابنى] هُمايون فِي هَذهِ الجولة، لَكِنَّهُ أبدى رغبته فِي التخلفِ عنا، فأذنتُ له بذَلِكَ عِنْدَ «دَرْب كوره». ونزلنا «بدراو»، ومن هُنَاكَ إلى «أُلغ بو». وقد أمسك الصيادون بمقدار مِن السمكِ مِن «نهر باران». وعند العصر، ركبنا طَوْفا وشربنا.

وعقب العشاء، غادرنا الطَوْف وشربنا فِي الخيمةِ البيضاء أيضا. وكنا قد أرْسَلْنا حيدر علمدار إلى كفار «داورتين». وعند «سفح باديج»، جاء أكابر الكُفَّار ومعهم عدد مِن قراب

---

(١) يقابل الفترة من ٢٣ديسمبر ١٥١٩ – ١٢ ديسمبر ١٥٢٠.

الخمر، وانضموا إلينا. وعندما نزلنا الدَّرْب، بَدَا لنا الجراد بأعداد هائلة.

وفي اليومِ التَّالِي، كان هُنَاكَ طَوْفان فركبنا واحدا منهما، وأكلنا المعجون، ثُمَّ غادرناه أسفل بولان بمسافة يسيرة، وجئنا إلى المعَسْكَر.

وفي يومِ الجمعة، غادرنا ونزلنا بسفح جبل أسفل «مندراو» بمسافة يسيرة. وفي المساء، أَقَمْنَا مجلس شراب.

وفي يَومِ السبت، ركبنا الطَوْف، وعبرنا «دَرْب دروته»، وفوق «جهان نُما» بمسافةٍ يسيرة، غادرنا الطَوْف وقصدنا [حَدِيقَة] «باغ وفا» الواقعة أمام «آدينه پور». ولما غادرنا الطَوْف، جاء قيَّام أوردوشاه حاكم ولاية «بيكاهار»، وانضم إلينا. وكان لنكرخان نيازى الموجود في «نيلآب» قد جاء مُنْذُ فاترة، (٢٤٩ب) وانضم إلينا في الطريق.

ونزلنا [حَدِيقَة] «باغ وفا»، وكان برتقالها قد اكتسب لونه الأصفر البديع، وخضرتها تامة النضج. وكانت في غايةِ الجمال. فَأَقَمْنَا بها خمسة أَيَّام أو ستة. وكنت قد عقدتُ العزم على الإقلاع عن الشراب عِنْدَ سِنّ الأربعين. وقدبقِىَ علَى بلوغى هَذهِ السن أقل مِن عام. لذا كنتُ أفرط في الشراب.

وفي يَومِ الأحدِ السادسِ عشر مِن الشهر، عملنا الصبوحى وأفقنا. وعندما تناولنا المعجون، عزف المولى يارك لحنا مِن تأليفه مِن دور المخمس، وكان عزفه جميلا. ومنذ زمن بعيد لم أنشغل بمثل هَذهِ الأشياء. وقد راودتنى الرغبة في العزف، لذا وضعت بهذه المناسبة لحنا مِن [مقام] الچهاركاه.

وفي يَومِ الأربعاء، عملنا الصبوحى، وأثناء ذَلِكَ سمعنا هَذهِ الدعابة " مَن يعرف لغة السارت عَلَيْهِ برفع كأسه"، فرفع الكثيرون كؤوسهم. وفي وقتِ (السُّنَّة) كنا نجلس بين الأغصان وسط الخميلة، فقال أحدهم: فليشرب كل مَن يعرف التركية كأسا وهذه المرة أيضا رفع الكثيرون كؤوسهم.

وعند شروقِ الشمس، قصدنا حافة البركة عِنْدَ سفح أشجار البرتقال وشربنا.

وفِي اليَومِ التَّالِي، ركبنا الطَّوْف مِن «دوته»، وعبرنا مِن «دوبي شاهي»، فوصلنا «أتره». ثُمَّ غادرناها، وتفرجنا على «دره نور»، وبعد أن وصلنا إلى قرية «سوسان»، رجعنا ونزلنا إلى « آمْلَه ».

وكان الخوجه كلان قد أحكم السيطرة على «بَجُور» (٢٥٠أ) ولكونه كان مصاحبا، فقد استدعيناه، وأعطينا «بَجُور» لشاه حُسَيْن.

وفِي يَومِ السبتِ الثاني والعشرين مِن الشهر، أذنا لشاه مير حُسَيْن [بالمغادرة]. وفِي ذَلِكَ اليوم، شربنا فى «آمْلَه» أيضا. وفِي اليومِ التَّالِي، وصلنا تحت الأمطار إلى «كُلَه كُرام»، حيث منزل ملك قُلى فِي «كُنَر». ونزلنا بمنزل يطل على بساتين البرتقال التي تخص ابنه الأوسط. وحال المطر دون ذهابنا إلى بساتين البرتقال، وأقمنا مجلس الشراب فِي ذَلِكَ البيت. وكان المطر غزيرا غير مألوف. وكنت أعرف طلسما، علمته للمُلَّا على خان. فكتبه فِي أربعِ ورقات، وعلقها فِي أربعةِ جوانب. وعلى الفور توقفَ المطر، وبدأ الجو فِي التحسن.

وفِي الصباح، ركبنا طَوْفا، وركب الفتية طَوْفا آخر.

وكانوا فِي «بَجُور» وسواد و«كُنَر» والمناطق المجاورة يَعْمَلون نوعا مِن البوظة. إذ كانوا يَعْمَلون ما يسمونه الكيم مِن جذور الأعشاب ومن بعض أجزائها. ثُمَّ يجعلونها مستديرة تشبه الخبز، ويجففونها، ويحفظونها. وخميرة البوظة هي مادة الكيم هَذهِ. وبعض أنواع البوظة تخدر الأعصاب. لكنها كَثيرَة الملح لا طعم لها.

ورغبنا فِي شُرْبِ هَذهِ البوظة، لكن لم نستطع أن نكثر مِنْها لملوحتها. وفضلنا تعاطى المعجون. وكان عسس وحسن ايكرك، ومستى، فِي الطَّوْف الآخر،فأمرناهم أن يشربوا مِن هَذهِ البوظة، فشرب حَسَن ايكرك مِنْها وثَمِل، وبدأ فِي الصياحِ صياحا لا معنى لها. كما ثَمِلَ عسس، وأخذ يأتي ببعض الحركات القبيحة. وأصابني الضيق لدرجة أنني فكرتُ فِي إنزالهِ مِن الطَّوْف، ونَقْلِهِ إلى حافةِ النَّهْر. لكن رجانى البعض وتوسطوا فِي الأمر.

وفِي ذَلِكَ الوقت، أنعمنا ببَجُور على شاه مير حُسَيْن، واستدعينا الخوجه كلان ليكون حاجبا لدينا. فقد طالت إقامته في «بَجُور»، فتصورنا أن أعمال «بَجُور» يسيرة شيئا ما. وأثناء ذهاب شاه مير حُسَيْن إلى «بَجُور»، قابلناه عِنْدَ معبرِ «نهرِ كُنر». فاستدعيتُه وأعطيتُه بعض الأوامر شفاهة، ثُمَّ أحسنتُ عَلَيْهِ بدرع خاصة، وأذنا له بالانصراف.

نوركل:

فلما بلغنا «نوركل»، جاءنا شيخ، طالبا الصدقة. فأعطاه كل واحد ممن على الطَّوْف، أشياء مِن جنس الثياب والعمائم والمناشف، فتجمع له مِنْها شيء كثير. وفِي منتصفِ الطريق، عِنْدَ مَوْضِع وعر، اصطدم الطَّوْف اصطدامًا خطيرًا. وأصابنا الفزع. والحق، إن الطَّوْف لم ينقلب، لكن مير مُحَمَّد جاله بان سقط فِي الماء.

وأمضينا الليل بالقرب مِن «أتر». وفِي يَومِ الثلاثاء، بلغنا «مندراو». وقد رَتَّبَ لنا قُتْلُقْقَدَم، وأبوه دولت قدم مجلسًا داخل القَلْعَة. والحق، إنه لم يَكُنْ محلا ذا صفاء. لكن شربنا بضعة كؤوس مجاملة لَهُما، وقُبَيْل العصر قصدنا المعَسْكَر.

قرية كندكر:

وفِي يَومِ الأربعاء، ذهبنا إلى نبع كندكر وتفرجنا عَلَيْهِ. و«كندكر» قرية مثل «مندارور». وليس بولاية «لَمْغَانات» كلها نخيل سوى فِي هَذهِ القرية. وتقع أعلى قليلا مِن سفح الجبل. (٢٥١أ) ونخيلها فِي الطرفِ الشرقي مِنْها. وهذا النبع بجوار النخيل فِي مكانٍ مائل. وقد جمعوا الحجارة أسفل رأس النبع بحوالي ستة أو سبعة أذرع، ورفعوها على هيئة المغطس بحيث يصب الماء على رأس مَن يريد الغسل. وكان ماء النبع مناسبا جدا. وفِي أَيَّامِ الشتاء، يشعر الإنسان بشيء مِن برودة هَذَا الماء، لكن بعد أن يبقى المرء فيه لفترة يشعر بالانتعاش.

وفِي يَومِ الخميس، أنزلنا شير خان التركلاني ببيته، وأقام لنا مأدبة. وبرحنا هَذَا المكان عِنْدَ الظهر. واصطادوا السمك مِن مزارع السمك التي أقيمت خصيصا لهذا. وقد ذكرنا وصْفها مِن قبل.

وفِي يَومِ الجمعة، نزلنا بالقرب مِن قرية «خوجه مير ميران». وقبيل المساء أَقَمْنَا مجلسا.

عليشَنْك والنِكار:

وفِي يَومِ السبت، اصطدنا فِي الجبلِ الواقعِ بين «عليشَنْك» و«النِكار». وكان أهل «النِكار» و«عليشنك» ينصبون حلقة، ويدفعون الغزلان للنزول مِن الجبل. وقد اصطادوا غزلان كَثِيرَة. ورجعنا مِن الصيد، ونزلنا بحَدِيقَة الملوك فِي «النِكار». وأقمنا مجلسا. وكان نصف سني الأمامي قد انكسر وبقي نصفه. وفِي ذَلِكَ اليوم، انكسر النصف الثاني أثناء تناول الطَّعَام.

وَغَادَرْنَا فِي اليومِ الثاني، وأمرنا بنصب الشباك للأسماك. وقبيل الظهر، ذهبنا إلى «عليشَنْك»، وشربنا فِي الحَدِيقَة. وفِي اليومِ التَّالِي، سلمنا حمزة خان ملك «عليشَنْك» للمطالبين بدمه، فاقْتَصُّوا مِنْهُ.

وفِي يَومِ الثلاثاء،(٢٥١ب) قرأنا الأوراد، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا صوب «كَابُل» مِن طريق «يانبولاغ». وعند العصر، عبرنا الماء مِن «أُلُغ بو»، وبلغنا «قراتو» فِي المساء، فقدَّمنا العلف للخيل. وجَهَّزنا الطَّعَام مِن المتاع الذي معنا، وطعمنا الخيول، ثُمَّ تَحَرَّكْنَا.

***